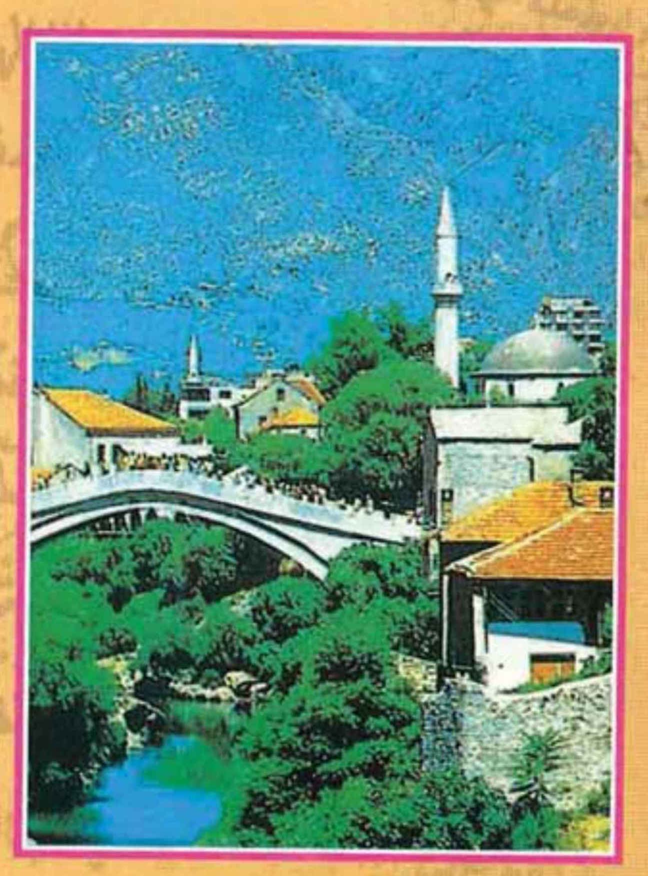


الفيصل

مجلة ثقافية شهرية — العدد (١٨٨) - صفر ١٤١٣هـ (أغسطس ١٩٩٢م)
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (188) August 1992



مدينة المساجد الأوروبية في خطر



- بين سيد قطب ونجيب محفوظ
- جسدك أفضل من يعلم
- من قصص الجاسوسية العالمية

ملف العدد
الحوار

في نوبة الفقير رحمة ربه ... عثمان الشهير بابن جلبه الواعظ غفر الله له وللمسلمين آمين

كتاب فتوح الشام

تأليف الشيخ الإمام الحافظ الضابط

أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى

ورضي عنه وغفر لنا وله ولجميع المسلمين

قال المصنف غفر الله له والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة
ما أعتمدت في خبر هذا الفتوح إلا الصدق وما لحنت حديثنا إلا عن فاعل
الحق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم وفي ذلك رغم
لأهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض الذي لولاهم ما فتح الله لنا البلاد
للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ولقد
وبلغوا المنى ... وصبروا وبذلوا جهدهم وما قصروا حتى زحزحوا الكفر عن ...
وقهقروا ... قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر رضي الله عنهم
أجمعين ولا حرمنا ورضي عنا بهم وحشرنا في زمرتهم وأدانا وجههم في دار كرامته وأماتنا
على محبتهم وأمتنا على محبة محمد صلى الله عليه وسلم ... وعفر لكاتبه ...
فيه ودعا له بالمغفرة وأصلح ما فيه من الخلل وسامحنا عنه بفضله وكرمه إنه أرحم الراحمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى التابعين الطاهرين

وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

فمن نظر في هذا الكتاب شاربا عن الشك والارتياب
فاعف عنه ... الثواب من الملك العلي الوهاب
تملكه عبد الرحمن ابن طيب العاصي ... الحركي
عفي عنه



AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

إطلالة

وللحوار منطلقاته وغاياته

تمثل الثوابت والغايات نقطة إنطلاق أساسية؛ أمام كل متحاور قبل أي حوار.

فإذا اتفقنا على هذه الثوابت والغايات؛ فلا بأس أن تتعدد الرؤى وتختلف وجهات النظر، ما دام ذلك كله ضمن ضوابط وأسس لا نحيد عنها، ووقتها ستكون آراؤنا - حتى عند اختلاف بعضها عن البعض الآخر - ليس أهواء تتصارع بل زهورا تتلاقح وتتكامل بحثا عن بعث فنيّ وحيوية متجددة تمدها بالنضارة والنماء.

علينا تحديد هدف الحوار بأنه الوصول إلى معرفة الصواب.

ونرعى أسسه ودعائمه.

ونتوسل بأساليبه المقبولة.

وما دمنا متمسكين بكتاب الله الكريم وسنة رسوله المطهرة فسنصل - بإذن الله - إلى حلول راشدة مرضية تحقق أهداف حوارنا وغاياتها؛ شريطة أن نتحلى بأمهات الأخلاق وأصولها:

- نتحلى بالحكمة لندرك الصواب من الخطأ في أعمالنا الاختيارية.

- ونتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس وتحملها على مقتضى الحكمة.

- ونتحلى بالعفة لتلتقي عقولنا على ثوابت راسخة، وتستجيب عقولنا لمقتضيات ذلك في الاعتقاد والفهم والفكر والعمل.

- ونتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبخلقه قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهوة بأدب الشرع وميزان العقل.

- ونبتعد عن أسباب الخلاف المذموم؛ تلك التي تكمن في الجهل، أو تحكم تقاليد بغيضة بعيدة عن الصواب، أو تعصب أعمى، أو غيّ وهوى، أو عناد مكابر، أو سوء فهم، أو تغليب انتصار شخصي.

إننا عندما نتحرى الحق في حواراتنا، ونحدد أهداف وحدود ما نتحاور فيه وأولوياته، ونلتزم الموضوعية دون إخلال متعمد بمسار الحوار وفنه - فقط - نكون على الطريق الصحيح الذي حدده ديننا وشجع عليه، فجعل للمجتهد أجراً إن أخطأ؛ وأجرين إن وفقه الله للصواب.

وما أحوجنا اليوم إلى حوار رشيد.

● درع وسيف :

الأيام القليلة التي عشتها وزملائي في زيارة بعض وحدات قواتنا المسلحة التي قادت حرب تحرير الكويت؛ أكدت لي الترابط الوثيق بين جوانب العيش المختلفة في حياة المسلم، والاندماج الكامل بين العقيدة وجوانب الحياة جميعها. وجسدت لي التصور الإسلامي للقوة والحرب. فالسلاح ليس وسيلة للتسلط على الآخرين والتعدي على حقوقهم. وإنما هو عدة المؤمنين في مواجهة أعداء الله والإنسانية. كما جسد أن الحرب ليست مغامرة لتوسيع النفوذ وسلب الآخرين حرياتهم وممتلكاتهم بغير حق. وإنما ضرورة لمدافعة الطغيان وتحرير الإنسان وإقامة العدل وحفظ التوازن في الحياة الإنسانية.

تلكم هي الأسس والمنطلقات التي تحكم توجه هذه القوات وتحدد هدفها وتبرر وجودها. وهي الأسس التي قام عليها إعدادها وتدريبها

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.

□ حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

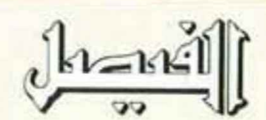
□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

□ يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.

□ ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.



● المراسلات
مجلة «الفيصل» ص . ب : (٣)
الرياض : ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٢٦ ، ٤٦٥٣ ـ ٢٧ ، ٤٦٥٣ ـ تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـ فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١ .

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم .

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٣٧ البوسنة والهرسك: الجسر الحضاري للإسلام في أوروبا: وا إسلاماه . .



ص ٦٧ اللون يساعد الحيوان في التأقلم والإفلات من الإنسان . .



ص ٧٢ الإخراج المسرحي لكتب الأطفال فن له أسسه وقواعده . .





ص ٩٩ عصر النهضة في الغرب استفاد من المعطيات الحضارية للعالم

ملف العدد

الحوار

« وصولا إلى حوار

رشيد ينطلق من ثوابت أصيلة

ويتطلع إلى رؤى آملة وغايات خيِّرة في بلادنا

العربية والإسلامية ؛ تقدم «الفيصل» هذا الملف

الذي يشارك فيه نُخبة من أعلام الفكر وأهل الرأي ،

تجليّة لماهية الحوار وأركانه وأسسه ووسائله

وأهدافه ، وإجابة عن سؤال مهم :

كيف يكون الحوار ؟ . . »

(المحرر)

شارك في الملف :

- د. عبدالله الحامد
- د. إبراهيم إمام
- د. حمود البدر
- د. حسن وجيه
- د. فهد السماري
- د. مسفر بن عبدالله البشر
- د. حسين فوزي النجار
- د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي
- د. أحمد صدقي الدجاني
- د. محمد الأحمدي أبو النور
- د. زيد بن عبدالمحسن

ملف العدد:

الحوار لماذا.. وكيف؟

بقلم: د. عبدالله الحامد

إن الوصول إلى الناضج من الآراء والأفكار، يتم عبر التجريب تارة والحوار تارة أخرى، حيث تتلاقح الأفكار، ولذلك قيل «من المناقشة ينبثق النور» وفي الحوار لا بد أن يوجد شيء من الإنارة وشيء من الغبار وقد يوجد المتعصب لرأيه المتمسك به، والمرن الذي يحاول أن ينصت، ولكن الإثارة أحيان قد تكون من أساليب حشد الناس إلى رأي، إن التعود على الأخذ والعطاء والمشاورة والمحاورة صفات خيرة لا تنتج إلا خيرًا.

إن العالم والمفكر - فضلا عن غيرهما - يستفيدان كثيرًا عندما تناقش أفكارهما وتحاور لأن ذلك يبين أوجه القصور والخطأ فيها، ويساعدهما على بلورتها مرة أخرى، وصياغتها بصورة أفضل وربما لا يصل المحاور إلى الإجابة عن كل سؤال، ولكن قد يكتفي بإثارة سؤال يُؤدي إلى البحث عن الجواب، إن لم يشارك في مشروع جواب، وما لم يجر نقاش فلن نصل إلى صواب، ولا اختيار إلا باختبار، ومن سُبل اختبار الأفكار النقاش.

إن الثقافة العربية والإسلامية لم تصل إلى ما وصلت إليه من قوة وسمو - بدأ في العصر العباسي - إلا بالمناظرات والمحاورات التي عرفت في المساجد والمجالس بين أهل الفقه والعقيدة والحديث والتفسير وأهل اللغة والنحو والأدب، وأهل العلوم الطبيعية، وما تلك الكتب التي يظنها الناس لمؤلف واحد، إلا خلاصة تلك المحاورات والمناقشات التي ظهرت في مثل (الكتاب) لسيبويه، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، والمقدمة لابن خلدون، وفي هذا الجو الحواري المرن المتسامح ازدهرت الحضارة، عندما كان الطالب يتنقل بين الحلق العلمية في المسجد الواحد، يقول رأيه ويناقش أستاذه، دون أن يحجر أحد على رأي أو يمنع من قول ما دام الجميع متمسكين بحدود حرية التفكير في الإسلام. كما أشار إلى ذلك الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما عن الأحكام السلطانية.

الحوار يبني التفكير السديد

عندما تصبح المعرفة استنتاجًا وممارسة واختيارًا يرشد الاختيار، وذلك من أثر سلامة الحوار. لأن الذي لا يحاور الآخرين تكون قناعته هشة كالبيض والتين سريعة الانكسار كالزجاج والفخار يسهل غسيل مخه، ويسهل احتواؤه، فهو متذبذب إمعة، يقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. ولا بد للمسلمين اليوم من بناء التربية على أساس المناعة الذاتية، والمناعة الذاتية تنتج عن التفكير والحوار والمناقشة وفهم الدليل، لا على مجرد معلومة يحفظها الدارس في صغره ولا يكاد يفهمها، ولا يكاد يطلب الفهم إلا وجد إشارات التشكيك في سلامة دينه وفكره، ومن ثم تتحول المعرفة لديه إلى (تغنٍّ) و (تمنٍّ) وذكريات، يتبعها تبرير وإسقاط للمشكلات على الآخرين.

ومن فوائد تنشيط الحوار حيوية العقل، لأن الناس اليوم أحوج ما يكونون إلى تجديد الفكر الإسلامي، وتجريده مما علق به من التقاليد المحلية والإقليمية، التي أبعدت الناس عن حقائق الدين.

إن هذا العصر عصر زلزلة حضارية، في انفجار معلوماتي وإعلامي رهيب، فإذا لم يتعود المسلم على التفكير والمناعة الذاتية، صار سهل الاصطياد. لن نستطيع إغلاق أجهزة الاستقبال، ولا قطع خطوط الاتصال، ولا منع الطائرات والمواصلات، ولكن هل نستطيع أن ننمي القدرة على التفكير الذي يجعل العلم نورًا في العقول لامتونا في الصدور.

وبعض الناس هداهم الله يثيرون شبها يحاولون بها إيصاد أبواب الحوار، من باب سد الذرائع وهم يستخدمون حججًا مطاطية، لا تثبت للنقاش منها دعوى الحرص على وحدة الكلمة، وهم ينسون أن الممدوح هو أن يجتمع الناس على خير ورشاد، أما أن يكون الاجتماع على سكون وهمود وتقليد، فأمر غير مقبول ولا مشروع.

ومنها أن يعتبروا التعبير عن الرأي فتنة، وهم في هذا وذاك لا يستندون إلى دليل واضح من كتاب منير، ولا من حديث شريف.

ومنها أن يوردوا الآيات والأحاديث التي تذم الجدل وهؤلاء وفقني الله وإياهم ينسون مشروعية الحوار التي جاء بها الإسلام، ويغفلون عن الفرق بين المماراة والجدال.

فالمراء هو جدال بالباطل لا تنشد الحقيقة، إنما هو انتصار للنفس، أو رغبة في الاستعلاء أو مكابرة ومغالطة أو منافرة ومفاخرة أو سباب ومشاتمة، وذلك مفسدة للقلوب مضيعة للوقت، وهو عمل مذموم.

أما الجدال فهو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت

استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي وجهها الطرف الآخر إلى أدلته. وهدف الجدل والمناظرة تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، بتبصير كل منهما صاحبه بما خفي عليه وطابع الحوار العلمي البعد عن التعصب والأنانية والمكابرة ولذلك كان الجدال في الواقع الإنساني من الوسائل التي تستخدم لنشر الأفكار والإقناع بها، وسلاحًا من أسلحة الإنسان للدفاع عن أفكاره قال تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾.

وقد جرى السلف الصالح على آداب في الحوار، وندب إليها الدين، منها أن يكون الجدال بأسلوب هادئ موضوعي مهذب، يدل على مرونة التصرف، ورجاحة العقل، وسعة الخلق، قال الحليم الخبير لنبيه الكريم، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

وأمر الله عباده المسلمين بأن يكون أسلوبهم في الجدال راقيا يليق بأهل الدعوة والإيمان فقال: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ العنكبوت/ ٤٦ وهذا يدل على أن من أدب المناظرة والمحاورة تهذيب القول، والبعد عن التجريح والطعن، والسخرية والهزء، والاحتقار والغمط كرمي الآخرين بالجهل أوصفهم بالحمق، أو شتمهم.

آداب مهمة

ومن أدب الحوار التزام الطرق المنطقية السليمة بتقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى، وإثبات صحة النقل جريا على القاعدة الذهبية في المناظرة «إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل»

هنا يكمن الخلل في تفكيرنا المعاصر

وقد نبه الله تبارك وتعالى إلى أهمية ذلك قال تعالى ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ وقال ﴿أإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾.

ومن أدب الحوار تخلي كل من المتحاورين في موضوع معين عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانه الاستعداد للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها سواء كانت وجهة نظره السابقة أو وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى، وقد أرشد القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة إذ وجه المؤمنين إلى أسلوب الحوار فقال لهم قولوا: ﴿وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ قال الشيخ عبدالرحمن الميداني: هذا في غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وإعلان تام عن الرغبة بنشدان الحقيقة أينما كانت (ضوابط المعرفة: ٣٦٤).

ومن أدب الحوار الاقتصار على الموضوع الذي يجري فيه النقاش، وترك الخروج عنه إلى أمور أخرى يهرب بها المناقش من الإقرار بسلامة حجة المحاور، أو يراوغ لاستدراج المحاور إلى موضوع آخر، لأن ذلك يحول المناظرة إلى مصارعة حرة لا قيود لها ولا ضوابط (ضوابط المعرفة: ٣٧٣)

ومن أدب الحوار إعلان المحاور التسليم بالقضايا والأمور التي هي من المتفق عليه بين الطرفين، أو الإصرار على إنكار المسلمات فهو (مكابرة) وهي مماراة منحرفة عن أصول النقاش، وليست من شأن طلاب الحقيقة (ضوابط المعرفة: ٣٦٩).

ومن محاسن الحوار قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو المرجحة إذا كان الموضوع يكفي فيه الدليل المرجح، وإلا صارت المناظرة عبثا لا يليق بالفضلاء أن يمارسوه (ضوابط المعرفة: ٣٦٩)

هذا هو فضل الحوار، الذي وجدناه في القرآن الكريم الذي حفل بالنقاش والجدال وطرح السؤال والجواب، وعرض المناظرات، ووجدناه في هدي النبي ﷺ كما في محاوراته لقبائل العرب ووفودهم، وهذه هي آدابه التي تواصى بها السلف الصالح في عصور الازدهار والنهضة فأين نحن اليوم من هذا؟

كيف نتحاور؟

من يتأمل واقع المسلمين اليوم، ويقارنه بواقعهم بالأمس أو بالأمم الناهضة يجد أنهم يعانون من مشكلات كبرى، منها شيوع التفكير العاطفي، المبني على تنزيه الذات وعلى العجز عن فهم الأحداث موضوعيا. وهذا هو مكمن الخلل في التفكير العربي والإسلامي المعاصر، وهو الذي يؤدي إلى السلبية والتقليد وتضخم الأنا والتحليل العاطفي الكاذب للأشياء؛ وهو مرتبط بسلسلة من مثبطات العزيمة، والتي تساعد على شيوع التشنج والتسلط في جانب، والصوفية والتبريرية في جانب آخر، وتؤدي إلى الانغلاق والجمود والتقوقع والترديد والتقليد سواء كان ذلك التقليد للقديم أو للجديد، لأن العقل غير الفعال الناقد ينطمر، تحت أوهام المتابعة والتأصيل والتجديد، عندها يتصور بعض الناس أن العقل ضد النقل، وأن التلقين أسلم من التفكير وأن الرواية أنجع من الدراية، وأن الاجتهاد مغامرة لا تحمد عقباها، وأن من قلد عالما لقي الله سالما.

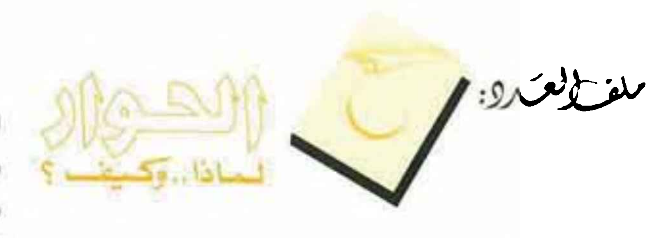
وقد تحول هذا التلقين إلى قاعدة ذهبية، يمارسها الأستاذ مع طلابه، والرئيس مع مرؤوسيه. لأن كثيرا منهم يخشى الرأي الآخر، وتلك أم المهالك في التفكير الإسلامي المعاصر.

لأن سد باب الحوار، يجعل الناس إمعات منقادة انقيادًا أعمى، ويؤدي إلى شيوع الإرهاب الفكري والتسلط والقمع، والنظر إلى الآخرين على أنهم جهال أو ذوو نيات سيئة، وذلك يؤدي إلى سلبيات عديدة نلاحظها في التعامل الاجتماعي والتفكير العلمي منها:

الدكتاتورية العلمية

لأن بعض المختصين بجانب من العلوم، يحاولون أن يلزموا الآخرين برأي راجح أو مرجوح، منطلقين من أن الحقيقة تكون وفقا على المختصين، وهم بذلك يغفلون جانبا آخر وهو مفهوم التخصص الذي يشيرون إليه، لأن المجتهد المطلق في كل المسائل لا وجود له، فاجتهاد الإنسان إذاك مقيد بما يعلم، ولذلك لا بد للمفتي في أمر اقتصادي من معرفة الاقتصاد، وللمتحدث عن شؤون السياسة، من معرفة متغيراتها

ملف العدد:



الحوار
لماذا.. وكيف؟

وللمتحدث عن أحكام السفر الفقهية من معرفة ما جد من وسائله وأساليبه ومن أحواله، فوق معرفته بالتراث الفقهي.

وإذا أردنا أن نفكر تفكيرًا موضوعيًا ينبغي أن يكون سبيل اقتناعنا بالفكرة هو دليلها، لا أن يكون دليلها هو أن العالم الفلاني قال بها.

بالحوار يصبح الدليل هو المعول عليه، فمن جاء بالدليل المقنع على سلامة رأيه فهو صاحب الصواب أو الرأي الراجح، سواء أكان متخصصا أو غير متخصص. لأن الأمر الطبيعي أن يقال هذا الرأي راجح أو صحيح بدليل كذا، بدلا من أن يقال هذا الرأي غير مقبول لأن قائله غير متخصص. أو مقبول لأن قائله فلان. لأن كثيرًا من الآراء قد تكون خاطئة أو غير مناسبة وإن نادى بها المتخصصون.

وبالحوار يدرك الإنسان أن الحقيقة كالشمس، يدركها من فتح بصره واستنارت بصيرته، ويدرك الفرق بين العلم المستند إلى الترجيح والمقارنة والموازنة والتأمل والترجيح المستند إلى نظام الشيخ والمريد والتابع والمتبوع، ومن أجل ذلك قيل «لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله».

ومن عيوب الحوار تنزيه الذات، فبعض العاملين في المجال الإسلامي يضع مقدمات، ويفترض نتائج، فهو يرى أنه يقوم بالعمل جهادًا في سبيل الله، واحتسابا لمرضاته، فعمله إذن مقدس، ومن ثم يختلط المبدأ بالشخص، ويسري تقديس الغاية إلى عصمة الوسيلة، وذلك مما يوقع في ضيق الأفق فيتصور بعض الناس أنه كل محاربيه ومخاصميه يخاصمونه لأجل غايته المقدسة، ومبادئه، وينسى أن ذلك قد يكون أيضا بسبب أخطائه ولذلك صار من الضروري أن نفرق بين الإخلاص والصواب، وبين صلاح النية وصلاح العمل، فإخلاص رجل أو تضحيته أو فضله ودينه، لا يلزم منه سلامة موقفه أو صحة قوله، أو استمراره على الصواب. لأن نصاعة الماضي، ليست دليلاً على صحة الواقع، ولا على سلامة رؤية المستقبل وقديما قال الشاعر:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

ومن أجل ذلك تجد بعض هؤلاء يصورون الخلاف المباح بين الأفكار، اختلافا بين القلوب، وينادون بضرورة اجتماع الكلمة، وتوحيد القلوب، مع أن الاختلاف مع الرأي لا يفسد للود قضية كما يقول المثل، ومع أن تلاقي الأفكار وتلاقح العقول ينتج ثمارًا صحيحة صالحة، وعلى هذا الأساس جاء تكاثر الحيوان والنبات لأن ذلك حرث للأرض، واستنبات له.

النقد الذاتي خالص الحلي

ومما يتصل بذلك مفهوم اجتماع الكلمة المطلوب، وهو اجتماع مرهون بالذي يجتمع الناس عليه، فإن كان الأمر حقا جليا فهو محمود، وإن كان الأمر باطلا واضحا فهو مرفوض، وإن كان أمراملتبسا، فإن الاجتهاد في تحري الصواب والتزامه خير من التقليد وأولى من الاجتماع على الباطل.

إن هؤلاء يتصورون النقاش كالعراك، والمحاورة كالمهاترة، ويرون حوار العبارة كرسي الحجارية، وهم واهمون لأن الاختلاف تفاعل وصحة وخصوبة، فاللغة فيه تستخدم للتفكير العميق والتعبير الهادئ أما المهاترة والمنافرة، فأمر تستخدم فيه اللغة أداة صوتية للصراخ حيث تقف قنوات العقل، وتبدأ الحبال الصوتية في الارتفاع، ارتفاعا يتماشى بشكل عكسي مع ضعف الحجة، عندها ربما امتدت الكف أو العصا، فيتوقف العقل عن الكلام، ويصبح المتحاوران أطرشين يتكلمان بلغتين لأنهما كما قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

التطرف.. وغياب الحوار

● إن جميع الحركات الغالية في التاريخ القديم والمعاصر إنما نشأت في غياب الحوار، عندها لجأت إلى العنف في جو استبداد وتسلط، يفضي إلى شيوع الاغتيال لكن الحوار الصحيح يحرر الناس من التشنج، ويحرر العقل من التزمت، وينتج أفكارًا صالحة.

وكراهية الحوار أخطر من مسألة الخلاف لأنها تعني أن الإنسان يعتقد أنه على صواب لا يقبل احتمال الخطأ، وأن الآخرين على خطأ لا يقبل احتمال الصواب، خلافا لقاعدة الشافعي الذهبية. وكأن الإنسان يقول: من لم تعجبه هذه الأفكار فلينطح برأسه الجدار.

حوار الطرشان

إن التعصب للذات يجعل المتحاورين أطرشين يتكلمان بلغتين كل

نعيش زلزلة حضارية وانفجارًا معلوماتيًا رهيبًا





من المفيد أن تتضمن مناهج الدراسة في البلدان العربية والإسلامية مقررًا يعرض لأدب الحوار والمناظرة..

يكلم نفسه، لا يسمعان ولا يفهمان وذلك يؤدي إلى صمم ثقافي خطير، لأن كلا منهما يظن نفسه صاحب حق مطلق، ويظن الآخر صاحب باطل مطلق.

وحياتنا العربية والإسلامية تعاني من هذا الداء في المستويات كافة.

إنها أحادية الرأي، حيث يأتي المحاور كما:

جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

وذلك يؤدي إلى الحكم المتشنج على الآخرين وإلى جلد أدمغة المتلقين، وإلى فرض وصاية على الثقافة، وهذا يجعل المتكلم ينطق بلهجة الأستاذ، ولسان حاله يقول: إما توافقني فتكون، أو لا تكون شيئا على الإطلاق إنه تضخم في الأنا يحاول طمس الآخرين، وهذا النوع من الطوباوية والأحادية يحصر الناس بين الأسود والأبيض، وقد وجدنا هذا الموقف عند بعض الطوباويين من دعاة الحداثة، الذين يحشرون المثقف بين أن يكون حداثيا أو لا يكون شيئا، إلا عند بعض ذوي الدراسات الدينية واللغوية الذين يحشرون الإنسان بين أن يكون موافقا لهم أو أن يكون علمانيًا.

ولعلنا نستغرب أن تأتي هذه الأفكار من نخبة مثقفة درست في الغرب، وعرفت أن الغرب بنى حضارته بقيم تستند إلى أساس مهم من الشورى وحرية التعبير.

كما نستغرب أن ينسب هذا التشنج إلى الدين، والنصوص الدينية في حرية التعبير والتفكير في حدود الإسلام واضحة. ومن العجيب أن تجد بعض المتناقشين لا يلتزمون بالأدب الإسلامي في الحوار، فيسفهون آراء الآخرين، ويعتبرونها جهالة، تدل على أن قولها سخرية، أو يعتبرونها فسقا تدل على أن قائلها فاسق. ويظهرون مخالفيهم بمظهر المخطئين الذين تجب عليهم التوبة.

فأين نحن من التوجيه القرآني النبيل، وكثير من المحافظين يستخدمون التشكيك سلاحًا لهدم آراء مخالفيهم، وتلك والله بلية في العلم والدين، يحاولون بها أن يمنعوا الذين يؤثرون السلامة والعافية من التفكير بصوت عالٍ، وهم في ذلك يخالفون هدي الإسلام من وجوه عديدة منها:

أ - أنه لا يجوز (شرعًا) أن يكون الظن هو أول ما يتبادر إلى ذهن المحاور، ولا يجوز أن نفترض سوء نية الآخرين، إلا بدليل مبين.

ب - ولا يجوز شرعًا أن يكون اتهام الناس في دينهم أو سلوكهم أو انتمائهم مطية للبحث العلمي لأن حسن الظن بالناس سنة حسنة ندب إليها الدين، فمهمة المثقفين والعلماء هي أن يكونوا أدلاء مرشدين ينبهون الغافل، ويذكرون الناسي، ويعلمون الجاهل، ويكونون كما قال أحد المفكرين «دعاة لا قضاة»

اقتراح إدخال مقرر الحوار في مناهج التعليم

ومن أجل ذلك فلعل من المفيد أن تتضمن مناهج الدراسة في البلدان العربية والإسلامية مقررًا يعرض لأدب الحوار والمناظرة، ويعرض لفضل الاجتهاد، ولحرية التفكير في الإسلام ولقضية الغلو في التفكير لأن ذلك يساعد على تربية أفضل.



بقلم : د. مسفر بن عبدالله البشر

يُعد الحوار ظاهرة إنسانية لازمت المجتمع الإنساني منذ بدء الخليقة، فالإنسان ـ السوي ـ يحاور نفسه وأسرته ومجتمعه وعالمه، بشرط أن يكون الحوار مثمرًا فاعلا مفيدا..

الحوار المفيد علامة من علامات الرقي والتحضر، وبقدر ما يكون الحوار راقيا في أسلوبه ملتزمًا بمنهج صحيح في منطلقاته يكون أدعى للفائدة وأجدى للنفع العام.

ونحن أمة الإسلام نعيش نهضة وصحوة علمية جدير بنا أن نتحرى الأسلوب الأمثل للحوار البنّاء وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إننا أمة شرفنا الله بحمل الرسالة المحمدية فكان لزامًا علينا أن نوصلها إلى جميع البشر في مشارق الأرض ومغاربها، و لهذا قد نلجأ إلى الدخول في الحوار مع غيرنا للتعريف بهذا الدين ومحاولة شرحه للآخرين، وهذا يتطلب أفضل السبل وأجداها في طرق الحوار.

٢ ـ إننا يجب أن نمثل الإسلام في سلوكنا وفي معاملتنا مع الآخرين وكثيرًا ما ظلم الإسلام بسلوك أتباعه، وكثيرًا ما نفر غير المسلمين من سوء معاملة من تسموا بالإسلام.

٣ ـ ليتعلم الناشئة أدب الحديث، والمحاورة، والمناقشة والخروج بنتائج مثمرة. وكثيرًا ما ظلم الصغار في هذه الناحية من عدم السماح لهم في الحديث في "جالس" أو محاورة من هو أكبر منهم.

٤ ـ للفائدة العامة لجميع فئات المجتمع، فأغلب المتحاورين من قادة الرأي الذين يؤثرون على كثير من الناس، فينعكس أسلوبهم على أتباعهم إن خيرًا فخير وإن شرا فكذلك.

٥ ـ خلق جو عام من الروح العلمية المفيدة التي تساعد في سيرة النهضة التعليمية والاقتصادية وغيرها. فالحوار المثمر سوف يقف جنبا إلى جنب مع الخطط التنموية ـ بالتعاون أو التقويم ـ للوصول إلى أهدافها المأمولة.

٦ ـ الحوار الناجح مرآة تعكس ما وصل إليه المجتمع من الرقي وتعكس النهضة العلمية التي يعيشها الوطن. فأسلوب الحوار وموضوعاته الفكرية والثقافية والأدبية... وغيرها يعتبر مؤشرًا للتطور العلمي والثقافي.

ولهذا لا بد من الحرص على الالتزام ببعض الأسس والأركان ومراعاتها في إجراء الحوار وقبل الدخول فيه ومن أهمها:

أولاً : الهدف :

ـ لا بد أن يكون للمحاور هدف واضح قبل الدخول في الحوار ولا بد أن يكون هذا الهدف ساميًا يراد به الوصول إلى الحق وإلى ما فيه مصلحة العباد والبلاد. فيكون بعيدًا عن الهوى والمطامع الشخصية كإثبات الوجود وحب المشاركة أو المعارضة.

ـ إن معرفة الهدف تفيد في اختيار الوسيلة التي سوف تستخدم في الحوار. فمثلا إذا كان الهدف إقناع في العدول عن رأي أو في توضيح وجهة نظر لشخص، فهذا لا يتطلب وسيلة جماهيرية كالصحافة وإنما يقوم بها عبر الاتصال الشخصي أما إذا كان الهدف إقناع أتباع هذا الشخص أو كان الحوار يهم سائر المجتمع فيختار لها إحدى الوسائل الجماهيرية كالصحافة أو الإذاعة أو التلفاز.

ثانيا : معرفة من تحاور :

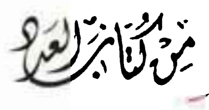
إن معرفة المحاور لمن سوف يحاوره ومعرفة بيئته الثقافية مهمة للوصول إلى الهدف المنشود:

ـ فإذا كان المتحاوران من نفس الثقافة ومن نفس البيئة فلا بد أن هناك مسلمات تعتبر نقاط التقاء. والحوار فيها تكرار وجدل عظيم أو قد يسبب عداوة وبغضاء إذا صاحبتها سوء النية وفساد القصد.

ـ أما إذا كان الشخص الآخر من ثقافة مخالفة فلا شك أن الحوار سوف يتخذ شكلاً آخر نظرًا لاختلاف البيئة والمبادئ والنمط في التفكير والنقاش. وقد أجرى كثير من الباحثين دراسات على شعوب مختلفة في هذا المجال فوجدوا أن شعبًا مثل الشعب الأمريكي يهتم بالتفكير الفردي وينطلق من نظرة فردية لتحقيق أهدافه وحقوقه وحاجاته بخلاف الشعب الصيني أو الياباني الذي يقدم أهداف الجماعة المنتمي إليها على أهدافه، وقيمها على قيمه، وما يهم الجماعة مقدم على اهتمامه الشخصي.

ثالثا : الوسيلة :

إن الاتصال الشخصي يختلف عن الاتصال الجماهيري كما أن وسائل



● د. مسفر بن عبدالله البشر

وكيل كلية الدعوة والإعلام للدراسات العليا والبحوث في الرياض، بالمملكة العربية السعودية

ـ حاصل على الدكتوراه في الحملات الإعلامية من جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية



ـ أشرف على الجناح الإسلامي في "معرض المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم" في أمريكا..

ـ عضو في "منظمة الاتصال الخطابي" و"الاتصال الدولي" بالولايات المتحدة الأمريكية..

الاتصـال الجماهيري تختلف فيما بينها بحكم مميزات كل وسيلة واختـلاف جماهيرها. فمعرفة شكل الاتصال ووسيلته مهم للوصول إلى الهدف.

- فالحوار عن طريق الاتصـال الشخصي يعطي المحاور الفرصة لشرح ما أسيء فهمـه، وتناول مـا يحتاج إلى مـزيد من التوضيـح وذلك بناء على الأسئلة الموجهة أو بناء على ما يراه المحاور في وجوه الآخرين من علامات.

بينما هـذا قـد لا يحصل في الاتصـال الجماهيري إذا كـان المتحـاوران غير مجتمعين.

- إن لكل وسيلـة من وسـائل الاتصـال الجماهيري ميـزة تختلف عن الأخرى. نعطي مثلاً واحدًا وهو أن الحوار عن طريق الصحافة يسهل على الجمهـور إعادة القـراءة مرة ومـرتين حتى يفهم مـا يقصده الكـاتب بينما الإذاعة لا تعطي مثل هذه الفرصة.

- ثم إن جمهور كل وسيلة قد يختلف عن الأخرى. فهناك العامة الذين يستمعـون إلى الإذاعة والـذين قـد يصعب عليهم ما يقصـد، من الحوار. وهناك جمهور الصحف في خارج الوطن والـذين قد يحصلون على جزء من الحوار، أو قد لا يفهمون ظروفه وأهدافه.

رابعًا: الموضوع:

- هناك أمور تهم الأمة يجب إعطاؤها الأولوية في الحوار والمناقشة، فلا نضيع الوقت في أمور لا تصلح شؤون حياتنا، ولا تعدل من مسيرتنا، ولا توصلنا إلى أهدافنا.

- كما أن هناك أموراً لا يجوز لنا أن نخوض فيها وهي الأمور القطعية في الشريعـة والتي فيهـا نصـوص صريحة مثل وجـوب الفـرائض وتحريم المحرمات. أما مـا عداها من الأمور التي لا نص فيها مما تـركه الشارع لنا قصدًا رحمة بنـا، أو الأمور الظنية سواء ظنيـة الثبوت أو الدلالـة فإنه يجوز فيها أن تناقش وتحاور العلماء وأصحاب الاختصاص.

- أن لا نخوض في أمـر لسنا مؤهلين للحديث فيـه فلا ننصب أنفسنا مفتين نحلل ما حرم الله ونحرم مـا أحل الله، ومع علمنا أن الإسلام ليس فيه كهنـوت ولا إكليروس إلاّ أن هناك علماء متخصصين يملكـون أدوات الاجتهاد وهم أولى في المجالات الفقهية كما أن علماء الاقتصاد أحق بمعرفة شؤون الاقتصاد.

- وجود علماء في الشريعة والاقتصـاد لا يعني عدم مناقشتهم أو عدم إعطاء الفرصة لمن أراد أن يسأل أو يستفسر أو يحاور.

ندوة لتحليل النص ولغة الحوار:

تضارب المصطلحات والأيديولوجيات وراء الخلل في لغة التفاهم

القاهرة - من مراسل «الفيصل»:

لغة الحوار كانت موضوع حلقة بحث أقامها في القاهرة

مركـز الأهرام للدراسـات السياسيـة والاستراتيجية لمناقشـة الجوانب المختلفة لقضية تحليل النص وديناميكيـة لغـة الحوار، أعد الحلقـة الـدكتور حسن وجيه ونوقشت فيها عدة أبحاث حاولت لمس العصب الحساس لهذه القضية.

يقول الدكتور حسن وجيه مُعد الحلقة البحثية:

- أسباب وجود الخلافات بين الدول العربية، خاصة ما حدث في أزمة الخليج ترجع إلى افتقـاد التآلف مع تقنيات وديناميكيـات التفاعلات الحوارية التفـاوضية المعقدة بطبيعتهـا على المستويين: الاجتماعي والسياسي، والتي يهتم العـالم المتقدم بالتعامل معهـا. فإن نجاح التفاوض يعتمد بصفة أساسيـة على اكتسـاب قدرات خاصة في كيفية التواصل الحواري والقدرة على التعامل مع النصوص وقراءة سليمة لها.

وذكر الدكتور محمد عناني أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة في بحثه «تحليل النص الأدبي» أنـه يجب على النـاقـد المحـدث في تحليلـه للنص الأدبي أن يستفيـد من شتى المذاهب وأن يـربط بين مدارس النقـد الحديثـة ومدارس النقـد العـربي القديم، وأن يعيـد للقـارئ مكانـه باعتبـاره مشـاركا في عمليـة التحليل والتذوق، وأن يستفيد من تنوع الأشكال الأدبيـة الجديدة في وضع أطر لكل منها، وخصوصًا تلك الأطر اللغوية الـلازمة في عالمنا العربي، وأخيرًا أن يعمل على إزالة الحواجز المصطنعة بين الإبداع والنقـد عند تحليل النصوص، فالكتابـة النقدية قد تكون إبداعية بل هي عمل إبداعي في جوهره.

وفي بحثه «الطريق إلى تحليل النص العربي» يكشف الـدكتور السعيد بدوي عن خمسـة مستويـات لغـوية، يطلق عليهـا: فصحى التراث، فصحى العصر، عامية المثقفين، عامية المتنورين، عاميـة الأميين. ويرى أن هذه النوعيات اللغوية تتعـايش داخل المجتمع وتمثل ثـروة تعبيرية، ولا يمكن تحليـل النص دون معرفـة مستواه اللغوي.

أمـا سامي خشبـة رئيس تحرير سلسـلـة (فصول) عن هيئـة الكتاب في بحثه «النـاقـد والنص والواقع» فيؤكد على ضرورة قـراءة وتحليل النص الأدبي عن طريق عودة النص إلى مرجعه (الواقع) بكل مكونـاته سواء كانت اجتماعية أو ثقافية لأن هذه المكـونات هي التي أنتجت النص، ويبين لنـا د. عبد العـزيز نـوار في بحثه «قراءة النص التاريخي الحديث: دراسة حالة واقع أزمة الخليج» السبب الأساسي



سامي خشبة

لما يحدث الآن من صراعات في الوطن العربي، خـاصة ما حدث في أزمة الخليج، إنها ترجع إلى أن المصطلحات السياسية والدينية كانت ذات دلالات متعددة لدى العديد من الأطراف وكل تبنى مفهومًا خاصًا يختلف به عن الآخرين، الأمر الذي أدى إلى تضارب المصطلحات والأيـديولوجيات فضاع الخط، وأعطى ذلـك فرصة لكي يظهر بعض الـزعماء باللون الذي يـريدونه، وكل منهم يغيره عنـدما يجد أن ذلك في مصلحته بغض النظر عن عـلاقة ذلك بوحدة الهدف المتفق عليـه نظريا وإن كنا نختلف عليه عمليًا.



الحوار بين الإعلام والإقناع

بقلم: د. إبراهيم إمام

ظهرت أهمية الحوار المسؤول في أعقاب حرب تحرير الكويت، والمناداة بما يسمى بالنظام العالمي الجديد، الذي يتخذ من الحوار البناء وسيلة إيجابية فعّالة لفض النزاعات بين الدول بدلا من حمل السلاح والاحتكام إلى الحرب لإنهاء الصراعات المختلفة.

ولا شك أن الحوار بين الشمال الغني والتكنولوجي والجنوب الفقير النامي، وكذلك الحوار العربي الأوروبي، حول كافة الأمور السياسية والاقتصادية والثقافية، يعد من السمات المميزة لحقبة التسعينيات من هذا القرن.

وقد أصبح للحوار لغته واصطلاحاته وآدابه، ولا سيما بعد تقوية دور الأمم المتحدة عموما ومجلس الأمن خصوصا من أجل الوصول إلى صيغ جديدة للحوار والتفاهم بين الدول والأطراف المتنازعة.

الحوار في الإسلام

والحوار الأصيل له جذوره الممتدة والضاربة في عمق الحضارة الإسلامية، وفي إعلامها الفذ على كافة المستويات الذاتية والشخصية والجمعية والجماهيرية والثقافية، وينفرد إعلام السماء بالاتصال العمق، حيث يوجه كل إنسان نداء يوميا يتصل به العبد بربه فيسر إليه بما يشاء من هموم ويوجه إليه ما شاء أن يوجه من ابتهالات ودعاء، فهو اتصال له ذاتيته وهويته وشخصيته المتميزة.

وتتجلى الذاتية الفذة للرسالة القرآنية فيما تحدثه من ردود واستجابات، فمن أي موقع وفي أي زمان يبعث به الإنسان برسالته إلى ربه، ويستقبل ما



● أ. د. إبراهيم إمام
- قسم الاعلام - جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة.
درس في جامعة أكسفورد وبرمنجهام وميونيخ.
- عمل بالصحافة وتولى رئاسة مجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط، وأستاذًا بالجامعة، وعمل عميدًا لكلية الإعلام بجامعة القاهرة.
- عضو المجلس الأعلى للآداب والفنون والثقافة بالقاهرة.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- عضو المجلس الأعلى للإعلام الإسلامي بمكة المكرمة.



- عضو جمعية العلاقات العامة بلندن.
من مؤلفاته: -
- الإعلام الإسلامي.
الإعلام الإذاعي والتليفزيوني
- دراسات في الفن الصحفي.
- الإعلام والاتصال بالجماهير.
- لغة الصحافة «بالإنجليزية».
- وسائل الإعلام والمجتمع الحديث.
- العلاقات العامة والمجتمع.
- فن العلاقات العامة والإعلام.
- وكالات الأنباء
- تطور الصحافة الإنجليزية.
○○○

أراد الله أن يستقبله من ردود واستجابات، فقنوات الاتصال مفتوحة وللعبد أن يسأل وللرب أن يستجيب بما يشاء، ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ البقرة / ٤٥.

﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا، إذ نادى ربه نداء خفيا، قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربّ شقيًّا، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا﴾ مريم/ ٢ ـ ٥.

وسمع الله نداء عبده الخفي فأجاب واستجاب ﴿يازكريا إنَّا نُبشّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ مريم/ ٧.

فوسائل الاتصال قائمة أبد الدهر، وهو يتم في حركة دائرية ذاتية تصل بدايتها بنهايتها، وتعمق الذاتية الإعلامية للرسالة القرآنية فاعلية الاتصال، إذ تتعدد صوره وتتشابك أبعاده، ويتواصل أفراده، وإذا المسلمون في كل زمان ومكان إخوة يربطهم رباط إسلامي متين، ويكونون في مجموعهم كيان الأمة الإسلامية كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ التوبة / ٧١.

حرية الحوار

وتقدم لنا الرسالة القرآنية قاعدة فذّة معجزة في إدارة الحوار، إذ فتحت باب المناقشة على مصراعيه، وكانت تورد أقوال المشركين ووجهات نظرهم، وكانت تجادلهم وتسفّه أقوالهم وتبرز ضعف عقولهم، ثم تقدم العلم اليقيني والبرهان القطعي الذي تضمنه القول الإلهي: ﴿قل من

يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ يونس / ٣١.

أصالة الحوار

وقد كان الطابع العام في صدر الإسلام طابعًا حواريًا في أساسه لأنه يعتمد على التبليغ الشخصي والاتصال الشخصي المباشر وجها لوجه، وهو اتصال ناجح لأنه يتلافى سلبيات وسائل الإعلام الحديثة غير المباشرة، ولا سيما في مجال الإقناع حيث يبدي المستقبل في الإعلام المعاصر مقاومة وعزوفا عن التعرض للمادة الإعلامية، وانتقالا إلى وسائل إعلامية أخرى قد تكون أكثر عناية بالجوانب الترفيهية مثلا، وذلك يؤدي في نهاية المطاف إلى إضعاف التأثير الإعلامي، وإشاعة الاتصال الترفيهي على حساب الثقافة الجادة، ويتفوق الحوار بقدرته الفائقة على الإقناع وتبادل أطراف الحديث، وتقديم الحجج والبراهين، ومحاولة التغلب على كافة أساليب الاحتجاج حتى يبلغ الإقناع ذروته، فإنه يجعل من المخاطبة والحوار خير الوسائل المؤدية إلى أعلى المستويات في التبليغ والإحاطة والإقناع.

رجع الصدى

أضف إلى ذلك أن الحوار يتم عادة في الجماعات قليلة العدد، حيث يعرف الناس بعضهم بعضا فيتناقشون ويتبادلون الرأي والمشورة، ويدركون انطباعات أحاديثهم على بعضهم، على العكس من الاتصال الإعلامي الجماهيري الحديث بوسائله العصرية كالصحافة والإذاعة والتلفزيون، وفيها يتم الاتصال من جانب واحد ولا يتاح للقارئ أو المستمع أو المشاهد طريقة ميسورة لكي يوجه الأسئلة أو الاستفسارات أو تبادل الحوار.

لذلك كان للحوار الشخصي المباشر ميزة كبرى وهي توافر عنصر رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل الذي يستطيع أن يستشف مدى قابلية المتلقي لما يقال له، وتصريفه لما يساق إليه من عناصر إعلامية.

وللحوار المباشر ميزة كبرى في اختيار الأشخاص أو الأفراد أو الفئات التي يتحدث إليها المرسل ويوجه جهوده لاقناعهم، إذ يتسم الحوار بالألفة ورفع الكلفة وتبادل المصلحة وتحقيق التعارف والتفاهم وتوثيق الصلات وتوضيح الغامض وتثبيت الحقائق، وترتيب لقاءات دورية، ومتابعة الحديث وتنويعه دفعا للملل أو الضجر.

فلم يكن غريبا أن يكون الحوار هو وسيلة الاتصال الأولى في مرحلة الدعوة الإسلامية الأولى في المرحلة السرِّيَّة، ثم في المرحلة العلنية أيضا لقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾ الشعراء ٢١٤-٢١٦.

حق الاتصال

وإذا كانت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة تباهي بما يسمى حق الاتصال The Right to Communicate الذي عبر عنه العالم الفرنسي جان دارسي Jean d'arcy سنة ١٩٦٩ ثم تبعه كثيرون في المطالبة بتشجيع نشر وسائل الاتصال الصغيرة كالمطبوعات والمجلات والأشرطة وأفلام الفيديو وآلات التصوير الحديثة سهلة الحمل من أجل مواجهة وسائل الاعلام الجماهيرية الكبرى وبخاصة شبكات الإذاعة والتلفزيون تحقيقا لمبدأ حرية الاتصال وتأكيدا لسمة الحوار، فإن هذا الحق قد كفله الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

كما أن حرية امتلاك أجهزة الإعلام مكفولة في الإسلام، ولا يجوز تأميمها أو مصادرتها أو احتكار ملكيتها أو تعطيلها عن التعبير لأن ذلك ينطوي على روح الإكراه المخالفة للكتاب والسنة، كما أنه يمثل انحرافا خبيثا لتحقيق مآرب شخصية أو حزبية أو عقدية، وذلك لأن حق الاتصال وإجراء الحوار لا يبنى على أساس من المناورات أو الألاعيب أو تطويع الناس وممارسات غسيل الدماغ، وإنما على الوعي والفهم لا القهر والإجبار.

الحوار الفائز

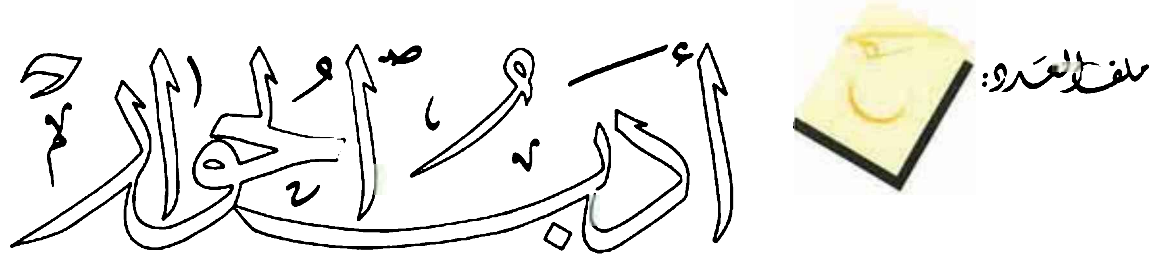
وقد أثبت علماء الإعلام بعد تجارب عديدة أجروها في بلاد مختلفة وأوقات متعددة أن الحوار هو خير وسيلة من وسائل الإقناع والإعلام ثم تأتي بعدها المناقشات الجماعية أو ما يسمى بالاتصال الجمعي ثم الاجتماعات غير الرسمية فالتليفون فالاجتماعات الرسمية فالأفلام الناطقة فالإذاعة والتلفزيون فالبرق فالمراسلة الشخصية فالخطابات فالصحافة فالملصقات واللافتات فالمجلات وأخيرا تأتي الكتب.

وقد لوحظ أن التجاوب يتناسب تناسبا عكسيا مع السرعة والانتشار: فالصحافة والإذاعة والمطبوعات قليلة الحظ من التجاوب ولكنها وسائل سريعة وواسعة الانتشار وعلى العكس من ذلك نجد أن الحوار الشخصي المباشر والمناقشات والاجتماعات تمتاز بقدرة كبيرة على التجاوب والمشاركة ولكنها وسائل بطيئة ومحدودة الانتشار.

وهناك اتفاق تام بين جمهرة العلماء على أن الحوار الشخصي المباشر وجها لوجه هو أنجح وسائل الاتصال وأقواها أثرا، ففضلا عن تميزه بالحيوية والتجاوب، فإنه يعطي فرصة أكبر للتفاهم وللوصول إلى نتائج حقيقية للمؤسسة، ومن هنا جاءت أهمية لقاءات القمة في العالم وخاصة بعد تقدم وسائل المواصلات ووسائط الاتصال.

وقد أثبت علماء الإعلام أن التكامل الاتصالي بين وسائل الإعلام الكبرى والحوار الشخصي المباشر هو خير أسلوب لتحقيق التأثير واقناع. فمن الجوهري اقتران وسائل الإعلام الجماهيرية كالسينما والتلفزيون والإذاعة والصحافة بالحوار الشخصي المباشر على أوسع مدى يمكن، ولا شك أن التقنيات الحديثة قد أنتجت العديد من وسائل الاتصال الصغرى التي تجعل من إشاعة الحوار بين الناس خير سبيل لتحقيق السلام على نحو يكفل للإنسانية توفير مناخ جيد من التعاطف. والتفاهم ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات / ١٣.





بقلم: د. حسين فوزي النجار



بالحوار: الحوار الفكري الذي يقوم على أساس علمي ويتناول ما يشغل الناس والمجتمع عما يدور حولهم، ويعرض لحياتهم العامة دون الخاصة. فالحياة العامة للناس هي التي تسوق اتجاهاتهم وأفكارهم.

وإن كان للحياة الخاصة للناس بعض الأثر في اتجاهاتهم ومعاملهم، إذ إن الحياة الخاصة للأفراد ككل غالبا ما تكون انعكاسا لحياتهم العامة. فإذا سدت عن ذلك بدت صورة صادقة للمجتمع فإذا طغت عليه عوامل ذاتية، كانت عرضة للتعبير بقدر ما يؤدي هذا التفسير إلى كسب خاص يسير - كما تقول - مع اتجاهات الريح. ومثل هذا التفسير لا ينم عن أدب للحوار المثمر البناء، بقدر ما ينم عن المنفعة الذاتية التي يقتضيها من وراء من يملك المنفعة، ويدفع الثمن.

ولعل أكثر دلالة عليه الآن ما يواجه العالم في الوقت الحاضر من متغيرات، أخذت حقائق تغيب عن الكثيرين، وتعجم دوافعها على الناس، وغالبا ما يبدو الواقع التاريخي بعيدا عن الحقيقة التي تكمن وراءه وتسيره، وهي في الواقع الدافع له والتي أدت إلى وقوعها.

وغالبا ما يدور الحوار بين الناس حول هذا الواقع في صورته المرئية، دون تفسيرها وتناول قضاياها، فتضل الرؤيا وتعجم الحقيقة، ويذهب الناس - أو الرأي العام - بمعنى أدق - شيعا متفرقة يضل فيها - أدب الحوار - حين يقود تباين الآراء والرغبة في المنفعة، إلى سوء الحوار، مما يؤدي إلى التنابذ وفرقة المجموع.

فإذا أردنا أن نصور أدب الحوار، فإننا لا نعني أكثر من تبيين الحقيقة التي نقود إليه ونفصح عنه ليمضي الناس على سواء في إدراكهم لما يدور ويمضي بهم على صفحة الحياة في وفاق ينشد المنفعة العامة للمجموع، ولا سبيل إليه إلا أن نضع للحوار وسيلة وغاية، والوسيلة هي ما ندعوه - أدب الحوار - فإذا ضل الحوار، الحقيقة المنشودة فقد ضل سواء السبيل.

ولعلنا لا ننشد مما نسميه - أدب الحوار - غير تبيين الحقيقة التي تكمن وراء الواقع ليبقى الناس على سواء، فإذا ضل غايته، افتقد وسيلته، وأودت به المتاهة الفكرية، إلى تمييزية فكرية، تكون بداية البوار والضلال العقلي، ومن ثم التنابذ والخلافات الحادة التي تودي بكيانه.

ماهية الحوار

وقد تبدو - عبارة أدب الحوار - غائمة أو مبهمة، وعلينا أن نتساءل: ماذا نقصد بأدب الحوار؟

أنقصد به السلوك الأخلاقي في الحوار كما يعنيه لفظ - أدب - ؟ أم نقصد به الحقيقة التي يقود إليها الحوار ؟ وأعتقد أن ما نقصده من عبارة - أدب الحوار - أن تكون له قواعده وأصوله إلى نفوذ المجموع إلى الصواب ليمضي المجتمع على سواء في تبيين ما ينفع وما يضر. ولنا من أحداث التاريخ زاد يهدينا إلى سواء السبيل، فالتاريخ - كما يرى (هيرنشو) هو مدونة العصور الخوالي، وكتابها الحافظ لأخبارها، أو هو التدوين القصصي لمجرى الأحداث العالمية، كلها أو بعضها، ومن قبله عرّف - ابن خلدون - التاريخ بأنه - (فن يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء عليهم السلام في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء به لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا).

والتاريخ هو زادنا في كشف الحقيقة، ولا يتسنى ذلك ما لم ينفذ المؤرخ إلى حقيقة النزعات التي تسوق الوقائع والأحداث. فإذا تبينها وأدركها، قام أدب الحوار، لمن يلجون ميدانه - على الواقع والرؤية الصادقة، وهو غايتنا من أدب الحوار، دون المناوشة والتلاهي وافتعال الأكاذيب، لغاية أو منشد بعيدا عن الواقع القائم ويبين معالمه على هدى وبصيرة، وهو ما نعنيه بعبارة - أدب الحوار - أي الموصّل إلى الحقيقة دون زيف أو تمويه.

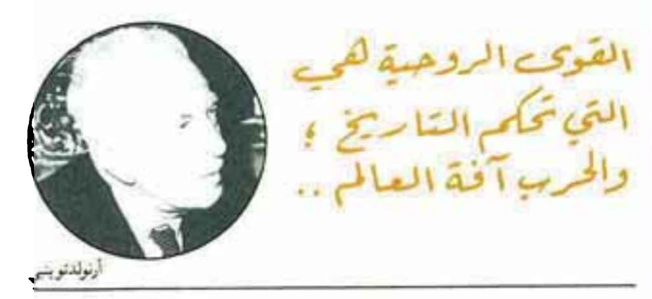
ولنا مما يقع الآن، وما ينوش العالمين العربي والإسلامي، من صراعات تغلفها أكاذيب ضالة، وأهواء ذاتية، أو تمويه إلى الهاوية التي تقود إلى دمار شامل.

وكثيرا ما تخفي وقائع التاريخ حقائق تغيب على كثيرين وتعجم دوافعها على الناس، فالواقع أنّ أية واقعة، هي الصورة المرئية لأحداث التاريخ أو حقائقه المرئية، إلا أن الواقعة لابد وأن يكون وراءها واقع، وهو ما أسميه الحقيقة التي تكمن وراء الواقعة، وهي في الواقع الدافع لها، والتي أدت إلى وقوعها.

وحين نحكم على أحداث التاريخ أو وقائعه لا بد وأن نبحث عن دوافعها حتى نصل إلى السر الكامن وراءها، وغالبا ما يبدو الواقع الحقيقي بعيدا تماما عن الدافع الظاهري، أو البادي للعيان في تفسير الواقع حين وقوعه، ولنا من أحداث التاريخ في هذا الصدد ما يقف شاهدا على ذلك.

وقد لا يذكر المعاصرون ما كان من هذا القبيل، وإن أدركه الجيل الذي سبقنا ونشأنا في رحابه من أمثال الزعيم مصطفى كامل، وسعد زغلول، والملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت حين حذر العرب من حرب فلسطين عام ١٩٤٨م إذا دخلناها ارتجالاً، كما حذر من أن تخضع جامعة الدول العربية حين قيامها لمشورة الإنجليز.

ولعل مما يعيه التاريخ وغفل عنه المسلمون والعرب ما كان من أكاذيب تيتو في حكمه ليوغسلافيا وانتهى بها إلى المأساة التي تنوشها الآن بالعمل على إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك، وقد سبق ذلك يوم أن كان الحكم لبريطانيا العظمى أو الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، كما كانت تعرف، قبل أن تدول دولتها، حين دعت بريطانيا سنة ١٩٠٧م، وكان الحكم لحزب الأحرار وكان على رأس حكومة الأحرار ــ أو الوزارة الإنجليزية ــ كامبل باترمان ــ وقد أخذ القلق يراوده حول مصير الإمبراطورية وهداه تفكيره إلى الوسائل التي تبقي على الاستعمار، وتمد في أجل الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، وتضم أغلبية كبرى من المسلمين شرقا وغربا، وهداه تفكيره إلى بحث الوسائل التي تبقي عليها وتمد في أجل الاستعمار البريطاني بوجه خاص والسيطرة الأوروبية بوجه عام وكلف لجنة من المفكرين وأساتذة الجامعات باستقراء مستقبل الاستعمار الأوروبي، ولم تجد اللجنة ما يهدد مستقبل المستعمرات الأوروبية في غير هذا النطاق الإسلامي الذي يمتد عبر الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، ففي هذا النطاق فشل التبشير المسيحي الأوروبي، أمام صمود العقيدة الإسلامية في قلوب أصحابها، وكانت الخشية من أن يستعيد العرب صولتهم القديمة، حين حملتهم العقيدة إلى الانسياح شرقا وغربا ظافرين ليحطموا أعظم إمبراطوريتين ويرثوا أملاكها وقد ظلت هذه العقدة قابعة في العقل الأوروبي إلى عهد قريب، ومن البين أنها مازالت باقية حتى وقتنا هذا فيما ينوش العالمين الإسلامي والعربي من أمن وتراث.



القوى الروحية هي التي تحكم التاريخ، والحرب آفة العالم..

أرنولد توينبي

لعبة غربية

ولم يلق تقرير لجنة باترمان بالاً إلى ما جاء على لسان دعاة التبشير من قبل، إلا ما كان منها مسندا للاستعمار الأوروبي، فإذا كان الخطر الماثل من صحوة الشعب العربي، وله من الوحدة التاريخية والدينية، ووحدة اللغة، والثروة الكامنة في أرضه، ما يزوده بكل وسائل التقدم والنهوض، فضلا عن تكاثره السكاني، وقد يصل خلال القرن القادم إلى مائة مليون نسمة، فماذا يكون المصير لو استيقظ من جديد وشق طريقه إلى حضارة العصر؟!

فلا مناص إذن من أن يبقى هذا الشعب العربي المسلم غارقا في خلافاته تمزق القوى يعصف بوحدته التنافر والتمزق لدرء خطره على النفوذ الأوروبي ووسائله الاستعمارية الجديدة.

ولعل المأساة الكبرى التي غفل عنها المسلمون ما كان من تقسيم الهند قبل جلائهم عنها، وقيام دولة باكستان شرقية وغربية يفصل بينهما محيط من الأرض الهندية يبلغ في أقصر مدى له ١٢٠٠ ميل. فأما باكستان الشرقية فتتكون من إقليم شرقي البنغال. وتبلغ مساحتها ٥٤,٥٠١ ميلا مربعا وأما باكستان الغربية فتتكون من السند والبنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوحستان. وإقليم العاصمة الإداري حول كراتشي العاصمة. وعدد من الإمارات أكبرها إمارة بهاول بور.

ومما يعيه التاريخ أنه منذ وفد الإسلام إلى الهند والمسلمون هم القوة والجاه والسيادة في شبه القارة العظيمة فكانت الدولة الإسلامية التي أسسها - قطب الدين محمد الغوري - عام ١١٩٣، أقوى دولة، ثم تلتها أسر إسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية. واستمر المسلمون أصحاب السيادة في الهند حتى بدأت جولة الاستعمار الأوروبي. ودخلت الهند تحت النفوذ البريطاني فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم وثار المسلمون على الحكم البريطاني.

هكذا كانت لعبة الاستعمار الغربي للقضاء على مصر ووحدة العرب والمسلمين ومازالت اللعبة قائمة حين جندت الصهيونية - صدام حسين - للتنكيل بالوحدة العربية، والغدر بالمسلمين في السعودية والكويت وإيران، وهو ما عرضت له في كتابي «وحدة التاريخ العربي» ثم في كتابي «العرب والعروبة».

وكانت مشكلة كشمير بأغلبيتها الإسلامية - عن باكستان من مساوئ الاستعمار البريطاني. ثم كانت مشكلة بختون سطان بين باكستان وأفغانستان ما ترك معالمه على الصراع الذي يسود تلك المنطقة بين المسلمين بعضهم وبعض، وكانت بدورها من ألاعيب التعصب الأوروبي والغربي ضد المسلمين. ولذلك قصة أخرى نعرض للمتاهة التي تجتاح العالمين العربي والإسلامي، مما أدعو الصليبية الجديدة ومما يذكر في هذا الصدد، أنه خلال الحرب العالمية الأولى عندما اجتاح الانجليز الشام كان ما قام به اللورد اللنبي من زيارته لقبر صلاح الدين في دمشق ليقول: «ها قد جئنا يا صلاح الدين Now we have come Saladin».

ونعود إلى موضوعنا عن - أدب الحوار - فمن أول ما يقتضيه سلامة الرؤية، والمعرفة العلمية والفكرية للاتجاهات التي تحكمها، وهو ما يعوز العالم العربي، بل والعالم الإسلامي في أزمته القائمة، بل ويعوز بعض الكتاب وخاصة في ميدان النشر من الصحيفة إلى الكتاب، وهو ما يحتاج إلى قراءة واعية لأحداث العالم الجديد ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وإلى جانب ما تم من عودة الوحدة الألمانية، وقيام ألمانيا الموحدة مرة أخرى، ثم نهاية حلف وارسو، وحلف الأطلنطي والدعوة إلى إقامة سوق أوروبية مشتركة، والتيارات الدولية المتشابكة، والتغير الجديد الذي يعصف بعالم اليوم ولا يفوتني أن أعرض لما كتبه أرنولد توينبي - في السنوات الأخيرة من حياته، وقد قابلته وجالسته وكان لي حوارات معه، أقول بعدها إنه من الحوار ــ «إن مجرى التاريخ يخضع لعلاقة الإنسان بمحيطه الجغرافي كما يخضع لشخوصه، فتأثير الجغرافيا على التاريخ هذا الموضوع الأساس للدراسة العلمية صحيحة أم كاذبة وكان آخر ما نبه إليه أن القوى الروحية دون القوى المادية هي التي تحكم التاريخ وأن الحرب والطبقية هما آفة العالم ومشكلته الكبرى».



كيف نربي أبناءنا على الحوار؟

تربيتنا بين التأديب والتأنيب

بقلم: د. حمود البدر

قلّ أن تجد اثنين من العرب يتحاوران في موضوع إلا وانتهى بهما الأمر إلى خصام ذلك أن كل واحد منهما لا يرضى بأن يكون هو المهزوم مهما كانت بينة الخصم. ولذلك تجد أن الأعمال غير المباشرة تقوم مقام الاقتناع. فالثوريون قاموا بالانقلاب ـ مثلاً ـ لتصليح وضع عجزوا عن إصلاحه بالحجة. إما لأنهم لم يملكوا ناصيتها أو لأن الخصم لم يعطهم الفرصة لكي يبرهنوا على صحة حجتهم. ثم يأتي ثائر آخر ليصحح ـ حسب وجهة نظره ـ ما عجز سلفه من الثوار عن تحقيقه.

والنتيجة كما نرى ثورة تبني ثم ثورة تهدم ما بنته الأولى، ثم ثورة ثالثة تبحث في فوانيس العالم ما يمكن به الخروج عن منهج هذا وذاك، مما يجعل الشعب الذي قامت الثورات باسمه هو الضحية. ولا يحتاج الأمر إلى دليل إذ يكفي القارئ ـ أينما كان ـ أن يلتفت يميناً وشمالاً ليرى مثلاً على ما أسلفت.

هذه مقدمة أردت أن ألج منها إلى ثغرة مهمة في أسلوب التربية في عالمنا العربي. إذ نهدف من تربيتنا للأجيال أن يكونوا أسوياء بكل ما تعنيه الكلمة، فنحن نهدف إلى قيادتهم لكي يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع. ونهدف أن نؤهلهم لكي يكونوا قادة ومقادين كل في مجال قدرته الذهنية والجسمية والتدريبية فهل حققت تربيتنا ما نريد؟.

لننظر إلى الدول الأخرى من حولنا خاصة تلك التي اتخذت الحوار سبيلاً لحل مشكلاتها: أمريكا، بريطانيا، سويسرا، اليابان وغيرها من الدول المتقدمة حضاريا فنجد أنها لا تحمي رؤساءها بجيوش جرارة. ولا تحرس الدوائر الحكومية بأسلاك شائكة كما تفعل الدول الثورية. كما أن جيوشها من القوة والتسليح وحسن التنظيم ما يجعلها قادرة على الإطاحة بالحاكم لو أرادت ذلك في وضح النهار.

لكنها عودت أبناءها على أن الأمور تحل بالحسنى: أقنعني أو أقنعك. اتخذت ذلك أسلوبًا بديلاً لأسلوبنا «اقتنع بما أراه وإلا أزحتك عن وجهي». فهل في تربيتنا خلل؟.

أساس التربية

لنبدأ بالبيت **أولاً**: فالطفل ينشأ في بيئة مشغولة عنه ولا تحس منه إلا بالصراخ، وتعالج ذلك بالطعام والشراب والمنوم. ولذلك ينشأ صارخًا منذ أن يرى الدنيا: يتعلم أن الصراخ الأعلى يحل المشكلة. وكلما علا صوته كلما أسرعت الحلول لمشكلته بصرف النظر عن عدالة ما صرخ من أجله أو معقوليته. فإذا ما بدأ الفطام للطفل بدأ يستكشف العالم من حوله وينتظر منا أن نقوده إلى بر الأمان بحيث نعرفه ما هو الصواب ولماذا؟ وما هو الخطأ ولماذا؟ لكن الذي يحدث أنه يقاطع إذا تعلم فيتعلم من ذلك مقاطعة المتكلمين، ويؤدب جسميا بدون تبرير أو توضيح أو دون سماع أقواله مما يجعله مؤدبًا للغير كلما سنحت له الفرصة.

إذ اقترب من حار قلنا له «أحّ» وإذا اقترب من بارد قلنا له «أحّ» وإذ اقترب من غال قلنا له الشيء نفسه، وإذا أتلف رخيصًا لاقى العقاب نفسه. فلم يعد ـ بذلك ـ يعرف الفرق بين الحار والبارد، ولا بين الغالي والرخيص.

من كتاب العدد



● د. حمود بن عبدالعزيز البدر
- تاريخ الميلاد: ١٣٥٨هـ (الموافق ١٩٣٩م)
أستاذ بقسمي الإعلام والتربية بجامعة الملك سعود
- دكتوراه العلاقات العامة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) من جامعة ميتشيجان الحكومية
- رئيس الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) - حتى تاريخه.
- يشارك في عضوية مجالس ولجان، منها:
- لجنة القبول بالجامعات السعودية.
- اللجنة العليا للتقييم الذاتي للجامعة.
- مجلس أمناء مكتبة الملك فهد الوطنية. ١٤١٠هـ - حتى الآن.
- عضو الهيئة الاستشارية في الرئاسة العامة لمدارس البنات.
- عضو الهيئة الاستشارية في وزارة التعليم العالي.
- له عديد من المؤلفات العلمية في مجالي: الإعلام والتربية.

ооо

يتعلم من أقرانه الذين ـ علمهم أقرانهم ـ أشياء خاطئة ونحن نعاقبهم عليها دون أن نقدم له بدائل نافعة مقنعة .

وإذا ما بدأ الكلام واستطاع التعرف على مبادئ الحياة لا يجد من بيننا ـ نحن العاقلين ـ من يشرح له كنه الشيء الذي يسأل عنه . نفترض فيه أن يعلم نفسه بنفسه وإذا ما أخطأ ضربناه . وإذا استوضح نهرناه .

وإذا ما جاء إلى مجلس الكبار نبذ كما لو كان شيئا مقززا . لا يسمح له بالحديث ولا يقبل منه تعليق وينتظر منه أن يكون آية في الأدب .

فلو أننا بدأنا معه الحياة منذ الوهلة الأولى بحيث نبين له معنى المصطلح «حار» عن طريق التجربة غير المضرة ومعنى كلمة «بارد» ومعنى كلمة «غال» ومعنى كلمة «رخيص» بحيث يستطيع أن يترك العبث بهذا وذاك، عن قناعة لا عن خوف، لأصبح فيها بعد مؤتمنا على ما يترك تحت عهدته ولو أن العقاب ترك ليكون آخر علاج ويكون مقابل خطأ ظاهر مبرر لأصبح له مكانة لدى الطفل يقدرها حق قدرها .

أما أن يعاقب على اللمم ويعاقب على الكبيرة بقدر متساو فسوف تنشأ معه الكبيرة مساوية في تأثيرها لتأثير اللمم وذلك ما لا يرضي الله . فالله سبحانه وتعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى* فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه / ٤٢، ٤٤). أليس الله بقادر على أن يمدهما بقوة تجعله يخضع لهما ويسلم بما يريدان؟ بلى إن الله قادر لكنه أراد أن يكون الاقتناع، أو عدمه، حجة لفرعون أو عليه بعد أن يحاور باللين .

ويقول الله سبحانه لمحمد عليه الصلاة والسلام : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران / ١٥٩).

فمثل هذا القول ينطبق على الصغير والكبير؛ فالصغير يميل إلى من يتفهمه ويفهمه . ولا شك أن قدوته تبدأ من المنزل . بحيث يقلد أباه أو أخاه أو أمه في تعامله مع الآخرين طبقًا لأسلوب التعامل الذي عامله فيه أهله . فإن عامله أبوه وأمه وأخوه وأخته بلين وحسن استماع، وبعملية إقناع، لاستطاع أن يفعل ذلك مع الآخرين . والعكس نتيجة للعكس .

دون حوار

وعندما ينتقل إلى المدرسة : يجد المدرس قد عومل طفلاً بمثل ما عومل به هو . وبالتالي سيقوم المدرس بتوظيف خبراته في التعامل، والتي اكتسبها من بيئته الأولى، مضافا إليها ما اكتسبه من مدرسيه الذين كانوا ضحية تعامل فظ (مقصود أو غير مقصود) في تعليمه للطفل القادم .

وستكون النتيجة تخرج حافظين غير قادرين على الإقناع لأنهم لم يقنعوا . غير مستعدين للنقاش الهادئ لأنهم لم يمكنوا من التدرب عليه، لا يستطيعون استنباط الحجة الدامغة لأنهم لم يعودوا البحث عنها .

أذكر أن أحد أساتذتي ـ ولعله الدكتور عبد القادر القط ـ كان خطيبا مفوها وكنا نتعجب كيف اكتسب تلك الخاصية فكان يشرح لنا ذلك بقوله : إن ما نقصه من تربية الأهل عوضه عن طريق الممارسة حيث كان يخاطب الأشياء ـ جامدة أو ناطقة ـ في محاولة لاستدراج مقدرته الخطابية والبلاغية حتى استطاع أن يتغلب تدريجيا ـ على عقدة الخوف ـ وأن يدرب لسانه وفكره على الاسترسال .

إذن فإن العلة في تربيتنا التي أردنا منها أن تكون تأديبا فتحولت إلى تأنيب فالأدب في مفهومنا هو الخضوع لمنطق الكبير مهما كان ذلك المنطق أعوج . والنتيجة أن كل واحد فينا عندما يشب عن الطوق يريد ـ بقدر ما يستطيع ـ أن يخضع من الناس بقدر ما تعرض له من إخضاع سابق .

فلو أن البيت تحول إلى مدرسة تعلم الطفل التأقلم مع الأشياء بلين ولطف من القول، وحسن تفسير لما حوله من ظواهر، لذهب الطفل إلى مدرسته بسلاح من المنطق يمكنه من أن يكون مقنعا أو مقتنعا طبقا للحجج التي يتعرض لها .

ولنسمع قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فأي أخلاق أرقى وأرق من إنسان يأتيه أعرابي فظ يطلب منه أن يسمح له بالزنا فلا ينهره ولا يعاقبه ولا يؤنبه، وإنما يحاوره بقوله : «هل ترضى ذلك لأمك؟ فيقول الأعرابي : لا والذي بعثك بالحق . فيزيد المصطفى : هل ترضاه لأختك؟ فيرد الأعرابي : لا والذي بعثك بالحق . . إلخ» فكانت النتيجة إيمانا مطلقا من الأعرابي بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بما في ذلك تحريم الزنا .

وأي أخلاق أرق وأرقى من إنسان يقبل حفيده بحنان فيتعجب منه أعرابي بقوله : إن لي عشرة من الولد ما أقبل منهم أحدا . فيرد عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله : «من لا يرحم لا يُرحم» . فيتغير الأقرع بن حابس إلى نقيض ما كان يفعله .

إذن فإن المدرسة مطالبة بألا تكون وسيلة حفظ للأجسام، وتحفيظ للنصوص . وإنما وجدت لكي تقوم بتربية وتدريب النشء على الاستنباط والمحاورة الجيدة التي تقود إلى الإقناع أو الاقتناع طبقًا للمعلومات والحقائق التي تحتويها الحجتان المتقارعتان .

فلو عدنا إلى الأمر الالهي : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وطبقناه في البيت لأحبنا صغارنا واحترمونا أكثر من أن يخافونا . ولو طبقناه في المدارس لأنتجنا علماء ودعاة متميزين يعرفون كيف يتقنون الحجة، وكيف يضبطون أعصابهم إذا ما كانت الغلبة لحجة غيرهم . بدلا من الانفعال الذي يؤدي إلى الانتصار للذات .

ولو أننا تمثلنا هذا الأمر حقيقة لاستطعنا أن نبني مجتمعا ينتقي ـ بصفة عامة ـ الأفضل لأتباعه، ويتعرف على الأسوأ لتلافيه .

وإذا ما أردنا أن نعرف الفرق بين فوائد الإقناع وفوائد الإجبار على قبول الرأي الأخر على ممارساتنا اليومية مقارنة بما نسمعه في وسائل الإعلام المختلفة فسنجد أن وسائل معينة اكتسبت صفة الموضوعية والمصداقية فصارت مصدرا للمعلومات يشار إليها ويستشهد بها تبينه . وسنجد وسائل أخرى لا تقل جمالا من حيث الشكل ولا قوة من حيث الإرسال يتعداها الإنسان مسرعا إلى غيرها .

فهل نريد هذه؟ أم نريد تلك؟

ذلك هو الفرق بين تربية الحوار وتربية الإجبار .

ملف العدد:

متى يكون اختلاف الفقهاء رصيداً فكرياً نافعاً؟

بقلم: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الاختلاف قضية كبيرة محفوفة بما يجعلها شقوة ولظى حين يجمح الهوى والفكر قاصر، أو حين يستغلق الذهن والعلم متوافر: بغيًا وعدوًا، ومحفوفة بما يجعلها ثراءً علميًا وتنوعًا فكريا حين تستقيم قلوب المختلفين على الحق، ويرسخ علمهم ويوقنون بأن مراتب الصّواب قسمة بين طلاب الحق الذين يستوفون شروط طلبه، ويستنزلون فضل الله سبحانه وتعالى العميم بصدق الدعاء. وما كان الله ليذر المؤمنين دون أن يبين لهم ما يتقون في هذه القضية الجليلة الشأن والخطر والأثر.

مصدر الهدى

فأول الهدى إذن في هذه القضية وأمثالها أن نستفتي القرآن الكريم ونستهديه ابتغاء التي هي أقوم، فماذا نعلم من كتاب الله سبحانه وتعالى في قضية الاختلاف؟ نعلم أن هناك اختلافًا مذمومًا، وهو الاختلاف الذي وقع لأهل الكتاب قبلنا ﴿**ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وأن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد**﴾ ونعلم أن هذا الاختلاف المذموم يتعلق بأصل الدين وجوهره: الألوهية والنبوة: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون* وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾ ونعلم أيضا أن المسلمين قد حُذِّروا من الوقوع في هذا الضلال ودُعُوا إلى الاعتبار بما وقع للأقوام من قبل، والآيات في هذا المجال كثيرة جدًا منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأُولئك لهم عذاب عظيم**﴾ ونعلم أن الآيات التي تحدثت عن هذا النوع من الاختلاف صدرت أو أتبعت بالدعوة أو بالتبصرة إلى المنهج الحق الذي لا يزيغ. من ذلك على سبيل المثال: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ ثم ولي ذلك مباشرة وقوله تعالى: ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ونعلم أن من مقاصد الرسل بعامة ومن مقاصد الإسلام بخاصة: حسم الخلاف بين الناس أو رفعه أو تبيين وجه الحق فيه ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ ومعنى ذلك: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين كما هي إحدى القراءات، ونعلم أيضا أن هناك اختلافا ليس من المستطاع دفعه، بل من رحمة الله تعالى أن جعل هذا الاختلاف موجودا وماضيا ليتسع نظر الأمة ويتنوع، ومن أجل اطراد التجدد والاجتهاد، ولئلا يتألى على الله أحد او فريق من الناس فيعمد إلى تضييق ما وسعه الله تعالى بحجة النهي المطلق عن كل اختلاف، قطعا لكل خلاف، وأصل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾، ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾.

ففي الآيتين دعوة إلى التعامل مع الاختلاف والتنازع وليس فيهما دعوة إلى إلغائهما ولكن الدعوة إلى التعامل مع الاختلاف والتنازع مشروطة بالرد إلى الأصل والاحتكام إلى المصدر. وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وقع بين المسلمين فنشأت من ثم الاتجاهات والمدارس الفقهية المتنوعة. وليس من العلم الصحيح: الخلط بين هذا الاختلاف وبين الاختلاف الذي نهى عنه الرسول ﷺ في قوله: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

مِن كُتّاب العدد

● أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
- رئيس رابطة الجامعات الإسلامية (٥٧ جامعة في أنحاء العالم).
- مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- أشرف وأسهم في عشرات المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها؛ آخرها (مهرجان الجهاد) لنصرة الشعب الكويتي.
- من مؤلفاته:
- أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل.
- أسباب اختلاف الفقهاء.
- الأسرة في ضوء الإسلام.
- الإمام محمد ابن سعود ودولة الدعوة والدعاة.
- حقق بعض عيون التراث؛ منها:
- مناقب الإمام أحمد.. لابن الجوزي
- حلية الفقهاء.. لأبي الحسين الأنصاري
- المدخل لمذهب الإمام أحمد.. لابن بدران
- المغني.. لابن قدامة (بالاشتراك)
- شرح العقيدة الطحاوية (بالاشتراك)
- شرح مختصر الروضة للطوفي.



إظهار الحق

قال النووي ـ رحمه الله ــ : «والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كالاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يصلح فيه الاجتهاد أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة أو خصومة أو نحو ذلك، وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهيًا عنه بل مأمور به وفضيلة ظاهرة وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن والله أعلم».

حكم الاجتهاد وفتح بابه

ذهب عدد من العلماء إلى أن الاجتهاد فرض كفائي وفي ذلك يقول أبو الفتح الشهرستاني: (ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان، حتى إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وإن قصر فيه أهل العصر عصوا بتركه وأشرفوا على خطأ عظيم فإن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ترتب المسبب على السبب ولم يُوجد السبب كانت الأحكام باطلة فلا بد إذن من مجتهد).

والمجتهد ليس رجلا واحدًا ينهض بالاجتهاد فيسقط بذلك التبعة عن الأمة كما قال الشهرستاني، فإن في هذا رضا بالحد الأدنى واعتمادًا على رؤية فرد تعتلي رؤيته النقائص ــ بحكم بشريته وعدم عصمته ـ مهما أوتي من العلم والنظر، إنما الاجتهاد مرتبة من العلم والنظر عالية المقام فسيحة الأفاق يتبارى فيها أولو العلم والفقه، ومن خلال التباري يحدث اختلاف التنوع الذي يروي الأمة بأنهار من الاجتهادات والذي يصحح بعضه بعضًا، ولقد قال الشاطبي رحمه الله في ذلك قولاً نفيس القيمة إذ قال: إن الوقائع في الوجود لا تنحصر فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصة فإما أن يترك الناس مع أهوائهم أو ينظر فيها بغير سناد شرعي وهو أيضا اتباع للهوى. . . . إلى أن قال: فإذًا فلا بد من الاجتهاد في كل زمان لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان ولأبي الفتح المعروف بابن البرهان عبارة نفيسة في هذا المقام إذ قال: «الباري سبحانه قادر على التنصيص على حكم الحوادث والوقائع ولم يفعل ولكن نص على أصول ورد معرفة الحكم في الفروع إلى النظر والاجتهاد».

ومن مضامين العبارة: أن الله تعالى ترك مجالاً للنظر والاجتهاد وأن الحوادث والوقائع متجددة متكاثرة يستحيل أن يستغرقها اجتهاد أحد بل اجتهاد جيل من أجيال المسلمين، والحال أنَّ سعة مجال النظر وتجدد الوقائع يقضيان باجتهاد متعدد الأفهام.

أنواع الاختلاف

أنتقل إلى ذكر بعض أنواع الاختلاف، وفي ضوء ذلك نفهم حقيقة الاختلاف العلمي والفقهي الذي تكاثرت وقائعه ومسائله من لدن عصر الصحابة رضي الله عنهم ثم اطردت في تاريخنا العلمي. ويتعاظمنا في هذه البرهة استقراء ما شهده تاريخنا العلمي من اختلاف مجتهد، فنحن مضطرون من ثم إلى التمثيل أي إلى ذكر بعض أنواع الاختلاف:

النوع الأول: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم وهو أساس اختلاف من جاء بعدهم من العلماء في العصور التالية، وللإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رسالة عظيمة في هذا المجال تحدث فيها كثيرًا عن اختلاف الصحابة وهي «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وذكر كثيرًا من أسباب هذا الاختلاف، من أهمها: أن رسول الله ﷺ يتحدث عن الواقعة أو يفتي أو يتكلم بالحديث في أماكن متعددة، وفي مناسبات متعددة قد يحضر بعض الصحابة فيسمع هذا الحديث أو هذه الفتوى وغيره لا يبلغه الحديث وبالتالي يختلفون عند الاجتهاد أو النظر.

النوع الثاني: الاختلاف في توثيق الرجال وهذا موضوع آخر من موضوعات الاختلاف أو من أنواعه. يقول الصنعاني ـ رحمه الله ـ في سبب هذا الاختلاف: حصل اختلاف الأئمة في التصحيح والتضعيف المتفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع إلى الرواية لا إلى الدراية فهو ناشئ عن اختلاف الأخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي أو استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت أن الاختلاف في ذلك ليس مداره الرأي، نعم قد يأتي من له فحولة ونقادة ودراية بحقائق الأمور وحسن وسعة اطلاع على كلام الأئمة فإنه يرجع إلى الترجيح بعد التعديل والتجريح.

أمتنا لا تستجمع قواها
ولا تتقدم التقدم الصالح
إلا في ضوء إسلامها..

وللحافظ الذهبي كتاب في ذلك اسمه «ذكر أسماء من تُكُلِّم فيه وهو موثق» وفي مقدمة هذا الكتاب يقول: «. . . هذا فصل نافع في معرفة ثقات الرواة الذين تكلم فيهم بعض الأئمة بما لا يرد أخبارهم وفيهم بعض اللين وغيرهم أتقن منهم وأحفظ. هؤلاء حديثهم إن لم يكن في أعلى مراتب الصحيح فلا ينزل عن رتبة الحسن اللهم إلاّ أن يكون للرجل منهم أحاديث تستنكر عليه وهي التي تكلم فيه من أجلها فينبغي التوقف»

فهذا نوع من أسباب الاختلاف حينما يختلف العلماء في توثيق راوٍ أو عدم توثيقه.

ومن أنواع الاختلاف: الاختلاف في تفسير القرآن. ففي كثير من الآيات وبخاصة في آيات الأحكام نجد الاختلاف الكثير، ومرد هذا إما الاختلاف في معنى اللفظ من حيث اللغة العربية أو في مدلوله أو في تعارض هذه الآية مع آيات أخرى أو مع أحاديث أخرى فيحصل عند الجمع والمناقشة الاختلاف الذي يترتب عليه اختلاف في الفُتيا أو الاستنباط.

الاختلاف الاجتهادي وأسبابه

من أنواع الاختلاف أيضا وهو أكثرها: اختلاف الفقهاء أو الاختلاف



الفقهي. وكتب الفقه مملوءة بهذا النوع من الاختلاف حتى إنها تسمى كتب الخلاف وأشير إشارة سريعة من باب التمثيل إلى بعض الأسباب فهناك «الاستدراك التاريخي» فمن المعلوم أن الأئمة الأربعة مثلاً قد سبقوا في الزمن مرحلة اكتمال منهج التوثيق في الحديث، فإن بعض أئمة الحديث قد أعقبوا الأئمة الأربعة. ومن هنا حصل استدراك على أحاديث في موطأ مالك ومسند أحمد ومسند الشافعي. وأدى هذا الاستدراك إلى العدول عن أحاديث انبنى عليها فقه وأحكام في العبادات والمعاملات، فوقع هنالك اختلاف. ومن أسباب هذا الاختلاف أيضاً: النظر إلى الواقع وتكييف الحكم الشرعي على واقع الأمة فدراسة الواقع وتقدير الظروف وتقدير الأحوال لها أثر كبير في الاختلاف والاستنباط أو الاجتهاد. كذلك من أسباب الاختلاف في الكتاب والسنة: وجود نصوص قابلة لتعدد الأفهام وهي النصوص الظنية الدلالة.

ومن الأسباب: السبب اللغوي وهو مرتبط بما سبق فلسان العرب من السعة والخصوبة بحيث يتيح تعدد وجهات نظر المتأملين به في فهم النص العربي.

الاختلاف المذموم: شقاق في الدين، وعقم في الرأي

ولأبي البركات الأنباري كتاب اسمه «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» وهو كتاب قريب من موضوعنا في هذا المجال. فالاختلاف في معنى الكلمة العربية وتفسيرها له أثره الكبير في استنباط الأحكام الشرعية. واللغة العربية متعددة المعاني وفيها من السعة الشيء الكثير.

ومن الأسباب: نفي العصمة عن كلام غير الأنبياء، فليس لأحد من الناس أن يفهم شيئاً من الإسلام ثم يقول هذا من عند الله. وما دام الكلام ليس من عند الله فإنه يوجد فيه اختلاف كثير **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**. ومن الأسباب أيضاً: التفاوت في فهم الوقائع والحوادث والأقضية وفي تكييفها على هذا الوجه أو ذاك وهذا ميدان واسع من ميادين الاختلاف لا سيما أن علماء الإسلام يعرفون ما لتقدير الواقع من قيمة ووزن في فقه الشريعة.

ومن الأسباب: الظن بأن في أمر ما إجماعاً والحقيقة غير ذلك. يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا المجال: (وكثير من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعاً ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسنة) وقد مثل في هذا بأحكام الطلاق وأحكام اليمين.

ومن الأسباب: التفاوت العظيم في المواهب والاستعدادات فإن الناس ليسوا سواء في قوة الذكاء ونفاذ البصيرة والقدرة على التفكير والتدبر. والتفاوت لا يقاس بالمسافة الفاصلة بين عالم وجاهل وإنما يقاس بالمسافة بين عالم وأعلم منه ولو في مسألة معينة. قال تعالى: **﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾**

والعلماء مراتب والعلم درجات **﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾** قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل. وعن ابن عباس قال: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم. لا جرم أن التفاوت في مراتب العلماء سبب في اختلاف النظر وتباين الفهم.

دعائم وضوابط

مهما اتسع نطاق الاختلاف فإنه مضبوط بإطار حاكم عاصم، ولهذا الإطار دعائم يجب العلم بها حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها:

الدعامة الأولى: عقيدة التوحيد **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾**

الدعامة الثانية: ثبوت القرآن وعصمته **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**

الدعامة الثالثة: أن رسالة الرسول ﷺ عامة خاتمة ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾، ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

الدعامة الرابعة: حجية السنة **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**

الدعامة الخامسة: وحدة الأمة **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**. فمن يشك في القرآن أو لا يحتج بالسنة النبوية أو يطعن في أصل الرسالة أو في كون رسالة الرسول ﷺ هي الرسالة الخاتمة أو يخالف في أصل التوحيد. فهذا لا يقبل منه مذهب أو رأي. ولذلك نجد الأئمة المعتبرين في الأمة الإسلامية لم يختلفوا في هذه القضايا، لم يختلفوا في قضايا التوحيد الأساسية ولم يختلفوا في أساس الإسلام وأركانه ولم يختلفوا في أن السنة النبوية حجة وأن العمل بها واجب. الأئمة المعتبرون لم يختلفوا في هذه القضايا بل أجمعت الأمة الإسلامية على هذه الأمور، لكن من شذ من الطوائف والفرق والجماعات والأشخاص الذين اختلفوا مع المسلمين في هذه الأصول فإن خلافه يدخل في نطاق الخلاف غير المقبول، هذا الخلاف لا يعتبر رصيداً للفكر الإسلامي أو رصيداً للأمة الإسلامية بل إنه شر على الأمة الإسلامية وهو الذي جر عليها الدمار وجر عليها الويلات، منذ أن بدأت الفتن تظهر في عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا وستظل هذه الفتن مشتعلة ما بقيت هذه الآراء الهدامة والأفكار التي خرجت على إجماع المسلمين. ولذلك نقول: إن هذه الدعامات وإن هذه

الأصول أو هذه الأسس هي التي تجمع المسلمين على الحق وتمكن علماءهم من الحوار والترجيح والبحث عن الأصلح .

ومن الأسس الضابطة (المنهج المعتبر في فهم الإسلام) ومن أبرز خصائص هذا المنهج : العلم بلسان العرب والعلم بأصول التفسير والعلم بأصول السنة والعلم بأصول الفقه ، ومعرفة أقوال من سبق من العلماء في هذه القضية أو تلك ، ومعرفة الواقع .

إن الإنسان الذي لا يزال غضًّا ، وليس لديه قدرة على الاستنباط ولم يطلع على لسان العرب ولا على اختلاف العلماء ولا على اجتهاداتهم وليست له معرفة بالسنة وأصولها ، إن هذا لا يعتد بخلافه .

ماذا نستفيد من هذا الكلام ، أو من هذا السياق عن الاختلاف وأنواعه سواء الاختلاف المقبول أو الاختلاف غير المقبول؟ أما الاختلاف غير المقبول فيجب على الأمة الإسلامية أن تقف في وجهه وأن تعتصم بكتابه تعالى وسنة رسوله ﷺ في محاربته وإبعاده عن حياة المسلمين . . وأما الخلاف المقبول فهو الذي ينبغي أن نتحدث عنه ونعتبره رصيدًا لثقافتنا ورصيدًا لفكرنا ورصيدا للأمة الإسلامية في وقتها الحاضر . . كيف نتعامل مع هذا الاختلاف؟ هل يروعنا هذا الخلاف هل نحزن لوجوده؟ هل نتركه؟ كل هذه أمور ينبغي أن تتألق في وعي الذين يهتمون بهذه القضية ، وبالتالي ينبغي على طلاب العلم أن يكون لديهم منهج للتعامل مع هذا الاختلاف وهذا ما سأشير إليه من بعد .

إن ما تقدم من كلمات أو أفكار أو مضامين وشواهد إنما يقصد بها الانتفاع والاستفادة والإسهام في دفع النهضة الإسلامية المعاصرة خُطوة إلى الأمام ودرجة إلى الأعلى .

إن الأمة الإسلامية قد أزمعت النهوض الشامل بنسبة من الوعي تلبست بها وبوفرة من التحديات انتصبت أمامها وما أكثر التحديات أمام الأمة الإسلامية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وفي مجالات كثيرة .

والأمة التي تطلب هذا النهوض لديها أنهارٌ من العلم الصحيح بالإسلام ، فقد ثبت أن هذه الأمة لا تستجمع قواها ولا تستنفر طاقاتها كافة ولا تتقدم التقدم القوي الصالح إلا في ضوء إسلامها ثم إنه قد اكتنف الأمة من القضايا والوقائع والمشكلات ما يحتاج إلى حلّ أو إلى حلول ، وليس يغيب عن وعي ذي وعي أن هذا كله يقتضي نهضة جادة وبصيرة وشاملة في الفقه الإسلامي . وأنه لمن الدواهي القاصمة المزعجة أن تنطلق هذه النهضة بدون أصول ومقاييس وضوابط ، فإن الاختلاف المتوقع في هذه الحال هو اختلاف تضاد لا اختلاف تنوع .

شقاق . . لماذا؟

واختلاف التضاد والشقاق والتباغي عائق للنهضة وليس مُعينًا على انطلاقها ، فحينما نرى بوادر الصحوة الإسلامية في مختلف البلدان الإسلامية نجد شبابًا متحمسًا لدينه ، ونجد عاطفة قوية تجاه الإسلام وهذا خير ونعمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد هذه الصحوة وأن يجعلها سائرة في الطريق الصحيح ، لكن حينما نبحث عن الأخطاء التي وقعت فيها هذه الصحوة سواء كانت على مستوى القيادات أو على مستوى عامة الناس ، نجد أن أكثر الأسباب تعود إلى الجهل بالإسلام ، والخطأ في الطريق ، وتعود إلى عدم العلم بأصول الدعوة إلى الله ، وتعود إلى الاجتهاد الغض السريع الناقص التكوين .

وإذا رجع المرء إلى الصدر الأول للإسلام وإلى الفترات التي نهضت فيها الأمة الإسلامية من كبوتها ثم سأل : من الذي قاد تلك النهضات؟ من الذي قام بالإصلاح؟ فإن الجواب الحاسم هو : إن العلماء هم الذين فعلوا ذلك ، العلماء الذين تربوا منذ البداية تربية إسلامية شرعية ، درسوا اللغة العربية ودرسوا كتاب الله سبحانه وتعالى ودرسوا سنة رسوله ﷺ واطلعوا على اختلاف العلماء . ولذلك أقول : إن النهضة الإسلامية إذا انطلقت بدون أصول وبدون مقاييس وبدون ضوابط في العلم الشرعي فإن مآلها أن تتراجع وأن تضر الدعوة الإسلامية ، وكم رأينا من الصدامات ومن المشكلات في مجتمعات المسلمين ، سواء كانت هذه الصدامات بين حزب وحزب أو بين طائفة وطائفة أو بين جماعة وحكومة أو بين فرد وفرد ولقد كان ذلك كله نتيجة للمنطلقات الخاطئة المؤسسة على منهج غير صحيح ؛ يعد واجب المسلم معرفة الإسلام بشكل عام فالإسلام ليس خاصا بفئة معينة . بل إن كل مسلم مهما كان اختصاصه ـ مطالب شرعًا بأن تكون لديه حصيلة شرعية إسلامية ليعرف : كيف يتعامل مع نفسه ومع خالقه ومع مجتمعه؟ لكن أن يتصدر للفُتيا وللدعوة وهو غير مؤهل لذلك فهذا ما لا ينبغي أن يكون ، ولا يمكن أن تطالب الأمة جميعًا بأن تتخصص في علوم الدعوة أو في علوم الشريعة أو في الفقه الإسلامي ، وحينما ننظر للآثار التي حصلت من تصدر بعض الناس للدعوة إلى الله وهم غير مؤهلين نجد أن هذه الآثار هي التي أسهمت في تأخير النهضة الإسلامية .

لقد قسم العلماء الاختلاف إلى اختلاف مذموم واختلاف ممدوح أو مقبول ، من جهة أخرى فقد انقسم هؤلاء العلماء إلى قسمين : قسم مؤيد للاختلاف وقسم معارض له . وباستعراض آراء الفريقين ظهر أن الخلاف بينهم لفظي ؛ ذلك أن من ذم الخلاف نظر إلى ما يتبعه من عصبية المختلفين ولجاجهم في الخصومة ، وإذا كان الاختلاف سيؤدي إلى العصبية والتناحر أي إلى السب والشتم وإذا خرج عن القواعد الشرعية فهو خلاف مذموم . أما الذي يمتدح الخلاف فإنما ينظر إلى ما يتبعه من حل للمشكلات ومعالجة للواقع وأنه ضرورة ناشئة عن اختلاف المدارك .

هناك اجتهادات ودراسات في فهم الشريعة تستنبط الحكم من الكتاب والسُّنة

إن الاختلاف كان موجودا لدى السلف الصالح رضوان الله عليهم كان اجتهادا يرجو به أحدهم أجر الله أخطأ أم أصاب . ولم يذم الرسول ﷺ أحدا من الصحابة أخطأ في اجتهاده قال عليه الصلاة و السلام : «إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» .



ونعرف كما ثبت في الحديث الصحيح أن أبا السنابل أفتى سبيعة الأسلمية بأن عليها العدة آخر الأجلين وأخبره رسول الله ﷺ أن عدتها بوضع الحمل . فهذا اجتهاد أو فتوى أخطأ صاحبها ولم يذم الرسول ﷺ هذا المفتي ولم يعنفه ، كذلك في عهد الرسول ﷺ أفتى بعض الناس وقد ثبت هذا في الحديث الصحيح أن على الزاني غير المحصن الرجم ، وقد افتداه والده بمائة شاة ووليد فأخبره الرسول ﷺ أن الذي عليه هو: جلد مائة وتغريب عام فقط ، وأن الوليد والغنم ردٌّ على صاحبها .

إن المدونات الفقهية ، والمذاهب ، والآراء ، ليس من العلم ، وليس من المنهج ، وليس من الدقة في التعبير أن يقال عنها : إن هذه هي شريعة الإسلام ، ولكن يقال : إنها اجتهادات ودراسات في فهم الشريعة ، تستنبط الحكم من الكتاب والسنة ، والاستنباط الصائب يمكن أن يوصف بأنه اجتهاد سليم .

> من مقتضيات الخلاف المقبول أن يقول الإنسان للآخر: "إنك أخطأت" .. لكن ليس من حقه أن يتهجم عليه ويسفهه ..

أخلص من السياق العام في هذا الموضوع إلى ما عساه أن يكون مفيدا ونافعا في ضبط المسيرة وحمايتها من المزالق والمهاوي ، وإلى ما عساه أن يكون صياغة للخطط العريضة ، أو إسهاما في صياغة دليل علمي لطلاب العلم اليوم .

ونبدأ بتقديم مفهوم مضبوط للخلاف المتقبل المفيد :

إن هذا المفهوم هو: «النظر الفسيح المتنوع في شريعة الإسلام وفق المنهج القويم المعتبر في فهم الإسلام ابتغاء تسديد حركة التجديد والاجتهاد والاختلاف والحوار ، و ابتغاء إيجاد حلول عملية لقضايا المسلمين ومشكلاتهم» .

أما الخطوط العريضة فهي :

أ ـ استصحاب المنهج القويم في فهم الإسلام ، فما ضل قوم ارتفقوا هذا المنهج و إن قل علمهم .

ب ـ الاستبحار العلمي : بمعنى أن تنعقد العزائم على بلوغ أقصى المراتب في التحصيل العلمي ، فلا شك أن أولي النُّهى يعلمون أن قلة العلم قد جرأت رجالا كثيرين على المراء الذي ينشئ الخلاف العقيم إنشاء ويؤجج نيرانه تأجيجًا .

ج ـ التسامح الكريم مع الخطأ المحتمل شرعًا وعقلاً : قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : والأعذار يكون العالم في بعضها مصيبًا فيكون له أجر ويكون في بعضها مخطئًا بعد اجتهاده فيثاب على اجتهاده وخطؤه مغفور له ، لقول الله تعالى: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾ . وقد ثبت في الصحيح أن الله سبحانه وتعالى استجاب لهذا الدعاء وقال : قد فعلت . . .

د ـ التفريق الواضح الحاسم بين دائرتي التخطئة من جهة ، والتكفير والتفسيق والتسفيه من جهة أخرى فليس من الديانة ولا من العلم ولا من الفقه : رمي المخطئ بالكفر أو الفسق أو السفه فإن موجبات ذلك شيء وتصورات التخطئة شيء آخر ، والخلط بينهما لا يدل إلا على الجهل المطبق أو على العلم الملتاث بالهوى ، ولقد استخدم الفقهاء الفحول الورعون كل لفظ في موضعه ولم يطلقوا كلمة الكفر أو الفسق أو السفه على المخطئ بل سموه مرة مخطئًا ومرة غلطانًا ومرة ثالثة واهمًا . . .

من مقتضيات الخلاف المقبول ، ومن حق الإنسان أن يقول لآخر ـ وفق منهج علمي معتبر ـ : إنك أخطأت ، لكن ما الذي يدعو هذا الإنسان لأن يسفه صاحب القول الذي يظن أو يعتقد أنه خطأ ، لماذا يسفهه؟!! لماذا يتهجم عليه؟ لماذا يسيء الظن به؟ لقد كان العلماء ـ يرحمهم الله ـ يختلفون وقد يتناقشون في مكان واحد ومع ذلك يحترم بعضهم بعضًا ، ثم هل يفترض من يخطئ الآخرين أن تكون عقول الآخرين نسخة طبق الأصل من عقله واجتهاده ورأيه . ؟!

نعم عليك أن تبحث عن الأقرب لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسول الله ﷺ ، وإذا اطلعت على شيء لم يطلع عليه أخوك أو صاحب هذا الرأي فعليك أن تبين وجهة النظر ولكن لا يجوز أن تلجأ للسب ولا للتهجم ولا للاتهام ، بل إن بعض الناس حينما يقرأ في كتب العلماء القدماء يعلق على هذه الكتب تعليقات قاسية وشديدة . لماذا؟ هل يتصور هذا أن هذا الإمام أو أن هذا العالم يكتب من وجهة نظره أو يحقق رغبة لديه؟

هـ ـ من فقرات هذا الدليل أو هذه الضوابط التي ينبغي أن تسود بين طلاب العلم : تعيين القضية التي يدور حولها الخلاف ، فإن الكلام العام ذريعة في الغالب إلى عدم الضبط ، وحين يُفقد الضبط يهتاج الخلاف هياجا شديدًا أو يدخل فيه غير أهله مما يوسع رقعة الخلاف ويزيدها ضرامًا .

و ـ من هذه الضوابط : تكثير فرص اللقاء الجماعية المباشرة بين العلماء ذلك أن الجدال من وراء الحجب ومن خلال مسافات بعيدة كثيرًا ماينشئ وساوس سوء الظن ، أما اللقاء المباشر فيتيح فرص التعارف والتآخي ويهيئ التعرف والتبادل بين وجهات النظر بإشباع وهدوء واحترام .

كثيرًا ما نرى الخصومات والردود والمناقشة على أعمدة الصحف أو في أماكن متعددة ، لكن حينما يلتقي المختلفان ويتحدث بعضهم إلى بعض يتراجعان إلى دائرة ضيقة .

﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ النساء / ٥٩ .

الحوار
الضوابط وأوجه الخلل!

بقلم: د. حسن وجيه

عقب الكثير من عمليات التحاور على المستويات الاجتماعية والسياسية في عالمنا العربي نجد من يدعو إلى «أهمية مراعاة آداب الحوار» . . . و«آداب الخطاب العام» . . . و« الموضوعية في الحوار» وأهمية «عدم الخروج على النص» إلى غير ذلك من تعبيرات متشابهة . . كذلك فإننا نجد أن مستخدمي هذه التعبيرات يتبعونها بمقولات أخرى ترجع سبب الخلاف الذي يكون قد نشأ من جراء حوار «ما» إلى وجود «أزمة أخلاقية» وباختصار نجد أن المقولات أو المقالات التي تتعامل مع الأوضاع بعد الإخفاق في عملية التحاور بشأن موضوع ما تنبع من منظور أخلاقي وفلسفي . . . ولا شك أن لهذين المنظورين حيوية بالغة وأهمية كبيرة للوصول إلى نجاح الحوار بين الأطراف المتحاورة . . .

ولكن هناك منظور ثالث وهام وهو المنظور العلمي الذي يمكننا من التآلف مع تقنيات وديناميكيات وضوابط التفاعلات الحوارية المعقدة بطبيعتها . . . وهو المنظور الذي يمكننا أيضًا من التدرب على توظيف المعايير السليمة وتنمية مهارات التفاوض في المجتمع والعمل بما يخدم قضية التنمية وقضية التفاعل الإيجابي مع المنظومة الضخمة والمعقدة لتفاعلات العالم المتقدم .

وسنتعرض في هذا المقال إلى النقطتين التاليتين بإيجاز أرجو ألا يكون مخلاً:

١ ـ ما علم دراسة الحوار الحديث الذي أصبح محور اهتمام بحثي كبير ومتزايد على مستوى أكثر دول العالم تقدما؟ وما الخريطة العلمية لهذا العلم؟

٢ ـ ما ضوابط الحوار وأوجه الخلل من منظور هذا العلم؟

١ ـ علم دراسة الحوار:

الاسم الذي يتم تداوله في جامعات الغرب لهذا العلم هو "Discourse Analysis" أو تحليل المطارحات (الخطاب) وفي بعض الجامعات الأخرى تحت اسم «براجماتيات التواصل» pragmatics of communication وهو هذا العلم الذي تندرج تحته تلك الدراسات التي تعنى بدراسات عمليات فهم و إنتاج وتفسير وتداول التركيبات اللغوية المسموعة والمكتوبة في السياقات المختلفة وتعنى كذلك بتحديد أنسب الوسائل والاستراتيجيات اللغوية النفسية والاجتماعية لإدارة الحوار وتجنب عوامل الشقاق وفهم طبيعة التعقيدات الملازمة لعمليات التفاعل والتواصل .

التي تصاحب الحوار اليومي ومضامينه المتعددة .

ولكن ما الخريطة العلمية لهذا الحديث؟

المقصود بالخريطة العلمية لهذا العلم هو رصد تلك الفروع من علم اللغويات التطبيقية التي تصب نتائج الدراسات بها في تكوين صلب هذا العلم «دراسة الحوار» وهذه الفروع هي :

(١) اللغويات الاجتماعية : **Sociolinguistics** ويعنى بدراسة أنماط تفاعلات اللغة والمجتمع وعلاقة الفكر باللغة وتركيبة هذا المزيج على عمليات الأداء الحواري .

(٢) اللغويات النفسية : **psycholinguistics** ويعنى بعلاقة اللغة بالعمليات الذهنية التي تحدث في العقل البشري وأثر ذلك على اكتساب الأسلوب اللغوي .

من كتاب العدد

● **الدكتور حسن وجيه**

ـ تخرج في قسم اللغات والترجمة بجامعة الأزهر عام ١٩٧٧م

ـ حصل على درجة الماجستير من جامعة تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨١م في علم التطبيقات اللغوية . .

ـ حصل على درجة الماجستير (مرة ثانية) من جامعة جورج تاون بواشنطن عام ١٩٨١م في العلوم السياسية وعلم اللغويات النظري . . ثم على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٨٩م .

ـ عمل استشاريا في البنك الدولي في مجال البحث والترجمة والتحرير في الفترة من ١٩٨٣ - ١٩٨٦م .

ـ شارك في العديد من الندوات العلمية في مجال اللغويات والعلوم السياسية . .

ـ له كتاب (نحن الآخرون : إطار تحليلي لتدريس مادة النظم والحضارة) عام ١٩٩٠م .

ـ له تحت الطبع :

● لغة الحوار السياسي في الوطن العربي

● ديناميكيات القدرة في المفاوضات السياسية الدولية .



(٣) اللغويات العرقية : Ethnolinguistics

ويعنى بدراسة أثر الجانب العرقي والخلفية الثقافية لمجتمع «ما» على أدائه الحواري وأثر ذلك على عمليات التواصل عبر الثقافات.

(٤) لغويات الكومبيوتر : Computational Linguistics

ويعنى أساسًا بتطوير الذكاء الصناعي للكومبيوتر لتخطي مرحلة إجراء العمليات الحسابية السريعة إلى مرحلة إجراء العمليات الذهنية تتم فائقة السرعة والتي في العقل البشري والخاصة بتداول وإنتاج التراكيب اللغوية المختلفة والتي تتخطى مستوى الجملة "Sentence Level" وذلك في إطار المحاولات المستمرة لإنتاج جيل الكومبيوتر الحديث الذي يكون قادرًا على إجراء التحليل اللغوي المعقد وتقديم الترجمة اللغوية بين المتحاورين.

(٢) ضوابط الحوار وأوجه الخلل به :

من أهم ضوابط الحوار هو ما يتعلق بالنقاط التالية :

(أ) على المتحاور ألا يفرض وجهة نظره وعليه أن يدخل في الحوار من منطلق أن يُقنع أو يقتنع بوجهة النظر الأخرى.

(ب) على المتحاور أن يجعل مشاركته في الحوار مُتسقة مع الواقع ومع عناصر الحجة التي يتبناها... وبالتالي على المتحاور أن يكون على دراية علمية بعناصر إقامة الحجج.. وهذا أمر يحتاج إلى التدبر والممارسة.

(جـ) على المتحاور أن يتنبه لحجم المعلومات التي تتطلبها المحادثة... فعليه أن يشارك في الحوار بالقدر المطلوب وطبقًا لسياق الحدث ذاته وبالتالي فعليه أن يتجنب الإسهاب والاسترسال وأن يكون مركزًا في كلامه.

(د) على المتحاور أن يدرك طبيعة الموقف وطبيعة المتحاورين ويتعامل مع هذه الوقائع وأولوياتها.

(هـ) على المتحاور أن يدرك علاقة القوة "power" في الحوار...



(٥) اللغويات القضائية : Legal Linguistics

ويعنى بدراسة اللغة في السياق القانوني وأساليب إقامة الحُجج وتفنيدها ونتائج الدراسات بهذا الفرع الحديث أصبحت من أهم المصادر التي تتكون منها أسس كثيرة في علم دراسة الحوار.

(٦) اللغويات السياسية : Political Linguistics

ويعنى بتقديم نماذج تحليلية تنتمي إلى الأبحاث التراكمية في مجالَي علم اللغويات وعلم العلاقات الدولية والعلوم السياسية بهدف تحليل العمليات التفاوضية ونسق البرهنة والإقناع والتجنب في ظل التفاعلات الدولية.. وتعتبر أطروحة كاتب هذه السطور أول أطروحة دكتوراه تتعامل مع هذا المجال الحديث من مجالات العلوم الاجتماعية.

"متى يتجنب المتحاور سلبيات الغموض و"نظرية المؤامرة" وتناقض الفعل والقول؟!!"

والمقصود بهذه العلاقات هو ما يملكه المتحاور من قدرة تنفيذية في أثناء الحوار... فهناك حوار الرئيس والمرؤوس والرجل والمرأة والطبيب والمريض والمذيع وضيفه والمتهم والقاضي.. إلى آخره.. وتختلف هذه العلاقات باختلاف سياق الحديث من رسمي إلى شبه رسمي إلى ودي أو شبه ودي وكذلك ترتبط هذه العلاقات ببيئة النظام الاجتماعي والسياسي لثقافة ما.

(و) على المتحاور أن يتجنب سلبيات «الغموض» و«اللامباشرة» و«نظرية المؤامرة» والتأطير وتضخم الإحساس بالذات وتناقض الفعل والقول إلى غير ذلك من سلبيات الحوار.

- «فاولات» كأس العالم وأوجه الخلل في الحوار:

من أكثر المشكلات التي تتسبب في الخلاف والشقاق بعد حوار «ما» هي عدم إدراك الكثيرين لما حدث بالفعل أثناء الحوار وعدم القدرة على تحديد موقع الخلل بدقة.. وهنا نعود بالذاكرة إلى مشاهد «فاولات» كأس العالم التي كانت توضحها بجلاء تلك الكاميرات «العجيبة» التي زودت بها أرض الملاعب في إيطاليا في مسابقة كأس العالم السابقة والتي كانت توضح وبالتصوير البطيء، مدى حجم الانتهاكات الكبيرة لقواعد اللعبة والتي كان يمارسها بعض اللاعبين سواء عن قصد أو غير قصد، وكان من الصعب حتى على حكام المباريات المحترفين، في كثير من الأحيان، أن يدركوا كل وحجم هذه الانتهاكات بالنظر المجرد، والآن، فإن الأمر نفسه ينطبق على عمليات الحوار اليومي، فكثير من «الفاولات» الكلامية لا ترصدها أية كاميرات دقيقة، ولا يرصدها حتى المراقب العابر... وتمر هذه «الفاولات» دون حساب ودون إدراك حقيقي لما حدث من انتهاك لقواعد «لعبة» الحوار، وبالتالي يمر الحوار دون التعرف على أسباب حالات عدم انسجام المتحاورين أو سبب وصولهم إلى حالة تصارعية حادة في بعض الحالات.

إن دراسات ضوابط وميكانزمات الحوار من منطق علم دراسة الحوار هي بمثابة «كاميرات» تحدد أوجه الخلل في الحوار، فهناك حالات حوار تصارعية نتجت وتدهورت بسبب أن نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئًا يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى أدت فيها تقلصات وجه المتحدث وحركة يده إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يتكلم بأسلوب يشبه أسلوب التهديد والتحدي والعداء أو الاستهتار بالآخر، وفي أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعًا وحماسيًا فتصور الطرف الآخر أن المتحدث منفعل ويريد أن يستأثر بالحوار، هذا في الوقت الذي ثبت فيه بالدراسة، أن هذه الحالات كانت لا إرادية ولم يقصد المتحاورون فيها أي عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث ولكنهم لا يشعرون

> ”أوجه متعددة للخلل في حواراتنا اليومية على مستويات متعددة ومتنوعة ...“

بوقع ما يقومون به على الآخرين وحجم الإزعاج الذي قد يتسببون فيه لغيرهم.

- أوجه الخلل في عمليات التفاوض اليومي.

تمثل عمليات التفاوض جزءًا كبيرًا من تفاعلاتنا الحوارية، فنحن نتفاوض اجتماعيًا مع بعضنا بعضًا على عدة مستويات. وكذا التفاوض تتخطى كلمة المحادثة ويكون الحوار تفاوضيًا إذا استلزم الأمر إقناع طرف «ما» بفعل شيء «ما» وتعارضت أهداف أو «أجندات» المتحاورين... فأنت قد تدخل في حوار تفاوضي عند البيع والشراء وتحديد الميزانية وطلب إجازة أو زيادة في الأجر وفي إدارة الأعمال المختلفة وعند قبولها أو رفضها... فالتفاوض إذًا هو عملية تتضمن مواجهة بين «الأجندات» المختلفة للمتحاورين بهدف الوصول إلى اتفاق متبادل يحقق مصلحة مشتركة رغم وجود التعارض في محتويات «أجندة» هؤلاء المتفاوضين بشأن موضوع «ما»... ومن الطبيعي أن حجم إشكاليات الحوار في إطار «التفاوض» هي أكثر تعقيدًا من مشاكل الحوار العادي حيث إن المتحاورين قد يصل الأمر بهم إلى حالة صراعية حادة لفرض «أجندة موضوعاتهم» على مساحة النقاش وما يصحب ذلك من توظيف لاستراتيجيات معقدة خاصة بإقامة الحجج ومنطق الكلام.. وما أكثر الأمثلة من واقعنا العربي والمتاهات التي قد يصل إليها الحوار في هذه الحالات.

«القنبلة» وإنهاء حوار!

إن خطورة ترك أوجه الخلل في الحوار دون معالجة تقويمية وعلمية لها قد يؤدي إلى حدوث مزيد من «الفاولات» الحوارية المقصودة أو غير المقصودة... والخطورة الكبرى هي حدوث هذه «الفاولات» في الأوقات الحرجة لعلاقة «ما» سواء كانت بين أفراد أو دول فيكون وقعها كوقع قنبلة الدمار الشامل التي تنهي الحوار والعلاقة برمتها. إن استخدام كلمة «القنبلة» ليس استخدامًا مجازيًا للكلمة هنا، فمن الدراسات الطريفة التي وردت في دراسة نقلت عن الأديب الشهير وعالم اللغويات الإيطالي امبرتو ايكو (والتي كان نهاية الحوار فيها انفجارًا مدويًا) يقول «ايكو» إنه عند تحليل الوثائق الخاصة بإلقاء القنبلة الذرية على اليابان، قامت الولايات المتحدة وقبل اتخاذ آخر الخطوات لتنفيذ عملية ضرب اليابان ذريًا بمحاولة للتأكد من إمكانية استسلام اليابان دون استخدام القنبلة، وهنا استعانت الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتي «في ذلك الوقت» ليقوم بجس نبض اليابان بخصوص الاستسلام الكامل والنهائي. إلا أن رسالة اليابانيين والتي نقلها السوفييت اتسمت بظاهرة حوارية يابانية حيث تضمنت استخدامًا متعددًا لأدوات النفي مع أفعال التوقع والاستنكار والاستثناء "We Can not deny.. we can not exclude.. we can not accept..etc."

والتي فهم منها طرف الحوار الأمريكي رفض اليابان للاستسلام بينما قصد الطرف الياباني من توظيف هذه الظاهرة الحوارية «اليابانية» القبول بالاستسلام مع التفاوض وليس الرفض...

إن هناك أمثلة عديدة وكثيرة لتوضيح الآثار المدمرة على علاقة «ما» نتيجة لسوء الفهم أو التفاهم بين المتحاورين من ثقافات مختلفة وقد يحدث نفس حجم سوء الفهم أو التفاهم بين أفراد الثقافة الواحدة ويكون في هذا مأساة أكبر وأسف أشد. وما أكثر الأمثلة المؤلمة في واقعنا العربي وما أكثر تلك الأمثلة التي ولدتها «أزمة الخليج».

تأملات في الحوار

بقلم: د. أحمد صدقي الدجاني

مباركة بإذن الله هذه الدعوة إلى الحوار في دوائر الاجتماع الإنساني جميعها التي يشملها العمران الحضاري... دوائر الدولة والقوم والعقيدة والعمران ودائرة العالم الكلية. ومثمرة بإذن الله هذه الجهود الفكرية التي تبحث في ماهية الحوار ومفهومه وجدواه وضرورته وضوابطه وآدابه. ولن يملّ أولئك الذين دأبوا على الدعوة إلى الحوار والبحث فيه من أهل الرأي في أمتنا وعالمنا متابعة القيام بدورهم، وبخاصة وهم يستشعرون ازدياد الحاجة إلى الحوار لمعالجة ما يواجه إنسان العصر من مشكلات وتحديات.

لقد أتاحت لي الدعوة الكريمة التي تلقيتها من رئاسة تحرير «الفيصل» للمشاركة في ملف الحوار، أن أتأمل مرة أخرى في الموضوع الذي كتب فيه مرات على مدى العقدين الماضيين. ودعتني إلى أن أراجع ما كتبت. وحثتني من موقع الحرص على تلبيتها والاستجابة لها أن أكتب ما أراه معبرًا عن رؤيتي الراهنة للموضوع.

استحضر الآن كيف ألح عليّ موضوع الحوار قبل ثماني سنوات في خضم مشاركتي في حوارات فكرية على عدة صُعد، فكتبت تأملاتي فيه، وضمنتها كتابي «**حوار ومطارحات**»، في دعوة إلى الحوار، ذلك أنه ما أمتع «الحوار»، وما أعظم جدواه، وما أشد حاجتنا إليه، وإلى إتقانه.

لقد شاع استخدام كلمة «الحوار» في لغتنا هذه الأيام على مختلف الصُعُد. فالحديث يدور حول «**حوار الحضارات**» و**حوار التيارات** «**الثقافية**» **المختلفة**، و «**حوار الشمال والجنوب**»، و«**الحوار العربي الأوروبي**». فالحوار اليوم هو من «روح» العصر وإحدى ظواهره المهمة. وقد تميز عصرنا بثورة الاتصال التي هي إحدى ثمار العلم التي تفجرت فيه. ومع ثورة الاتصال هذه بأجهزتها السلكية واللاسلكية المسموعة والمرئية، وبوسائلها البرية والبحرية والجوية قوي «التواصل بين بني الإنسان، واتسعت دائرة الحوار وتنوعت موضوعاته بصورة لم تعرفها الإنسانية من قبل». وشاهد على ذلك هذا العدد الضخم للمؤتمرات والندوات والاجتماعات التي تعقد كل يوم في عالمنا وتنوع الموضوعات التي تبحثها.

لعل أبرز ما يستوقفنا في دلالة لفظ «حوار» هو هذه «المراجعة» التي تحدث. «فالحَوْر» هو التردد» إما بالذات وإما بالفكر. وحار الماء في الغدير «تردد»، وحار في أمره أي «تحير». ومن هنا يتميز «الحوار» بأنه يتضمن في طياته عملية تحدث، وتجرى خلالها مراجعة. فالموقف المتخذ في هذه العملية ليس سكونيًا قطعيًا غير قابل للتغيير والتبديل، وإنما هو حركي قابل للتحول.

هنا يبرز الفرق بين «الحوار» و «الجدال» الذي هو «المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة». وأصله من «الجدل» وهو «إحكام الفتل»، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه. وقيل أيضا الأصل في الجدال الصراع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة. فالموقف الذي يتخذه المجادل قطعي. وهو يرمي من جداله تحويل الآخر عن رأيه دون أن يراجع هو نفسه على ضوء ما يتلقاه من رد وجواب. وقد تضمنت أولى آيات سورة المجادلة الكلمتين لتبرز هذا الفرق بين موقفين ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما**﴾. فالمرأة هنا وهي الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها كانت «تجادل» رسول الله ﷺ، بينما كان هو «يتحاور» معها.

إن الحوار هو «حديث» يتضمن «طرح» أفكار. والطرح لغة الإلقاء بعيدا. وطرح عليه مسألة يعني ألقاها. ومنها اشتقت «الأطروحة» وهي المسألة التي تطرح، و «المطارحة». وعملية الحوار تشهد مطارحة أفكار. وهي تتضمن «محادثة»، لأن الحديث هو كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في اليقظة أو في المنام. ونشير أخيرا إلى ما تتميز به كلمة «حوار» من جرس موسيقى يوحي بوجود مراجعة وتفاعل إيجابي.

ونتأمل عملية «الحوار» على الطبيعة كما تجرى في المحافل، فنجد أنها تبدأ «عسيرة» ثم «تتيسّر» تدريجيًا حتى تصل إلى مرحلة «التناغم» وتبلغ «الذروة» فتثمر «نتائج» محددة.

من كتاب العدد





● **د. أحمد صدقي الدجاني**

- ولد بمدينة يافا بفلسطين، يوم ١٨ صفر الخير ١٣٥٦هـ (الموافق ٧ أيار - مايو ١٩٣٦م) أردني الجنسية مقيم بمصر في مدينة القاهرة
- محاضر جامعي زائر في الدراسات التاريخية والمستقبلية وفي الفكر السياسي.
- عضو مركز دراسات الوحدة العربية، عضو أكاديمية المملكة المغربية، عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.
- حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة.
- له خمسة وثلاثون كتابا مطبوعا في التاريخ والفكر السياسي والدراسات المستقبلية والتأملات بالاضافة إلى مجموعة كبيرة من الدراسات في العلوم الإنسانية.

من مؤلفاته: -

- عروبة وإسلام ومعاصرة
- فكر وفعل
- حوار ومطارحات
- الانتفاضة الفلسطينية وإدارة الصراع

○○○

فالحوار مطلوب بداية لمتعته. وقد خلق الله الإنسان تواقًا للتواصل مع من حوله، وعلمّه الأسماء كلها، فإذا هو «حيوان ناطق» يعتمد اللغة وسيلة لهذا التواصل. وهو يستمتع حين يحققه. ومن هنا كان حديث التواصل من أقوى المتع في الحياة.

وافتقار الحوار يسبب عند الإنسان نوعًا خطيرًا من الحرمان لا يعالجه إلا الحوار.

والحوار ضروري لاكتساب العلم والمعرفة. وهو السبيل الرئيس لذلك في رحلة عمر الإنسان بين المعهد واللحد. وكم تشتد حاجة الطفل إلى تبادل الحديث مع من حوله. وهو من خلال هذا الحديث يتعلم، ويفتح عينيه على ما يحيط به. ولقد تابعتُ دور الحوار في تربية الأطفال وأنا أعيش تجربة الأبوة بكل أبعادها. وتذكرت كيف مررت بتجربة البُنوة وطرح السؤال إثر السؤال.

لا يمكن للطفل أن ينسى من حاوروه على أسئلته وحكوا له الحكايات ورووا له الأخبار. وهذا ما يجعل للجدين والوالدين والأخوة الكبار منزلة خاصة في تربية الطفل في سنيه الأولى، ويكسب العائلة الكبيرة مزية خاصة. ومن هنا كان الحرص على إعطاء الحوار مع الأطفال حقه حين عشت تجربة الأبوة. ولقد لفت انتباهي أن الطفل بالسؤال عن الماهية ثم ما أسرع أن ينتقل إلى السؤال عن العلة، فيكثر من طرح سؤال لماذا؟. وكم كان يطيب لي بعد أن أجيب أن أسأل بدوري سؤالاً عن شيء ما ثم اتبعه بسؤال لماذا؟ وكنت ألاحظ أن الصغير يقول «لأن...» ويقف لأنه لا يعرف أن يعلل، ثم لا يلبث حين ينمو أن يملك القدرة على التعليل.

تتفاوت لغة الحوار بحسب أنواعه. فهي في حوار الأكفاء غيرها في حوار الأجيال وغيرها في حوار العقل والقلب. وكلما أتقن المرء الحوار طوع لنفسه اللغة المناسبة له، وأحسن التعبير لفظًا ومعنى. وقد ميز أجدادنا بين متطلبات اللفظ ومتطلبات المعنى ورددوا قول بعض الحكماء «الألفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت أحلى. والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت أحلى. فالألفاظ يَستَملِيها السّمعُ، والسمع حس، ومن شأن الحسّ التبدد في نفسه والتبديد بنفسه. والمعاني تستفيدها النفس، ومن شأنها التوحد بها، والتوحيد لها، ولهذا تبقى الصورة عن النفس قُنْيَة ومَلَكة، وتبطل عند الحسّ بطلانا، وتُمّحى إمحاءً. والحس تابع للطبيعة، والنفس متقبلة للعقل». وقد نقل هذا الحديث أبو حيان عن أبي بكر القومسي في «المقابسات».

لا بد كي يأخذ الحوار مداه في مجتمع ما، ويؤدي دوره في تحقيق التواصل بين بني الإنسان، من أن يتوافر له مناخ من حرية القول. فالقمع عدو الحوار اللدود، وفي مناخ القمع لا ينمو ولا يتفتح ولا يثمر. وحرية التعبير بدون ضرورة لازمة لحياته.

أستحضر أيضًا كيف تناولت دور الحوار في الوصول إلى الوحدة الفكرية في الاجتماع الإنساني، وضوابطه. وذلك في ختام بحثي عن «**الوحدة الفكرية بين الثوابت وعوامل الاختلاف**» الذي قدمته في المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة في الرياض منذ شهر فذكرت أن الحوار هو أحد أمور ستة نستشعر ضرورتها ونحن نحدد سبيل الوصول إلى الوحدة الفكرية على صعيد دائرة العمران الحضاري وما تتضمنه من دوائر الدولة والقوم والعقيدة، وعلى صعيد الدائرة العالمية الكلية. وهذه الأمور هي:

أولاً: الانطلاق من مبدأ الاختلاف بين الناس باعتباره إحدى سنن الله في الكون، واقع بمشيئته سبحانه؛ وإدراك ارتباط هذا المبدأ بمبدأ الحق في الاختيار الذي فطر الله الإنسان عليه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا إكراه في الدين ولكم دينكم ولي دين؛ واتخاذ موقف إيجابي من هذين المبدأين أساسه العدل؛ ووعي حقيقته أن في «اختلاف الأمة رحمة» في عدد هذا الأساس.

ثانيًا: الاعتراف بحق الاختلاف للإنسان في الاجتماع الإنساني تعبيرًا عن حقه في الاختيار بحيث يصبح هذا الحق مكفولاً للناس أجمعين على أساس التعدد وتجنب الطغيان والبغي بغير حق.

ثالثًا: التسليم بفكرة التجديد باعتبارها إحدى سنن الله في الكون، تشتد الحاجة إلى تطبيقها.. فوقائع الحياة رحمٌ ولُودٌ بالجديد الذي لا يعرف التناهي ولا الحدود.. وهنا يتمثل في صورة الفروع التي تحمل روح الثابت وأصوله ومزاجه العقدي والحضاري كي يستظل بها هذا الواقع الجديد..

رابعًا: ممارسة حرية طرح الرأي المخالف، والحث على «الاجتهاد». وقد حفل تراثنا الحضاري بكتابات كثيرة تحدثت عن مشروعية الاجتهاد وحكمه وضرورته. وهناك إجماع بين مفكري نهضتنا الحديثة على إعطاء هذا الموضوع حقه من العناية في عصرنا. ويتداعى إلى الخاطر من بين كتابات كثيرة. ما أورده رشيد رضا في «الوحدة الإسلامية» وكتاب يوسف القرضاوي «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية»، كمثلين.

خامسًا: الحوار بين أصحاب الآراء المختلفة بهدف الوصول إلى نقاط اللقاء، التي ترسم الخطوط بها صورة الوحدة الفكرية. ويجب أن يتم هذا الحوار بين التيارات الفكرية جميعها، وبين الأجيال أيضًا. ولا بد من أن يولي عناية خاصة بجيل الشباب. وكم هو مفيد أن يكون اللقاء المستهدف منه على مشروعات عملية يتحقق من خلالها المشروع العمراني الحضاري للأمة في الدائرة الحضارية، وكذلك التعاون الدولي من أجل التكافل والعدل والإسلام في الدائرة العالمية.

سادسًا: تضمين ما يبلوره الحوار على صعيد الوحدة الفكرية بشأن قضايا الاجتماع الإنساني المختلفة في عقود يتم إبرامها من قبل الأطراف التي شاركت فيه، كي تلتزم بها هذه الأطراف وتتعامل مع مضامينها بروح إيجابية وفق تقاليد مرعية.

إن توفير المتطلبات السابقة يقتضي التمسك بمبدأ كرامة الإنسان وبمبدأ وحدة أصل البشرية وبمبدأ التعاون وصولاً إلى التعاون. وهو يقتضي أيضا الاعتماد على العقل الإنساني كي يُعمل الفكر في مختلف قضايا الاجتماع الإنساني في ضوء ثابت العقيدة برؤية مؤمنة. كما يقتضي التأدب بأدب الاختلاف.

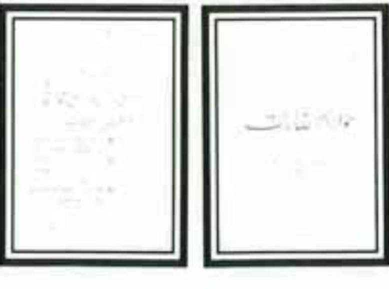
إن لنا أن نثق بقدرة دائرتنا الحضارية العربية الإسلامية على القيام بدور متميز في معالجة قضايا عالمنا ومشكلاته إذا نحن نهضنا بمسؤولياتنا ونجحنا في الوصول إلى وحدتنا الفكرية على الأساس المتين لثوابت العقيدة واللسان والتاريخ وبروح «التجديد»، وباعتماد الحوار والالتزام بضوابطه والتحلي بآدابه.



ملف العدد:

كتابان في الحوار

عرض : د . فهد بن عبدالله السماري



ستكون علاقة الغرب بالمسلمين في ظل التطورات الأخيرة ؟ هل المسلمون بحاجة إلى حوار مع الحضارة الغربية ؛ كيف ستكون منطلقات الحوار والعلاقة بين الغرب والشرق ؟

تشكل هذه الأسئلة القاعدة الرئيسة التي ينطلق منها العديد من المفكرين المسلمين للكشف عن جوانب مهمة ترتبط بحاجة البشرية إلى الدين الإسلامي وإلى منهجه المتميز الذي استمر في العطاء والقوة منذ أن تأسس على أرض الواقع بخلق آدم والبشر، ولقد انبرى العديد من الكتاب والمفكرين للإجابة على هذه الأسئلة وانتجوا رصيدا فكريا لا بأس به أسهم في إلقاء الضوء على الكثير من أطراف هذه القضية . ومن هذا الرصيد ما كتبه روجيه غارودي في «حوار الحضارات» (ترجمة د . عادل العلولا، بيروت ١٩٨٢)، وما كتبه رشدي فكار في «لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر» (القاهرة، ١٤٠٢) . ويمكن من خلال استعراض هذين الكتابين أن نصل إلى أرضية واضحة للكشف عن ماهية الإسهام الحضاري - كما يراها المؤلفان - للإسلام الذي لا يزال يتجدد وعن منهجية الحوار الذي أصبح أمرا مفروضا بسبب التطورات الجديدة على الساحة الدولية .

فكتاب «حوار الحضارات» لغارودي يستعرض قضية تطور الحضارة الإنسانية ومستقبل الإنسان فيها ويكشف الستار عن الكثير من المغالطات التي تتسم بها حضارة وتاريخ الغرب، ومن الحقائق التي كشف عنها غارودي بحكم أنه وُلد وعاش في كنف الحضارة الغربية ما بذله الغرب من جهد كبير في تغيير الحقائق التاريخية وفرض اتجاهات معينة ومزيفة في دائرة الوعي التاريخي لدى الفرد الغربي، تلك الاتجاهات التي انطلقت من محور الشعور بالقوة والسيطرة على حساب الشعوب الأخرى التي وقعت تحت نير الاستعمار والاستلاب الحضاري بسبب ذلك . تناسى الغرب كيف أسهم الإسلام في بناء حضارته، بل واتجه إلى محاولة القضاء على ذلك النبع الذي ارتوت منه جذور الحضارة الإنسانية التي نعيشها اليوم، ولكن الغرب بمنهجيته وشعوره بالتسلط صنع الرأسمالية والاستعمار لتحقيق نشوة الانتصار . ويورد «غارودي» الأمثلة التاريخية الكثيرة التي تدين الحضارة الغربية وتسجل مؤامراتها على الأصول الحضارية التي أسهمت في قيامها ليس فقط على أرض المسلمين بل في كل مكان .

ويطالب «غارودي» في كتابه بالاتجاه نحو حوارٍ حضاري يعالج أوجه القصور والأخطاء التي ارتكبتها حضارة الغرب في حق الإنسانية، ومن ذلك ضرورة إعطاء الحضارات غير الغربية أهميتها المناسبة في مجالات البحث والدراسة وعدم الاقتصار على الحضارة الغربية فقط واعتمادها نموذجاً عالمياً وإنسانياً . ويمتد «غارودي» في مطالبته إلى إعادة النظر في ما كتب من فلسفة ومنهج في ضوء المعطيات التي أشار إليها وعدم الاقتصار على ما يحتويه الفكر الغربي الذي نبع معظمه من محور التسلط وإنكار الجميل للحضارات السابقة . ويؤكد «غارودي» في كتابه على أهمية المستقبل والتاريخ في التطلع إلى رسم حوار بين الحضارات يمكن أن يسهم في إنتاج حضارة عادلة قائمة على احترام التراث والمساهمة وعلى إرضاء احتياجات البشر الطبيعية دون اتجاه نحو المثالية أو الخيال أو حتى التفريط في اعتبار تلك الاحتياجات والذي يقرأ كتاب «غارودي» بكل تمعن يلحظ إثارة أسئلة مهمة حول ذلك النتاج الفكري الإسلامي الذي برز خلال القرون السابقة ويشير إلى قوة مصادره ومقدرته من خلالها على الاستمرار في العطاء . وتكمن أهمية هذه الأسئلة فيما يتصل بقضية الحوار في أنها توفر الأرضية الملائمة للانطلاق نحو تأكيد الهوية الإسلامية ذات الجذور القوية المرتبطة بحياة الإنسانية، تلك الهوية التي حاول الغرب طمسها ومحوها من كتب التراث والتاريخ . وهذا لا يعني عدم وجود بعض المنصفين من الغرب الذين تحدثوا عن الدور الإسلامي في حضارة الغرب، ولكن ذلك الإنصاف لم يكن مؤثرا على أرض الواقع الغربي حيث تتسم اليوم سياسة الغرب بمعاداة الإسلام وبتشويه سمعته لدى الرأي العام في دوله .

منهج إسلامي

وينطلق رشدي فكار بهذا الموضوع إلى ساحة أكثر دقة في كتابه «لمحات

من كتاب العدد

د . فهد بن عبدالله السماري

من مواليد الرياض ١٣٧٧هـ



- حصل على البكالوريوس في التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٠٠هـ، ودرجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا في عام ١٤١٠هـ في التاريخ الحديث .
- عميد البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأستاذ مساعد في كلية العلوم الاجتماعية بها . .
- له بحوث ومؤلفات في التاريخ الحديث والقضايا الإسلامية، وله مشاركات صحفية متعددة .
- شارك في العديد من الملتقيات والمؤتمرات العلمية والإسلامية .

عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر» حيث يعالج قضية أصالة المنهج الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان من زاوية علمية ويركز على نقطتين مهمتين، أولهما: أن الإطار التنظيري لمناهج العلوم الإنسانية اشتمل على العديد من النظريات والمناهج الوضعية التي لم تستطع تلبية احتياجات الإنسان ولكن ذلك لا يمنع من استخدامها في الدراسات الاجتماعية عن طريق توجيهها توجيهاً إسلامياً من باب الاستئناس حيث أفرد لذلك فصلاً مستقلاً أسماه «**استئناس المنهجية في الدراسات الإسلامية وإطارها العملي والتطبيقي**». وفي المقابل يركز رشدي فكار على المنهج الإسلامي المتميز الذي ينبغي أن يستفاد منه، المنهج الذي تنتظم في إطاره صور علمية كثيرة من أهمها التحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر.

ويضع رشدي فكار هذا التحدي الإعجازي للإسلام منطلقا للحوار مع الغرب لأن الإسلام المتحدي المحاور لم ينهزم «بمبادئه الرصينة الخالدة وعقول رجاله بل عبر التاريخ قادرًا معجزًا ومنتصرًا برغم كل الطعنات المقنعة. «**ويطالب رشدي فكار باستخدام أسلوب الإعجاز الإسلامي للدخول في المواجهة والحوار من أجل إثبات أصالة المنهج الإسلامي واحتوائه على الكثير من المعطيات المستقبلية كما ورد في قوله عز وجل «وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون»**. فالقرآن يشتمل على نواح علمية كثيرة علمها الإنسان وأخرى لم يعلمها بعد لأنه كلام الله عز وجل ووحيه الذي أنزله على عبده المصطفى ﷺ.

واستطاع رشدي فكار من خلال استعراض العديد من الجوانب التي تؤكد صلابة المنهج الإسلامي أن يؤسس القاعدة الرئيسة لمنهجية الحوار وهي ضرورة الاتكاء على هذا التحدي الإعجازي للإسلام بمصادره الثابتة.

متغيرات دولية

وتكمن أهمية هذه الكتب وهذه المنطلقات في أن قضية الحوار أصبحت أمراً ملحاً بسبب ما يدعو إليه الكثير من مفكري الغرب من أن الإسلام هو عدوهم في المستقبل. فالعديد من الطروحات الفكرية بدأت تتبلور في ظل التغيرات الدولية الجديدة التي شهدت سقوط الشيوعية، وخصوصا تلك الطروحات التي تتناول السؤال المثير والمهم الذي يدور حول مستقبل الصراع الفكري في العالم. فالعالم عاش لمدة تزيد على سبعين عاماً في إطار صراع قطبي بين الشرق الممثل في نموذجه الاشتراكي وبين الغرب الممثل في نموذجه الليبرالي، ذلك الصراع الذي استحوذ على اهتمام البشر في كل مكان ولون حياتهم السياسية والفكرية والاقتصادية وحتى الاجتماعية حتى اعتقد الكثير في الغرب بأن الديمومة هي سمة هذا الصراع الفكري والإيديولوجي، وبعد أن تهاوت جدران الشيوعية برزت قضية المستقبل بالنسبة لماهية العلاقة بين الشرق والغرب، وهل سيستمر الصراع الفكري بين الغرب والأطراف الأخرى أم لا.

منهجية شاملة

وأخيراً بدأت الأنظار في الغرب تتجه نحو الإسلام بسبب قوته المعنوية والروحية والمادية والمنهجية الا ا لة. وأخذ بعض المفكرين الغربيين في إثارة هذه العصبية وطرحها من منظور العداء القديم بين الغرب والإسلام ذلك الذي انعكست بعض صوره في الحروب الصليبية. لذا أصبح الاسلام في منظور هؤلاء دون اختيار المسلمين القطب الآخر الذي ستحشد له السياسات والخطط الاستراتيجية من أجل الانتصار عليه كما حدث بالنسبة للشيوعية.

تميز إسلامي

من هنا يبدأ دور المفكرين المسلمين لمواجهة هذه الحرب المتوقعة من جانب الغرب والدخول في حوار حضاري يتكئ على قاعدة السمو والتميز في المنهج الإسلامي. فالكتابان اللذان تمت مناقشتهما في هذه الإطلالة لم يطرحا أسس ذلك الحوار، تلك الأسس التي ينبغي أن تراعى عند المواجهة أو التصدي لأية حملة تشتد على الإسلام والمسلمين. كما أننا مطالبون بالتركيز على العلاقة مع الغرب والانطلاق في تأسيس تلك العلاقة من منظور واقعي متزن بعيد عن المغالاة أو الانعزال التام. **ومما لا شك فيه هو أن الحوار الفكري يعتبر من سمات الحضارة والتمدن العقلي ومن علامات الخصوبة التي تعكس العمق والصلابة الفكرية لمن يمتلك أساليب الحوار ويعمل على تطبيقها. والمسلمون هم من المؤسسين لهذا الحوار والداعين إلى تطبيقه لخدمة الإنسانية وتوجيهها نحو الطريق السليم الذي اختاره الله عز وجل لها.**

والمشترك في الحوار سواء كان فردا أم أمة ينبغي أن ينطلق من الحقائق التي استعرضها عدد من المفكرين المسلمين حول العلاقة بين الغرب والمسلمين من المنظور الفكري وخصوصا تلك الحقائق التي استعرضها الكتابان لغارودي ورشدي فكار وتمت الإشارة إلى بعض الخطوط العريضة حولها في هذه الإطلالة. كما أن المشارك في هذا الحوار أو المبادر إليه من الجانب الإسلامي لا بد وأن ينطلق من الإدراك الواضح أن الأمة الإسلامية ذات منهج ورسالة خالدة مدعومة بمصادر ثابتة تستطيع إرضاء احتياجات البشرية في كل زمان ومكان لأنها تعطي العقل البشري مساحة من الإبداع والتفكير للوثوب إلى مرحلة الإنتاج المفيد.

وأخيرا نصل إلى أن حوار الحضارات وحوار الأمم مرحلة مهمة لإيصال الرسالة الإسلامية بشكلها الصحيح للآخرين، بل أن ذلك الحوار هو من باب الدعوة الإسلامية التي تتسم بالمرونة والاتزان المطلوب للإقناع. لذا يبقى على القادرين فكريا من المسلمين مهمة رئيسة وهي صياغة أسس ذلك الحوار ومنطلقاته بناء على المصادر الإسلامية الأساسية وهي القرآن والسنة المطهرة، والقيام بالتخطيط لمواجهة التحدي الفكري والسياسي القادم الذي بدأت بوادره تتكشف وتتضح في صور مختلفة استهدفت الدين الإسلامي.

ولكي تتحقق عوامل المواجهة وتنجح في إظهار الحق لا بد للمسلمين من السير بكل واقعية في طريق التغيير الذي سيحسن من وضعهم الضعيف وذلك من خلال إصلاح الفرد والأمة ومن خلال التأكيد على محاور الفهم والانفتاح وأسس الإبداع والابتكار وتوسيع دائرة المشاركة الجادة المفيدة.

ملف العدد:

صورة رائعة لحوار نبوي رائد

بقلم: أ. د. محمد الأحمدي أبو النور

في إحدى المهام العسكرية التي كان يقصد منها تأمين الجبهة، وحماية الأمة من الغدر بها والكيد لها أرسل ﷺ واحدة من كتائبه الاستطلاعية في شبه الجزيرة فما لبث أن ظفرت بواحد من أعداء الإسلام الألداء يومئذ وهو ثمامة بن أثال فلما عادوا به إلى المدينة المنورة ربطوه بسارية من سواري المسجد النبوي على ما يروى البخاري قصته في صحيحه، أي انتظارا لقرار الرسول ﷺ بشأنه. وخرج النبي ﷺ وقد أخبر بأمره، وواجهه وقد ظفر به، وعليه ترات للإسلام وأهله، ونظر الرسول ﷺ نظرته البعيدة وتروى ليرى الناس الرؤية الحكيمة واستل من نفسه الشريفة أن يكون بها كره للرجل إلا لكفره أو يكون لديه رغبة في الانتقام منه بل في إسلامه فما عسى أن يفيد المسلمون من دم يراق وقد أصبح صاحبه بأيديهم وماذا لو روض الرجل وأمكن أن يكون للإسلام بعد أن كان عليه. ؟!

وآثر ﷺ وقد تفرس في الرجل صلاحية للاختبار، وأهلية لاستيعاب درس وتقبلا لتأثر بموقف يتم سلوكه معه، رويداً رويداً.

وفوجئ ثمامة بالرسول ﷺ يقول في حكمة لا يحضرها انفعال، وحلم لا يدفع به عجز، وتساؤل يصوغه هدوء الواثق: ماذا عندك يا ثمامة؟ واستحضر الرجل أن محمدا ﷺ ليس ممن يظلمون الناس أو يبغون في الأرض بغير الحق بل هو خير من يعفو إذا قدر ويُحسن إذا أسيئ إليه ويحلم إذا جهل عليه وإذا به يقول للرسول ﷺ عندي خير. ثم استطرد بعد هذا الذي صدر به جوابه، واستدر به رفق الرسول ﷺ استطرد، منوها بعدله عليه السلام إن قتله وبفضله إن منّ عليه فقال: يا محمد! إن تقتلني تقتل ذادم وإن تنعم تنعم على شاكر ثم لوح باستعداده للفداء بالمال فأضاف وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

ولعل ثمامة تصور أن يتم شيء من هذه الثلاثة على الفور وغاب عنه أن النبي ﷺ لم يكن يعنيه أن يتشفى من أعدائه، ولا كان يتشهى أن يستلب منهم أموالهم وإنما الذي كان يهمه ويعني نفسه به أن يهديهم الله للتي هي أقوم وأن يستنقذهم بذلك من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة..

وهال ثمامة أن لا يعاجله الرسول ﷺ بقرار وإنما يأمر بتركه إلى الغد لعله يبصر بالموقف ولعله يحسن القراءة له، والاعتبار به ثم لعله يعيد حساباته.

فلما كان الغد أعاد الرسول ﷺ سؤاله لثمامة: ما عندك يا ثمامة؟ وتذكر ثمامة أنه في جواب الأمس لم يكن يتوقع هذا الإمهال فقدم أشق الأمرين عليه وأشفى الخيارين بصدر خصومه وهو القتل فلما لم يقع وأعيد السؤال لم يعد ما سبق أن أجاب به لاتساع نافذة الأمل عنده في رحابة صدر الرسول ﷺ أن يشمله بالمن والعفو فاقتصر في جواب اليوم الثاني على ذكر ما يستعطف به قلب الرسول ﷺ ويستدر به عفوه فقال: ما قلت لك إن تنعم، تنعم على شاكر. وطوى ذكر القتل وركز على ذكر الإنعام والشكر الذي يجب عليه بإزائه وصح لدى الرسول ﷺ ما توقعه، فقد أحسن الرجل قراءة خطوات الموقف وقد بدأ يتفهم حقيقة الإسلام رويدا رويدا وأنه دين يحرص على إخراج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم وأن نبيه لا يعرف الظلم ولا يتشهى الانتقام ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح وبدا للرسول ﷺ أن يدع ثمامة لفرصة أخيرة يتم بها استيعاب الدرس واحتواء الموقف حتى إذا كان اليوم الثالث سأل النبي ﷺ سؤاله



● أ. د. محمد الأحمدي أبو النور

- درس وتخرج في الأزهر، وحصل على الاجازة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٦م وكان أول الدفعة.
- حصل على العالمية (الدكتوراه) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام ١٩٧٠م.
- تدرج في السلك الجامعي أستاذاً مساعدا فأستاذاً بقسم السنة ورئيسا لهذا القسم فوكيلا لكلية الدراسات الإسلامية للبنات فعميداً لها إلى أن أختير وزيرا للأوقاف في مصر في المدة من يوليو ١٩٨٤ إلى نوفمبر ١٩٨٦م.
- رئيسا للجنة العليا لتقويم النتاج العلمي للأساتذة والأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر.
- عمل أستاذا وأستاذا زائراً بجامعات أم درمان الإسلامية وقطر والكويت إلى أن أعير لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض.



- له العديد من النتاج العلمي في مجال التحقيق والتأليف في التاريخ والتفسير والحديث.
- حصل على الدكتوراه الفخرية من أول جامعة إسلامية بأندونيسيا (الجامعة المحمدية) بجاكرتا عام ١٩٨٧م.
- حصل على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٦م ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٩٢م منحها له الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية.

ooo



ذاته ما عندك يا ثمامة ؟ وتأمل ثمامة وهو يتذكر ما خيل إليه وما ووجه به في اليومين الماضيين كأنما تخيل في اليوم أمارات الغضب أو توقع أن تكون عند الرسـول ﷺ فقدم ذكـر القتل ، فلما لم يقتل الرسـول في اليوم الأول طمع في العفو فاقتصر عليه في اليوم التالي فلما لم يحدث شيء مما توقع اقتصر في اليوم الثالث على الاجمال تفويضا إلى جميل خلقه ﷺ فقال ثمامة : عندي ما قلت لك . وأراد ﷺ وقد أوشك الموقف أن ينتهي إلى ذروته ليؤتى ثماره مع ثمامة : أراد ﷺ أن يواجـه صحابته بعـد ثمامة بما يـرسخ قيمة العفو عنـد المقدرة ، وبما يرجح كفة الحكمة على الانفعـال ، والتروي على الاندفاع ، وبما يعمق قيمة الموازنة بين انتقام يرسب الكراهية والضغن ويثور عوامل العداء والكيد وبين حلم يقلب الكراهة حباً والعداء ولاء لله ورسوله ولعله ﷺ أراد إضافة إلى هذا وذاك أن يعطي الأجيال درسا تستبين به من يعادي لشخصه فينتقم بهواه ومن يحارب لينصر الله ورسولـه فـلا ينتقم إلا لله ولا يعفـو إلا ليجمع شمل المسلمين ويقوى شوكتهم ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفـروا السفلى - لقـد أراد ﷺ أن يعطينا عبر الـزمن قيمـة التجـرد لله التي تفرض على المرء أن يكون جهاده لله لا لوجاهـة أو رياسة أو صدارة أو تشفٍ للانتقـام عند الانتصار أو عنـد القدرة على الخصم . لقـد أومض في صدر الرسول ﷺ مع هذا أن ثمامة وقـد كان عدو الأمس يمكن أن يكون حبيب اليوم ، يمكن أن يكون قوة للمسلمين وذخيرة لـلإسلام لو منّ عليه فأسلم سيما وقد كـانت الأيام الثـلاثة ومـا تم بها من حـوار وما بهر فيها ثمـامة من سلوك الرسول ، كانت الأيام الثلاثة مـوقفا نبوياً رائعاً ومسلكاً نبيلاً أحسن ثمامة استيعابه وأحسن احتواءه وعندئذ قال الرسول ﷺ : اطلقوا ثمامة . .

أحب الوجوه

وصدق رسـول الله ﷺ وصدقت فـراسته ومضت سنتـه أن نلاطف من يرجى اسلامه من الاسارى إذا كان في ذلك صالح إلى المسلمين وكما يروي البخاري في صحيحه : فانطلق ثمامـة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجـد فقال : أشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسول الله . يـا محمـد والله مـا كـان على الأرض وجـه أبغض إليّ من وجهـك فقـد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي .

والله ما كـان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الـدين إلي . والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ؟! فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليّ !؟

وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟

فبشره رسول الله ﷺ . أي بخيري الدنيا والآخرة أو بالجنة ، ثم أمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : لقد صبوت ؟! وكأنما كان يريد ليصمه بالخروج من الدين ، ليثبط همته ، أو يوهن من عـزمته ، وإذا بثمامة يرد عليه قـولته ، ويبين لـه جهالتـه فيقول في شمـوخ الواثق ، واعتـزازه بما شرح الله صـدره له : لا ! مـا خرجت من الـدين بل دخلت الدين الحق : الإسـلام ومتى كانت الوثنيـة دينا ؟ ﴿إن الدين عند الله الإسـلام﴾ لقد انطلق ثمامة يقـول : لا ولكن أسلمت مـع محمـد ، رسـول الله ﷺ ، لا ولكن تبعت خيرالـدين ، دين محمـد ثـم يـردف معبراً عن الـولاء والبراء ، متبعـا إيمانـه العمل ، ومردفـا إسلامه لله السلـوك الذي ينبغي أن يكـون مع أعداء الله ، يردف ويقـول : والله ! لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطـة كما كنتم تأخذونها ضريبة بالأمس حتى يأذن فيها اليوم رسول الله ﷺ .

وكان حواراً نبـويا رائعًا ، كما كان سلوكًا نبويًا رائدًا ، أسلـم به ثمامة فأراد بإسلامه كيف تكون العزة بالحق ، وكيف تكون القوة بالدين ، وكيف يسارع المؤمن بتحديد من يوالي ومن يعادي ، وكيف تأتى بالحوار أن يصبح العدو نعم الحبيب ! ونعم النصير ! ونعم البصير! ، بل ليصبح نعم المسلم الذي يعتز بإسلامه ، ويعلم بدينـه ليسلم بإسلامه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . !

ملف العدد:

الحوار عبر المخطوطات

بقلم: د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

حين جرى التخطيط لإعداد ملف للحوار لنشره في هذا العدد؛ وقع الاختيار على أحد الأخوة الأساتذة المتخصصين لإعداد موضوع عن الحوار في التراث المخطوط، غير أنه اعتذر - في آخر لحظة - عن تقديم المادة المطلوبة، مما اضطرني أن أقوم بهذا العمل؛ وإن كان بجهد المقل..

وللارتكاز على قاعدة معلوماتية؛ طلبت من الأخوة الزملاء في قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية البحث في قاعدة المعلومات الخاصة بالمخطوطات؛ تحت عدة مداخل ذات علاقة بالحوار؛ مثل: **المناظرة، الاختلاف، الائتلاف، المناقشة، المحاورة، الحوار، المجادلة، البحث، آداب البحث، آداب الحوار.. و... و..**

وكانت النتيجة أن هناك ٣٤٨ مخطوطة مدخلة في الحاسب الآلي عن هذه الموضوعات؛ تغطي الفترة من القرن الثالث حتى القرن الثاني عشر الهجري؛ منها ما يدل عنوانه على الحوار بشكل مباشر؛ مثل:

- «وسائل الائتلاف إلى مسائل الخلاف» لابن الجوزي (القرن ٧هـ)..
- «الائتلاف في وجوه الاختلاف» لعبدالله بن محمد أفندي (القرن ١٢هـ)..
- «رسالة في فن المناظرة» لساجقلي زادة (القرن ١٢هـ)..

أو غير ذلك مما لا تظهر فيه هذه العلاقة المباشرة من خلال العناوين بغض النظر عما إذا كانت المخطوطة محققة ومطبوعة أم لا.

وغير ذلك من مخطوطات تبين رصيد الفكر الإسلامي من الحوار والمناظرة والمناقشة وصولاً إلى ما فيه مصلحة الأمة وخيرها..

عناية خاصة

لكن لماذا الحوار عبر المخطوطات بالتحديد؟

لقد زارني أحد الأصدقاء وهاله اهتمام المركز بالتراث والمخطوطات؛ وقال لي إن كل ما في التراث والكتب الصفراء قد أكل عليه الدهر ولم يشرب، وأنه لا علاقة لهذا التراث بالحياة المعاصرة والفكر الحديث..!!

وكان ذلك بالنسبة لي مفجعًا بالفعل؛ فالرجوع إلى المخطوط - في رأيي - محاولة جادة في تأصيل فكرنا وتجاوز الحدود والقيود التي تقف دونه أمام طلاب العلم والمعرفة، وهو عودة إلى المراجع الأصلية دون الانتظار إلى التحقيق الذي ربما لا يكون - في بعض الاحايين موفقًا أو يحجب عنا هذا التراث أجيالاً..

وهذا الموضوع الذي حددته المجلة (الحوار عبر المخطوطات) إنما للتعرف على نظرة الأول عن الحوار واستكشاف أساليبه ومعرفة ضوابطه وأهدافه، ولعل في الرجوع إلى المصادر الأصلية تأكيدا على الارتباط المباشر بتراثنا الثري.

فعندما نبحث في تراثنا المخطوط عن الحوار؛ فإنما هو إثراء للحاضر.

ولعلي أشرك القارئ الكريم في بعض النصوص التي اطلعت عليها من خلال استعراضي السريع لعناوين المخطوطات التي زودني بها قسم المخطوطات في المركز.

في كتاب «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب» تحدث جلال الدين السيوطي عن فائدة الخلاف أو الاختلاف فقال:

«اعلم أن اختلاف المذاهب في هذه الملة نعمة كبيرة وفضيلة عظيمة وله سر لطيف أدركه العالمون وعمي عنه الجاهلون حتى سمعت بعض الجهال يقول: النبي ﷺ جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة. ومن العجب أيضا من يأخذ في تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي إلى تنقيص المفضل عليه وسقوطه، وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء وصارت عصبية وحمية جاهلية، والعلماء يتنزهون عن ذلك...».

وفي شرح الجامع الصغير للمناوي - عند بحث حديث اختلاف أمتي رحمة - جاء ما يلي:

«... فاختلاف المذاهب نعمه كبيرة وفضله جسيم، خص الله بها هذه الأمة. فالمذاهب التي استنبطها أصحابه (أي صحابة الرسول) من بعده من أقواله وأفعاله على تنوعها كشرائع متعددة له. وقد وعد بوقوع ذلك فوقع وهو من معجزاته ﷺ».

وقد حرص السلف الصالح على أن يكون مقصدهم من الحوار توخي الصواب. قال الأيجي في «آداب المناظرة»: «فغرض المناظر إظهار الصواب، وغرض المجادل حفظ المدعي ودفع الخصم و إلزامه بقواعد

الجدل لعلها حيل ومغالطات لا ينبغي أن يقابل بها الخصم المتعنت».

والحوار - كما يـراه من درس الاتصـال - نـوع من أنـواع الاتصـال الإنساني، وهو أداة فكرية للوصول إلى أهداف المتحاورين، وفي نظرهم لا جـدوى من الحوار إذا لم يكن فعـالا ونـاجحـا. ويعـرّف بعضهم الحوار الناجح بأنـه عملية يصل فيهـا الطرفان المتحـاوران إلى أفضل اتفاق يحقق أقصى مصلحة لهما. وهذا يعني أن الحوار لا بد أن يكون مثمرا بأن يوضح فكرة ما، ويحقق هدفاً ما.

أما الاختلاف فهـو ظاهرة إنسانيـة طبيعية ناشئة عـن اختلاف طبائع البشر وتفاوت أفكارهم وقدراتهم الـذهنية والعقلية، وهذا من سنن الله في خلقه. ﴿ومن النـاس والدواب والأنعام مختلف ألوانـه﴾، ولذلك يتعلم النـاس بعضـهم من بعض ويعملون على تنميـة الفكر وإثـراء المعرفة بهذا التنوع والاختلاف. والحوار المبني على تعدد وجهـات النظر ناتج عن هذا التبـاين، والاختـلاف النـاشئ عن ذلك ينبغي أن يعتبر أحـد الـدوافع الحقيقيـة لإعمال الفكر. ولا بـد أن يكـون الحوار من أهم القنوات لتـلافي أسباب الاختلاف خاصة منه ما يذهب الريح.

وطالما أن هـذا الأمر لا مفر منـه، فما هي حدوده ومـا الخلاف المحمود والخلاف غير المحمود؛ قال ابن تيمية رحمه الله:

«اختـلاف المذاهب اختلاف تنـوع وليس اختـلاف تضاد. لكن قـد يصبح الاختـلاف مذمـوماً وخطـرا يهدد وحدة الصف الإسـلامي ويمتلئ حسداً وحقـداً، وتطفو الأمـراض القلبية الخبيثـة، فيصبح العظيم تـافهاً والعالم جاهلاً سيء الأخـلاق، ويرتفع العلم من القلوب ليبقى مجرد كلام لسان رجل لم ينفعه الله بعلمه».

وقد تخوف عمر بن الخطاب رضي الله عنـه من ظهور مثل هذه النماذج في الأمة الإسلامية فقال: «أخوف مـا أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قـالوا: وكيف يكـون منـافقـاً عليماً؟ قال: عليم اللســان جـاهل القلب والعمل».

ولا شك أنـه يجوز الاختـلاف في الفـروع، أما الاختـلاف في العقـائد والأصول فلا يجوز، وجاء في شرح الجامع الصغير للمناوي في هذا الصدد

«أما الاجتهاد في العقائد فضـلال ووبال كما تقرر والحق ما عليه أهل السـنة والجماعة فقط».

ومن أهم آداب الحوار مـا يذكـرّ طاش كبري زادة في الـرسالـة في علم المناظرة، ولا يقصد بالمناظرة هنا المحاورة أو المجادلة بين شخصين بالكلام فقط، وإنما المناظـرة باعتبارها شكـلاً من أشكال الحوار، منطوقـا كان أو مكتوبا. **وقد جمع تلك الآداب في تسعة:**

أولها: أنه ينبغي للمنـاظر أن يحترز عن الإيجاز والاختصـار في الكلام لئلا يكون مخلاً بالفهم.

وثانيها: أنه ينبغي أن يحترز عن الإطناب لئلا يؤدي إلى الملل.

وثالثها: أنه ينبغـي أن يحترز عن استعمال الألفاظ الغريبـة في البحث لئلا يؤدي إلى عسر الفهم.

ورابعها: أنه ينبغي أن يحترز عن استعمال اللفظ المجمل في البحث بلا تقييد يـدل على المعنى المقصود، وألا يلـزم التردد في فهم المعنى المراد. ولا بأس بالاستفسار - **أي استفسار** - الخصم (عن) معنـى اللفظ المجمل. وبعض المنـاظريـن عدّوا ذلك الاستفسـار سـؤالاً، ولكنه سـؤالا بـالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي. وهذا إنما يجوز إذا كان في اللفظ غرابة أو إهمال ليبين معناه إما بالنقل عن أهل اللغة أو بالنقل عن أهل العرف العام أو الخاص، ولا يجوز فيما عداه لكـونه تضييقا مفـوتا للغرض من المنـاظرة الذي هو إظهار الصواب. ولذلك قيل: ما يوجد فيه الاستبهام حسن فيه الاستفهام.

وخامسها: أنه ينبغي أن يحترز عن الدخل في كلام الخصم قبل الفهم أي قبل فهم مـراده لئـلا يلزم الضلل في البحث. ولا بـأس بالإعـادة وإن افتقر الفهـم إلى الإعادة مرتين إذ الكلام قبل الفهم أقبح من الإعادة.

وسادسها: أنه ينبغي أن يحترز عن التعرض، أي تعـرض المناظر لما لا دخل له في المقصود لئلا ينتشر الكـلام ويحصل البعد عن المراد وهو إظهار الصواب في مجلس واحد.

وسابعها: أنـه ينبغي أن يحترز عن الضحـك ورفع الصـوت في أثنـاء المناظرة وأمثالها من إظهار البطش وتحريك اليـد، وما يدل على السـفاهة؛ لأن هؤلاء من أوصاف الجهل يسترون بذلك جهلهم.

وثامنها: أنـه ينبغي أن يحترز المنـاظـر عن المنـاظـرة مع أهل المهـابـة والاحترام لئـلا يخل ذهنه بجـلالـة قـدر الخصم فيسقط حـدة ذهنه ووقتـه ويفوت غرض المناظرة.

وتاسعها: أنــه ينبغـي أن لا يحسب المنـــاظـــر الخصم حقيراً؛ لأن استحقار الخصم ربما يؤدي إلى صدور الكلام الضعيف عن المناظر فيكون سببًا لغلبة الخصم الضعيف عليه.

ومما جاء في آداب الحوار والمناظرة في رسالـة تقرير القوانين المتداولة من علم المناظرة لمحمد المرعشي المدعو بسـاجقلي زادة قوله:



«لا ينبغي بين المتحاورين التوبيخ والتبكيت وإنما ينبغي مجاراة الخصم والتماشي معه وإرخاء العنان له والمساهلة معه. فشبهة السائل لا تنقطع إلا بطريق المجاراة إن قلت أليس للمعلل هنا وظيفة أخرى وهي منع ما ادعاه السائل قلت لا مجال للمعلل أن يمنعه هنا؛ لأن المفروض أن ما ادعاه السائل مما لا مجال للمعلل أن ينكره. قال صاحب الإيضاح في تخيل المجاراة كما إذ قال لك من يناظرك أنت مِنْ شأنك كيت وكيت فتقول نعم أنا من شأني كيت وكيت ولكنه لا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم وقال أيضا وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ فمن مجاراة الخصم للتبكيت فالرسل عليهم السلام قالوا إن ما قلتم مِنْ أنّا مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ولكن ذلك لا يمنع أن يكون قد منّ الله علينا بالرسالة. وتوضيحه أن الكفار توهموا أن البشرية تنافي الرسالة وأن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة».

ولنا في سلفنا الصالح القدوة في حوارهم وفهمهم الصحيح للقصد منه، وتمسكهم بآدابه وفضائله. **قال الإمام الغزالي: «التعاون على طلب الحق من الدين»**، فكان قصدهم من الحوار وهمّهم هو توخي الحق والاعتراف به، لا ابتغاء المنافع ونيل المصالح.

قال السيوطي رحمه الله: «وقد وقع الاختلاف في الفروع بين الصحابة رضي الله عنهم وهم خير الأمة، فما خاصم أحد منهم أحدا، ولا عادى أحد أحدا، ولا سَبَّ أحد أحدا إلى الخطأ وقصور...».

وقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: «ما ناظرت أحدًا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني ولا قبلها إلا قبلته ولا كانت الحجة معه إلا رجعت إليه».

ولما كان سبب الحوار هو اختلاف الرأي، فقد حدث ذلك في مواقف كثيرة حيث تربى الناس على توجيه معلم البشرية محمد ﷺ، حيث ذكر **السيوطي** في كتابه **«جزيل المواهب في اختلاف المذاهب»** قصة اختلاف الصحابة في أسرى بدر، فإن أبا بكر ومن تابعه أشاروا بأخذ الفداء منهم، وعمر ومن تابعه أشاروا بقتلهم. فحكم النبي ﷺ بالأول فنزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع تقرير الأول. وهذا دليل على تصويب الرأيين وأن كلا من المجتهدين مصيب. ولو كان الرأي الأول خطأ لما حكم به النبي ﷺ. وكيف وقد أخبر الله أنه عين الحكمة بقوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ وطيب الثاني بقوله تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً..﴾ وإنما وقع العتب على اختيار غير الأفضل..

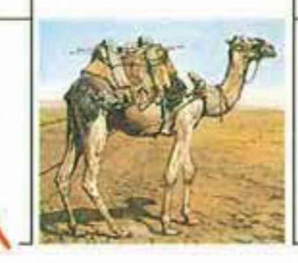
وقال السيوطي: «... واختلف اجتهاد عمر رضي الله عنه في الجد فقضى فيه بقضايا مختلفة وكان يقول: ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضي..».

ولعلي أواصل في الأعداد القادمة – وعلى هذا المنوال – تناول جوانب أخرى من هذا الموضوع الهام، وبالله التوفيق.

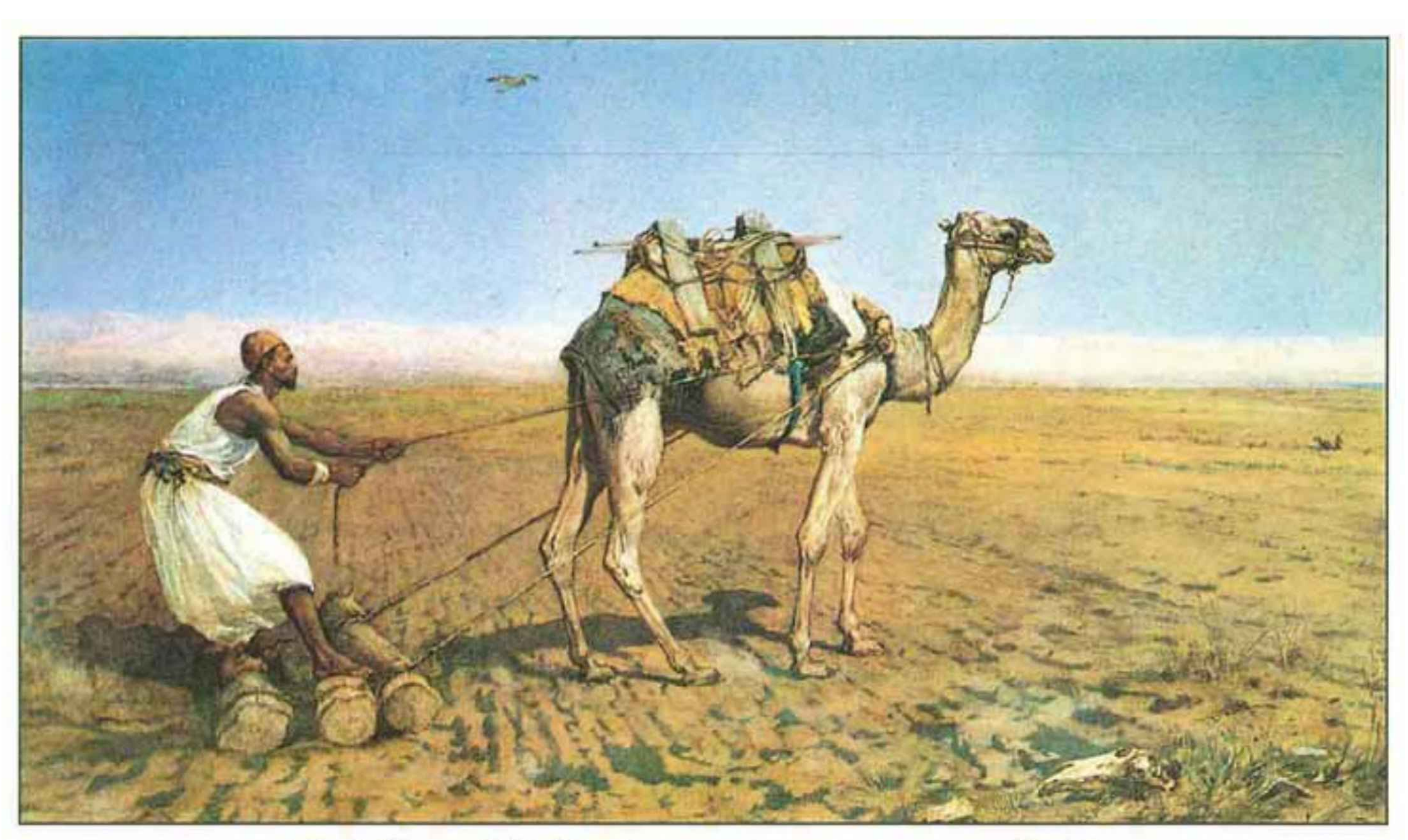
○ ○ ○

مؤلفات في الحوار:

- **فقه الكلمة ومسؤوليتها في القرآن والسنة**، محمد عبد الرحمن عوض (القاهرة، دار الأنصار: ١٣٩٩هـ) ١٩٨ص
- **علم البحث والمناظرة**، أحمد بن مصطفى بن خليل، طاشكبري زاده، تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري [الرياض، على نفقة المؤلف: ١٤٠٤هـ) ٢٩٦ ص
- **فن الحديث: أدب الاستماع والمناقشة والإلقاء**، عز الدين فراج (القاهرة، دار الفكر العربي: د.ت) ١٨٨ص
- **الجدل: على طريقة الفقهاء**، علي بن عقيل بن محمد، أبو الوفا البغدادي (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: د.ت) ٨٠ ص
- **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (دمشق، دار القلم: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨) ٤٧١ص.
- **قراءات في رؤوس محترق**، نجوى وهبي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٨م) ١٣٨ص
- **قواعد الأصول ومعاقد الفصول: مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل**، عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله(بيروت، عالم الكتب: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ٣٩٦ص.
- **المعونة في الجدل**، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي العميريني (الكويت، مركز المخطوطات والتراث: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧) ١٥٧ص.
- **أدب الحوار والمناظرة**، علي جريشة (المنصورة، دار الوفاء: ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ١٦٣ ص
- **آداب البحث والمناظرة**، محمد الأمين الشنقيطي (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية: ١٣٨٨هـ)
- **أدب الاختلاف في الإسلام**، طه جابر فياض العلواني (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية: ١٦٩ص) وطبعة ثانية (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالي للفكر الإسلامي: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)
- **تسهيل المنطق**، عبد الكريم بن مراد الأثري (القاهرة، مطابع سجلّ العرب: ١٩٨٤م) ٧١ ص.
- **رسالة في آداب البحث**، أحمد مكي (مصر، جمعية النشر والتأليف الأزهرية: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) ٣١ص.
- **تعليق على الرسالة الموضوعة في آداب البحث**، أحمد مكي (مصر، جمعية النشر والتأليف الأزهرية: ١٣٥٣هـ / ١٩٠٥م) ١٧٤ص.
- **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، زاهر ابن عواض الألمعي (الرياض، مطابع الفرزدق التجارية: ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ٤٧٩ ص.
- **المنطق عند الفارابي**، ٣ مجلدات، محمد بن محمد بن طرخان وآخرون (بيروت، دار المشرق: ١٩٨٥م)
- **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب (بيروت، دار إحياء التراث العربي: د.ت) ٦٥ص.
- **تاريخ الجدل**، محمد أبو زهرة (القاهرة، دار الفكر العربي: ١٩٨٠م) ٣٦٠ص
- **الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف**، ولي الله الدهلوي وعبد الفتاح أبو غدة «مقدم» (بيروت، دار النفائس: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ١١٣ص.



الشرق في عيون الغرب



فلاحة الأرض TILLING THE LAND - هايودهاردي - المدرسة البريطانية - رسم بالألوان المائية

دموع تضيء الليل

شعر: د. عدنان علي رضا النحوي

اسكبي الـــدمع ! لا يعيبك دمعٌ   وانثـــريه لآلئـــا وشمـــوعـــا

انثـــريـــه على الـــدروب مع الليل   أضيئي أحنـــاءنـــا والضلـــوعـــا

ونفـــوســـا كـــالتيـــه، كـــالليل، غـــاب النـــور عنهـــا وروّعت تـــرويعـــا

خـــدرٌ شلّهـــا فـــأهـــوت وأغفت   والليـــالي تمرّ عنهـــا سريعـــا

وبقـــايـــا الأحـــلام تـــرقـــد في الجفن   وتطـــوى سكينـــة وهجـــوعـــا

همســـــات تموت في هـــدأة الليل   ونجـــوى ودّعتهـــا تـــوديعـــا

***

كم قطيع يســـاق في الـــدرب يغـــو   نصبـــوا دونـــه المدى والنطـــوعـــا

وبقـــايـــا الأشـــلاء تنسفهـــا الـــريح   وتـــزوي حـــديثهـــا المفجـــوعـــا

والصـــدى لم يـــزل يمـــوج على الأفق   فيرتـــد من أســـاه صريعـــا

الثكـــالى ! يـــا للثكـــالى! دمـــوعٌ   وكبـــود تقطّعت تقطيعـــا

اسكبي الـــدمع! أين طفلك؟! أين الأهل؟! أين الـــرجـــال ؟! غـــابـــوا جميعـــا

اليتـــامى ! يـــا لليتـــامى! أنينٌ   غـــاب في زحمة الثغـــاء وريعـــا

الصبـــايـــا! يـــا للصبـــايـــا! ذئاب   وثبت شهـــوة عليهـــا وجـــوعـــا

***

يـــا ديـــار الإســـلام! أنى تلفّتُّ   تجرّعت غصّـــة وجـــزوعـــا

وخيـــام اللجـــوء تقـــذفهـــا الآ   فـــاق تـــرمي أفـــواجهـــا والجمـــوعـــا

غصّت الـــدرب والشعـــاب ومـــاج الموت فيهـــا جاجًا وضلـــوعـــا

ســـاحـــة يلعب الشقيّ عليهـــا   مجرمـــا ضـــلّ أو سفيهـــا خليعـــا

مـــلأ الظـــالمون أرضك يـــا دا   ر وكـــانت حمى أبـــرّ منيعـــا

المنـــايـــا تـــزاحمت والـــرزايـــا   حـــولها لم تـــزل تـــدك الـــربـــوعـــا

كل ليل سيطلع الفجـــر منـــه   تـــرقب الأفـــق لهفـــة والطلـــوعـــا

غمـــرات الـــدجى ستـــدفع أبطـــا   لا وتلقي مســـوّدًا وقـــريعـــا

يحملـــون القـــرآن هـــديـــا إلى النـــا   س ليعلـــوا لـــواءه المرفـــوعـــا



دمار شامل يهدد الجسر الحضاري الإسلامي في أوروبا

البوسنة والهرسك: وا إسلاماه..

بقلم: د. مرعي مدكور

هذه الجمهورية الوليدة أصبحت منطقة أهوال قصف لا يهدأ، ودمار شامل لكل ما هو إسلامي أو يذكّر بالفتح الإسلامي على يد محمد الفاتح - عام ١٤٦٣م - عندما استظل أهل هذه البلاد براية العدل والمساواة والطمأنينة بدخولهم الإسلام..

وأصبح الخطر هذه الأيام لا يقتصر على ثقافة إسلامية تُهدّد: مكتبات تدمر، أو مدارس تغلق، أو مخطوطات نادرة تتلف، أو مساجد تهدم، أو لغة



تستبدل، أو أسبلة تُزال،

فالمسألة محاولات إبادة شاملة لذلك الكيان الإسلامي الذي اعترف به العالم جمهورية مستقلة اسمها «البوسنة والهرسك»..

وها هو رئيسها المسلم علي عزت بيجوفيتش يستحث العالم على الوقوف في وجه هذه البربرية الصربية التي تدكّ المدن وأهلها في مذابح وحشية لم تشهدها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية؛ ولكن القذائف لا تهدأ، والنتيجة:

- **أكثر من مليون لاجئ فرّوا من الدمار**
- **قُتل أكثر من ٧ آلاف شخص**
- **وآلاف المفقودين**
- **والتهجير القسري في ازدياد لتغيير بنية سكان البلاد**

و... و... والتفاصيل مريرة.

أسوأ مذابح في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية تُرتكب الآن ضد مسلمي البوسنة والهرسك



جسر حضاري

لكن ماذا جرى لهذه الجمهورية الوليدة ذات التاريخ الإسلامي العريق والتي اشتهرت بأنها الجسر الحضاري الإسلامي في أوروبا؟

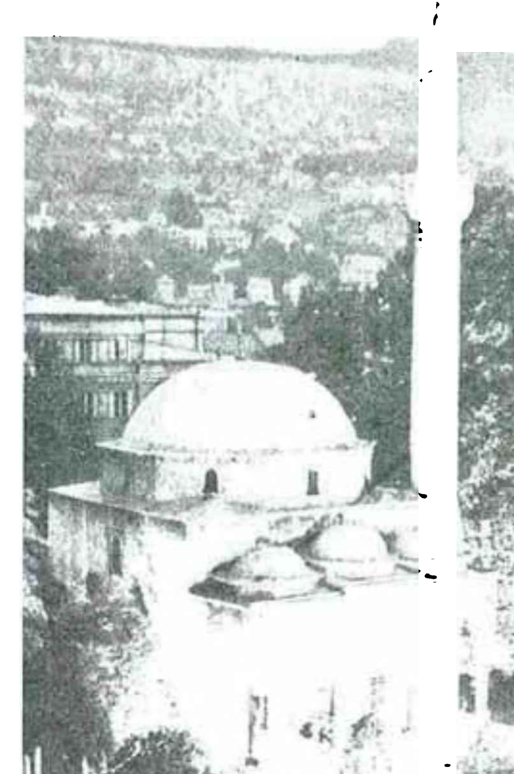
ولماذا ينفجر العنف والحقد ضد شعب ذنبه - كل ذنبه - أنه مسلم؟

ولماذا هذه المذابح الوحشية في مدن متعددة في البوسنة والهرسك: «كولاجراد»، و«دوبوي»، و«أوجاي»، و«جنياسيا»، و«بيباش»، و«سراييفو»؟

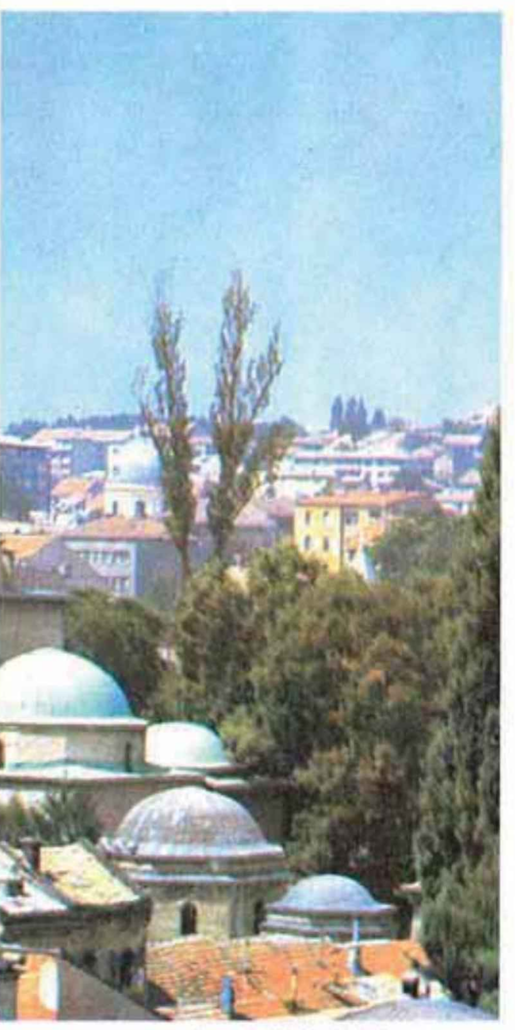
ولماذا تصرّ جمهوريتا الصرب والجبل الأسود على دك العاصمة سراييفو ذات التاريخ الإسلامي العريق؟

لقد قامت يوغسلافيا (سابقا) في أعقاب الحرب العالمية الأولى على أنقاض إمبراطورية النمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية بموجب معاهدتي سان جرمان وتريانون (١٩١٩ - ١٩٢٠م) وسيفر (١٩٢٢م) وذلك باقتطاع سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وضمها إلى دولتي الصرب والجبل الأسود اللتين كانتا قائمتين قبل الحرب العالمية الأولى، حيث أعلنت الدولة اليوغوسلافية، وإثر الحرب العالمية الثانية أحكم الشيوعيون قبضتهم على البلاد، ومنذ تولى الصربيون أمور البلاد وهم ينكلون بالمسلمين (الأتراك كما يسمونهم) حتى ذاق المسلمون ألوانا من العذاب والقهر، ومع ذلك لم يتركوا دينهم ولم يرضخوا لمحاولات الشيوعيين زحزحتهم عن الإسلام، حتى إن رئيس الجمهورية الحالي للبوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش ذاق مرارة السجن عدة سنوات قبل توليه أمور البلاد ولا يزال يصرخ:

- بلادنا تتعرض لدمار شامل !!



مسجد علي باشا - سراييفو

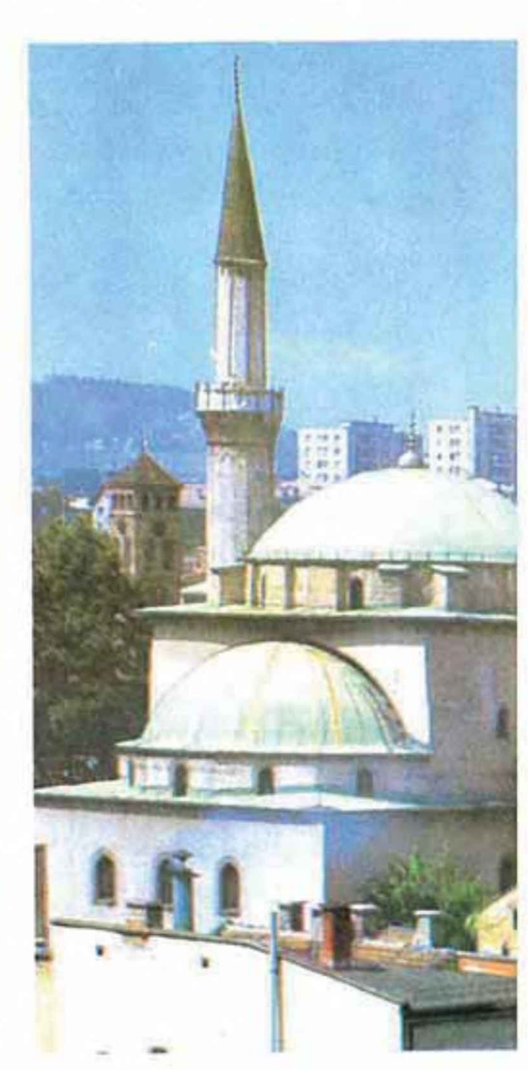


جامع السلطان ومكتبة غازي خسرو بك

مدينة شرقية :

في أوروبا يطلقون على «**البوسنة والهرسك**» اسم «البلاد الشرقية»، فهذه المنطقة التي تقع على ارتفاع ٦٩٣ مترا فوق مستوى سطح البحر؛ بشلالاتها وبناياتها؛ تشعرك بأنك في قلب الشرق العربي المسلم..

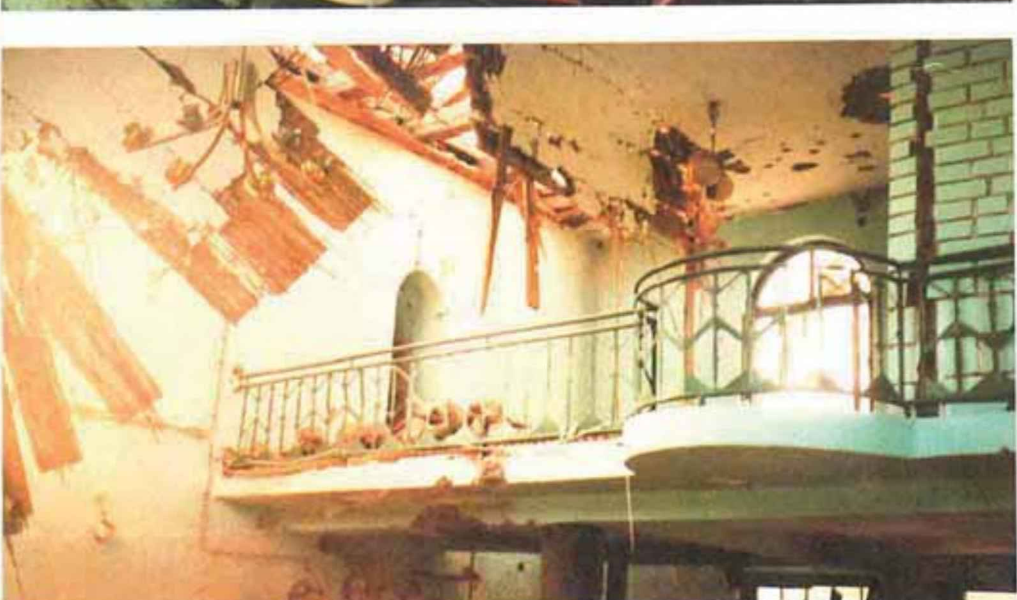
وكيف لا وقد عاش فيها - على مدى قرون - العرب والترك والسلافيون جنبا إلى جنب منذ أن أصبحت جزءا من الدولة العثمانية؛ دولة الخلافة وقتذاك؛ وعاصمتها سراييفو «**مدينة الجوامع الأوروبية**» التي أخذت اسمها من اسم أشهر مبانيها



باللغة التركية قصر «السراي» - أو قصر الحكومة - وأصبحت بالفعل قطعة شرقية في أحضان واد متسع على نهر درينا، تمتاز بطرازها المعماري الإسلامي حيث المساجد والجوامع القديمة والمآذن المتعددة التي تشق الفضاء، وأسواقها التي صممت على الطراز العربي الإسلامي..

ورغم تسامح مع أهل البلاد وحسن معاملتهم؛ إلا أن الصربيين يحاولون طمس هوية شعب أهل البوسنة وتاريخه، مع أن صربيا على مدى تاريخها خضعت لسيطرة قوى أجنبية عديدة [النمسا / المجر / إيطاليا / فرنسا] **ولم تشهد أكثر عدلا من الحكم الإسلامي عندما خضعت البلاد للدولة العثمانية التي قررت ضم «صربيا» و «البوسنة» إليها ضماً نهائيا واعتبارها ولاية عثمانية يطبق عليها** القانون العثماني وتُعفى من الجزية..!!



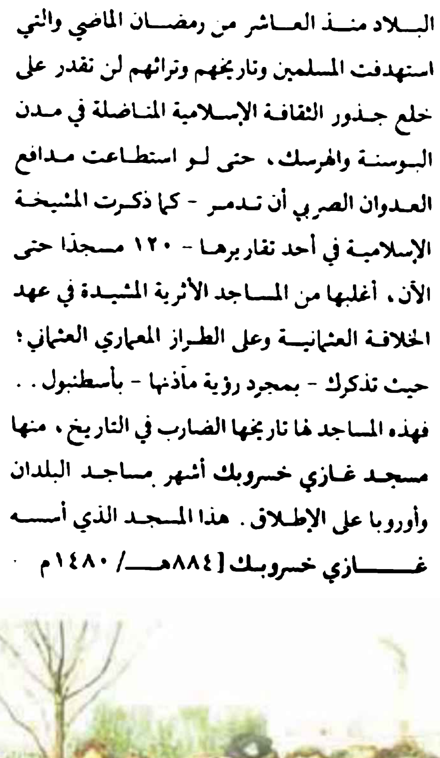


صورة من داخل مسجد مدمر

إنهم يحاربون أهل البوسنة والهرسك بالأسلحة جميعها؛ بالإضافة إلى الأدب ومحاولات تغيير اللغة؛ مع أن الأدب رؤية إنسانية للحياة من أجل السمو بها..

فهذا الأديب الصربي «**إيفو أندريتش**» الحائز على جائزة نوبل في الأدب (١٩٦١م) في روايته «**جسر على نهر درينا**» - نقلها إلى العربية في جزأين **الدكتور سامي الدروبي** - يسخر من العثمانيين بدرجة عدوانية، ويزيد على ذلك أن يدخل بشكل مباشر ميدان الحرب على اللغة البوسنوية لغة المسلمين في البلاد، وعندما يتم تكليفه رسميا بوضع قواعد علم النحو في يوغوسلافيا (سابقا) يشطب عنوان كتاب «**قواعد علم النحو للغة البوسنوية**» ويضع بديلا له: «**قواعد علم النحو للغة الصربوكروانية**»!! **مع أن اللغة البوسنوية هي** لغة الأغلبية المسلمة في البلاد، وتُعد - اللغة - عند أهل البوسنة والهرسك ومسلمي الجمهوريات الأخرى التي انفرطت من الاتحاد اليوغوسلافي مرادفة للدين..

وكيف لا واللغة البوسنوية كما يذكر قاموس






المستشرق عبدالله شكاليتش [الألفاظ التركية في اللهجات الشعبية والأدب الشعبي لمنطقة البوسنة والهرسك] تضم أكثر من نصف الكلمات الأجنبية كلمات عربية، بل إن القاموس المذكور يحتوي على ٣٨٠٠ كلمة من أصل عربي من محتواه الاجمالي البالغ ٦٥٠٠ كلمة..



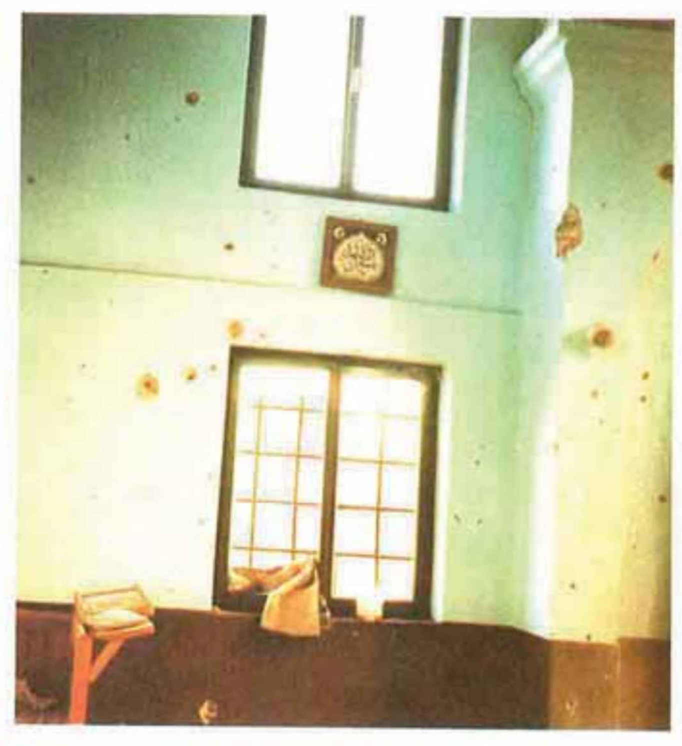

البحث عن حرية

وفي ظل المنغصات التي تكدّر صفو حياة المسلمين هناك؛ كان لا بد للأدباء المسلمين أن يقوموا بدورهم في التعبير عن هذا الاضطهاد المستمر والكبت لكل ما هو إسلامي أو يذكّر بالأتراك (كما يقول الصربيون عن المسلمين)، فقد ظهرت أصوات شعرية تؤمن بقضيتها العادلة وتعبر عنها؛ منها: علي أفندي نامتاك، ومحمد أفندي بانجا، وصالح علي، وكامل سباريتش، وجميلة خانم زكيتش وغيرهم، أما في الرواية فقد برز مينشاسليموفتش بروايته (الدرويش والموت) [١١] التي تصور ما كان يعانيه المسلمون هناك تحت القهر الشيوعي من خلال الشيخ أحمد نور الدين؛ الذي يخدم الدين بشرف وأمانة؛ والغليان الداخلي في نفس الشيخ عندما يتم القبض على أخيه بتهمة لا يعرفها، حيث تتضمن الرواية في نسيجها - ودون إقحام - آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة تخدم العمل وتجعل الرواية في مقدمة الأدب الذي يؤدي دورًا ويحمل قضية يدافع عنها دون زعيق أو هتاف ويعبر عن سماحة الإسلام أفضل تعبير..

ثقافة إسلامية

النيران التي فُتحت - ولا تـزال - على أهل البلاد منذ العاشر من رمضان الماضي والتي استهدفت المسلمين وتاريخهم وتراثهم لن تقدر على خلع جذور الثقافة الإسلامية المناضلة في مدن البوسنة والهرسك، حتى لو استطاعت مدافع العدوان الصربي أن تدمر - كما ذكرت المشيخة الإسلامية في أحد تقاريرها - ١٢٠ مسجدًا حتى الآن، أغلبها من المساجد الأثرية المشيدة في عهد الخلافة العثمانية وعلى الطراز المعماري العثماني؛ حيث تذكرك - بمجرد رؤية مآذنها - بأسطنبول..
فهذه المساجد لها تاريخها الضارب في التاريخ، منها مسجد غازي خسروبك أشهر مساجد البلدان وأوروبا على الإطلاق. هذا المسجد الذي أسسه غازي خسروبك [٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م





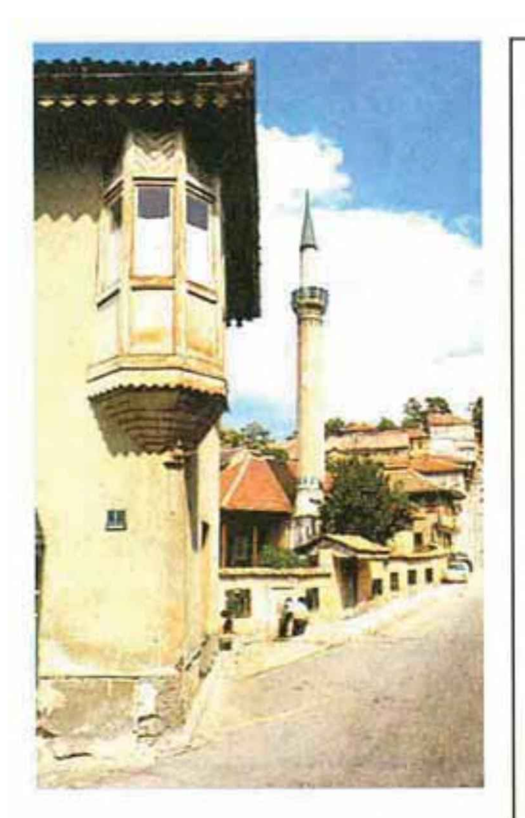
٩٤٨هـ/ ١٥٤٤م] الحاكم التركي في البوسنة، حيث يعد المسجد مجمعا فكريًا يضم المكتبة الشهيرة المعروفة باسم «مكتبة غازي خسروبك» والتي تعد أغنى خزينة للمخطوطات الشرقية الثمينة في أوروبا حيث تضم أكثر من ٦٥٠٠ مجموعة من المخطوطات تشتمل على حوالي خمسة عشر ألف مؤلف و ١١١٩٢ كتابًا مطبوعًا باللغات الشرقية، ووصايا وقفية ووثائق وسجلات ودفاتر وخرائط جغرافية قديمة . .

يضم المجمع أيضا مدرسة وخانقاه (مكان لأداء الفرائض والتعليم) وكُتَّاب وتكية (مطعم عام) لإعداد الخبز والطعام اللذين يوزَّعان على طلبة المدرسة والكتّاب وموظفي الأوقاف . .

دمار . . ولكن :

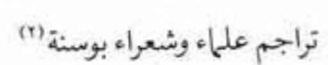
لقد زادت حمّى الحرب الهمجية المجنونة من الصربيين ضد مسلمي البوسنة والهرسك عن حدّها، وأصبح الفزع يسيطر على كل مسلم في العالم خوفًا على أهل البلاد من الدمار الذي حلّ بهم والذي حوّل هذه المنطقة إلى أكبر مسرح للإرهاب المنظم الذي يحاول اجتثاث الإسلام من هذه الجمهورية التي تُعد الجسر الحضاري الإسلامي لأوروبا . .





كلمات عربية في اللغة البوسنوية

كاتب	'Catip
كتان	'Ceten
كتاب	'Citab
كُفار	'Cufari
دائما	daima
دائرة	daira
دقيقة	dekika
دليل / مرشد	delil
درجة	dera'za
درس	ders
دقة	dikat
جماعة	d'zemat
جريدة/ صحيفة	d'zereda
جهاد	džihad
صلاة الجمعة	džuma
أهل الكتاب	ehli-Kitab
أمير	emir
أمر الله	emri-ilahi



تراجم علماء وشعراء بوسنة(٢)

كتب الشيخ محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسنوي المعروف بـ (الخانجي) كتابًا أسماه : الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة»(٣) أورد فيه تراجم لعلماء وشعراء بوسنويين، منهم :

- **بالي أفندي بن يوسف البوسنوي** : كان قاضيا، وتوفي سنة ٩٩٠هـ .
- **توكلي ده** : شاعر، ومن تلاميذه الشاعر المشهور دبره لي وجدي .
- **ثابت علاء الدين البوسنوي** : شاعر له ديوانان ومنظومة سماها (ظفر نامه) يصف فيها حرب المسلمين مع الكفار .
- **جعفر عياني بك** : له مؤلفات؛ منها (غزوات ترياكي حسن باشا) و (نور نامه) في سيرة الرسول، و (نصائح الملوك) وغيرها . .
- **حبيب دده البوسنوي** : شاعر له «ديوان» مشهور بين ظرفاء الزمان، وله (منظومة المثنوي الصغير . .)
- **درويش باشا بن بايزيد أغا الموستاري** : له ديوانان شعريان، توفي سنة ١٠٠٢هـ .
- **رستم بك بن علي باشا رضوان بك زاده** : شاعر؛ تولى ولاية بلاد الهرسك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر .
- زكريا حسين فاطر : اشتغل بطلب العلم وأنجز فيه كثيرًا وكتب عدة أعمال إبداعية .
- **سيف الله أفندي** : فقيه له ثلاث وثلاثون مصنفًا في الفقه واللغة وتعليم اللغة العربية . . توفي سنة ١٣٣٥هـ .

هوامش :

(١) رواية «الدرويش والموت» لميشا سليموفيتش، تعريب حسين عبداللطيف، أحمد سهاطوفيتش، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

(٢، ٣) المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة، محمد بن محمد بن محمد بن صالح البوسنوي المعروف بـ (الخانجي)، طبع مجلة الأزهر : ذو الحجة ١٤١٢هـ

الإسلام بين الشرق والغرب

تأليف: علي عزت بيجوفيتش (رئيس جمهورية البوسنة والهرسك)

عرض: د. محمد عبد العليم مرسي

الكتاب الذي نقدمه اليوم لواحد من أبناء هؤلاء المسلمين العظام الذين تمسكوا بدينهم، وعانوا في سبيل حمل راية الإسلام العظيمة، مهما أصابهم من ظلم واضطهاد.

مؤلفه: علي عزت بيجوفيتش الرئيس الحالي لجمهورية البوسنة والهرسك.

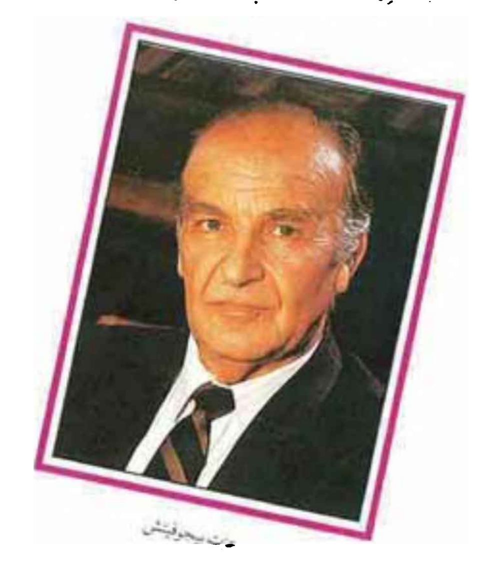
لقد ذاق المؤلف عذاب الاضطهاد خلف جدران السجون بسبب تمسكه بعقيدته، وما زاده ذلك إلا إيماناً وتسليماً.

يقول ناشر الكتاب (American Trust Publications): لقد نشرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٨٤م، ومنذ ذلك الحين ونحن لم نسمع عن المؤلف شيئاً بزعم أننا ننشر الكتاب للمرة الثانية في ديسمبر من عام ١٩٨٩م، لم نسمع أنه قد أطلق سراحه من سجن سراييفو في يوغسلافيا.. (التي كانت قبل تفككها مؤخراً..)

لقد توقع المؤلف سقوط الشيوعية حتى قبل ظهور مد التغييرات التي وقعت في شرق أوروبا، ولقد كان تقديره للموقف هناك قائماً ومبنياً على فرضية مؤداها أن الحياة، ذات قطبين، أو ثنائية Bipolar، وأن أي جهد لفك هذه الثنائية سوف يهدد البشرية ويؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار، بل ويهدد الوجود ذاته. هذا وإن ما يقلقنا حقاً هو الظلم الواضح في قصة مؤلفنا. فالرجل الذي ناضل من أجل التغيير والذي توقع ما يجري الآن وما جرى من قبل، يبقى سجيناً، بينما شعبه يحتفل بحريته. وهو الآن رئيس جمهورية البوسنة والهرسك، بعد أن تفككت يوغسلافيا وانهارت، واختاره شعبه رئيساً له.

مؤلف هذا الكتاب من الإسلاميين المجاهدين في سبيل ديننا العظيم. ولد عام ١٩٢٥م في البوسنة من أسرة مسلمة، ونال تعليمه في «سارابيفو»، وحصل على شهادات في القانون والفنون والعلوم، وكرس وقته وجهده لخدمة الإسلام في مجالات الكتابة وإلقاء المحاضرات، ونتيجة لهذا النشاط حكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات عام ١٩٤٩م، وخاصة بسبب نشاطاته مع منظمة الشباب المسلم، والتي كانت تمارس نشاطاً ملحوظاً في مجال التربية وتحسين شؤون المسلمين.

وبعد خمسة وعشرين عاماً من العمل في مجال الاستشارات القانونية تقاعد الرجل وكرس وقته وكل طاقته للكتابة عن الإسلام والفلسفة. وفي شهر مارس من عام ١٩٨٣م اعتقل من جديد مع اثني عشر من المفكرين الإسلاميين وحوكموا محاكمة شبه سرية أمام محكمة في سارابيفو، وقد حكم عليه بالسجن لمدة أربعة عشر عاماً، خفضت فيما بعد (عام ١٩٨٤) إلى اثني عشر عاماً..!!



عزت بيجوفيتش

عن الكتاب:

يقع الكتاب في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع العادي، ويشتمل على جزأين كبيرين يضمان أحد عشر فصلاً. **الجزء الأول** يتعلق باعتبارات عن الدين، وقد اشتمل على فصول ستة عالج فيها المؤلف موضوعات عن: الخلق والتطور، الثقافة والحضارة، ظاهرة الفن، الأخلاقيات والفضائل، الثقافة والتاريخ، الدراما المسرحية والمدينة الفاضلة.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد خصصه كاتبنا للإسلام والوحدة الثنائية حيث عالج في الفصول الخمسة الباقية هذه الموضوعات: موسى - عيسى - محمد (عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم) الإسلام والدين، الطبيعة الإسلامية للقانون، أفكار وحقيقة، الطريق الثالث خارج الإسلام.

يقول المؤلف: إن كتابه ليس كتاباً في علم الأديان، ولكنه يتعامل مع المبادئ، العقائد، ومع المؤسسات، ومع تعاليم الإسلام بغرض توضيح مكانة الإسلام بين الطيف المكون للأفكار العظمى. إنه يمثل نظرة للإسلام من الخارج أكثر من نظرة إليه من داخله. وبهذا المعنى فإن موضوع الكتاب ليس عن الإسلام كمعلم البشرية ولكن عن نظرة الإسلام للعالم.

إن العالم الحديث يتصف بحدة التناقضات الموجودة بين مذاهبه، وجميعنا منغمسون في هذه العملية، بصورة أو بأخرى، سواء كنا من المصدرين لهذه المذاهب أو من ضحاياها. والسؤال

الذي يعنينا هنا هو عن وضع الإسلام ومكانته في هذه المواجهات الهائلة. هل له مكان ونصيب في تشكيل العالم المعاصر...؟ إن هذا الكتاب يحاول أن يجيب على هذا السؤال، في جزء منه على الأقل.

في الفصل الأول والمعنون بالخلق والتطور يضع المؤلف العلم أمام الدين، ويربط بين نظرية داروين «النشوء والارتقاء» وبين العلم حين تحدثت عن أصل الإنسان وكيف أنها سادت لفترة طويلة على أساس أن «الإنسان ابن الطبيعة» Man is the child of nature بينما الدين يقول بغير ذلك حيث إن الله، جلت قدرته، خلق الإنسان هكذا فجأة، ودون الحاجة لانتظار أن يتطور من خلال الطبيعة.

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك لسؤال بعيد عن أصل الإنسان، ليسأل عن ماهية الإنسان ذاته، وهل هو جزء من هذا العالم أم هو شيء مختلف عنه، ويقول بأن الماديين يقولون إن الإنسان هو «الحيوان الكامل أو المثالي The Perfect animal» ومعنى هذا أنهم يقولون بأن الفرق بين الإنسان والحيوان هو فرق في الدرجة وليس فرقا في النوع، وأن كل ما يميز هذا الإنسان عبر تاريخه الطويل هو العمل، والذي يقوم به في ظل ظروف البيئة المحيطة به كما قال بذلك «فريدريك انجلز Friedrich Engels» الذي يخلص في النهاية إلى القول بأن الإنسان — في نظره — لا يعتبر شيئا على الإطلاق، كما أنه غير قادر على إبداع شيء، بل إنه على العكس تماما من ذلك حيث إنه هو ذاته عبارة عن نتيجة لعدد من الحقائق التي لا دخل له فيها، ثم يمحص المؤلف مقولة «داروين» عن تطور الإنسان من أدنى المخلوقات الحية إلى الكائن الذي نعرفه والذي أصبح بإمكانه — بعد التطور — أن يتحدث، ويخترع الآلات، ويمشي منتصب القامة، ولكن الروح غائبة وبالتالي فإن الحس البشري مختف.

وينقل بنا **عزت بيجوفيتش** من «العلم» كما يلتمسه الداروينية، إلى الفن كما ظهر في أعمال الإغريق في الدراما، ورؤية **دانتي** للجنة والنار، ولنقوش الإفريقية الروحية، ولأعمال الفنانين اليابانيين القدماء، وكذا الماليزيين، بل وحتى الرسوم الزيتية الحديثة، حيث نجد أن كل هذه الأعمال التي ذكرناها دون ترتيب تاريخي معين تشهد بشيء غريب وكله ضد نظرية **داروين** عن الإنسان الذي حاول أن يقدمه لنا.

إن هذه الأعمال تعكس في النهاية فكر الإنسان عن «دين للخلاص A religion of Solvat...» ومعظم هذه الأعمال تتحدث عن خوف بين البشر، وإذا كان الإنسان هو ابن الطبيعة أو ثمرتها كما يقول الداروينيون فلماذا هو خائف ولماذا يفكر في شيء أبعد منها... في حياة بعد الموت...؟!

الفضيلة والأخلاق يُقرّان عمل البطل الذي يقف في جانب العدل والعفة والطهارة، حتى لو هُزم ..

ذلك يقودنا إلى الاستنتاج بأن الصورة التي حاول من يقولون بالعلم أن يرسموها هي صورة مشوهة وغير مكتملة على الإطلاق، والعلم بهذا الشكل الذي صوره به أصحابه هو على طريق يتصادم تماما مع الفن الذي يعبر بالفعل عن أحاسيس البشر وفطرتهم.

وجاء الفصل الثاني بعنوان الثقافة والحضارة، وفيه ركز المؤلف على نقطتين تاريخيتين هامتين هما: الآلة الأولى التي توصل الإنسان لصنعها والمعتقد الأول. أما الآلة الأولى في حياة الإنسان فكانت قطعة من الخشب أو قطعة من الحجر حاول تهذيبها أو تشذيبها. واستخدام الإنسان هذه الآلة، ولغيرها من الآلات بعد ذلك يمثل استمرارا للتطور البيولوجي للإنسان، وهذا الاستمرار أمر خارجي عنه يمكن قياسه، كما أنه يمكن تتبع تطوره تاريخيا في حياة الإنسان من أيام بدايته حتى وصوله لما وصل إليه الآن.

وخلال هذا الفصل يأتي المؤلف بفكرة فلسفية جديدة تماما عن الثقافة Culture حين يعود بها إلى خارج هذه الدنيا، إلى السماء، حيث نشأت مع الإنسان قبل أن يهبط منها إلى الأرض، فهي قد بدأت هناك في الجنة، وكان معها — كما يقول في صفحة ٤٤ من الكتاب — الدين والفن والأخلاق والفلسفة، وهذه الثقافة سوف تظل دائما تتعامل مع الإنسان على أساس أصله الذي جاء منه أي الجنة.

أما الحضارة فهي استمرار للجانب الحيواني في الإنسان، للتبادل المادي بين الإنسان والطبيعة، وفي هذا الجانب تختلف حياة الإنسان عن حياة الحيوان ولكن هذا الاختلاف اختلاف في الدرجة فقط والمستوى والتنظيم، حيث إن أفراد الجنس البشري يتبنون منتجات الطبيعة ويغيرونها — بأعمالهم — طبق حاجاتهم ومطالبهم، ومن هنا فإننا يمكننا القول بأن الثقافة عبارة عن تأثير الدين على الإنسان، أو تأثير الإنسان على نفسه، بينما الحضارة عبارة عن تأثير الذكاء البشري على الطبيعة، أو على العالم الخارجي... الخارجي على الإنسان بطبيعة الحال.

وثقافة الإنسان تتعلق بالأديان والمعتقدات والدراما والشعر والمباريات والفولكلور والقصص الخيالية والجوانب الأخلاقية والنواحي السياسية والحرية والفلسفة وكذا بالمسارح والمعارض والمتاحف والمكتبات. أما الحضارة فهي استمرار الجوانب التقنية أكثر من التقدم الروحي، ولذا فهي تمثل تطورا للقوى الكامنة في العنصر البشري من قديم الزمان... إنها — باختصار — استمرار للجوانب الطبيعية والعوامل الميكانيكية البعيدة عن الإحساس، ولذلك فإنه يمكننا القول بأن الحضارة لا يمكن أن نصفها بأنها سيئة أو بأنها جيدة في ذاتها. إن الإنسان يجب أن يؤسس هذه الحضارة، بالضبط بمثل تنفسه الهواء أو بمثل أكله الطعام. إنها تعبير عن ضرورة، كما أنها تعبير عن الشعور بنقص الحرية، وعلى العكس من ذلك نجد أن الثقافة تمثل الإحساس الدائم بالحرية والتعبير عن حرية الإنسان.

ويخصص الكاتب فصله الثالث للحديث عن الفن والعلم، ويقول إنهما مختلفان عن بعضهما تماما، حيث إن أحدهما — العلم — يتعامل مع الطبيعة والمنطق والرياضيات، بينما الفن عكس الطبيعة، وعكس العلم، بل وعكس جميع

مظاهرها البيولوجية وبالتالي عكس كل ما جاء به «دارون»، والفن في ذلك مثل الدين والأخلاق، وربما كان هذا هو سبب رفض دارون وأتباعه لكل ما هو ديني، بل ولكل ما هو أخلاقي أو حتى قانوني.

الأخلاق والفضيلة

يبدأ المؤلف هذا الفصل - الرابع - بالحديث فيه عن أن «الواجب والمصلحة Duty and interest متعارضان، وأنهما يشكلان القوتين اللتين تحركان كل نشاط إنساني، وأنه ليس هناك مجال للمقارنة بينهما. إن الواجب يأتي دائما بعد المصلحة، والمصلحة لا علاقة لها بالفضيلة. والفضيلة ليست وظيفية كما أنها لا تتمشى مع أحكام المنطق. وكمثال على ذلك يقول الكاتب لو أن شخصا ما غامر بحياته ذاتها فدخل إلى منزل جاره المحترق وحاول إنقاذ ابنه الصغير، ثم خرج وسط الركام المشتعل وهو يحمل الطفل الصغير الذي - للأسف - فارق الحياة، هل يمكن أن نتوقف هنا لنفلسف الأمور ونقول إن ما فعله لا يساوي شيئا لأنه لم ينجح فيما هدف إليه..؟ بالعكس إن الفضيلة هنا هي التي تعطي قيمة لهذه التضحية التي قد يتصور بعض الناس أنها كانت بلا نتيجة، لهذه المحاولة الفاشلة.

إن الفضيلة هنا والأخلاق يقدران عمل البطل الذي يسقط لأنه يصر على البقاء في جانب العدل والعفة والطهارة، حتى وإن هزم أمام الدنيا التي ربما لا تأبه إلا للمنطق والنعيم والملذات.. الخ

إننا نفرق بين العالم الخارجي، حيث نقوم بما ينبغي علينا القيام به، وحيث يوجد الغني والفقير، والذكي والغبي، والمثقف والبدائي، والضعيف والقوي، وبين العالم الداخلي الذي يتمثل في الحرية والمساواة في الفرص، وهذه الحرية تامة وكاملة لأنها لا تحدها حدود طبيعية أو مادية، وهي تعبر عن نفسها في النية والرغبة، حيث يحلم كل إنسان في أن يعيش في توافق مع ضميره طبقا لبعض القوانين الأخلاقية، وهذا البعد يكون سهلا ولا ميسورا بعض الناس ولكن كل إنسان يعجب بالصلاح والاستقامة، وكثير من الناس ليس لديهم القدرة على مواجهة الظلم، ولكن كل إنسان يكره الظلم ويستنكره ولو حتى في داخله. وفي هذه الحقيقة يكمن معنى التوبة، حيث إنه ليس من طبيعة البشر أن يكونوا كاملين وبالتالي غير خطائين فأن يخطئ الإنسان وأن يتوب فمعناه أن يكون إنسانا، وكم هي الأمور التي أتيناها وكنا نتمنى أنا لم نفعلها، وكم هي الأمور التي رغبنا في عملها ولكننا تقاعسنا عنها.. ولذلك نقول إن هناك عالمين مختلفين: عالم القلب وعالم الطبيعة. رغبة في داخلنا حتى وإن لم نحققها، وقد عشناها في قلوبنا بحيث كادت أن تعتبر حقيقة نشعر بها ونحسها، وصنيع حدث دون قصد أو نية في عالم الطبيعة، ولكنه لم يمسنا في داخلنا. أو لم يهزنا من الداخل.

الخير والشر موجودان داخل الإنسان، وحساب الشخص لنفسه يجيء بتأثير ديني..

إن السؤال حينئذ الذي علينا مواجهته هو: **هل الأعمال التي نأتيها نحاسب عليها على أساس نياتنا وضمائرنا، أم على أساس النتائج المترتبة عليها؟** ويجيب الكاتب فورا بأن الحساب على أساس النيات والضمائر هو رسالة الأديان، بينما الحساب على أساس النتائج هو شعار كل أيديولوجية أو ثورة، وواضح أن الاختلاف الأساسي بين الجانبين والتعارض بينهما أزلي، ويبقى القول بأن الخير والشر موجودان داخل الإنسان ﴿وهديناه النجدين﴾.

وحتى نهاية الفصل يحدثنا المؤلف عن العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والدين، وعن الصالح العام والفضيلة وكيف أن الذين رفعوا شعار الصالح العام عبر التاريخ أضاعوا – إلى حد بعيد – الفضيلة في طريقهم، لأنهم اهتموا بالمصالح، ونسوا الواجبات.. أو تناسوها بمعنى أصح.

الثقافة والتاريخ

هو عنوان الفصل الخامس الذي تحدث فيه المؤلف عن تاريخ الإنسان وبين خطأ القائلين بأن التاريخ البشري والثقافة الإنسانية يبدآن من الصفر، كما أن هذا التاريخ وهذه الثقافة لا يسيران في خط مستقيم. ويبين لنا المؤلف صفات معينة لبعض قبائل ما قبل التاريخ.

ويقول إن كل أنواع النزاعات التي كانت تقع بين بعض الأفراد فيها كانت تحل بواسطة المجتمع البسيط كله، سواء في نطاق ضيق أو على نطاق واسع، ولم يكن هناك فقير بينهم أو محتاج، وكانوا يعرفون مسئولياتهم وواجباتهم تجاه كبار السن وتجاه المريض، وكذا تجاه العجزة أو المصابين في الحروب، فكل فرد يعرف حقوقه وواجباته، والجميع متساوون وأحرار بما فيهم النساء، ولم يكن هناك مكان للعبيد، فلم تكن القبائل قد عرفت بعد عملية إخضاع الغير لسلطانهم.

إن كل هذه المظاهر والقيم التي تتمثل في القبائل والعشائر البدائية التي لم تمسسها المدنية الحديثة قد لاقت إعجابا كبيرا واحتراما من جانب الأفراد البيض الذين أتيحت لهم فرص للتعرف على أفراد في أمريكا الشمالية مع الهنود الحمر، وفي ماليزيا، وفي تاهيتي والهند.. وأفريقيا حيث بدا لهم أفراد هذه القبائل وهم يشعرون بكرامتهم واستقلالهم وقوة شخصياتهم وشجاعتهم.. برغم أن هؤلاء البيض كانوا يصفونهم بأنهم «برابرة»!! والواقع أن لفظ «البرابرة» هذا اختراع أوروبي سخيف، كما قال بذلك «بيوترو بيوس» في كتابه «طفولة الإنسان The childhood of Man».

إن التاريخ قد كتب بواسطة «الشعوب المتحضرة»، وهو بالقطع تاريخ فيه الكثير من التعصب ضد «البرابرة». إن هؤلاء «البرابرة» نتحطم قيمهم ونصعف الأمور الطيبة فيهم باحتكاكهم «بالمتحضرين». لقد دمرت كثير من معاقل هذه العشائر بواسطة من نسميهم «متحضرين» وخربت مدنهم وقراهم بواسطة من يدعون المحافظة على «الحضارات القديمة»، بل ونهبت ممتلكاتهم كذلك، وفرضت عليهم أمور هي أبعد ما تكون عن المدنية أو التحضر اللذين يدعيهما الجنس الأبيض، ولعلنا سنترجم ما فعله الأوربيون (المتحضرون) مع

قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، ومع الأزتك في أمريكا الجنوبية.

الدراما واليوتوبيا (المدينة الفاضلة):

وفي الفصل السادس يناقش باحثنا الفيلسوف فكرة الشر. وهل يأتي من داخل الإنسان أو من خارجه. من الخارج أي من الظروف المحيطة بالإنسان، أم من الداخل. أي من داخل الجزء المظلم في الروح البشرية. ويجيب هو على ذلك من البداية قائلا: إن المؤمنين يعلمون أن الشر والخير متصمنان في الإنسان ذاته - وقد سبق تأييد ذلك من القرآن الكريم ﴿وهديناه النجدين﴾ - وأن جهاد الإنسان ينبغي أن يكون موجها نحو داخله على التوبة والندم على الخطيئة، وجهاد موجه للجسم على شكل التقشف والزهد في متاع الحياة الدنيا.

وفيما يتعلق بعنوان هذا الفصل فإن الدراما حدث وموقعها في الروح البشرية Human Soul، أما اليوتوبيا فموقع حدوثها في المجتمع البشري Human Society إن «الدراما» هي أعلى شكل من أشكال الوجود الممكنة في عالمنا هذا، بينما «اليوتوبيا» حلم أو رؤية بهجة منصورة على الأرض.

والواقع أنه لا توجد دراما في تلك اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة، والعكس صحيح، أي لا توجد يوتوبيا في الدراما كذلك، ومعنى ذلك أن يكون هناك عداء بين الإنسان والعالم، أي بين الفرد والمجتمع، وببساطة شديدة يقول المؤلف: إن الدراما تتعامل مع الإنسان، واليوتوبيا تتعامل مع المجتمع، وكنموذج لليوتوبيا البشرية ننظر لما صوره أدعياء الشيوعية، فطبقا لماركس فإن الشيوعية هي آخر مراحل التطور التاريخي للبشر، حيث ستكون هناك وفرة في المنتجات لكل إنسان، وفرة مادية (ولا يزال الفقراء يعيشون مرحلة انهيار الشيوعية ودولتها التي أضاعت من عمر مجتمعها حوالي ثلاثة أرباع القرن، وانتهت به وهو لا يجد ما يقتات به أو ما يقتاته وصار يمد يده لمن كان يهاجمهم قبل ذلك، يطلب منهم معونات للغذاء.. مجرد الغذاء).

وهناك بطبيعة الحال «يوتوبيات سياسية Political Utopias»، وقد بدأت من عهد أفلاطون مرورا بـ: توماس مور، توماس كامبانيلا، فرانسوا فوربيه، سانت سيمون، روبرت أوين، وماركس.

ولا يمكن أن نغفل كذلك التكنولوجيا الحديثة والتقدم الذي تنتبه البشرية كل يوم، فهما نتاج عمل علمي هائل وتقنية فنية رائعة، ولكن المشكلة هي أن الإنسان يفقد هويته وتفرده فيهما، بل وبمرور الوقت أصبح هذا الإنسان وكأنه جزء منها، لدرجة أن «ألدوس هكسلي Aldous Huxley» قد رسم لنا صورة إنسان المستقبل على أنه إنسان صناعي An artificial man، أي منتج من منتجات التكنولوجيا ذاتها، أو ضحية من ضحاياها، ويكفي أن نقرأ الأدبيات التي تنشر علينا ما بين حين وآخر عن الاحتمالات التي بلا حدود لعلم الوراثة، وكيفية التفكير في إنتاج الأجنة البشرية في مختبرات ضخمة طبقا لخطط سابقة وضعت في حساباتها نماذج معينة من البشر..!!



التكنولوجيا نتيجة جهود علمية، لكن الخوف أن يخسر الإنسان نفسه أمامها..

الإسلام والوحدة الثنائية (ذات القطبين)

يبدأ الكاتب حديثه في هذا الفصل السابع مبينا أن هناك تاريخين للإسلام أحدهما سابق على الرسول محمد ﷺ، والآخر بعده، وهذا التاريخ الأخير للإسلام - بمعناه الضيق - لا يمكن فهمه فهما تاما إلا إذا فهم التاريخ السابق عليه، وبالتحديد في الفترات التي ظهرت فيها الديانتان اليهودية والنصرانية. ولقد لعبت هذه الديانات الثلاث دورا رئيسا في التاريخ البشري، حيث إنه من خلالها أصبح الإنسان محور التاريخ، وأصبح عارفا وفاهما للبشرية ككل. ومن خلال الأديان كذلك عرف الإنسان معنى الحياة الداخلية والخارجية، وكذا عرف معنى التقدم الداخلي والخارجي وجوهرهما.

كذلك فإن نجاح اليهودية والنصرانية وفشلهما قد بلغ الذروة على شكل الخبرة الإسلامية التي قدمت للبشرية. إن موسى وعيسى ومحمدا - عليهم السلام أجمعين - يجسدون للبشرية كل ما هو إنساني.

إن الطبيعة التجارية عند اليهود لعلها هي التي كانت دائما وراء تركهم للقوى المحللة أو الهابطة الآخذة في الضعف، إلى القوة الجديدة الآخذة في الظهور والسيطرة، والذي يتتبع تاريخهم عبر العصور يجد أنهم يظهرون في المدن الكبرى حال انتعاش الأموال فيها، وحال قوتها، هكذا كان حالهم في العصور القديمة مع مدن: صيدا - القدس - الإسكندرية - قرطاجنة - وروما، ومع قرطبة - غرناطة - توليدو في إسبانيا الإسلامية (الأندلس)، ومع أمستردام - فينيسيا - مرسيليا في بداية عصر النهضة، واليوم نجد نفس الوضع مع كل المدن الكبرى في العالم، وخاصة في أمريكا، فهذه هي خطوات اليهود التي تصنع تاريخهم مع العالم.

ويمضي المؤلف بعد ذلك، من التوجه اليهودي المفرط نحو العالم الخارجي، إلى النصرانية التي وجهت البشر نحو الداخل، داخل نفوسهم، بحيث أصبح التوجه الجديد عكس القديم تماما، وطبقا لهم فإن الطاقة البشرية لا ينبغي أن تتوزع بين اتجاهين متعارضين، أي بين الجنة والأرض، حيث إن الإنسان لا يمكن أن يرضي الاتجاهين، وبعبارة أخرى لا يمكن أن يرضى ربه ويرضي الشيطان في آن واحد. والصراع هنا بين نزعات الروح ورغبات الجسد واضحة ولا يمكن تحقيق التوازن بينهما، فإرضاء طرف لا بد أن يكون على حساب الطرف الآخر. كما قالوا ونادوا بذلك، بل وقالوا باختلاف تعليمات العهد القديم عن العهد الجديد بهذا الخصوص.

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك للإسلام قائلا إنه تعديل للنصرانية باتجاه العالم، وبعبارته Islam is christianity reoriented toward the world، وهذا التحديد يبين التشابه والاختلاف بين الديانتين... الإسلام والنصرانية. حيث إن الإسلام يشتمل على عنصر مما في اليهودية بالإضافة لعناصر أخرى كثيرة غير ذلك.

ويبين لنا المؤلف رأي «هيجل Hegel» النصراني

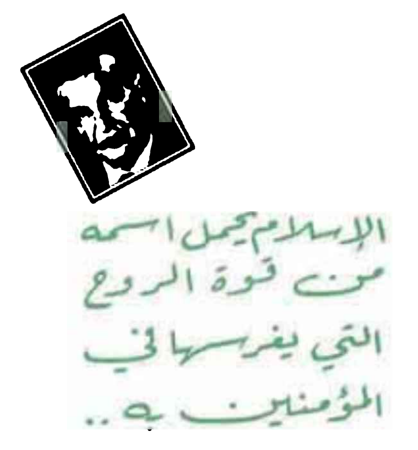
حين يقول بأن الإسلام هو الاستمرار المباشر والمستقيم لليهودية، بينما يصف «ميرسيا إليادي Mircea Eliade» الرسول محمدا، صلى الله عليه وسلم، في دراسته المقارنة عن الأديان، بصفه بأنه نقطة التحول Transition Point بين المرحلة الثانية والثالثة (الأخيرة) في التطور الروحي للجنس البشري. وهذه المرحلة الثالثة التي لم تنته بعد بدأت برسالة المصطفى، صلى الله عليه وسلم. وطبقا لما يقوله المؤلف السابق (إليادي) فإن تاريخ العقل البشري عبارة عن عملية للأمن والطمأنينة ويقف نبينا محمد، ﷺ، على بداية انتصار الدين في هذا المجال، وعلى عتبة عصر جديد تماما من عصور الأمن العالمي، وبالتالي فهو يقف في بؤرة التوازن التاريخي للعالم.

ويحدثنا الكاتب بعد ذلك عن طبيعة فترة تعبد الرسول، ﷺ، في غار حراء، قبل البعثة، وكيف أنه كان «حنيفا» يعبد الله ويتفكر، وعن الفرق بين طبيعة البعثة في «مكة» والتي كانت إشهارا للإسلام ودعوة إليه، وبين طبيعتها في «المدينة» بعد أن أصبح الإسلام دولة، تهتم بروح الإنسان، كما تهتم بجيرانه، تهتم به فردا... تهتم به عضوا في مجتمع، بل وتهتم بالمجتمع ذاته، وهذه هي ميزة الإسلام.. أنه جمع بين «الداخل والخارج» معا.

وما تبقى من هذا الكتاب الرائع، لكاتبنا المسلم علي عزت بيجوفيتش خصصه في فصله الثامن عن أركان الإسلام الخمسة مبتدئا بالصلاة ومشروعيتها وحكمتها وشروط أدائها، وعن لقاء الناس بالمسجد عند أدائها وتوثيق الصلات بينهم من خلال نشاط أدائها.

وكذلك تحدث عن الزكاة وعن حكمة مشروعيتها وعلاقة ذلك بالترابط الاجتماعي، ويعبر المؤلف عن الزكاة في الإسلام بأنها تعتبر أول «ضريبة» فرضت في التاريخ من جانب دولة من الدول (ولكن تبقى إضافة أن هذه الضرائب إن جاز التعبير تؤخذ من الأغنياء بمنتهى العدل، وأنها ترد للفقراء بالقسطاس، ولا تنفق إلا فيما أمر الله به). إن هذه الزكاة وجمعها قد برهنت على أن الإسلام ليس فقط مجرد عبادة فردية، ولكنه وضع المسألة الاجتماعية في قمة اهتماماته، خاصة وقد أشار إليها القرآن في ثلاثين موضعا، ثمانية في مكة، واثنتان وعشرون مرة في المدينة.

ولقد جاءت الزكاة لتعالج قضية الفقر والحرمان التي توجد بين أفراد المجتمع وهي تعالجها بحيث تخرج من دافعها وهو راض — من داخله — بما يدفع، لأنه يطهر ماله بذلك، من خلال طاعته لله، وهو مثاب بعد ذلك على إعانة أخيه المسلم، وعلى القضاء على ظاهرة الحرمان في مجتمعه، وهذا شيء فشلت فيه جميع الأنظمة في العالم، فلم يحدث على مدار التاريخ أن حققت أية حكومة ـ مدنية أو ثورية ـ هذه الغاية العظمى. إن الإنسان في حاجة لدين يهتم بالسياسة، ولسياسة أساسها الأخلاق الفاضلة، وهو يحتاج كذلك لإحسان يتحول في علاقات الناس لالتزام اجتماعي



الإسلام يحمل اسمه من قوة الروح التي يغرسها في المؤمنين به..

ولعل هذا هو معنى الزكاة في الإسلام، حيث إنها عبارة عن نهر من المال أو البضائع، يجري من قلب لقلب.. من الإنسان للإنسان، تقرب بينهم مبادئ، وتزيل الضغائن والأحقاد بين الأغنياء والفقراء، وتعمل على تماسك المجتمع

صالح البشر

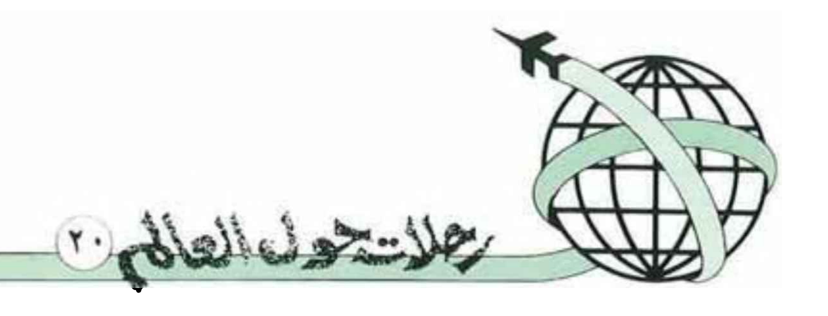
أما الفصل التاسع فقد خصصه المؤلف للحديث عن الطبيعة الإسلامية للقانون، وهو يرى أنه لا ينبغي أن يوضع قانون وفي الحسبان «المصلحة» فقط.. أو الصالح، سواء كان هذا الصالح خاصا بالفرد أو بالجماعة، وذلك لأن مصالح الأفراد تتعارض في أحيان كثيرة مع ما يسمى الصالح العام. ذلك لأنه إذا لم ينظر للإنسان على أنه «شخص له كينونة بذاته» وليس مجرد عضو في مجتمع، كما هو الحال في الشيوعية أو الاشتراكية، فإن حقوقه تضيع، حقوقه الطبيعية أو Natural Rights كما يسميها المؤلف، ولا يبقى له إلا ما تفرضه الدولة له وتسميه حقوقا، وهي في الواقع «ممنوحة» له من سلطات بعينها داخل المجتمع، والذي يمسح شيئا يستطيع أن يسترده في أي وقت، خاصة مع قوة الدولة في عصرنا الحاضر.

ويواصل المؤلف الفصل الأخير من الكتاب بقوله: إن أوروبا قد بنت نظراتها الأساسية للأمور من خلال فكر المدرسة السينية التي وصلتها من العصور الوسطى، ويقول إنه برغم النضوج الذي وصلت إليه أوروبا إلا أن الأفكار والخبرات الطفولية لتلك الفترة من تاريخها لم تخفت في فكرها وعقلها، ويبدو أنها ستظل هكذا لفترة طويلة، ولا يبدو أن هناك حركة دينية في أوروبا سوف تتولى برنامجا اجتماعيا من أي نوع، ويستثنى من ذلك، بحكم الموقع الجغرافي، وبحكم المؤثرات الخارجية، الجزر البريطانية.

وفي النهاية يختم كاتبنا المسلم هذا الكتاب الرائع بعبارة يقول فيها إن الإسلام لم يحمل اسمه من قوانينه وأوامره، ولا من منهياته، كما أنه لم يحمل هذا الاسم من الروح والجسد اللذين يتعامل معهما، ولكن يحمل اسمه من أمور أبعد وأكبر من ذلك..! إنه يحمله من قوة الروح التي يغرسها في المؤمنين به، والتي يمكن أن تواجه كل العصور، بل تواجه كل الصعاب، وهو يحمله على الخضوع والخشوع لله جلت قدرته وعظمته.

وبعد:

فهذه صفحات حول هذا الكتاب الرائع الذي كتبه علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك، والذي يتحمل هو وإخوانه مآسي الهجوم عليهم من الحاقدين على الإسلام الذين يعيدون عصر الصليبية من جديد، والله من ورائهم محيط، ونصر الله آت لا شك فيه، وسوف يتولى الله المؤمنين الصابرين، وسوف يجعل الله بعد عسر يسرا.





بقلم الشيخ: حمد الجاسر

يومان في تايوان

في الحلقة السابقة من مذكراته تابع القارئ ما ذكره حمد الجاسر عن مشاهداته في اليابان وإعجابه بدقة اليابانيين ودأبهم في العمل، وفي هذه الحلقة يواصل مشاهداته هناك..

وفي السفارة أرشدت إلى قسم القنصلي المتصل بمكتب السفير. وبعد أن قام أحد الإخوة وهو **الأستاذ أمين أبو زعير من مصر** بتسجيل الجوازات، سألته عن السفير فأخبرني بأنه سيحضر قريبا، ولم أرغب في الانتظار لولا أن الأخ أكرمني فأحضر لي كوبًا من (الشاهي الياباني) وعرفني برجل كان جالسًا عنده إنه **الدكتور عبد الباسط السباعي، من مصر**، وهو الذي يتولى إدارة **المركز الإسلامي** والإمامة والوعظ في جامع **(طوكيو)** إنه (دكتور) في الهندسة كان يعمل في **(كلية الهندسة في جامعة الرياض)** معارًا من **(جامعة القاهرة)** و**(جامعة الرياض)** قد أعارته للعمل هنا. لم أستغرب من مهندس أن يتولى رئاسة المركز الإسلامي، فهذه (الإعارات) تنفي كل استغراب ـ وكما قيل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

علمت أن السفير هو **السيد زين العابدين الدباغ**، وماكنت قبل أن أعلم هذا بالحريص على مقابلته وتلك عادتي، فأنا أعرف مشاغل السفراء، ولا أستسيغ الإثقال بالزيارة أو الاتصال بمن لا حاجة لي بالاتصال بهم، ولكن **السيد محمد طاهر الدباغ** ـ رحمه الله ـ ذو يد عليّ لا أنساها له، بل كان ذا أفضال حين كان مديرا للمعارف، تحدثت عنها في موضع آخر، ومن الوفاء لهذا الرجل الذي خدم العلم في بلادنا خدمات جلى أن لا ينسى فضله. ومن عدم الوفاء لذلك الرجل حقًا بل ومن الجفاء أن لا أقابل ابن أخيه **السيد زين العابدين**.

لقد كان استقبالاً حسنًا، وإلحاحًا بالدعوة للضيافة وعرضًا لمختلف أنواع



المساعدة، غير أنني قابلت كل ذلك شاكرًا معتذرًا مكتفيا بخريطة مملوءة بصحفنا، فقد قدم المعهد بالاطلاع عليها واشتدت النهمة للقراءة وذكرت وأنا أحمل تلك الخريطة قصة شهر بن حوشب[1].

وعدت بإحدى سيارات السفارة إلى الفندق، بعد أن أشار علي السيد زين العابدين بزيارة (تيوان) وأمر سائق السيارة بأن يذهب بجوازات السفر لسفارة تلك البلاد للحصول على سمة الدخول فكان ذلك.

لقد بدأت تتكشف لي محاسن هذه المدينة، فهؤلاء القوم الذي قد تنبو العين

عن أجسامهم لصغرها، يخفون داخل هذه الأجسام الصغيرة نفوسا عظيمة. هذا الرجل الذي يسامني طولا حين عرضت عليه عنوان محل لم أهتد إليه لم يكتف بالإشارة إلى ذلك المحل وهو غير بعيد بل سار أمامي حتى أوقفني عند الباب. وهذه الفتاة - في المطعم - تسرع بفوطة عندما شاهدت آثار الطعام فوق معطفي، فتمسحها بلطف. وهذا سائق السيارة حين يقف بك عند باب المحل الذي تقصده يسارع بفتح الباب لك. بل هذا الشرطي المكلف بحراسة السفارة يكون أسرع من سائق السيارة بفتح بابها.

إلى المكتبة

ثم هذه المحلات الصغيرة من دكاكين ومطاعم ومقاهي، إنها على جانب من حسن التنسيق في مظهرها. وهي في داخلها تتجلى فيها النظافة والجمال بأبدع صورة.

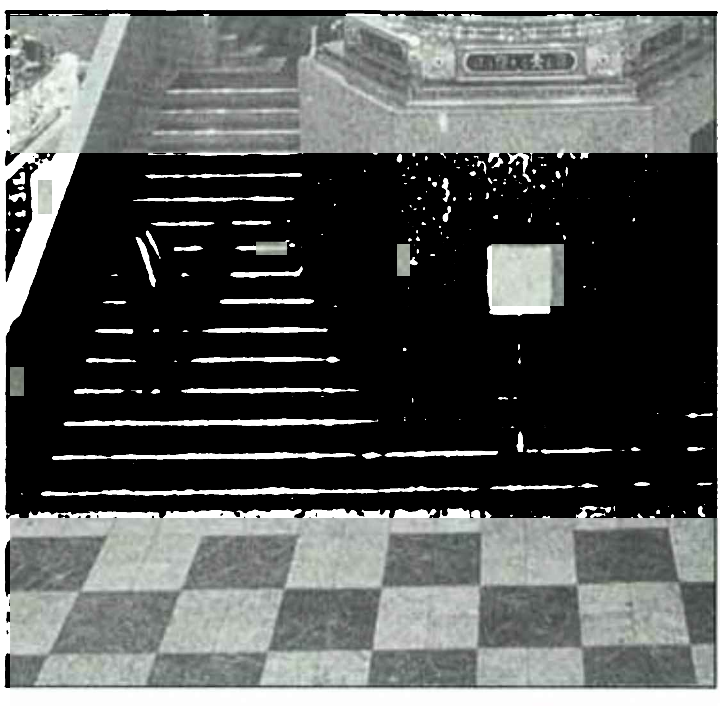
أمران يضايقان من اعتاد الخروج في الصباح مبكرا: ملء أرصفة الشوارع بأوعية القمامة حتى تمر السيارات التي تجمع ما فيها. ثم القيام بغسل تلك الأوعية في الشوارع أيضا. ويضاف إلى هذين - بالنسبة لي وحدي - فيما يظهر - نعيب الغربان في الصباح، حين أتوقع أن أسمع سقسقة عصفور أو تغريد حمامة. وهذه الأنواع الثلاثة من الطير مألوفة في هذه المدينة. ونعيب الغراب يظهر أن اليابانيين يتفاءلون به، كما يتفاءل الأمريكيون بالبومة بدرجة تحملهم على تعليقها عن العين والغراب هنا صغير الجسم - كأهل هذه البلاد - ولكنه عريض المنقار، وليس مثلهم بصغر الفم، ولهذا فنعيقه خشن أجش. والسائر على الأرصفة عليه أن يكون مفتح العينين، فالطريق ليس للماشي وحده بل يشاركه صاحب العجلة وهذا لا يتخذ في سيره وجهة واحدة، بل يتجه حيث يشاء وما أكثر أصحاب العجلات عندما يطيب لمثلي المشي صباحا، إذ هو وقت توزيع الصحف.

نوعان من الرياضة كنت ألفت القيام بهما: الاستحمام بالماء البارد، والمشي ما استطعت في الصباح ولكنني حرمتهما طيلة هذه الرحلة. فقد نهاني أحد الأطباء في مستشفى (كليفلاند) عن الاستحمام بالماء البارد، حين شكوت إليه ألما وفتورا في متني ويدي، ورآني طبيب آخر في مستشفى (هيوستن) في الصباح وأنا أسرع السير في أحد أبهاء المستشفى، وقد كتب في ذلك البهو أن من قطعه (١٢) مرة في (١٥) دقيقة منح شهادة بأنه قطع ستة أميال - فنهاني ذلك الطبيب عن الإسراع في المشي. لن أعمل بنصيحتي الطبيبين ولأجرب هل لا يزال جسمي يقوى على الاستحمام بالماء البارد، في هذا الجو، وقد كنت أفعل ذلك قبل بضع سنوات، وأنا في البلاد حين أخرج من الفندق أتلذذ بمنظر الثلج قد كسا الأرض وأحس بشيء من الدفء، حين يتساقط فوق رأسي المكشوف قبل أن تبلغ صلعته مبلغ صلعة حبيب القائل:

حبيبي صلعتـــــــه م اخ حـب للقفـــــا

حسنا لقد نجحت في التجربة هذا الصباح، فأحسست بدفء ونشاط ما كنت أحس بهما، بعد الاستحمام بالماء الساخن.

أما المشي فقد اهتديت إلى حديقة عامة، بدون قصد وأنا أنظر في مصور



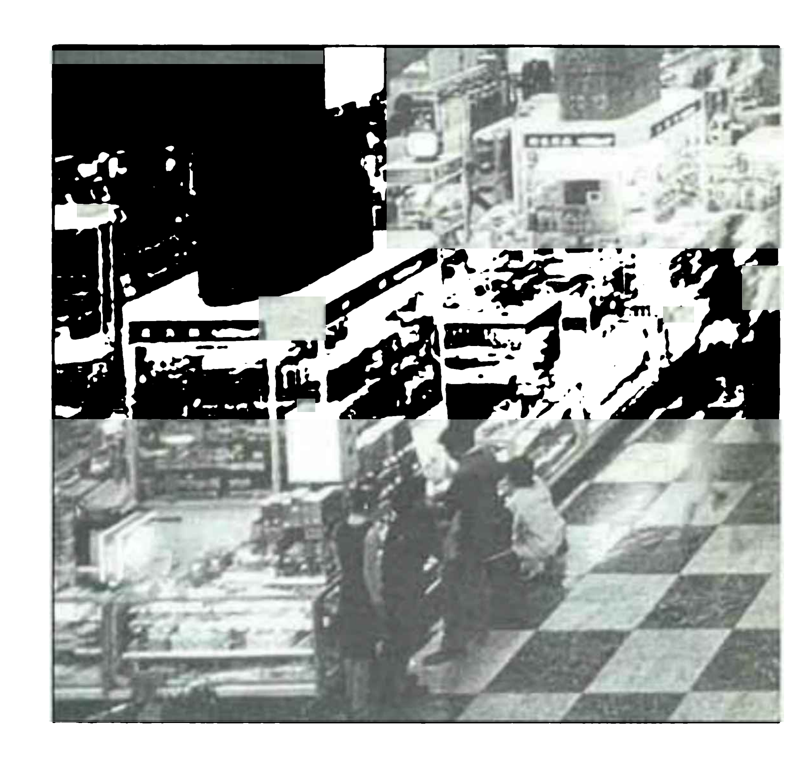


أحمد السباعي — علي حافظ

مدينة طوكيو (الخريطة) وها هي لا يفصل بينها وبين الفندق الذي أسكن فيه سوى مسافة قصيرة يمكن قطعها باتجاه واحد، وهكذا كان.

عشت الليلة في مسامرة بعض الأخوة من مثقفي بلادنا وكتابها وأدبائها كنت شديد الشوق إلى الاجتماع بهم، من مكة والرياض والمدينة وغيرها من مدن المملكة. هذا أخونا الأستاذ أحمد السباعي، إنه يجذب السامع بعذوبة ألفاظه، ووضوح معانيه، فيخاله وهو يصور من مجتمعنا الذي نعيشه، يعيش في عالم الخيال[٢]، وها هو مؤلف في تاريخ المدينة المنورة، يعيض الأستاذ علي حافظ في وصف ما عاناه ناشره من الجهد، حتى أوشك أن يرى النور. والحق أن كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» فريد في موضوعه. وأن جهد الأستاذ أسعد الطرابزوني جدير بالتقدير.

أما الأستاذ محمد رضا نصر الله[٣] فقد عالج موضوعا فكريا معالجة الحذر. والموضوع أعظم من أن يعالج بمثل: (وإذا كان فتح جميع النوافذ متعذرا في مثل هذه المرحلة الراهنة من عمر التنمية والتمدن فإنني أرى أن نفتح نافذة واحدة - على الأقل - من خلال التوسع في إقامة المعارض الكتابية)



الثقافة لها دورها الكبير في حياة الشعوب، وتعد بمنزلة الرأس أو القلب للجسم..

ولهذا وقد فتحنا (**أذرعتنا السياسية والاقتصادية للعالم**) لا نفتح ذراع الثقافة التي هي للجسم بمنزلة الرأس أو القلب - كما يعبر الكاتب النبق.

ويأتي دور (**الناقد البصير**) فقد ذكرني حديثه عن (الشاعر القدير) - ولا أقول نقده بمثل (حسشوني بوقل إن قلت ابن حلال فهو ابن حلال، وإن قلت ابن . . . فهو ابن .   ) ومعذرة خبيثا (الخرمي) فقد يسأب في الإغراب حتى (**يستبطن**) بعد أن كان (**ظاهريا**)[٤].

وخبر طريف يرويه أحد الإخوة: لقد صدر للقاضي السعودي المعروف **غالب أبو الفرج** رواية طويلة بعنوان (**المسيرة الخضراء**) عن حرب الصحراء - ولا ظرافة هنا ولا غرابة - ولكن أين؟ لقد صدرت في (**باريس**)!!.

وعلمت بقرب موقع (المكتبة العامة) من الفندق. وكنت بعيد العهد بالكتب والمكتبات:

وذو الشوق القديم وإن تسلى   مشوق حين يلقى العاشقينا

لقد بكرت بكور الغراب، ولم أجد كبير عناء في الاهتداء إلى موقعها فهي بجانب الحديقة التي زرتها أمس. ولكن الباب لا يزال مغلقًا والساعة أوفت على الثامنة. لأنظر إلى أين ينتهي هذا الجانب من الحديقة، سائرًا كيف شئت. فليس أمامي سوى الخيام الذي سيفسح في الطريق مادمت لا أنثر له في الأرض طعاما. هذا مكان معدّ للجلوس أمامه حوض طويل ممتلئ عشبًا مزهرًا ولون الزهر مختلف منه أبيض شبيه بزهر الأقحوان حتى عشته كعشبة الأقحوان فهل يكون طعمها مرًا مثل طعم ذلك النبات؟ وهذه الزهرة أشبه ما تكون بزهرة الخنوة. ليتني أعرف لغة هذا الرجل الذي يقص بمنجله أغصان الشجرة القريبة مني والذي يصوب إلي نظراته وأنا ألمس العشب بمنتهى الرقة لكي أسأله عن أسماء هذا النبات استهواني جمال المكان حتى تجاوزت الساعة التاسعة فأسرعت بالعودة فوجدت الباب مفتوحا، فلم يستوقفني ما في المدخل من مصورات جغرافية، وصوانات - يظهر أنها تحوي فهارس - بل صعدت الدرج، واتجهت إلى باب مفتوح يتجه إليه أكثر الصاعدين. فإذا به مكان واسع مملوء بصوانات الكتب. في مدخله فتاة واقفة فترددت في دخول المكان، ولكنها انحنت وأشارت بيدها لكي أدخل. ففعلت ولكنني رأيت كل داخل يتناول كتابا من أحد الرفوف ثم يأتي به إليها ويظهر أنها تتولى تسجيل الكتب فأفهمتها بالإشارة أنني أبحث عن كتب عربية. فقربت لي كرسيا لأجلس عليه وخرجت. وبيدها كتاب صارت تتفحصه ثم نقلت منه ورقة عنوانا عرفت - فيما بعد - أنه مركز للدراسات الأسيوية والإفريقية ولم يفتها أن تكتب لي ورقة ثانية بوصف طريق السيارة إلى تلك الجهة.

. جاءت البطلة فاتحة فاه

أسرعت العودة إلى الفندق فعلمت أن ذلك المكان بعيد لا تقل أجرة السيارة إليه عن خمسين دولارًا ومسافة السير تقارب الساعة وكان **الدكتور السباعي رئيس المركز الإسلامي** قد وعد بأن يتصل بي، وأن يهيئ لي الاجتماع ببعض المعنيين بالدراسات العربية، فكنت أتوقع منه ذلك، تدعى الناحية التي يقع فيها الفندق من المدينة (جنزا) على مقربة من محطة السكة الحديد، ويظهر أنها أقدم موقع في هذه المدينة، فهي لا تبرز صورة تامة لها. لقد شاهدت ليلاً شوارع عظيمة واسعة حين ذهبت في سيارة أجرة لمحل غير بعيد عن الفندق، حيث تقع أكثر مكاتب خطوط الطيران العالمية، تزدان إحدى واجهاتها بكتابة عربية والحروف اللاتينية مستعملة مع الحروف اليابانية وقد يستعمل إحداهما دون الأخرى والذي يحسن اللغة الإنجليزية لا تعوزه لغة أخرى.

وها هو صباح يوم الأحد ولا رغبة لي بقضائه في التجوال في إحدى الحافلات لمشاهدة معالم المدينة مع جماعة من الناس أحس بينهم بإحساس المتنبي:

ولكن الفتى العربي (فيهم)   غريب الوجه واليد واللسان

الشوارع إثر مطر طوال أمس ويظهر أن عمال التنظيف يستريحون هذا اليوم فيتركون كل شيء في مكانه إلى صباح الغد، وها هي قد بلغت التاسعة وأنا حين أدير بصري فيما حولي من الأمكنة لا أشاهد إلا من يقوم بإصلاح خلل أو تجميل

مدخل، أو تعبير أنبوبة ماء أو غيره في بعض المحلات.

إلى الحديقة العامة فهناك سأجد جنسين من المخلوقات لا أرى غضاضة في معايشة أحدهما برهة من الزمن، الحمام أو الأطفال.

حين زرت إحدى الحدائق العامة في (هيوستن) في مثل هذا اليوم كدت لا أجد لي طريقًا عند بابها من كثرة الزائرين وها أنا أقبل على هذه الحديقة فلا أبصر حولها أحدًا، ثم أدخلها فإذا هي خالية إلا من بعض العاملين فيها، وعلى بعض الكراسي قليل من الناس، يتصفحون كتبًا أو صُحُفًا حتى محل بيع الأشياء التي يحتاج إليها رواد الحديقة، لا يزال مغلقًا، ما أكسل هؤلاء الناس أو ما أجهلني بأحوالهم يوشك النهار أن ينتصف وهم أحلاس بيوتهم، أترى العمل أجهدهم طوال الأسبوع فأمضوا الليل في لهوهم وقصفهم فاعتادوا الإخلاد إلى الراحة إلى هذا الوقت؟!

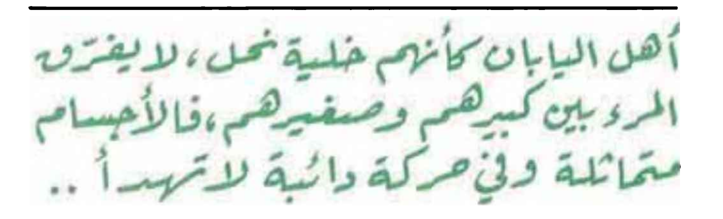
هذه بحيرة يعوم فيها البط وهذا الماء الشديد الزرقة أهو عذب أم ملح؟ خلعت حذائي و نزلت مع درج في البحيرة، فلما مددت يدي لتناول الماء إذا بطة كبيرة تسبح بسرعة فاتحة فاها الواسع نحو يدي فكنت أسرع منها بكفها. فاكتفت بمد رقبها نحوي مخرجة من حنجرتها الطويلة الواسعة صوتا أثار فضول رجل على مقربة مني، فدنا وأشار إلى بعدم النزول في الماء وهو يبتسم، ولا أدري علام ابتسامه، ألخوفي من أن تلتقم البطة يدي؟ أم لنزولي إلى الماء لأذوق طعمه، ظانا أنني ظمآن وصنابير المياه العذبة الصافية منتشرة في كل جوانب الحديقة، وها هو صاحب المحل الذي يبيع المشروبات على اختلاف أنواعها غير بعيد وقد فتح محله فاجتمع حوله عدد من الأطفال ها هي أسراب الحمام تحوم حولهم متطلعة إلى ما سينثرون لها من الحب:

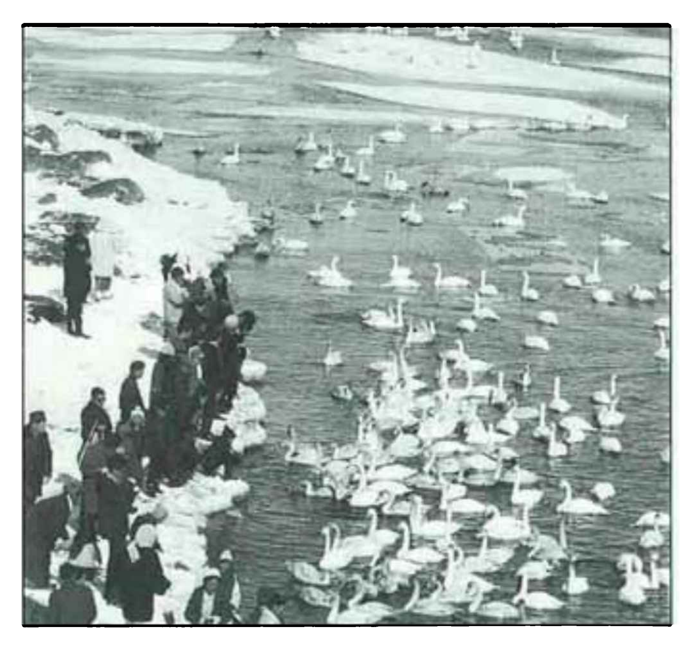
تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

تناولت كوبًا من الشاهي المر ــ وهو ما نسميه الأخضر وفي المغرب **(أتاي)** **واليابانيون** لا يحلونه ويظهر أنه يساعد على الهضم فهم يتناولونه بعد الأكل.

ها هو رجل يكبرني سنًا إذا كان بياض شعر رأسه حقيقة لا زيفًا، فمن يدري فقد يكون من بين الناس من ألف البياض فصار ينفر من السواد، على رأي المتنبي، إنه يشارك هؤلاء في لهوهم فيشتري كيسًا من الحب، ويجلس على أحد الكراسي، ثم يبدأ بملء يده من ذلك الحب فيتهافت الحمام حوله، وقد يقع بعضه على يده، أو يخطئ في الوقوع فيكون فوق رأسه، ولكنه ليس أصلع مثلي، حتى العصافير التي نعتبرها من أشد الطير حذرًا، إنها تقع على مقربة من ذلك الرجل لتشارك الحمام في التقاط الحب، وهي من النوع الذي نعرفه في بلادنا باسم (كحالي) أي أكحل الرقبة، والحمام (خضاري) والأبيض بينه قليل أما **الغربان** فنعيبها لا ينقطع، وهي تطير متنقلة بين فروع الأشجار الطويلة.

جلست فوق كرسي يجلس على جانبه إنسان يطالع صحيفة بعد أن أتيت بكيس حب من المحل وضعته على الكرسي بعد أن ملأت يدي منه ودفعني الفضول إلى أن أتطلع إلى عناوين صحيفة الرجل الذي بجواري إذ رأيته كأنه يقرأها والكتابة مقلوبة فلم أشعر إلا بسرب من الحمام ينتشر على مقربة مني وقد أسقط الكيس على الأرض وظل يأكل ما فيه فتسليت بوقوع بعضه فوق يدي لالتقاط ما فيه حين فتحتها متجلدًا على ما أحسست من وخز بعض البراثن الحادة محاولا أن أقربها من العصافير لكي تقع عليها فلم تفعل





شغلت بهذا النوع من العبث حتى حان وقت الغداء ــ والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر!!!.

ليست مدينة **(طوكيو)** كما تبدو للمرء في أول وهلة، فقد أبصرت في طريقي إلى السفارة ميدانًا واسعًا متصلاً بهذا الشارع الذي يقع فيه الفندق فنيكو الجاهي إليه بعد أن أعود من الحديقة في صباح هذا اليوم ـ الإثنين.

أتراها كقرية النمل، تبدو للناظر ثقوبًا ضيقة صغيرة في ظاهرها، ولكن باطنها غاية من التنظيم؟ وهؤلاء القوم الذين لا يفرق المرء بين كبيرهم وصغيرهم، فالأجسام متماثلة إنهم في حركة دائبة، كلهم كالنحل أجسام تنبو عنها العين وأعمال تحير العقول.

ها هو الميدان الذي مررت به في الأمس لا أبالغ إذا قلت بأنني لم أر في مدينة **(واشنطن)** ميدانًا مثله، سعة وكثرة حركة، وهذه المتاجر التي يكاد يضل المرء عندما يسير في جوانبها أو أدوارها.

وبعد فمن أنا؟ وما هي مقدرتي في الكتابة والوصف حتى أستطيع أن أصور للقارئ طرفا مما شاهدت من مظاهر الحياة في هذه المدينة التي ألفت عنها المؤلفات الكثيرة؟

بعد رحلة استغرقت من مطار (طوكيو) إلى مطار (تايبي) ثلاث ساعات ونصفا أحسست بأن كل ما أراه في هذه البلاد متغير. هذا المطار على سعته لا حياة فيه تتلاءم مع مظهره، حتى موظفيه أشبه بحديثي اليقظة من النوم. ثم هؤلاء الذين يستقبلونك عندما تخرج من المطار زرافات ووحدانا ما شأنهم؟ يظهر أن هذه البلاد من الناحية الاقتصادية تشبه (أسبانيا) فالمرء عندما يصل محطة (مدريد) قادما بطريق البر لا يكاد يتخلص ممن يحيط به من الناس. هذا يريد حمل أمتعته، وهذا يعرض عليه إرشاده إلى فندق. وذاك يبدي استعداده للأمرين وهكذا كان حتى ضقت بكثرة من أحاط بنا. وصرت ومن معي نتحامى أولئك لئلا نفقد شيئًا من أمتعتنا. حتى حملناها في إحدى الحافلات



إلى الفندق الذي سنسكنه ويدعى (شينا هوتيل) (فندق الصين) ومسافة سيرنا من المطار حتى بلغنا مشارف المدينة (تايبي) قاعدة هذه البلاد في أرض خضراء تغمر مزارعها المياه، بين جبال وآكام تزدان بالأشجار والأعشاب المزهرة ورذاذ المطر يتساقط على زجاج السيارة فيحجب الرؤية في بعض الأحيان ولكن السحاب ليس كثيفًا فها هو قرص الشمس يبدو حينًا من ورائه، وأحيانًا ينحسر السحاب عنه.

هما يومان استطلناهما منذ بلغنا المدينة التي ذكرتنا بكثير من المدن التي عشنا فيها كالقاهرة ودمشق وموقع الفندق على مقربة من وسط المدينة. والأسواق مزدحمة بالناس وأنوار المحلات خافتة وكثير منها مظلم أو مغلق. حتى أرصفة الطرقات لا يجد الماشي فيها ممرًا مأمونًا من ازدحام المارة، بل من كثرة الدراجات المصفوفة. وراكبوها يسابقون أصحاب السيارات ولا يخضعون لقواعد المرور. وويل للماشي إذا لم يكن متجهًا بنظره نحو الجهات الأربع ومن ذا الذي يقدر على هذا، وعلى ما هو أصعب منه، وهو خفة الريش وسرعة الريح في اجتياز الشارع؟

ها هي الحافلة وقفت بنا عند فندق (هلتن) وها هو الفندق الذي نقصده

حاولت السير في خفة وسط أصحاب الدراجات، وقلت لنفسي: لأنغمس في غمارهم ...

نراه رأي العين أما الوصول إليه فلا بد من دفع مئة دولار كاملة أجرة سيارة تحملنا، إننا لا نزال في منطقة الدولار ولكن مع الفرق في المقدار فستة وثلاثون دولارًا صينيا (وطنيا) تماثل دولارًا واحدًا (أمريكيًا).

وهذا الفندق الذي سندفع أجرة غرفة فيه تماثل ما دفعنا للفندق الذي قبله في (طوكيو) على ضخامة مظهره نكاد تنقبض النفس عند دخوله.. حسنا فما دام المرء سينام فوق سرير نظيف، فليغمض عينيه عما عدا ذلك والصباح رباح.

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

فقد بقينا نحو الساعة نستجدي موظفة حجز الغرف في فندق (هلتن) غرفة ـ أية غرفة بأي أجر فاعتذرت ووعدت بعد يومين وما أطولهما فيما يظهر في هذه البلاد إنها الساعة السابعة بتوقيت (طوكيو) السادسة بتوقيت (تايبي) فإلى (المقهى) في فندق (هلتن) حتى يحين وقت النوم.

ومضى الوقت أسرع مما أتصور، وما كان طبق الفاكهة الذي قدم إليّ بالجودة التي عهدتها فيما أعتدت تناوله في الفندق الياباني ـ أو هكذا تصورت ـ والناس هنا ذوو حركات ونظرات مقلقة، حتى خدم الفندق ـ فندق (هلتن) لهم أعين تتركز على (الزبون) المرغوب فيه، على ما يبدو ـ مالنا ولهم لقد أخذ مني التعب مأخذه، وها أنا بحاجة إلى الراحة، فقد اعتدت النوم في الوقت الذي أمضيته في الرحلة.

والعادة هي هي ـ القيام من النوم مبكرًا، والاستحمام بالماء البارد، ولكنه في هذا اليوم ليس باردًا فهو فاتر فالجو هنا لا حرّ ولا قرّ، وما تضايقت مما عليّ من اللباس، في جميع أيام الرحلة كالليلة الماضية فخففته في الصباح ولكن كيف أستطيع السير بين ازدحام أصحاب الدراجات وهم ـ كما ذكرت ـ خفيفو الحركات بدرجة مذهلة، لأدور حول الفندق بدون أن أجوز شارعًا، أو ألج ممراها هي حديقة لا يفصل بيني وبينها سوى شارع واحد، وهؤلاء أناس يتحفزون لاجتيازه فلأنغمس في غمارهم، وكما قيل: (لا تبك نفسك عاشر عشرة).

«للحديث صلة»

الهوامش

(١) هو هذا حنبل عند هفوة فقير من أحد الرؤساء صلة، صوره أحد الشعراء بقوله:

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك يا شهر؟

ونجد الخبر مفصلاً في كتاب الجامع بيان فضل العلم للإمام ابن عبد البر.

(٢) المدينة المنورة ـ ع ٤٥٤٠ (قصة قصيرة ـ عندما تحترق الجواهر)

(٣) الرياض ـ ع ٤١٨٠ (انتحوا هذه المائدة)

(٤) المدينة المنورة ـ ع ٤٥٣٩ ـ (العود العصري).



بين سيد قطب ونجيب محفوظ

بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

نعهد في الكاتب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ إنصافًا ولباقةً، فهو في أحاديثه عن معاصريه يلتزمُ حدود الذوق العاقل، فيبرز المحاسن، ويُغضي عن الهنات، وتلك لباقةٌ حصيفة استطاع بها أن يميلَ بمُعارضيه إلى مسالمته، ولكنّ هذه اللباقة المعهودة قد تخلّتْ عنه حين نشر بمجلة الهلال (ديسمبر سنة ١٩٨٨م) حديثًا عن الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب رحمه الله يتضمّن غبْنًا فادحًا للأستاذ الشهيد، لأنّ ما ذكره الأستاذ نجيب محفوظ عن الأديب الكبير يُجافي الحقائق المشهودة مجافاةً صريحة، ولا أدري كيف كتبَ الأستاذ نجيب عن صاحبه الأثير ماكتب، وأقول الأثير عن عمد، لأن الأستاذ نجيب محفوظ أشادَ بالأستاذ سيد قطب في أحاديث عدّة، كما قرّر أنّه حظي بنقده الموجّه منذ دخل الميدان الروائي! لذلك كانت كلمةُ الأستاذ نجيب محفوظ بمجلة الهلال ذات علامة استفهام مُلحّة، تتطلّب الإجابة العاجلة.

وأنا بادئ ذي بدء ممّن يقدرون مواهب الروائي الكبير، ويعدّونه أديبًا موهوبًا تبوأ مكانته الفكرية عن أصالة وكفاءة، كما أذكر أني حيّيْتُهُ بمناسبة جائزة نوبل بمقال منصف نشرته بمجلة الهلال تحت عنوان (نجيب محفوظ ناقد مثقف) فأشرتُ إلى جانب من جوانبه الفكرية المضيئة لم يخصّه الكاتبون بالتحليل. **فإذا أتيتُ اليوم لأضع الحق في نصابه بمناسبة ما نشره بالهلال عن الراحل الشهيد، فذلك واجبٌ مفروض يؤديه من يملكُ حقّ التصويب ومعه برهانه الناطق، ودليله الصريح.**

(رجع إلى الماضي)

والذين تابعوا حركة النقد الأدبي في الأربعينيات، حين كان الأستاذ نجيب **محفوظ** يسير خطواته الأولى في طريق الإبداع الفني الرائع، يعرفون أن الناقد الكبير الأستاذ **سيد قطب** قد خصّ الأديب الواعد باحتفاء زائد، إذ تابعَ نشاطه الفني متابعةً واعية، على صفحات مجلة الرسالة، فأفرد له صفحات كان كبارُ الكتاب حينئذ يتطلعون إلى أمثالها متلهفين.

ففي العدد (٥٨٧) من مجلة الرسالة ـ الصادرة في (٢/ ١٠/ ١٩٤٤م) كتب الأستاذ سيد قطب مقالا حاز الترحيب بقصة **(كفاح طيبة)** وهي بواكير نتاج الأستاذ **نجيب محفوظ** بدأه بقوله:

«أحاول أن أتحفّظ في الثناء على هذه القصة فتغلبني حماسةٌ قاهرة لها، وفرحٌ جارف بها. هذا هو الحق، أطالع القراء به في أول سطر. لأستعين بكشفه على ردّ جماح هذه الحماسة، والعودة إلى هدوء الناقد واتزانه» ومضى الناقد الكبير في تحليله البارع حتى قال: «ولم يكن الشعور القومي وحده هو الذي يصل نبضاتي بنبضات أبطال القصة، بل كان الطابع الإنساني الذي يطبعها، والتنسيق الفني الذي يشيع فيها، هما كذلك من بواعث إحساسي بصحة ما يجري في القصة، وكأنّه يجري في الواقع المشهود، بكلّ ما في الواقع من عقد فنيّة، وعقد نفسية ينسّقها المؤلف في مواضعها بريشة متمكنة، ويد ثابتة، تبدو عليها المرانة، والثقة بمواقع التصوير والتلوين».

وفي مقال آخر عن قصة **(خان الخليلي)** نشره الأستاذ سيد قطب بالرسالة، وأضافه إلى مجموعة (كتب وشخصيات(١)) قال الأستاذ سيد قطب:

«ولكنّ هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تُفرد لها صفحةٌ خاصة في سجل القصة المصرية الحديثة، فهي منتزعةٌ من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر، وهي ترسم في صدقٍ ودقّة، وفي بساطة وعُمقٍ صورةً لفترة من فترات التاريخ المعاصر، فترة الحرب الأخيرة، بغاراتها ومخاوفها، وبأفكارها وملابساتها، ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطارًا لحوادثها الرئيسة».

ثم وازن الناقد بين قصة «خان الخليلي» وقصة **«عودة الروح» لتوفيق الحكيم** فقال:

«ولكن من الحق أيضا أن أقــرر أن الملامح المصرية الخالصة في «خان الخليلي» أوضح وأقوى، ففي «عودة الروح» ظلال فرنسية شتى، وأمتع ما في عودة الروح هو الانتباعات الذهنية، والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية، أما «خان الخليلي» فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة، وواقعية العرض، ودقة التحليل».

ولم يفت الأستاذ **نجيب محفوظ** أن يتابع نشاط الأستاذ **سيد قطب**، إذ احتفل بصدور كتابه **«التصوير الفني للقرآن»** وكتب عنه كلمة ممتازة قال فيها (٢)، موجها الحديث إلى المؤلف:

«قرأت كتابك بعناية وشغف فوجدت فيه فائدتين كبيرتين، أولهما للقارئ، خصوصا القارئ الذي لم يُسعده الحظ بالتفقه في علوم القرآن، والغوص إلى أسرار بلاغته، بل حتى هذا القارئ الممتاز واجدٌ في كتابك أنوارًا جديدة، ولذة طريفة، ذلك أن كتابا خالدا كالقرآن الكريم لا يُعطي كلّ أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظّه من الذوق، وقدره من البيان... والمهم أنك وُفّقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر في أداء هذا الواجب الجليل... فجاء كتابك كالمرشد للقارئ والمستمع العربي من أبناء جيلنا يدلّه على مواطن الحسن، ومواضع الجمال، ويجلي له أسرار السحر ومفاتن الإبداع، كان القرآن في القلب، فصار ملء القلب والأذن والعين والعقل جميعا»

وهذا التقدير المتبادل بين الكاتبين الكبيرين ممّا يعرفه القراء المتابعون عن بصرٍ دقيق بأسبابه، ولذلك كان المتوقع من الأستاذ **نجيب محفوظ** أن يُصوّر صاحبه بقلمه البارع صورة دقيقة، صادقة الملامح، ولكنّ ما نشر بمجلة الهلال عن الأستاذ **سيد قطب** تحمّل غبنا قاسيًا، لا أدري كيف وقع فيه الكاتب الحصيف، وهو من أدرى الناس بواجب الدقة الأمينة، والإنصاف العادل، وإذا تعذر أن نجد الصدق الوفي عند أكبر كاتب عربيّ يحتل الصدارة في هذه الأيام فعند من نجد؟

قدمت مجلة الهلال مقالة الأستاذ **نجيب محفوظ** بكلمة قالت فيها:

«هذا الفصل من المرايا لنجيب محفوظ يرسم شخصية «**سيد قطب**» ويوجز تاريخ حياته في مفاصلها الرئيسة، إنّما بقدرة الفنّان، الذي يُضمر بقدر ما يفصح، ويستخدم الإيهام ببراعة فذّة، حتى لا يكشف عن سرّ معرفته بشخوصه، فيلقي هذا العبء على القارئ الأديب»

وقد بدأ الكاتب حديثه بقوله: «إنه اليوم أسطورةٌ، وكالأسطورة تختلف فيها التفاسير، وبالرغم من أني لم ألق منه إلاّ معاملة كريمة أخويّة إلا أنني لم أرتح أبـدًا لسحنته، ولا لنظـرة عينيه الجاحظتين».

والأستاذ حين لا يستريح أبـدًا لسحنة صاحبه، ليس بمؤاخذ على هذا الإحساس النفسي، إذا كان مجرّد إحساس ذاتي، لا يؤثّر في موضوعيّة الفكرة، ولكنّ ما كتبه في مقاله يدلّ على أن هذا الإحساس قد تعدّى الذّاتية إلى الموضوعية، حيث جافى الكاتب الكبير كثيرًا من الحقائق الملموسة، وهذا ما نحار في تعليله، لأنّ الحق أبلج لا يستتر بنقاب.

المثال الأوّل

قال الأستاذ نجيب محفوظ عن سيد قطب: «إن تعصبه وتأثره بالدين لم يخف عليّ، أذكر أن كاتبا قبطيا شابا أهداه كتابًا يحوي مقالات في النقد والاجتماع، فحدّثني عنه ذات يوم في مقهى الفيشاوي فقال: إنه ذكيّ مطّلع حساس وذو أصالة في الأسلوب والتفكير، فسألته ببراءة وكنت مُغرما بالكاتب: متى تكتب عنه؟ فابتسم ابتسامةً غامضة، وقال: انتظر وليطولنّ انتظارك، قلت: ما ذا تعني؟ فقال: لن أشترك في بناء قلم سيعمل غدا في تجريح تراثنا الإسلامي بكافة السبل الملتوية، فتساءلتُ بامتعاض: أفهم من ذلك أنّك متعصّب، فقال باستهانة: لا تهذدني بالأكليشيهات فإنها لا تهزني».

هذا ما قاله نجيب بلفظه، وفيه خلطٌ واضح بين شيئين متباعدين، فسيد قطب حين لم يُشارك في تزكية كاتب لحظ في منحاه الفكري تجريحا للتراث الإسلامي، وأشاح بقلمه عنه فإنه لا يصدر في اتجاهه هذا عن تعصّب ديني كما أراد الكاتب الكبير أن يحكم بذلك، ولكنّه يربأ بقلمه أن يقرّظ مُنهجها لا يحترم الحقيقة! وكان على الأستاذ نجيب أن يقرن هذا التأبّي العادل بما يعرفه عن سيد قطب حين تحدث عن كُتّاب من أفاضل الأقباط والنصارى حديث المقرظ المعجب، ولو كان متعصّبا كما حاول الكاتب أن يصوّره في مرآته، لأغفل الحديث عن هؤلاء.

١ ـ إن الأستاذ **نجيب محفوظ** صديق حميم لرفيق شبابه الكاتب القبطي الأستاذ **عادل كامل** وهو يعلم جيّدًا أن الأستاذ **سيد قطب** قد خصّ قصته الرائعة (**مليم الأكبر**) بمقالين حافلين نشرا بعددين متتابعين من مجلة الرسالة (يناير ١٩٤٥م) مع أن نجيبًا نفسه كان يحظى بمقال واحد عن القصة التي يختارها سيد قطب لنقده، وقد قال عنه: «إنّ المؤلّف ليبدو في قصته هذه صاحب موهبة فنيّة لا سبيل إلى الشك فيها، موهبة العرض والتنسيق ورسم الملامح والشخصيات، وإدارة الحوادث والمفاجآت، فهي من هذه الناحية تستوفي صفات القصة الجيدة على وجه العموم، ثم هي تحمل طابع مؤلفها بوضوح في نواحي النقص ونواحي الكمال، فالمؤلف صاحب طريقة مطبوعة، وأسلوب مرسوم، وهذا يُقرر وجوده الفني في عالم القصّة بلا جدال»

فإذا كان الأستاذ نجيب قد قرأ ما كتب سيد قطب عن صاحبه الأستاذ **عادل كامل** في الرسالة، ثم أعاده في مجموعة (**كتب وشخصيات**) فكيف

«خان الخليلي» لنجيب محفوظ تتفوق بمصريتها على «عودة الروح» لتوفيق الحكيم..

توفيق الحكيم

ارتضى لنفسه أن يحكم على الكاتب الشهيد بما هو منه براء، وأمامه الشاهد الذي لا يقبل الشك؟ ولم يكن الأستاذ **عادل كامل** وحده الذي خصه الناقد الشهيد بتحليل نقدي بين ذوي دينه، فقد تحدث قطب عن شعراء، وكتّاب من هؤلاء حديث الناقد المعجب. وإذا كان الأستاذ نجيب قد قرأ مجموعة **(كتب وشخصيات)** فإنها وحدها تشهد بضد ما قال. ففي هذه المجموعة حديث نقديٌّ ممتاز عن الأستاذ **ميخائيل نعيمة** بدأه بقوله عن كتابه **(البيادر)**(٣):

«إنه في نظري كتاب الموسم لسنة ١٩٤٥م! وهذه السنة قد سعدت بكتب ممتازة للأساتذة عباس العقاد وتوفيق الحكيم وطه حسين» وقد تعرّض الناقد الكبير لتحليل بعض آثارهم الصادرة في هذا العام، ولكنّ الأستاذ **سيد قطب** أفاض في تحليل البيادر إفاضة رائعة حقًا، ولا سبيل إلى نقل ما سجله في اثنتي عشرة صحيفة من صفحات الكتاب!

فماذا يقول نجيب محفوظ عن حديث قطب هذا وهو مما ينقض دعواه؟ ولا نترك مجموعة **(كتب وشخصيات)** دون أن نشير إلى البحث المستفيض الذي كتبه سيد قطب تحت عنوان **(انطون الجميل الصحافي والأديب والناقد)** إذ ملأ أكثر من عشرين صفحة متوالية تُوضح اتجاه الجميّل في منحاه الأدبي، ونحن نعرف أن كتاب الجميّل عن **شوقي**، وأنّ لقطب موقفًا نقديًا من أمير الشعراء لا يلتقي مع موقف الجميّل، ولكنّه وافق وخالف، وقارب وباعد، في حيدة موضوعية رائعة، وقد ابتدأ حديثه بقوله (٤) عن الجميّل:

«وأخصّ صفاته الألمعية واللباقة.. مع سرعة البديهة، وحسن المدخل، ولطف المأخذ والتماع الفكرة، ورشاقة العبارة، ويسر التفكير، وبراعة التصوير»

هذه حقائق ملموسة تنطق بها آثار الأستاذ قطب، ولم أشأ أن أذكر ما أعرفه من إنصافه للمجيد من كلّ مذهب، إذ سعدت بلقائه، ونعمت بحديثه، لم أشأ ذلك كيلا أُرمى بالافتعال، ولكني أعجب لمفكر واسع الأفق، بعيد النظر مثل الأستاذ نجيب محفوظ، حين يلم بآثار صاحبه، ويقرأ ما كتبه عن زيد وعمرو، ثم لا يُعيره أدنى التفات على حين يتكئ في حكمه على جملة عارضة قيلت في مجلس خاص. وعمّن قيلت هذه الجملة؟ عن كاتب لاحظ الأستاذ تهجّمه على التراث الإسلامي فأشاح عنه! لتكون هذه الإشاحة وحدها دليل تعصب ممقوت عند الكاتب الكبير!!

المثال الثاني

قال الأستاذ نجيب محفوظ ـ سامحه الله ـ:

«وتكشّف لي جانبٌ منه لم أكن لأصدقه لو لم أخبره بنفسي؛ ذلك أنه كان يُوجد كاتبٌ صاحب مجلة ومطبعة، تصدر سلسلةً شهرية من الكتب، وكان يحتقره ويقول عنه: لولا مجلّته لما وجد مجلة تقبل أن تنشر له كلمة، وكم أدهشني أن أطلع له على مقالة في **«الرسالة»** عن صاحب المجلة رفعه فيها إلى السماء، وحرتُ في تفسير ذلك حتى علمتُ بأنه اتفق معه على نشر كتاب له في سلسلته الشهرية نظير أجر ممتاز لم يظفر بمثله كاتبٌ آخر، وتذكرتُ في الحال موقفه الأعمى من الكاتب القبطي فأزعجني جدا اكتشاف ذلك الجانب الانتهازي في شخصيته، وساورني شك من ناحية صدقه وأمانته، واستقرّ في نفسي نفورٌ دائم منه»

عندما أُعجب سيد قطب بقصة لكاتب قبطي، لم يمنعه ذلك من الكتابة عنها والإشادة بها رغم اختلافه معه في الدين ..

لنترك قصة الكاتب القبطي التي كرّرها نجيب **محفوظ**، فقد علمنا مبلغ زيفها، حين قدّمنا ما يدحضها مما كتبه الشهيد **سيد قطب** عن كاتب قبطيّ مماثل، وعن اثنين آخرين ذَوَيْ شهرة وذيوع، أما صاحب المجلة والسلسلة الشهرية، فقد تتبعتُ كل ما كتبه الأستاذ **سيد قطب** بالرسالة، فلم أجد غير الأستاذ **عبد الحميد جودة السحار** الذي كان شريكًا لأخيه في إصدار السلسلة، فمجلة الفكر الجديد فيما بعد! وقد كتب الأستاذ **سيد قطب** مقالاً عن كتابه **(في الوظيفة)** بالرسالة الصادرة في ٢٢ من يناير سنة ١٩٤٥م، ولهذا التاريخ أهمية. إذ أن **سيد قطب** لم يُصدر حينئذ كتابًا في سلسلة لجنة النشر للجامعيّين التي يُشرف عليها الأستاذ **السحار**. إنما صدر بعد عدة شهور كتاب **(الأطياف الأربعة)** للإخوة الأربعة **محمد قطب وسيد قطب وأختيهما**. وهو الكتاب الذي يعنيه الأستاذ نجيب، وإذا كان سيد قطب قد حدّث نجيبًا من قبل عن عدم رضاه عن المؤلف، في بعض ما كتبه من قبل، فليس في ذلك تعارضٌ ما حين يمدح الناقد كتابًا ظهر فيما بعد يحمل طابع الأصالة، وما قاله سيد قطب لنجيب محفوظ قد اعترف به علنًا، حين قال في مقدمة حديثه عن كتاب السحار **(همزات الشياطين)**:

«لقد قرأتُ له قصة **(أحمس بطل الاستقلال)** وهي لا تُبشّر بشيء، ثم قرأت له **(في الوظيفة)** فأعجبني فيه قدرتُه على التصوير السريع، ثم قرأت **(همزات الشياطين)** فكانت الشقة بينها وبين جميع أعمال المؤلف الشاب بعيدة فهي وثبة واسعة المدى»

وإني لأسأل الأستاذ نجيب فأقول له: أإذا قال ناقدٌ ما عن القصص الصغيرة التي نشرتها بمجلة الرواية سنة ٣٧، ٣٨، ٣٩، «إنها لا تُبشر بشيء»، ثم قال بعد ذلك عن قصة **خان الخليلي أو كفاح طيبة** إن كلتيهما رائعة، أفيكون ذلك مصدر حيرة لك لا تجد لها أي تفسير؟! إن المؤلف قد يرتفع في مؤلف، ويهوي في مؤلف آخر، أفنلزم الناقد أن ينحجر بإزائه على وصف واحد لا يتعداه؟ لقد نشرت سلسلة لجنة النشر للجامعيين كُتُبًا لمن هم أدنى مكانة من الأستاذ سيد قطب، فماذا زاد عليه حين انضم إلى جماعة بينهم الصاعد والهابط، حتى يُغيّر رأيه لينشر كتابًا في سلسلة متواضعة، إذا قيست بسلاسل أخرى تُصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر، ودار المعارف، ودار الهلال؟! الحق أن الافتيات هنا واضح صريح!

على أني أواجه الكاتب الكبير بأمر يجب أن

لم يعجب سيد قطب بقصة السحار "أحمس بطل الاستقلال".. وانبهر بروايته "همزات الشياطين"

عبدالحميد جودة السحار

يتدبّره كثيرًا، فقد كان الأستاذ سيد قطب مدرسًا متواضعا بوزارة المعارف، وكان ينقد طه حسين المستشار الفني بالوزارة، وصاحب الرأي الأول بها بما يتحرج الكثيرون من زملاء طه أنفسهم أن يقولوه، فهو مثلاً يقول عن قصة شجرة البؤس (٥) بعد أن نقل أساليب فخمةً ساقها المؤلف على لسان امرأة عامية ليبرز ما سمّاه الناقد بعدم التكافؤ بين القائل والمقول:

«هذه الفخامة كلّها في أسلوب امرأة عامية، وهذا الاقتباس من الأساليب العربية القديمة، أمر نختلف في شأنه مع الدكتور.. وإنّ الفوارق بين ملامح هذه الشخصيات البسيطة الساذجة في واقع الحياة فوارق قليلة دقيقة.. فكلهم طيب، وكلهم مؤمن بالله... ومن شأن هذا كله أن يزيد في عبء المؤلف الذي يريد أن يرسم ملامحهم المتشابهة، ويبرز شخصياتهم المتعددة» وهذا كلامٌ له خبيٌ لا يخفى على الدكتور طه ومن دونه! أفنقول بعد ذلك إن سيد قطب قد قرظ السحار لينشر له كتابا في سلسلة نشر بها لفلان وفلان وفلانٍ! وقد سبّب هذا نفورا دائمًا لنجيب محفوظ لأنه يمثّل الجانب الانتهازي!! أي انتهاز يا أخي!



محمد إقبال — محمد عبده

المثال الثالث

ثم قال الأستاذ نجيب محفوظ إنه قابل الأستاذ سيد قطب بعد قيام الثورة فوجده يقول بكل ثقة: يجب أن يحلّ القرآن مكان كافة القوانين المستوردة، المرأة تتعلّم وتعود إلى المنزل ولا بأس من أن تضمن لها الدولة معاشا، الاشتراكية والوطنية والحضارة الأدبية خبائث، علينا أن نجتنبها، لدينا رسالة الإسلام وهي كفيلة بإنقاذ العالم وخلاصه، فعندنا العدالة الاجتماعية والأخوة الإنسانية وعبادة الله وحده لا رأس المال»

قال سيد قطب ذلك واستمع إليه نجيب ليقول تعقيبا عليها: «استمعتُ إليه طويلاً ضاغطا على انفعالاتي حتى لا أخلّ بواجب المجاملة»!

إن الكاتب الكبير نجيب محفوظ قد ضَغط على انفعالاته، حين سمع سيد قطب يدعُو لتطبيق الشريعة الإسلامية، فيحل القرآن مكان القوانين المستوردة!! وأنا أعهدهُ يجلس مع الماركسيين والوجوديّين والملاحدة ثم يبتسم دون أن ينفعل!! فلماذا يضغط على انفعالاته وهو يسمع كلاما يقوله قادةُ الفكر في العالم الإسلامي من أمثال محمد عبده ومحمد إقبال ومحمد عاكف، وعباس العقاد في إسلامياته، وجميعهم لا يقلّون في نضوجهم الفكري عن الأستاذ نجيب محفوظ؟! حسبُ الأستاذ سيد قطب شرفًا أنه الوحيد بين كتّاب مصر ـ وفيهم الحكيم وطه حسين ونجيب محفوظ ـ الذي لم يغبْ عنه الوعي حين حارب الطغيان معتزا بأمانة الكلمة، أما السادة الكبار فقد اعترفوا بأن الوعي قد كان غائبا عنهم، وأنه عاد بعد نكسة ١٩٦٧م، أنسيتم هذا يا قوم؟!

الهوامش

(١) كتب وشخصيات لسيد قطب ص ١٥٩ ط ٢ دار الشروق.

(٢) مجلة الرسالة ـ العدد ٦١٦ بتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٤٥م.

(٣) كتب وشخصيات ص: ١٠٠.

(٤) كتب وشخصيات ص: ٢٥٣.

(٥) كتب وشخصيات ص ١٩٠.

الطريق إلى الله

ابن قسيس يترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية

في قرية تقع بالقرب من **سوفاك بريطانيا،** انطلقت صبيحة أحد أيام نيسان (أبريل) ١٨٧٨م صرخة بريئة من منزل **القس شارلز بكثال،** أحد القسس التابعين لكنيسة كانتربري، مبشرة بمقدم ولده الحادي عشر في سلسلة أولاده، والأول بالنسبة لزوجته الثانية.

اختار بكثال لدى تعميده للطفل كعادتهم اسم **مارمادوك** ليطلقه على أصغر أبنائه، الذين حرص على تربيتهم تربية نصرانية صارمة.

وحين كبر الصغير **مارمادوك** وبلغ سن المدرسة ألحقه والده بإحدى أشهر مدارس بريطانيا، وهي المدرسة التي تخرج فيها السياسي البريطاني الشهير **السير ونستون تشرشل،** وربطته بالأخير علاقة قوية.

شخصية فريدة

لو كان **تشارلز بكثال** يدري ما يخبئه القدر من شأن عظيم لصغيره لوأده لدى مولده، فلم يكن أحد يتوقع أن يترك ابن القس ديانة أبيه النصرانية ليصير مسلمًا، لكنها الأقدار تكتب دون أن يدري أحد بما تسطره، فقد شاءت إرادة الله أن تهدي **مارمادوك** إلى الصراط المستقيم، وتغير مسيرة حياته كليًا.

كان **مارمادوك** يتمتع بشخصية فريدة متميزة، تفضل ركوب الصعب، لهذا فعندما انتهى من دراسته الثانوية كان عليه أن يختار بين أمرين: أولهما الالتحاق **بجامعة أكسفورد** لمواصلة تعليمه الجامعي، أو قبول دعوة عرضت عليه **لزيارة فلسطين** بصحبة صديقه **دولنج** الموظف بالسفارة البريطانية هناك.

التعرف على الإسلام

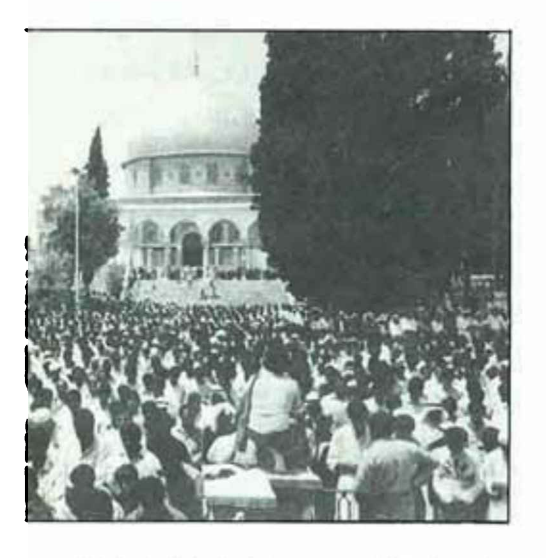
اختار بطلنا الأمر الثاني، ولم يكن يدري حين قر قراره على هذا الاختيار أن هذا بداية طريق جديد، طريق سيكون له شأن عظيم في مسيرة حياته.

كان **مارمادوك مغرمًا بتعلم اللغات فتعلم الفرنسية والإيطالية** إلى جانب لغته الأم وأجادهما، **ثم تعلم اللغة العربية** حين عاش سنوات طويلة متنقلاً ما بين **فلسطين ومصر وسورية.**

وبطبيعة الحال فقد لفت انتباهه حرص أهل تلك البلاد على ممارسة شعائر دينهم الإسلامي، وتملكه شغف ورغبة في معرفة المزيد من المعلومات عن هذا الدين الذي لا يعرف عنه سوى النزر اليسير، إذ تأثر كثيرًا بما سمعه عن قيم الإسلام، ورغب صادقًا في الاستزادة من معرفته بها، واستفاد من دروس اللغة العربية التي كان يعطيها له **إمام المسجد الأقصى في القدس الشريف،** و ذات يوم صارح الإمام برغبته في اعتناق الإسلام بعدما لمس صدق محتواه واطمأن قلبه إليه، إلا أن الإمام فاجأه بأن طلب منه ـ وقد خشي أن تكون رغبته فورة عاطفية شبابية ـ أن يتروى، وأن يبحث الأمر مع والديه أولاً قبل اتخاذ القرار.

كانت نصيحة الإمام مفاجأة للشاب **مارمادوك** لأنه طالما سمع أن المسلمين يلهثون لإجبار أو إقناع غيرهم بدخول الإسلام، فجاء موقف الإمام ليلغي تماما تلك الفكرة الخاطئة في ذهنه، وأكبر في الرجل صدقه مع ربه ونفسه وغيره.

أثمرت نصيحة إمام المسجد الأقصى عن تضاعف رغبة **مارمادوك** في دراسة الإسلام، فانكب على ما يصل إلى يديه من كتب إسلامية دارسًا وفاحصًا ومناقشًا.



وفي عام ١٩١٣م سافر إلى تركيا حيث توثقت صلاته بالعديد من أفراد الشعب التركي المسلم، وتأثر كثيرًا بما رآه فيهم من روح إسلامية، فعقد العزم على إشهار إسلامه، وفاتح في ذلك صديقه التركي **طلعت باشا،** إلا أن الأخير نصحه بأن يعلن إسلامه في لندن وليس في القسطنطينية لئلا يورط تركيا في مشكلات دولية هي في غنى عنها.

إشهار إسلامه

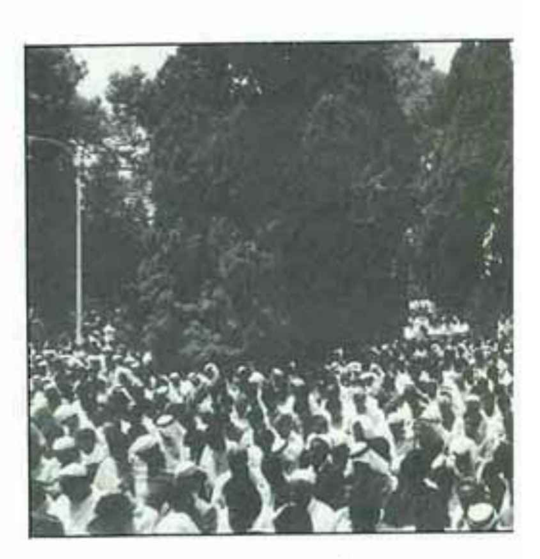
نفذ **مارمادوك** نصيحة صديقه، فما كاد يصل إلى لندن عام ١٩١٤م حتى أشهر إسلامه بين حيرة وتعجب اللندنيين الذين لم يفهموا كيف أمكن للإسلام أن يجتذب شخصية مرموقة مثل **مارمادوك** ويجعله يترك دين آبائه ليعبد إله العرب على حد زعمهم وفهمهم الخاطئ للإسلام.

بعد إشهاره إسلامه تسمى **مارمادوك** باسم

«محمد مارمادوك تشارلز بكثال» تيمنا باسم الرسول ﷺ، عن رغبة صادقة في اتخاذه - عليه الصلاة والسلام - قدوة ومثلاً يسير على هديها في حياته الجديدة.

جهوده في مجال الدعوة

حين تم لمحمد مارمادوك إعلان إسلامه تفرغ



للعمل من أجل الدعوة الإسلامية فكان يؤم المصلين في صلاة الجمعة والعيدين والتراويح، كما تولى مسؤولية الإعداد لطباعة مجلة «إسلاميك ريفيو» إحدى أشهر المجلات الإسلامية في لندن، وتعاون مع «معهد الإعلام الإسلامي» الذي كان يرمي إلى التعريف بقيم الإسلام وشرح مبادئه وقيمه النبيلة.

ثم حين شعر أنه أدى واجبه نحو دينه في بريطانيا، اتجه عام ١٩٢٠م إلى الهند، بناء على دعوة من العالم المسلم مولاي عمر سبحاني، وهناك عمل مديرًا لمدرسة قرآنية في بومباي، وظل في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٤م حيث استدعي إلى حيدر آباد، وعين مديرًا لمدرسة شادرغوث العليا. وهناك أصدر مجلة الثقافة الإسلامية «إسلاميك كلشار» باللغة الإنجليزية بهدف تعريف العالم غير المسلم بثقافة الإسلام والمسلمين.

لم يقتصر جهد محمد مارمادوك على العمل في مجال الدعوة والتوعية الإسلامية، وإنما أولى أيضا اهتمامًا وقام بدور نشط في الجهات الإسلامية الهندية، كما سعى إلى حل مشكلات المسلمين وبصفة خاصة مسلمي الهند وتركيا.

إلا أن أبرز أعماله على الإطلاق تلك الترجمة - التي بدأها في حيدر آباد، واستكملها في مصر - لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بالتعاون مع بعض علماء الأزهر، فكانت ترجمته أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم يكتبها بالإنجليزية مسلم، حيث كانت الترجمات الموجودة بتلك اللغة من صنع المستشرقين أو القساوسة، وهؤلاء بالطبع حرفوا الكلم عن موضعه إما عن عمد أو جهل.

ترجمة أمينة لمعاني القرآن

لقد أراد محمد بكثال من ترجمته أن يقدم للناطقين بالإنجليزية من غير المسلمين وأيضا للمسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية ولا يعرفون اللغة العربية ترجمة أمينة لمعاني كتاب الله، وفقًا لاعتقاد المسلم، ترجمة بعيدة عن الهوى، إذ حفلت ترجمتا «بالمر» و«رودويل» على سبيل المثال بالكثير من الأخطاء التي تكشف تحيز المترجمين ضد الإسلام أو عدم فهمهم الصحيح له.

لذا عدت ترجمة محمد بكثال ترجمة أمينة للقرآن الكريم، فضلاً عن ذلك فإن إلمام محمد مارمادوك بكثال باللغة العربية قد ساعده إلى حد كبير في إيجاد أقرب المعاني للنص القرآني، وأسهمت ميوله الأدبية والثقافية في إكساب ترجمته لغة تؤثر في القارئ، لذا صدرت في أكثر من طبعة ولاقت رواجًا كبيرًا في أوروبا وأمريكا.

استفاد المسلمين من ترجمة بكثال

لقد استفاد علماء المسلمين الذين قاموا - بعد بكثال - بترجمات أخرى لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية من تلك التجربة الرائدة، مما أكسب ترجماتهم لمعانا ووضوحا كبيرين، لأنها لم تنبع من فراغ، بل سبقتها محاولة جادة.

وبلا شك لقد أثرت ترجمته كثيرًا في قرائها، بما أوضحت من معاني كتاب الله، في وقت لم يكن القارئ الأوروبي يجد ترجمة نزيهة خالية من الشبهة.

عودته إلى لندن

في عا م١٩٣٥م بلغ محمد بكثال سن السابعة والخمسين، وكان الجهد الذي بذله على مدار السنين في خدمة الدعوة الإسلامية قد أثر بشكل واضح في قدراته الجسدية وصحته مما حدا به إلى الاستقالة من عمله التربوي في خدمة نظام دكان، الذي منحه تقاعدًا مدى الحياة، فعاد إلى موطنه بريطانيا ليستقر في لندن، ويمارس الدعوة دون التزام بمنصب، وفي العاصمة البريطانية اشتهرت مجلة الثقافة الإسلامية «إسلاميك كلشر» ولاقت إقبالاً من جموع المسلمين والراغبين في التعرف على ثقافة وحضارة الإسلام.

رحيله

في الوقت نفسه أنشأ بكثال لجنة خاصة للدعوة الإسلامية، وحرص على أن يساهم في مد جسر ثقافي بين أوروبا والعالم الإسلامي عبر ما كان يلقيه من محاضرات أسهمت في هداية الكثيرين إلى الصراط المستقيم. إذ شدتهم شخصيته الفذة المؤثرة، ولجوؤه إلى الحوار الهادئ لإقناع مَنْ لم يقتنع، والحوار المبني على المنطق والأدلة القوية.

ولأن لكل أجل كتابًا، فقد كان محمد مارمادوك بكثال على موعد في صبيحة اليوم التاسع عشر من أيار (مايو) ١٩٣٦م ليفارق الحياة الدنيا إثر نوبة قلبية. وهو بعد لم يناهز الثامنة والخمسين من عمره ودفن في مقابر المسلمين في لندن.

إن ما أداه محمد بكثال من خدمات للإسلام والمسلمين من الصعب حصره، فالرجل يكاد يكون قد أوقف جل عمره منذ إشهاره إسلامه على هذا الهدف النبيل، من منطلق حبه لله وللرسول ﷺ.

لقد أحب الإسلام حبًا جمًا، وأحب كل ما يرتبط بالإسلام بصلة، لدرجة أنه رغب عشية وفاته أن يدفن في أرض الأندلس، لما تعنيه هذه الأرض في تاريخ الإسلام والمسلمين.

مات محمد مارمادوك بكثال - ابن القس البريطاني - على دين الإسلام تاركا خلفه تراثًا ثقافيًا وفكريا إسلاميًا لن يغفله التاريخ.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
● د. صالح بن سعد اللحيدان

فرويد و«أحلامه»

● من يكون فرويد، وهل كتابه عن الأحلام جيد؟

س م ل
جامعة الأزهر - ج . م . ع

□ ولد فرويد في فريبرج مورافيا مدينة صغيرة عُرفت فيما بعد باسم تشيكوسلوفاكيا من أب يهودي متعصب يعمل في التجارة اسمه يعقوب وقد لقي فرويد شدة وعنتًا من أبيه وكان يؤذيه أذى مبرحًا حتى عطل لديه عاطفة الحنان لاشعوريًا فيما بعد، وكانت أمه على خلاف أبيه فهي برّة به ورحيمة. فعاش فرويد طفولة مُتناقضة إلى حين دخوله المرحلة الثانوية.

وكان ذا طموح وقّاد لكن كان منعرجًا بسبب التربية الخاطئة - وقد دخل كلية الطب ومكث فيها ثماني سنوات حتى تخرج طبيبًا للأعصاب، وهنا استغلته المنظمة اليهودية ولبّث طموحه فصرف عنمه للعلمانية ردحًا من الزمن ثم جمع بين هذا وبث التفاسير الخاطئة عن الجنس والعلاقة من خلال طرحه للعلاج الذي اكتشف فيما بعد أنه كان يسير نحو منحى سيئ.

أما كتابة «الأحلام» فهو كتاب مُترجم أظن أنه خلال طبعتين وهو يفسر الرُؤى والأحلام تفسيرًا ماديًا بحتًا يقوم على أساس الحالات النفسية للإنسان فقط دون إرجاع أصل الرؤى إلى الحقائق الكونية وذلك بهدف جر القارئ إلى المادة الحياتية ليس إلا، ومن قواعد **اليهود** أنهم يُريدون أن يستمر الإنسان ملحدًا، أو شاكًا ثم بعد ذلك لا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود فيسودون العالم وقد سار فرويد في كتابه الأنف ذكره على هذه القاعدة.

فكتابه ليس جيدًا للمبتدئ أبدًا والذي يفقد حقيقة أصل «الرؤى» والأحلام، أو هو ضعيف الإيمان، لكنه يفيد المسلم القوي التوحيد السالم الإيمان بالاطلاع على فكر القوم السيئ وما وراء هذا الفكر حتى ينتقد حسب أسس علمية متينة واعية، وقد أسفت جدا أنني قرأت لكثير من علماء النفس المسلمين يقولون أو يستشهدون على مثل فرويد دون نقاش حي متفتح - وهذا لعله يعود إلى أصل التربية والتلقي الأول لعلم النفس الذي يعتمد في جله على مثل فكر المذكور فقط.

الكذب على المريض

● ما حكم الكذب على المريض؟

سليمان بن علي
القصيم - بريدة

□ الكذب لا يجوز على وجه مطلق، لكن في مثل ما تسأل عنه فيجوز إذا كان العلاج الضروري يتوقف عليه، فيجوز من هذا الباب، وليس مطردًا.

استغلال حاجة الإنسان

● لي صديق يعمل في خارج المملكة منذ عشرين عامًا وهناك مؤسسة تجارية تبيع بعض الآلات الحديدية لغسل وكي الملابس. وقد قام هذا الأخ بشراء (ماكينة) ودفع ٥٥٪ من القيمة لأنه لم يجد المبلغ لديه كاملاً، وقد كتبوا في (ورقة البيع) أنه كلما تأخر عن السداد عن الموعد المحدد زادوا عليه ٥٪ خمسة بالمئة وهكذا وسؤالي: هل يجوز له الشراء منهم:؟

ع. د. أ. الرياض

□ تقول يا أخ: ع. د. أ من الرياض: هل يجوز الشراء له (أي لأخيك) منهم وأنت تقول قبل هذا بقليل: (وقد قام هذا الأخ بشراء إلخ...)،

على كل حال الجواب قبل الشراء وبعد الشراء واحد لا يتغير بالنسبة لحقيقة الحاصل والذي تقوم به هذه المؤسسة، لأن العبرة في حقيقة طبيعة البيع غالبًا.

نقول إذًا هنا: إن الذي وقفت عليه في مثل هذه المعاملة هو عدم الجواز إذ لا يصح للبائع فرض مبلغ من المال قل أو كثر حينما يتأخر المشتري عن السداد في الوقت المُحدّد لأن الزيادة هذه لا محل لها، وهي تخالف البيع المباشر بزيادة، كأن يشتري المشتري بيتًا بقيمة ٥٠،٠٠٠ ريال حاضرًا وبقيمة ٥٥،٠٠٠ ألف ريال غائبًا، لأن المشتري «الماكينة» الغسل والكي قد استُغل بسبب تأخره عن السداد فتضاف عليه قيمة أخرى وهكذا كلما تأخر عن السداد، وهذا فيه إضرار بيّن وربح فاحش يعود على البائع، سببه اضطرار المشتري ورضاه بهذا دون اقتناع، ولأن معيشته قد تحصل بهذا فإنه يلجأ إلى هذا الطريق. وإذا كنتُ أقول هذا فإنني ألوم المشتري كذلك وقد قال تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.

جرأة بغير علم

● قرأت نقدًا شديدًا ينتقد فيه صاحبه (السيد صالح أبو بكر) صحابة رسول الله ﷺ وكذا: (محمود أبو رية) - فهل هما معاصران؟

شحاته سليمان الأسواني داوودي - مصر

□ صالح أبو بكر: لعله من «بلاد النوبة» ولد في أوائل هذا القرن الهجري، وهو رجل «ماسوني» فيما ظهر لي من خلال كتابه الذي ألفه في الحديث النبوي وينتقد فيه صحة الحديث بما يدل على كونه مأجورًا لأنه ينتقد دون معرفة بأصول الجرح والتعديل وعلوم الحديث وقبت الأسانيد ويؤسفني جدًا أن كتبه تباع وفيها جرم خطير قد يتناولها جاهل أو مبتدئ فيأخذ بكلامه فالله المستعان.

أما أبو رية فهو كاتب مُعاصر مثل السابق توفي منذ زمن له كتابات هو الآخر حول السنة المطهرة جرّح فيها بعض الصحابة الذين زكاهم الله من فوق سبع سموات وقد انتقده علماء أخيار بينوا له خطأ منهجه وخطورة مسلكه الذي سار عليه، وكتاباته تظهر فيها الإشاعات وضعف المعلومات بالنسبة لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم وكذا الحال لحقيقة وزنهم إذا رووا حديثًا، فإنه هنا خلط بين الموثوق به وبين الصدوق وبين الثبت.

كما أنه لا يُفرق تفريقًا علميًا مبنيًا على قواعد صحيحة بين: «النص والإدراج فيه». وهذا زلل خطير جدًا. ولا أدري عنه ولا عن السابق: صالح أبو بكر، هل رجعا عن قولهما وتبرآ منه أم لا:!!

رحلتي مع القصة

بقلم: إحسان كمال

رحلتي مع القصة، رحلة طويلة.. عريضة.. مثيرة، رحلة تجمع بين المشقة الكبرى والإمتاع الكامل، أحببت القراءة منذ صباي المبكر، وكنت أكتب خواطري لكني لا أطلع عليها أحدا، ولا أنسى أول شخص تنبأ لي أنني سأكون أديبة، الشيخ مروان مدرس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، ففي يوم أمر جميع الطالبات أن يصفقن لي، وقال مبررا: «لي ثلاثون عامًا في التدريس.. لم أعط الدرجة النهائية في مادة الإنشاء إلا لهذه البنت»، ولسروي أعطيته كراسة خواطر.. ليأتي في اليوم التالي أكثر حماسة.. فيؤكد للجميع أنني سأصبح يوما أديبة متميزة، وقد تحقق النصف الأول من كلامه فهل ينعم الله عليّ بتحقيق الجزء الثاني؟!

والحقيقة أني منذ صغري كنت أعاني من قلق وإرهاصات لم أكن أعرف لها سببا، حتى بدأت أكتب، فأحسست أنني أتخفف من انفعال داخلي يؤرقني.. عندما أفرغه على الورق، من ثم أشعر بالراحة، وربما هذا أحببت القصة القصيرة، فهي التي تستوعب الانفعال اللحظي بسرعة.. وتتسع لإفراغ الشحنة التي أعانيها، إلى جانب ميلي إلى التكثيف والتركيز.

عندما شعرت ببعض الرضا عن قصصي.. فكرت أن أحاول نشر شيء منها، لكن كيف السبيل وأنا من أسرة تمتد جذورها إلى الصعيد؟ وبرغم حصول والدي وشقيقيّ على أعلى الدرجات العلمية.. إلا أن تقاليد الصعيد - مضافاً إليها تقاليد الجدة التركية أيضا - ظلت مسيطرة على تفكيرهم، فكان الاعتراض على الكتابة، ثم بعد كفاح ومحاورات طويلة سمحت الأسرة أن أكتب على ألا أذهب بقصصي إلى دور الصحف.. وإنما أرسلها بالبريد، وبرغم اعتقادي بأن المكان المختار لبريد أي رئيس تحرير يحوي عملا أدبيا.. هو سلة المهملات، إلا أنني لم يكن أمامي سواه، وبدأت أرسل إنتاجي إلى بعض الصحف والمجلات، لكن واحدة منها لم تنشر لي شيئا، حتى أصبح أقصى أماني أن يرد علي محرر إحدى هذه المجلات.. بأنني لست على شيء من الموهبة، ومن ثم أكف عن الكتابة فأستريح وأريح، لكنني لم أحظ حتى بهذا الرد، إلى أن كان عام ١٩٥٨ عندما قرأت عن مسابقة نادي القصة، فاشتركت فيها.. وفزت، لكن الأسرة رفضت حتى أن أذهب لاستلام جائزتي، ولا يتصور أحد حسرتي وأنا قابعة في المنزل أتخيل أنهم ينادون لحظتها على اسمي وأنا غائبة لا أجيب، بعدها أرسلت إلى الأستاذ **حلمي سلام** رئيس تحرير مجلة الإذاعة.. آنذاك، بإحدى قصصي.. ومعها خطاب بفوزي في المسابقة - وربما كان هذا سبب قراءته للقصة - لتحدث المفاجأة، إنه لم ينشر القصة فقط.. بل وخطابي إليه، ويرفق كل ذلك بمقال له عنها.. يحتل صفحة كاملة، تحت عنوان «**موهبة أدبية جديدة يكشف عنها خطاب**» وجه لي فيه بعض النصائح، وكان ذلك آنذاك حدثا غير مسبوق حتى ظن بعض الناس أن الموضوع كله لعبة صحفية!..

بعد نشر قصتي الأولى «جاء الشتاء» بدأت أبواب النشر تنفرج قليلا.. فانتهزت الفرصة ووضعت يدي في هذه «الفرجة» المتواضعة لأمنع الباب أن يغلق مرة أخرى، وظللت بعد ذلك أحاول توسيع فتحة الباب هذه شيئا فشيئا، برغم المعوقات العديدة من داخل الوسط الأدبي من تكتلات وتبادل المصالح.. والنشر في إحدى المجلات لصاحب أو صاحبة عمود في مجلة أخرى، وهكذا رحت أصعد سلم الأدب درجة درجة.. إن الكاتب الجديد لا يتاح له النشر على طبق من الفضة، لا بد أن يعاني، وإذا لم يكن يعمل صحفيا في نفس الوقت.. فالمعاناة ستكون أشد والأبواب أحكم إغلاقا!، فإذا كانت امرأة.. فالمحاربة قدرها، وسلاحها الوحيد هو حبها لهوايتها، **الحب هو الوصفة السحرية التي تذلل الصعوبات كافة، هو الذي يعينها على الصبر والمثابرة والعمل المتواصل، ويجعلها تزداد إصرارا وأملا كلما قابلت عقبة، بل ربما يجعل من هذه العقبات أشياء ممتعة**.. إذ عندما تتغلب عليها تشعر بالفرحة، والحقيقة في رأيي أن الكاتب إذا لم يحب الكتابة بما فيه الكفاية، الحب الذي يجعله يرى عذابها سعادة.. فالأفضل له أن يتركها وينصرف إلى غيرها.

حوار مشترك

عندما تزوجت كنت أضع يدي على قلبي خشية أن يعوقني الزواج عن الكتابة، فمن الشائع والمعروف أن الرجل الشرقي يغار من نجاح زوجته، أو على أحسن الفروض يرفض أن يشاركه شيء وقتها واهتماماتها، خاصة وكان الزواج تقليديا.. أي بواسطة الأسرة، لكني والحق كنت محظوظة.. فقد وجدت شريكًا قد خلا وتجرد تماما من كل أثرة أو أنانية، على العكس.. أعطاني التشجيع والتأييد بكل ما يملك من قوة، وجدته يقدر الموهبة والهواية، فلم يكتف بالموافقة.. بل كان يدفعني لأن أكتب.. وأذهب إلى دور الصحف لتقديم قصصي، وأيضا الذهاب للندوات الأدبية، وعندما كان يرى ترددي أحيانا يصحبني بنفسه إلى هذه

من تجاربهم

اتحاد الكُتّاب أُصبح ملتقى لأهل الأدب والفكر، وفيه يتعرف الناشئ على أساتذته



يوسف السباعي



يحيى حقي

لا أنسى تشجيع يحيى حقي لي وإشادته بقصصي في كتاباته وحواراته في التلفاز



د. عبدالقادر القط



د. نعيم عطية

الندوات، حتى أصبح صديقاً شخصياً لنصف أدباء مصر! وكان يسعد لكل نجاح أحققه ويفخر بي أمام أقاربه وزملائه في العمل، وبرغم أنه كان ضابطاً قائداً بالقوات المسلحة.. إلا أن رأيه في الزواج أنه قائم على الحوار بين الاثنين، لا أن يحاول أيٌّ منهما أن يملي رأيه.. فوجهتا نظر أفضل بالطبع من وجهة نظر واحدة، لذلك أنعم الله علينا بالتفاهم والانسجام وتوافق الميول والآراء والأهداف.. حتى أحسست كأن خيوط حياتنا قد تداخلت وتشابكت لتكون نسيجاً متماسكاً، إنني أقيس عمق الحب عند شريك حياتي بقدر ما هو مهتم بي وبشؤوني، ويا لها من سعادة تحملني على أجنحتها إلى السماء.. عندما أرى في كل هذا العالم شخصاً واحداً «قلبه عليّ»، وهنا أستطيع التأكيد أن أي شريكين يستطيعان تحقيق الكثير بهذا التفاني بينهما، لذلك فإنني أرجع الفضل لله ثم إليه - رحمة الله عليه - في جزء كبير مما حققته خلال مشواري الأدبي.

ردود أفعال

بعد الزواج جاء الأولاد، وبدورهم كانت لهم على مشواري ردود أفعال متباينة، فإن عاطفة الأمومة بلا شك تثري التجربة لدى الكاتبة.. لكنها كالتزام تشكل قيداً يحد إلى درجة كبيرة من حركتها على جميع المحاور، لكني الآن وبعد أن أديت رسالتي نحوهم.. أشعر بالسعادة وأنا أرى تفوقهم جميعاً في حياتهم العملية، برغم أن الولدين قد اختارا طريقاً يبعد تماماً عن خطّي الأدبي - الهندسة -، ولم يتدخل عامل الوراثة إلا بالنسبة لابنتي الوحيدة التي أصبحت صحفية ناجحة.

وبرغم أنني بدأت النشر منذ عام ١٩٥٨م، ورغم كوني من أوائل الذين اشتركوا في إنشاء اتحاد الكتاب مع أستاذنا يوسف السباعي، ورغم إطراء العديد من النقاد لكتاباتي.. إلا أنني مازلت أعتبر نفسي تلميـــذة على درب الأدب الصعب. وهذا يذكرني بتلك الصرخة التي أطلقها بعض شباب الأدب في الستينات «نحن جيل بلا أساتذة»، حيث لا تزال تلك الصرخة تدهشني.. فكيف يمكن أن يكتب أديب دون أن يقرأ لأساتذة كبار؟ كيف يمكن أن تكون هناك أشجار دون جذور..

بل دون بذور؟!، أهم نبت شيطاني؟، لقد تعلمت - وما زلت أتعلم - من كل كاتب كبير قرأت له، **تشيكوف** الذي استهواني كثيراً خطه الإنساني الذي يلمس شغاف القلب، **وسيمون دي بفوار** بخطها التحليلي، **ويحيى حقي** بأسلوبه السهل الممتنع، **ونجيب محفوظ** بمحليته التي كانت أول طريقه للعالمية، **وتوفيق الحكيم** بحواره الذهني الممتع، **ويوسف إدريس** بتكثيفه المحكم المذهل إلخ، بل إن بعض هؤلاء وجهني وشجعني.. وما أدراكم ما قيمة التشجيع بالنسبة للكاتب، إنه يحقق لبذرة النجاح والتفوق - عند من وهبه الله إياها - المناخ الصالح لتنمو وتورق وتتوهج، فعلى سبيل المثال أستاذنا الكبير **يحيى حقي**.. لا أنسى قط أحاديثه عني في بعض برامجه الإذاعية أو التلفزيونية، عدا استضافتي في بعضها، أما استفادتي الكبرى والأعمق والأشمل فكانت في مقالات النقاد.. سواء ما كتبوه عني أو عن غيري من الكتاب، **وللحق فقد لاقيت من النقاد في مصر كل اهتمام وتشجيع ومعاونة،** حيث أولوا أعمالي عنايتهم.. وبذلوا الجهد الكبير في استخلاص الإيجابيات والسلبيات.. ووضعوا يدي على مواطن القوة والضعف فيها، ولقد استفدت من نقدهم بأن رحت أحاول - في كتاباتي التالية - أن أتخلص من نقاط الضعف عندي وأستزيد من نقاط القوة كتب **الدكتور عبدالقادر القط** مثلاً في مقدمته لمجموعتي الأولى **«سجن أملكه»**: «الشيء الواضح عند الكاتبة أنها تجيد التقاط موضوعها وتحسن تصويره بعناية فائقة يحس القارئ معها أنه أمام كاتبة جادة.. تلقي على صورتها من الظلال والألوان ما يوحي بكل الدلالات النفسية والاجتماعية التي تهدف إليها، العيب الوحيد لديها أنه في بعض قصصها تتشعب الأحداث وإن كانت لا تلبث أن تعود للخط الرئيسي». وقال **الدكتور نعيم عطية**: «في قصصها رمزيات كثيرة.. كما نجد لديها القدرة على التحليل السيكولوجي والتغلغل في أعماق الشخصيات مما يذكرنا بالكاتب **الروسي أنطون تشيكوف** وهي لا تجاري زميلاتها اللاتي يقصرن كتاباتهن على مشاكل المرأة فقط وإنما تهتم بمشاكل المجتمع ككل، وإن كانت أحياناً تتعاطف أكثر مع

المرأة. وقال الناقد الراحل **جلال العشري**: «لا تتوقف الكاتبة عند تصوير السطح الخارجي لنماذجها.. لكنها ترسم دلالاتها النفسية بكل ما تحويه من معان وخلجات، وكأنها تتخذ من الباطن النفسي أصلا للظاهر الاجتماعي.. حتى يكتمل التعادل الداخلي والخارجي في شريحة فنية حية.. بأسلوب لا تكلف فيه ولا افتعال، لكن سلالة وطواعية تساعدانها على دقة التصوير ودقة التعبير، بغي أن ينتظر منها أن تعبر عن نفسها بعد أن عبرت عن غيرها». وقال **الدكتور أحمد عثمان**: لي ملاحظة هامة وهي بخصوص التنوع في الموضوعات.. حتى إننا لا نجد موضوعا لها يتكرر مرتين أبدا في جميع قصصها، وإن كان لا يعيينا أن نعثر على خط واحد يربط أغلب هذه القصص.. هو الخط الإنساني، حيث نجد دائما في كل قصة لها لمسة إنسانية عميقة، لغتها سلسة ميسرة.. وليست مدربة أو مستفزة، وإن كان هذا له مزاياه وله عيوبه.. لأن في بعض الأمور المفروض أن يكون هناك استفزاز حتى يحس القارئ بالموقف المطلوب. وغير هؤلاء كثيرون كتبوا عني واستفدت من كتاباتهم، مثل **د. نهاد صليحة و د. هيام أبو الحسن ود. سيد حامد النساج ويوسف الشاروني وعلاء الديب وصالح جودت وعلاء وحيد ود. محمود الحسيني ود. مصطفى عبدالغني ود. علي شلش وعبدالمنعم قنديل وعبدالعال الحمامصي وأحمد زكي عبدالحليم وفاروق منيب وسكينة السادات ومحمد أحمد عطية وماهر قنديل ولوسي يعقوب وغيرهم**.

طريق سحري

وهذا.. بفضل الله ثم بهذه الدراسات النقدية، إلى جانب قراءاتي المتعددة.. وبحثي الدائب عن المذاهب الجديدة في دنيا الأدب سواء بمصر أو العالم.. استطعت أن أواصل السير في هذا الطريق السحري الرائع، وأيضا أصعد فيه درجات، قليلة أو كثيرة حسب نظرة كل متلق أو ناقد طريقتي الخاصة في الكتابة، حيث إنني عندما بدأت مشواري هذا ارتحت إلى المدرسة الواقعية.. لكني وجدتها تتشابك في أذهان بعض الناس مع الرتابة أو التقليدية، لذلك حاولت بجهدي المتواضع.. التجديد فيها، ولا أقول التطوير، وذلك بأن أطعمها.. أو أضيف إليها شيئا من الخيوط الرفيعة من بعض المذاهب الأخرى، مثل الرمز أو الإسقاط السياسي أو المعادل الموضوعي أو الفنتازي.. إلخ، وأعتقد أن هذه الطريقة ترضي عددا كبيرا من القراء، **لأن القارئ لا يحب من كاتبه** أن يشرح له كل شيء وكأنه تلميذ يتعلم في المدرسة.. وإنما **هو يريد أن يعاني ويبذل بعض الجهد والتفكير ليصل إلى ما يريد الكاتب أن يقول**، وساعتها.. كم تكون سعادته واعتزازه بذكائه وهو يجد نفسه قد تخطى المتاهات إلى شاطئ المعرفة، أما لو بذل كل ذلك الجهد ولم يصل إلى شيء - كما في كتابات العبث أو الرمز القاتم - فإنه قطعا سيشعر بالضيق.. وربما الإحباط. هذا من ناحية الشكل، أما عن الموضوع **فإنني لا أكتب أبدا كي أسلي القارئ.. ولكن كي أبرز موقفا أو أؤكد على قيمة أو قضية، والإنسان دائما قضيتي الأولى**. حيث هو محور الكون، أحرص على محاولة التأكيد على قيمة الإنسان كإنسان في مواجهة التيارات المادية السائدة في هذا العصر، ألتقط جميع شخصياتي من الحياة.. حتى إن القارئ يستطيع أن يراهم من حوله - بل أن يلمسهم - في كل مكان، في المكاتب والنوادي.. في المصارف والحافلات.. في الشوارع والمصانع، إنني لا أكتب أبدا عن أناس من المريخ.. أو حتى من مجتمعات غريبة عنا، وإنما أناس أنبتهم تراب بلدنا ولوحتهم شمسها، **إن قصصي هي ترنيمة حب للإنسان أحاول أن أضيء بها شمعة لتكشف لنا - مهما كانت ضآلة نورها - عن مشاكله ومعاناته ومكامن الخلل في مجتمعه**، ربما لا أقدم الحل دائما.. لكن تشخيص مرض فرد أو بيئة.. يشكل نصف الطريق إلى العلاج كما هو معروف.

ولما كان لكل مجتهد نصيب.. كما يقولون، فقد أقام نادي القصة بالقاهرة عام ١٩٨٣م حفلا جميلا بمناسبة **(اليوبيل)** الفضي لي، وكان هذا تقليدا جديدا.. لذلك تحدثت أغلب الصحف والمجلات عن هذا الحفل، خاصة وقد حضره شيخ القصة **يحيى حقي**، والنقاد الكبار الدكاترة **عبدالقادر القط ونعيم عطية وسيد النساج وطه وادي والأستاذ الحمامصي**، وعدد كبير من كاتبات مصر وكتابها، حيث حياني كل منهم بكلمة رقيقة، حتى إن د. **يسري العزب** قال: «إن هذا التكريم المبهج أكبر لدى الأديب من كل جوائز الدولة، لأن شهادته التقديرية صادرة من القلب الأدبي الدافئ.. إلى قلب فنانة أعطت ربع قرن من حياتها سادنة في هيكل القصة العربية» ويالها من لحظة من اللحظات النادرة التي يغمض الإنسان فيها عينيه ضنينا على الحدث أن ينتهي سريعا!، أيضا أقام في المركز الثقافي المصري بباريس حفل استقبال بمناسبة ترجمة إحدى مجموعاتي القصصية إلى الفرنسية.

أما تحويل أعمالي للتلفاز فكان له قصة غريبة، حيث دخلت إلى عالم التلفزة بفعل شخص لم يساعدني على الإطلاق!!، وهذه ليست أحجية لكنها حقيقة ساخرة، هذا الشخص كان يعد بعض برامج الأطفال في وقت فراغه بعد عمله الرسمي.. الذي كان فيه مرؤوسا لزوجي، حيث عرض أن يقدم بعض أعمالي للتلفاز، فأعطيته كتابين لي، ولا أدري ما إذا كان قد حاول لكن الأمر لم يكن في إمكانه.. أم كان كلامه مجرد تملق لرئيسه، المهم مرت شهور وهو مازال يتردد علينا ويكرر وعوده.. لأصاب أنا بحالة من الغضب والتحدي، الغضب من نفسي وليس منه، لماذا أنتظر شخصا غيري يقدم أعمالي؟، فهل أنا عاجزة عن ذلك؟، في اليوم التالي كنت في مبنى التلفزة أقدم أحد كتبي للأستاذ **ممدوح الليثي** مدير أفلام التلفاز، ولم يمض شهر حتى كنت أوقع عقدا لفيلم تلفازي، بعدها توالت الأعمال، ما بين فيلم وسهرة ومسلسل، أهم هذه الأعمال كان فيلم **«رجل اسمه عباس»** الذي حصل على خمس جوائز بمصر.. كما أرسل ليمثلنا في مهرجان «كان» بفرنسا للأفلام

د. سيد النساج

د. طه وادي



التلفاز. ثم فيلم «الإنسان والآلة» وسهرة «مع استعمال الرأفة» وفيلم «حل يرضي جميع الأطراف» ومسلسل «سجن أملكه» وغيرها وغيرها.

لحظات مدهشة

أما لحظة الكتابة عندي فهي لحظة مدهشة، حيث أكون في حالة تجمع بين المعاناة الشديدة والمتعة العظمى.. بين الوعي واللاوعي.. وأنا أدلف إلى ذلك العالم المسحور العجيب، إنها تماثل لحظة الولادة، وهي فعلا ولادة من جميع الوجوه، فالعمل الأدبي حين يكتمل يصبح صاحبه في مثل معزة أولاده، هذا عدا أن عملية إخراجه للوجود هي عملية مخاض فعلية ومكابدة كبرى، لذلك عندما أنتهي تماما من قصة لي أحس بالراحة والاسترخاء الفني، أما كيف تواتيني الأفكار فإنني ألتقطها دائما من الحياة.. وعلى أهون سبب، من حادثة قرأتها.. من شخصين يتحدثان في المترو.. في ناد.. في جمعية استهلاكية.. إلخ، والحقيقة أن موهبة الكاتب ليست في أسلوب أدبي بديع يتمتع به فحسب، لكنها أولا موهبته في التقاط موضوعاته من أمور ربما لا يرى فيها غيره ما يستدعي الانتباه، ولقد قرأت يوما تعريفا أعجبني يقول: «إن الحدث غير العادي هو حدث عادي رآه إنسان غير عادي!» المهم أنني بعد اختيار الفكرة أتركها فترة طويلة في جانب من خيالي.. تتردد داخل رأسي، تنـــام وتصحـــو معي، تحاورني وأحاورها، وأستمهلها حتى تنضج على نار هادئة، لذلك فإنني عندما يزداد إلحاحها فأبدأ كتابتها.. أحس كما لو أنني لا أؤلف، وإنما كل ما أفعله هو النقل، أنقل ما أراه وأسمعه من أشخاص يلعبون أدوارا فوق خشبة مسرح منصوبة داخل رأسي، لهذا فإن دخول أي شخص علي - وأنا في هذه الحالة من الاندماج - يقطع تفكيري بمثل مقص يقطع خيطا انتظمت فيه حبات عقد، الأمر الذي يجعلها تتناثر، طبعا حبات عقدي هي شخصيات قصتي، ولكم أن تتصوروا معاناتي في إعادة جمعها ونظمها من جديد، لكن كل شيء يهون في سبيل القصة.

الكتابة عندي لحظة مدهشة تجمع بين المعاناة الشديدة والمتعة الفائقة..

موهبة الكاتب ليست أسلوبه فقط، لكن التقاط موضوعاته من الحياة...

«الفكرة» هي الهم الذي أبحث عنه ويؤرقني حتى لحظة القبض عليه

وهذه نبذة سريعة عني

عضـــو مـــؤسس وعضـــو مجلس إدارة اتحاد الكتاب، عضو مجلس إدارة جمعية الأدباء ونادي القصة، عضو اتحاد السينمائيات العرب وجمعية الكاتبات.

نشرت أكثر من مائتين وخمسين قصة في أغلب الصحف والمجلات المصرية والعديد من المجلات العربية. لي سبع مجموعات قصصية «سجن أملكه» عن هيئة الكتاب عام ١٩٦٥، «سطر مغلوط» مشتركة عن الهيئة أيضا عام ١٩٧١، «أحلام العمر كله» عن روايات الهلال عام ١٩٧٦، «الحب أبدا لا يموت» عن روايات الهلال عام ١٩٨١، «أقوى حب» عن كتاب اليوم عام ١٩٨٢، «لحن من السماء» عن هيئة الكتاب عام ١٩٨٧، «ممنوع دخول الزوجات» عن كتاب اليوم عام ١٩٨٨، كما توجد لي مجموعة ثانية تحت الطبع عن هيئة الكتاب عنوانها «ضيفة الفجر».

حصلت على جائزة نادي القصة مرتين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠، كما حصلت على ميـــدالية المجلس الأعلى للفنون والآداب عن أحسن قصص معركة أكتوبر عام ١٩٧٤، وأخيرا حصلت على جائزة إحسان عبدالقدوس للقصة عام ١٩٩١.

قام التلفزيون بتحويل ما يقرب من عشرين عملا لي إلى مسلسلات وسهرات وأفلام تلفزيونية. وترجمت بعض قصصي إلى اللغات الإنجليزية والروسية والسويدية والهولندية والصينية والعبرية، وأخيرا قامت دار نشر كبرى في باريس بترجمة مجموعة قصص كاملة خاصة بي إلى اللغة الفرنسية صدرت في باريس عام ١٩٩١ بعنوان «آدم لن يطرد من الجنة مرتين».

إنني من خلال استرجاعي لمشواري الطويل مع القصة، والمحطات البارزة فيه.. والمنعطفات الحادة به، زهور يانعة أهديت لي وبجوارها طعنات من الخلف، ودموع كثيرة ذرفتها.. بعضها من الإحباط وبعضها من السعادة، من خلال كل ذلك أردد: لو لم أكن أديبة لتمنيت أن أكون أديبة، إنني لم ولن أتخيل نفسي أي شيء آخر غير أن أكون أديبة، فالأدب هو كل شيء لي.. قراءة وكتابة، وقت الجد هو عملي ووقت الترويح هو مسلاتي، أفرغ في الكتابة معاناتي فتتحملها عني، وأأتمنها على همساتي فتحفظها لي، لقد أعطيت الأدب حياتي وهو أيضا أعطاني الكثير، الدنيا كلها لا تساوي لحظة إحساس بالرضاء عن النفس بعد كلمة إعجاب أسمعها من قارئ أو ناقد، وإذا كنت لم أحقق بعد كل ما أصبو إليه فإنني مازلت على الدرب.. أسير.

بداكيات

يستخدم جهاز غسيل الكُلى ـ أو الكُلية الصناعية Artificial Kidney لأداء وظائف الكلية البشرية المريضة، أو العلاج المصابين بما يسمى «بالفشل الكلوي»..

فمن المعروف أن الكُلية الطبيعية تقوم ـ بصفة دائمة ـ بتنظيم تركيب السوائل في جسم الإنسان. وبرغم صغر حجمها، فهي تحقق تمام توازنه وتدفع بالسوائل والعناصر الكيميائية الزائدة والضارة لكي تخرج من الجسم مع البول. ونظراً لما تتضمنه تلك العملية من دقة واستمرارية، وما تتطلبه من أهمية وحيوية، فليست هناك أية كُلية من صنع الإنسان، تستطيع أن تؤدي تلك العملية على المستوى المطلوب من الدقة.. والاستمرارية.. والأهمية.. والحيوية.

بيد أنه يمكن مساعدة الكُلية المريضة في أداء وظيفتها من خلال اتباع نظام الحمية (أو ما يسمى بالرجيم) في الطعام والشراب. أما عندما تصل حالة تلك الكُلية إلى مستوى الفشل التام، فإن جهاز غسيل الكُلى ـ أو الكلية الصناعية ـ يستطيع التدخل لأداء وظائف الكلى المريضة إلى أقصى قدر ممكن.

هذه واحدة.. و الثانية أن الكُلية الصناعية تظل جسراً بالغ الأهمية بين تردي حالة الكُلية الفاشلة، وما تتطلبه حياة المريض من وظائف الكُلى، برغم أن عمليات نقل الكلى تحقق في الوقت الراهن نجاحاً ملموساً ومُطّرداً.

جهاز غسيل الكلى

الدَّيْلزة

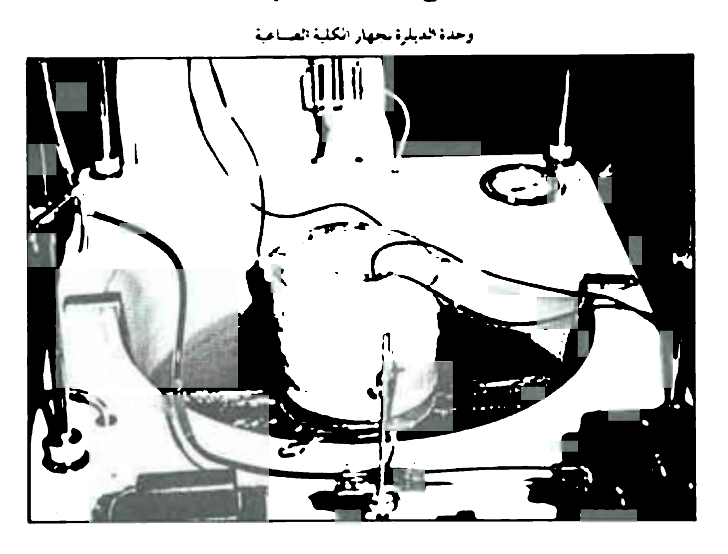
تستخدم الكلية الصناعية عملية «الديلزة» Dialysis (أو الفرز بالانتشار الغشائي) من أجل المحافظة على التوازن الكيميائي للسوائل في جسم الإنسان.. **ويقصد بـ «الديلزة» عزل المواد الكيميائية بواسطة غشاء نصف مُنْفِذ Semi-permeabl Membrane مزوّدة بثقوب دقيقة وعلى قدر من الاتساع بحيث تسمح بمرور الجزيئات الصغيرة كالأملاح البسيطة والجلوكوز خلالها**.. كما أن تلك الثقوب ذاتها تكون من الصغر والدقة بحيث لا تسمح ـ في الوقت ذاته بمرور خلايا الدم وبروتينات البلازما ومعظم الإنزيمات والهرمونات كي تتدفق مع المواد المراد التخلص منها كالأملاح البسيطة والجلوكوز وغيرها.

طريقة العمل

تتم عملية «الديلزة» بضخ دم مريض الفشل الكلوي خلال «فرازة الانتشار الغشائي» Dialyzer الذي يجري فيه عزل الدم عن المحلول المسمى Dialyzate بواسطة «الغشاء نصف المنفذ».. وهو المحلول الذي يحتوي على التركيزات الدقيقة من الجلوكوز والأملاح الحيوية الموجودة في دم الإنسان السليم الكلى. ومع تشغيل «الفرازة» تمر الجزيئات عبر «الغشاء نصف المنفذ» إلى أن تصبح تركيزات مختلف أملاح الدم متشابهة ومساوية تماماً لنفس المقادير الموجودة بداخل «الفرازة». وبهذه الطريقة تتم تنقية دم المريض ويتحقق له التوازن الكيميائي، الذي يُعوض الجسم ما يخسره، وما يعانيه من مخاطر نتيجة عدم أداء الكلية الطبيعية لوظيفتها..

دواعي الاستعمال

يستخدم جهاز غسيل الكلى للمرضى الذين يعانون من الفشل الكلوي Renal Failure..


وحدة الديلزة بجهاز الكلية الصناعية

والفشل الكلوي يؤدي إلى انخفاض نسبة تصريف البول، وإلى حدوث معدلات مرتفعة بشكل غير طبيعي من مواد النتروجين، والبوتاسيوم، والسلفا، والفوسفور في الدم، كما يؤدي إلى انخفاض معدلات الصوديوم والكالسيوم وثاني أوكسيد الكربون في الدم عن المعدل الطبيعي..

أما الأسباب المؤدية إلى حدوث الفشل الكلوي، فتتضمن ما يلي:

١ ـ تدمير الأنابيب الرقيقة بداخل الكلى، نتيجة إساءة استعمال العقاقير، أو المحاليل العضوية، مثال تتراكلوريد الكربون أو الأسيتون..

٢ ـ التعرض للمعادن غير العضوية كالزئبق والرصاص واليورانيوم.

٣ ـ الإصابات الجسدية، أو العمليات الجراحية الكبيرة التي ينتج عنها فقدان كمية كبيرة من الدم مع ارتفاع ضغط الدم.

٤ ـ الحروق الخطيرة.

٥ ـ الإصابة بالأمراض التي تؤدي إلى تدمير قشرة الكلية.

٦ ـ الإصابة بمرض السكري الذي يؤدي إلى تدمير «لُبّ الكلى» (الجزء الداخلي للكلى)

جدير بالذكر أن الإصابة بالفشل الكلوي تؤدي إلى مرض القلب والوذمة الرئوية Pulmonary Edema، وارتفاع نسبة البوتاسيوم في الجسم.



● **العنوان** : المتنبي الإنسان والشاعر

● **المؤلف** : الدكتورة نورة الشملان

● **الناشر** : دار مصر للطباعة. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

لم تعرف العربية شاعرا كان محور الشهرة ومدار النزاع منذ شبابه وحتى مماته مثل أبي الطيب المتنبي، ولم نعرف العربية شاعرا كان وما يزال محط أنظار الباحثين والمثقفين وأنصاف المتعلمين مثل ذلك الشاعر الذي اختلفت الآراء حوله اختلافا كثيرا. وعلى الرغم من ثراء شخصية المتنبي وظروف عصرها، إلا أن الكتابة عن أي جانب من جوانب هذه الشخصية تمثل تحديا لأي باحث أو مؤلف. فما الجديد الذي يمكن أن يأتي به هذا البحث أو ذلك المؤلَّف بعد مئات الدراسات والمؤلفات لعلماء كبار وأدباء ونقاد على مر العصور؟

تواجه الدكتورة نورة الشملان الأستاذ المساعد في كلية الآداب جامعة الملك سعود هذا التحدي من خلال هذا الكتاب الذي يعرض لشخصية المتنبي الشاعر والإنسان وهو الجزء الأساسي من رسالتها للدكتوراه. يقع الكتاب في ١٧٠ صفحة من القطع المتوسط مشتملا على تمهيد وأربعة فصول.

وفي التمهيد تعرض المؤلفة للروايات والآراء المختلفة حول ادعاء أبي الطيب للنبوة، إذ يرى بعض المؤرخين أن الرجل تنبأ في صباه ولذلك لقب بالمتنبي ومنهم الثعالبي وابن النديم وصاحب الصبح المنبي. ومن المؤرخين من شكك في ادعاء الرجل النبوة ومنهم المقريزي وابن خلكان. أما النقاد المحدثون فمنهم من رفض القول بادعاء النبوة مثل محمود شاكر وعبدالوهاب عزام وطه حسين ويذهب هؤلاء إلى أن المتنبي لقب بذلك اللقب لأنه شبه نفسه بالأنبياء في قوله:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وقوله:

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وتذهب المؤلفة بعد عرض ومناقشة الآراء المختلفة إلى أن ادعاء النبوة أمر يتناسب مع شخصية المتنبي وهي بذلك لا تقطع بادعاء أبي الطيب للنبوة ولكنها لا تستبعد ذلك عن رجل يشبه نفسه بالأنبياء ويرى في نفسه إنسانا متميزا عن غيره بالذكاء والمواهب. تراوده أحلام الرئاسة فظن أن النبوة طريقة سهلة لتحقيق الحلم الذي لم يتحقق. وترفض المؤلفة ما نسبه صاحب الصبح المنبي إلى أبي الطيب من معجزات ومعارضات للقرآن فأسلوب المتنبي أرفع كثيرا مما نسبه إليه صاحب الصبح المنبي.

وتنتقل المؤلفة بعد ذلك إلى محاولة تحديد سمات شخصية أبي الطيب المتنبي اعتمادا على أشعاره وما تبوح به من أسرار شخصيته. ولا تجد المؤلفة صفة هي أوضح في شعر المتنبي من إحساسه بالعظمة وشعوره بملكاته ومواهبه إلى حد الخروج على الدين في قوله:

أي محل ارتقي أي عظيم أتقي

وكل ما خلق الله وما لم يخلق

محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

وتحاول المؤلفة تحليل هذه السمة البارزة في شخصية الشاعر اعتمادا على آراء علم النفس وكتابات النقاد السابقين. وتنتهي إلى القول بأن تعلق المتنبي بذاته يعود إلى إحساس بالنقص وشعور بالتفوق في الشعر وكثرة حساده فالمتنبي ولد في أسرة فقيرة النسب لم يجد فيها ما يدفعه إلى الفخر بكرم الآباء وأصالة الأجداد وفي نفس الوقت كان المتنبي يشعر بذكائه الخارق وموهبته الشعرية النادرة فكان ذلك تعويضا عما يعانيه من عدم القدرة على مجاراة الآخرين في الفخر بأصالة النسب وعراقة المحتد. وقد ابتلي المتنبي بحساد كثيرين طاردوه وفرقوا بينه وبين من يحب.

ولم يكن طموح المتنبي مقطوع الصلة بإحساسه بالعظمة فتجاوزت طموحاته كل حد. وهي طموحات لا ترحم صاحبها ولا تسير به نحو غاية محددة، وإنما هي طموحات ولدت في نفسه شعورا بالتشاؤم وخيبة الأمل. وترى المؤلفة أن النظرة المتشائمة سجية من سجاياه وليست ناتجة عن تحطم آماله وعجزه عن تحقيق رغباته. فالنظرة المتشائمة يمكن تتبعها في شعر المتنبي منذ صباه مثل قوله:

ضاق صدري وطال في طلب الرز

ق قيامي وقل عنه قعودي

أبدا أقطع البلاد ونجمي

في نحوس وهمتي في سعود

إلا أن تحطم آماله وتطلعاته على صخرة الواقع زاد من إحساسه بالتشاؤم وخيبة الأمل فكان لا يثق بالناس ولا يصطفي منهم رفيقا أو خليلا

وحيد من الخلان في كل بلدة

إذا عظم المطلوب قل المساعد

وجمع المتنبي في شخصيته صفة القوة وتمجيدها واحتقار الضعف والضعفاء

عش عزيزا أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

فرؤوس الرماح أذهب للغيـ

ـظ وأشفى لغل صدر الحقود

ويرسم الكتاب صورة دقيقة لذلك العصر الذي عاش فيه الشاعر والأحداث التي صنعتها الفتن والقلاقل وتدهور سلطة الخلفاء وظهور الدويلات الصغيرة مما كان له أثر واضح في شعر المتنبي. فقد عايش الشاعر غارة القرامطة على الكوفة وشاهد أعمال السلب والنهب والقتل. فهو يفتح عينيه على عصر مصبوغ بالدم والفتن فيقول في صباه مخاطبا نفسه.

إلى أي حين أنت في زي محرم

وحتى متى في شقوة وإلى كم

وإلا تمت تحت السيوف مكرما

تمت وتقاسي الذل غير مكرم

فثب واثقا بالله وثبة ماجد

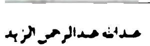
يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وتستقصي المؤلفة من البيئة المحيطة وصفات الشاعر وسمات شخصية العوامل التي أثرت في شعر المتنبي وجددت أغراضه التي تنوعت بين الشعر الحربي والمدح والهجاء والفخر والشكوى والرثاء والحكمة. والحكمة في شعر المتنبي جذبت قديما وحديثا اهتمام العلماء والنقاد، فلا أحد ينكر إجادة المتنبي لهذا الغرض الشعري وتعرض المؤلفة للآراء المختلفة حول مصادر الحكمة في شعر المتنبي وتأثره بفلاسفة اليونان وشعراء العرب الأقدمين.

وتختتم المؤلفة كتابها بفصل عن خصائص شعر المتنبي من حيث الأسلوب والمعاني والعاطفة وأخيرا تعرض المؤلفة تأثيرات تلك السنوات التسع التي انقطع فيها المتنبي لسيف الدولة الحمداني في شعره. فقد عايش الشاعر خلال هذه السنوات التسع بيئة كان لها دورها في رقي شعر المتنبي لفظا ومعنى.

والكتاب رحلة ممتعة مع شخصية مثيرة وشعر أكثر إثارة وإقناعا. فما بين دوافع النفس وسجاياها وواقع العصر وخفاياه ترسم الدكتورة نورة الشملان ملامح اجتماعية وسياسية وثقافية انعكست صورها في وجدان شاعر انفعل بها وانفعلت به. وذلك هو الذي تنضم به المؤلفة إلى أسرة المتنبي كما قال الدكتور حسين نصار العميد السابق لكلية الآداب/ جامعة القاهرة في تقديمه للكتاب.





عبدالله عبدالرحمن الزيد

● الكتاب : مورقٌ بالذي لا يكون «شعر»

● المؤلف : عبدالله عبدالرحمن الزيد

● الناشر : نادي الطائف الأدبي

● سنة الطبع : الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

«مورقٌ بالذي لا يكون» هكذا يرسم الزيد سؤالنا الأول، ويوهمنا منذ عنوان الغلاف بأن الإجابة سوف تأتي، ولكن ما الذي لا يكون! هذا هو السؤال الذي يجبرنا على تمثُّله، ولكن أين الإجابة التي يغرينا بالبحث عنها ثم يتركنا في حيرة شديدة ؟ فقد ترك الشاعر قصائده دون تأريخ لكي لا يبقي لنا احتمالا، ومن ثم نظل كل إجابة نصل إليها محض احتمال!. والذي لا يكون - إذا خرجنا من مأزق «الزيد» - لا يعدو أمرين ممكن الكينونة، أو مستحيلها. أما عند الشاعر فهو:

«أنا مورق

بالذي إن تراءى له العشق وجها

تستر في ذاهلٍ ذاهلٍ

من دمي

مشرع مشرع

من نقائي.»

فهو هنا «فعل» ممكن له ردود فعل ممكنة مشروطة أيضا.

وهو عند الشاعر:

«وما بين إيقاعنا وابتداء الجنون

يحدثنا جوهر بالذي سوف يأتي

ألا.. ما الذي سوف يأتي..؟..»

هذا الذي لا يكون.. سوف يأتي!!. وإلى نفس الدوامة نعود:

وما الذي سوف يأتي..؟

وحين يعييك البحث دائماً - اقلب الصفحة - وحين قلبتها وجدت القصيدة التالية معنونة بـ «صياغة لموت السؤال».

وهروبا من الدوامة نقف قليلا عند فعل «الموت» الذي يملأ فضاءات «الزيد» الشعرية، وفي هذه المجموعة بشكل أوضح: بجدولة الأحزان، في وقفة المبكى غنائية لو طاف العزاء، إيقاعية البدء، إيقاع البقايا، شاهد من تفاصيل الوداع، صياغة موت السؤال»

تلك سبعة عناوين من بين اثنى عشر عنوانا لقصائد المجموعة. توحي جميعها بتراب مقبرة.

[الأخيرُ في موسم الشعر وصفًا صفيقًا

للونِ البكاءِ.

وشكل الدموع

وموت الغضب

ولقد كان خطو الزمان سخيًا.

يبادرني..

لأبادره بحفيف المكان

إذا نفخت فيه روحٌ

وأوسعه الموتُ

موت البشر

وموتُ البشر..]

وسيكون من التعسف أن نجعل من هذا المقطع في قصيدة «صياغة لموت السؤال» تعريفًا لإشكالية الموت عند الشاعر. ولكننا سوف نتعسف وسوف نجعل منه ذلك.

لأسباب كثيرة أهمها أننا نتبين منه قصدية الشاعر في هذا الندب المتوالي.. وإدراكه الكامل للظاهرة المأتمية في لغته.. إدراكه بأنه يجنِّد - عن وعي - أشكالاً شتى للفناء أهمها «موت الغضب».

إن الحياة في هذه المجموعة هي سكون يقابله إيقاع!! ودائمًا يستبدل «الزيد» مصطلح «الحركة» بالإيقاع.. فيكون توقف هذا الإيقاع أو نشوزه هو الموت الذي يحتفل به لزيد شعرًا هنا ونثرًا في كتابات أخرى.

وتجاوزًا للموت الذي لا يتجاوز. انتقل إلى ظاهرة أخرى في هذه المجموعة التي اشتملت على سبع قصائد على النمط الموزون المقفى وخمس أخرى موسقة وإن لم تكن على النحو السابق «ومعناها يعسر الوصول إليه»

ومن هنا تأتي الإشكالية. من «الزيد» ومن غيره من الشعراء.

هل يعرض شكل القصيدة لغتها على شاعرها إلى الحد الذي يجعل من هذا التباين ظاهرة ؟

أنت تقرأ القصائد الثمان فتصل إلى فهم مشترك مع الشاعر وتجده مؤطِّرًا معك في الدلالة.. ثم تقرأ الأخريات لتنتقل إلى المساحة المظللة في الإطار الدلالي حيث تصل دائرة الفهم المشترك بينكما إلى أضيق حدودها.

والسؤال: لماذا ؟!!



محمد عبدالله العوين

● العنوان : عفو الخاطر

● المؤلف : محمد عبدالله العوين

● الناشر : المؤلف، الرياض: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

ينتظم هذا الكتاب قرابة خمسين مقالة، سبق لمؤلفه نشرها متفرقة في عدد من الصحف والمجلات السعودية خلال السنوات الخمس الماضية، والكتب من هذا النوع أشبه برحلة مثيرة متنوعة الوجهات والأماكن



والشخصيات والمعالم. وقد يرى بعض الناس أن إعادة نشر المنشور عمل لا يرجى منه الشيء الكثير. ويرد المؤلف هذا الاتهام مشيرا إلى تلك الأعمال الرائدة التي كانت حصيلة كتابات صحفية منها على سبيل المثال لا الحصر 'وحي الرسالة' لأحمد حسن الزيات و 'حديث الأربعاء' لطه حسين و 'وحي القلم' للرافعي. والواقع أن إعادة نشر المقالات الصحفية في كتب ظاهرة لا تختص بها الثقافة العربية دون غيرها ولا هي سمة عصر دون غيره أو مجال دون الآخر. وكثيرا ما تحتل كتب من هذه النوعية أول قائمة الكتب الأكثر مبيعا. ويرى مؤيدو هذه الظاهرة أن طبيعة العصر وذلك الفيضان من المعلومات والمعارف التي تتدفق بها وسائل الإعلام لا تعطي القراء فرصة القراءة المتأنية التي تمنحها هذه النوعية من الكتب. ثم إن هذه الكتب في الغالب تقدم شكلا من أشكال المعرفة وليس شكلا من المعلومات. فالمعرفة أبقى عمرا من المعلومة.

صنف العوين مقالاته في ثلاثة أقسام: القسم الأول والذي يحمل عنوان الكتاب ويضم الجزء الأكبر من مقالاته. وهي في مجملها خواطر أديب مثقف مشغول بقضايا أمته الأدبية والفكرية. ففي مقالته الأولى وتحت عنوان 'المعرفة الغائبة' يطرح المؤلف قضية التواصل الفكري مع النتاج العالمي الأدبي والفكري والأسباب التي تحجب عنا هذه المعرفة ويشير المؤلف إلى غياب الإنتاج الذي أبدعته عقول أبنائنا في دراساتهم العليا في الجامعات الأجنبية فيقول 'وهل كان الدرس العلمي إلا لمعالجة مواضع الضعف وتقويمها. ومن بعد، إصلاحها ووضع التصور المستقبلي لسير النمو الاجتماعي بعامة. وهل يتيسر لنا شيء من ذلك والحالة هذه؟!' ويعود المؤلف لمناقشة هذه القضية في مقالة أخرى بعنوان 'الأبحاث المسروقة' فيقول: 'لقد عاد إلينا من هؤلاء العلماء الباحثين كثيرون، لم يبادر جلهم إلى ترجمة عمله العلمي الذي حصل به على الشهادة. ولعل منهم د. أحمد الضبيب، ود. عبدالله الوهيبي، ود. ناصر الصالح، ود. فهد الحارثي. وأكاد أستثني د. محمد الشامخ الذي قدم بحثه عن النثر الأدبي في الحجاز مترجما، فأفاد به تأريخ الأدب السعودي ونقده إفادة عظيمة' ويتساءل المؤلف: 'أهم يسرقون بحوثنا عنوة؟ أم أننا نقدم هذه البحوث إليهم باختيارنا كي يسرقوها؟!'. والعلاقة مع الغرب موضوع متصل في الجزء الأول من هذا الكتاب. حيث يعرض المؤلف تجربة أدباء ومفكري المغرب العربي في علاقاتهم بالفكر الغربي محاولا الوقوف على حدود وسمات التجربة المغربية في مقابل تجربة المشرقيين على حد تعبيره. إذ يرى المؤلف أن الفترة المشرقية أوشكت على الاضمحلال بينما يسعى في دول المغرب العربي فكر يحاول تقديم صياغة ثقافية مستقبلية للوطن العربي. ويحتل مفهوم 'الغزو الثقافي' بأشكاله المختلفة وطروحاته المتنوعة غير موضع على صفحات الكتاب. والمؤلف لا يميل إلى الأخذ بما هو شائع من المعاني حول هذا المفهوم ويرى أن هذا الغزو المدعى ليس إلا صلة حضارية واجبة يفرضها الظرف التاريخي وتحرص عليها حاجة الإنسان الأبدية إلى ما يجد فكرا وإبداعا. وبوجه عام فإن المؤلف في هذا الجزء يدعو إلى الانفتاح على الثقافات فالعقل المنفتح أقدر على الاختيار من العقل المغلق فليس كل ما في الموروث صالح على الإطلاق وليس كل ما يأتي به العصر صالحا على الإطلاق. يبقى أن تكون قيم الإسلام وثوابته هي معيار الحكم على الأخذ من القديم والحديث معًا.

وفي الجزء الثاني من الكتاب وتحت عنوان دراسات أدبية يعود المؤلف إلى الحديث عن العلاقة بين القديم والحديث في أكثر من مقالة مؤكدا نفس الآراء التي سبق وناقش بعضها في الجزء السابق. ويختتم هذا الجزء بدراسة ممتعة عن المرأة في رحلة ابن بطوطة. فقد لفت انتباه المؤلف أن ابن بطوطة لم يهتم بالمرأة في رحلاته فذكرها بأي عرضا على الرغم من أن المؤلف أحصى من عبارات ابن بطوطة ستا وعشرين امرأة ما بين زوجة أو جارية تهدى إليه أو يشتريها بنى عليها في رحلته. ويكشف المؤلف في هذه الدراسة القصيرة عن جانب من جوانب شخصية هذا الرحالة الذي وقف عند المظاهر القشرية للمرأة لا يرى منها إلا ما كان ظاهرا فهو ينكح ثم يترك وينسى وبعد عشرين سنة يتذكر فيعود ليبحث عن ذريته ثم ينسى. وحين يتحدث ابن بطوطة عن ابن تيمية لا يعني بما كان يتحدث به شيخ الإسلام في مسائل الفلسفة والإقناع وفنون الكلام ويرى المؤلف أن جهل ابن بطوطة وضعف بنيته الفكرية والفقهية لم تمكنه من فهم ما جاء به شيخ الإسلام حتى إنه أسماه 'الفقيه ذو اللوثة' ويورد المؤلف رأيا للشيخ حمد الجاسر يشكك في التقاء ابن بطوطة بشيخ الإسلام اعتمادا على أن ابن تيمية دخل السجن قبل دخول ابن بطوطة دمشق بأيام. ويرى المؤلف أنه على الرغم من اهتمام ابن بطوطة العرضي بالمرأة في رحلته إلا أنها تشكل مرتكزا أساسيا في منهج ابن بطوطة بالإضافة إلى السلاطين والأولياء.

أما الجزء الثالث من الكتاب فهو يضم نحو أربع عشرة رسالة ولذلك جاء عنوان هذا الجزء 'من أدب الرسائل' ولقد خص المؤلف أبا عبدالرحمن بن عقيل الظاهري برسالتين من رسائله مداعبا ومعاتبا وناقدا. ويختار المؤلف عددا من الشخصيات التي يرى أنها كانت ذات دور تنويري في حياتنا الأدبية والفكرية ليرسل إليها بعدد من رسائله. ففي رسالة في ذكرى الدكتور محمد حسين هيكل يقول المؤلف: 'لا زلنا نذكر عصركم المتعطش إلى النور والحرية والوصول. ولعله جعل منك ومن جيلك فرسانا يمتطيها الشوق والعناد والرغبة'

وقبل أن ينتقل حمد الحجي إلى رحمة الله يتلقى رسالة من المؤلف. وتتوالى الرسائل إلى الدكتور محمد بن سعد ابن حسين يقول فيها: 'أستاذنا.. الساحة خالية إلا من نقيق.. أوراقها مبعثرة تلعب بها الرياح. ليس ثمة إلا زعيق يصم الآذان ويعمي البصيرة. إنها مسؤوليتكم يا أساتذة الأدب والمنتسبين لريادته' ثم رسالة أخرى إلى محمد العلي يشكو له فيها: 'متى تؤوب كلمتنا من هذا السفر الطويل. ليعود الإشراق والفرح. ويعود التفاؤل بكل القادمين'

ويحتوي الجزء الأخير على ردود من الدكتور محمد بن سعد بن حسين على الرسالة التي وجهها إليه المؤلف وقصيدة للشاعر محمد العلي. ففي رد الدكتور ابن حسين يقول: 'إنني لا أرفض الشعر الحر والمنثور من حيث هو عمل أدبي حسنه حسن وقبيحه قبيح لكنني أرفض الشكل الذي لم يصل به أربابه إلى حد يكسبه التمييز والقدرة على البقاء'



اللون في حياة الحيوان والطير

عالم الحيوان غني بالألوان فنرى به جميع ألوان الطيف والمعادن، ويزيد من تأثير اللون حركة الحيوان التي تجعله يهتز ويتحرك.. واللون له أهداف كثيرة بجانب آثاره الجمالية معظمها هام لبقاء النوع، فبعض الألوان تساعد على اختفاء الحيوان وجعله مشابهًا للبيئة حوله، ويساعد في ذلك أحيانًا شكل الحيوان بحيث يظن أن الحيوان جزء من البيئة الموجودة حوله، وألوان الحيوانات التي تؤدي هذه الوظيفة تسمى ألوان المحاكاة وهي مهمة لإخفاء الحيوان عن أعدائه وفرائسه، وتعمل الألوان الصارخة التي توجد أحيانًا في بعض الحيوانات والطيور على تحذير المهاجمين وجعلهم يشعرون أن هذه الحيوانات مسممة أو سيئة المذاق.

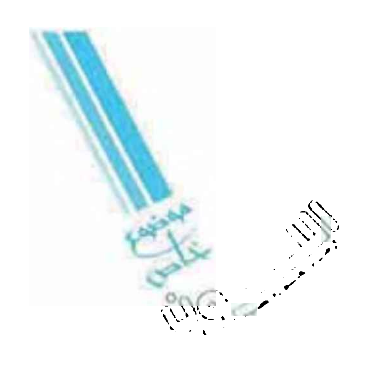
بقلم: د. منى فريد عبد الرحمن

وتستخدم الالوان والرسومات في تعرف الحيوانات على الأفراد من نفس المجموعة وعلى الأفراد من المجاميع الأخرى المنافسة ، وهذه الالوان اما تكون دائمة الوجود مثل اللونين الأبيض والأسود على وجوه بعض الثدييات او تظهر عند الضرورة مثل ظهور البقع اللونية المختلفة على اجنحة البط في موسم التزاوج أو ظهور انماط اللون المميزه على اجنحة الطيور عند الطيران.

وكل من راقب طيورا مثل **الطيور المطوقة** يعرف كيف يكون من الصعب رؤيتها وهي على افرع الشجر واجنحتها مضمومة حين لا يظهر منها إلا لون التمويه ، وكيف يسهل التعرف عليها اثناء الطيران حين ينتشر لون اجنحتها البيضاء.

وتتعرف بعض الحيوانات على ازواجها بواسطة الوانها فقط فمثلا بعض انواع **ناقر الخشب** التى تعيش في امريكا الشمالية لها علامة سوداء او حمراء تسمى الشارب موجودة على جانبي الوجه في الذكر تتعرف بواسطتها الاناث عليهم . وقد اجريت تجربة رسمت فيها شوارب مزيفة على وجوه اناث هذه الطيور واطلقت مرة اخرى لتعود الى ازواجها ولكن بمجرد ان راها الذكور هاجموها بلا رحمة حتى انقذها الباحث وازال شواربها المستعارة التي جعلت الذكور تظن انها ذكور اخرى منافسة .

وتستخدم الالوان المميزة ايضا اثناء القيام ببعض الأنشطة الاجتماعية فتظهر بانماط معينة اثناء القيام بحركات خاصة ؛ فاحيانا تظهر الوان صارخة فجأة لاخافة الاعداء ، وهذه الألوان تكون احياناً على شكل عيون كبيرة مخيفة او عيون صغيرة كالتي تظهر على اجنحة الفراش وابي دقيق





والتي تنجح في جذب اهتمام العدو إلى منطقة بعيدة من جسم الحيوان يمكنها تحمل الجروح مثل الحافة السفلية لأجنحتها ويثبت العدد الكبير للفراشات التي تفقد اطراف اجنحتها فاعلية اللون في عملية الدفاع . وعدد كبير من الحشرات لها رسومات أعين صغيرة الحجم تجعل زيلها يبدو كما لو كان رأس الحشرة وبالتالي يجذب اهتمام الأعداء اليه ويبعدهم عن رأس الحشرة الحقيقي ، وقد لوحظ أن الاعداء غالباً ما يوجهون هجماتهم ناحية رأس الفريسة أوما يبدو انه الرأس لأن مثل هذا الهجوم يكون اكثر فاعلية في شل حركة الحشرة . وتتدخل هذه الرسومات المزيفة للأعين في مسار هجوم العدو يجعله يفقد الاتجاه الصحيح الذي ستسلكه الفريسة اثناء الهرب والسحالي ايضا تستخدم اللون بنفس الطريقة لصد الهجوم عليها بحيث يوجه الهجوم كله لذيلها ذي اللون الخاص والذي ينكسر وتتخلص منه عند امساكها بواسطة العدو .

وظائف أخرى للون

وتلعب الألوان دوراً اضافياً في اقلمة الحيوانات وظيفياً مع الوسط المحيط بها . فمثلا اللون الأحمر يمتص الأشعة فوق البنفسجية الضارة وبذلك يمنع احتراق الجلد المعرض لأشعة الشمس . وكان يظن قديماً أن الفراء والريش الأبيض للحيوانات والطيور القطبية يحافظان على درجة حرارة الجسم بإشعاع كمية أقل من الحرارة . ولكن ظهر من الدراسات الحديثة أن الفراء الابيض والملون يشعان نفس كمية الحرارة . ويساعد اللون الابيض أو الألوان الفاتحة في تنظيم الحرارة وانعكاسها كما يحدث في بعض الأنواع الصحراوية مثل الثعلب الأبيض ويفيد اللون الأبيض الحيوانات القطبية في التمويه وفي جعلها مشابهة للون الثلوج البيضاء المحيطة بها .

ولا تظل الوان الحيوانات ثابتة طوال الحياة فمثلا يظهر الوان زاهية لذكور الطيور في موسم التزاوج فقط والوان عادية في بقية شهور العام .

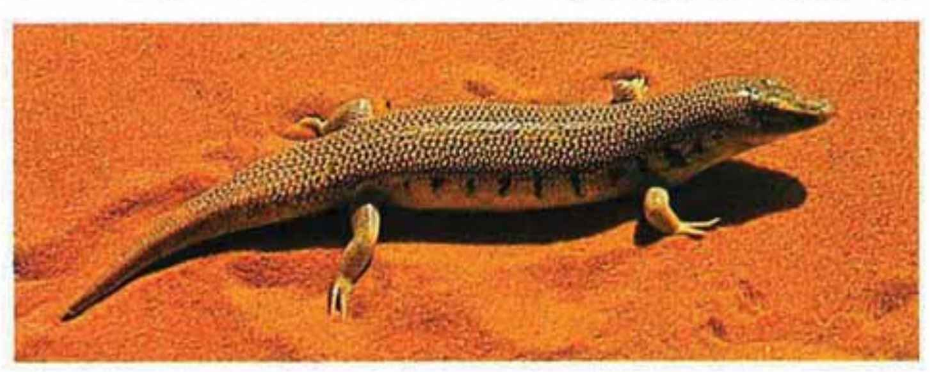
تغيرات موسمية في اللون ودرجاته تساعد الحيوان في الاختفاء عن الأنظار ..

وتكون التغيرات الموسمية أكثر وضوحاً في المناطق القطبية . فيكون لون الفراء في الثدييات القطبية بني اللون صيفاً ليساعدها في الاختباء في ارض ومزروعات الصيف ، ويتغير الى اللون الأبيض في فصل الشتاء ليساعدها في الاختباء في الثلوج ويتغير لون هذه الأنواع حسب موقعها الجغرافي فمثلا يكتسي الأرنب بفراء أبيض في المناطق الشمالية حيث يكون الثلج سميكا ، ويكون الفراء ابيضا جزئياً في المناطق الجنوبية حيث يوجد الثلج في بقع محدودة . ويكون بنياً في المناطق الأكثر قربا من الجنوب مع اختلاف في درجات اللون في البيئات المختلفة .

ويظهر الغزال مثل معظم الثدييات الأخرى اختلافات موسمية في كثافة اللون ، فيكون الفراء زاهياً صيفاً واقتم لوناً في الشتاء فمثلا يكون لون الغزال الأحمر بني يميل إلى الحمرة صيفاً ، وبني يميل إلى الرمادي شتاء .

وتغير معظم يرقات الحشرات الوانها لتتلائم مع التغيرات اللونية الموسمية المحيطة . ويعتمد لون بعض أنواع الفراش على متوسط درجة الحرارة وربما على نسبة الرطوبة التي تتعرض لها ، بحيث يكون لون الفراشات التي تحورت في الموسم الحار الجاف مختلفاً عن تلك المتحورة في الموسم البارد الرطب ، فيكون لون أحد الفراشات الأفريقية المتكونة في الموسم الجاف أسود وأزرق والمتكونة في الموسم الرطب برتقالي وأسود .

ويحدث تغير اللون السريع غير المصحوب



بانسلاخ في الطيور والثدييات في المناطق الخالية من الريش او الشعر . وفي هذه الحيوانات يكون سبب التغيير تمدد في الأوعية الدموية الصغيرة التي تزيد من كمية الدم المتدفق داخلها وبالتالي يزيد حجم الهيموجلوبين على سطح الجلد وبالتالي يظهر الجلد اكثر احمراراً بنفس الطريقة التي يحمر بها وجه الانسان عند الخجل . وتجعل الصقور لون راسها ورقبتها حمراء بنفس هذه الطريقة وتزداد درجة قتامة اللون اذا هوجمت او اثيرت .

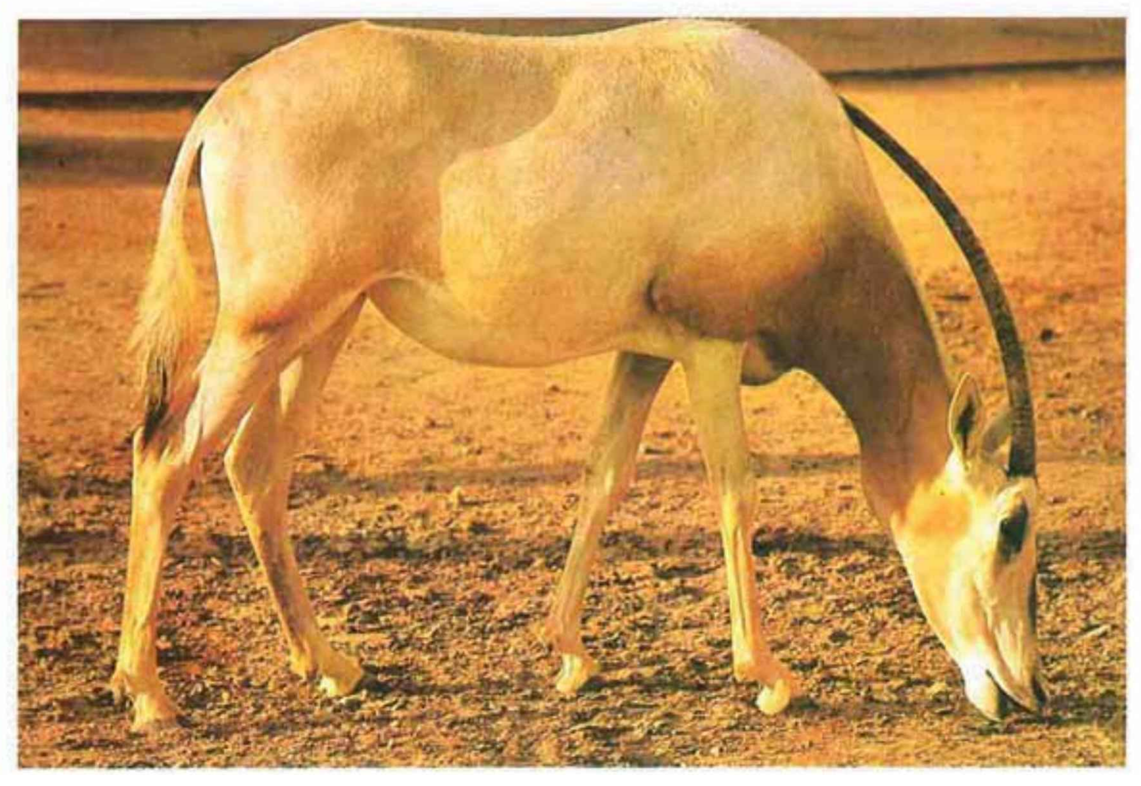
الخلايا اللونية

وتكون **الصبغات اللونية** المسؤولة عن التغير السريع في اللون في انواع الحيوان الأخرى موجودة في خلايا خاصة تسمى **الخلايا اللونية** ويوجد منها نوعان يعملان بطريقتين مختلفتين . والنوع الأكثر شيوعا منها عبارة عن خلايا لها زوائد دقيقة ممتدة ، وتتركز حبيبات اللون في وسط الخلية الكبير الحجم وتنتشر هذه الحبيبات في زوائد الخلية عند الحاجة فيتغير لون الجلد دون ان تتحرك الخلايا نفسها أو تغير من شكلها . ويمكن ان تحتوي هذه الخلايا على العديد من حبيبات اللون المختلفة وتتحرك كل صبغة لونية مستقلة عن بقية الألوان . **وتكون الصبغات في هذه الخلايا اللونية سوداء أو حمراء أو صفراء عادة كما** **يمكن ظهور بعض الألوان الأخرى مثل الابيض العاكس للضوء** كما في بعض الاسماك وتنتج حركة الجزيئات المختلفة وتداخلها عددا من الظلال والألوان .

وتكون الخلايا اللونية مستقلة عن بعضها في معظم **الفقاريات** ولكن في **القشريات** مثل الجنبرى وسرطان البحر تتجمع الخلايا اللونية مع بعضها وتتصل زوائدها مع بعضها لتتعاون في العمل معاً وتوصيل المعلومات . ويتغير اللون في **الجنبري** الأحمر الذي يعيش بين الأعشاب البحرية على الشواطيء الأوروبية والذي يبلغ طوله حوالي ٢,٥ سم بشكل واضح فيكون اللون احمر عندما يستقر على أعشاب حمراء وبنياً على الاعشاب البنية واخضر على العشب الاخضر . **ويتغير اللون الى الازرق مساءاً مهما كان لون العشب الموجود في المنطقة . وتحتاج كل التغيرات اللونية ما عدا المسائية إلى حوالي الأسبوع ليتم تغير اللون . وتكون الخلايا اللونية في هذا الجنبري زرقاء وصفراء وحمراء . وتنتشر الحبيبات الحمراء فقط في كل انحاء الخلية عندما يكون الحيوان فوق عشب احمر . اما اذا كان فوق عشب اخضر فتنكمش الحبيبات الحمراء وتنتشر الزرقاء والصفراء . وينتج اللون البني من الحبيبات الحمراء مع القليل من الصفراء والزرقاء . وفي المساء تنتشر الحبيبات اللونية الزرقاء في انحاء** الخلية وتتقهقر الصفراء والحمراء الى المركز .

وتظهر احيانا بعض التغيرات البطيئة في عدد وتوزيع الخلايا اللونية نفسها . ففي **الاسماك المفلطحة** يكون عدد الخلايا اللونية قليل اذا كانت السمكة تعيش على رمال باهتة اللون أو في مياه ضحلة . وتكثر هذه الخلايا في العدد اذا اتجهت السمكة الى منطقة طينية او الى منطقة اكثر عمقا . ومع انه ثبت بالتجربة ان اللون ممكن ان يعود باهتا مرة اخرى إلا انه في الطبيعة تنتقل هذه الاسماك من المناطق الباهتة إلى المناطق الأكثر قتامة في اللون بزيادة السن ولذلك يكون لون الكبير منها اقتم في معظم الاحوال .

والنوع الآخر من نمط اللون موجود في



الاخطبوط والرأس قدميات ويتكون من خلايا مستديرة تشبه الحقيبة وتحتوى على صبغيات ملونة . وينتشر حول الخلية اللونية في **اتجاه الجلد** عضلات مرتبة على شكل ازرع شعاعية يبلغ عددها من ستة الى عشرين عضلة . وعند تقلص هذه العضلات تسحب معها جدار الخلية اللونية السميك المرن فتتحول الخلية من شكل الكرة إلى قرص مفلطح يبلغ قطره من ١٥ ـ ٢٠ مرة قطر الخلية الأولى . وبذلك تنتشر الحبيبات اللونية من نقطة صغيرة مستديرة إلى دائرة كبيرة مفلطحة وبذلك يزداد لون الحيوان قتامة وبارتخاء **العضلات تتحول الخلية اللونية مرة اخرى الى**



شكل الكرة وتظهر البقع اللونية في شكل دوائر صغيرة مرة اخرى .

وللاخطبوط نوعان من الخلايا اللونية . نوع يحتوى على صبغة حمراء بنية والآخر على صبغة صفراء . وتحتوى الراس قدميات الاخرى على ثلاث صبغات بنية وحمراء وصفراء يوجد تحتها طبقة ممتدة من صبغة عاكسة للضوء . وتستطيع هذه الحيوانات باستخدام هذه الخلايا اللونية العضلية ان تغير من لونها بسرعة اكبر من الحيوانات الاخرى .

ودرجة **الحرارة العالية تجعل الحرباء تتحول** الى اللون الباهت ويقتم لونها بانخفاض درجات الحرارة . ويلمع لون الذكور عندما تثار لرؤية ذكور منافسة في مناطق نفوذها . وربما يعود السبب في ذلك إلى زيادة معدل الاحتراق في الجسم بزيادة الاثارة والانفعال . ولكن يؤدي ارتفاع درجة الحرارة في بعض الحيوانات الأخرى إلى ازدياد في قتامة اللون أو جعله اسوداً .

وتؤدي الرطوبة ايضا الى تغير في اللون . فالضفدعة العادية مثلا يغمق لونها في البيئة الرطبة ويفتح في المناطق الجافة . كما يؤثر الضوء بدرجة كبيرة على لون الحيوان اما بشدته أو بنوعه وخصوصا الضوء الذى يستقبله عين الحيوان من البيئة المحيطة والذى تتغير شدته نتيجة دورة الليل والنهار . ويؤكد أهمية دور العين في تغير لون الحيوان ملاحظة ان **الأسماك والبرمائيات والسحالى العمياء** تفقد القدرة على تغيير الوانها . ولا يكفى وجود العين فقط بل يجب ان يتواجد ايضا طريق لحمل الرسالة الضوئية داخل جسم الحيوان حتى تصل إلى الخلايا اللونية في الجلد . وعادة تنتقل هذه الرسالة إلى المخ بواسطة عصب بصري كبير. ثم إلى اعصاب اخرى متصلة بالخلايا اللونية او بخلايا تقوم بافراز هرمونات معينة إلى الدم الذى يدور في الجسم وينشط عمليات تغير اللون في مناطق معينة من الجسم. ولذلك تسمى "بهرمونات الرسل الكيميائية بالجسم .

والتغير السريع في شكل الخلايا اللونية العضلية للراس قدميات تتحكم فيه الاعصاب ويؤدي قطع اى عصب متصل بمنطقة معينة من الجسم الى انعدام اللون في هذه المنطقة بسبب شلل الخلايا اللونية وانكماشها في كرات صغيرة الحجم . ولا يمنع انعدام الرؤية في العينين من تغير اللون ولكن يجعل هذا التغير غير مرتبط بتبيئة . واذا انعدمت الرؤية في عين واحدة يقل اللون في جانب الجسم المتصل بهذه العين . والكثير من الخلايا اللونية في الفقاريات متصل بالأعصاب ولكن حركة الصبغيات داخل هذه الخلايا يكون اكثر بطئاً منه في " خلايات اللونة العضلية .

وتؤثر الغدة النخامية الموجودة في **البرمائيات** على الخلايا اللونية المتفرعة فإذا ازيلت هذه الغدة جراحيا فقدت الضفدعة قدرتها على تغيير لونها وتصبح سوداء اللون وتظل كذلك حتى اذا وضعت فوق خلفية بيضاء . اما في **الأسماك والزواحف** فيكون تغيير اللون في بعض الخلايا الملونة نتيجة لتاثير الهرمونات فقط وفي البعض الآخر نتيجة للهرمونات والاعصاب معاً او نتيجة لتاثير الاعصاب فقط . واسرع هذه التغيرات ينتج عن تاثير الاعصاب . اما التغيرات البطيئة فتتحكم بها "بهرمونات .

ومعظم الحيوانات تكون نشيطة في الفجر واثناء الليل حين تكون مصابة بعمى الألوان ماعدا الرئيسيات والقردة . وقد لوحظ ان الحصان والكلب والقط والغزال والزراف والأبوسوم تميز الالوان جزئيا، ويرجع لون الذيبيات البنى والرمادى والأسود المنتشر في معظمها لكونها ضعيفة في تمييز الالوان ولكنها تستطيع الاتصال عبر اشارات بيضاء مثل الموجودة على صدر وذيل الغزال أو على وجوه بعض القوارض الصغيرة الحجم

معظم الحيوانات ينتابها النشاط عند إصابتها بعمى الألوان !!



الحيوانات ذات الألوان الملفتة للنظر تكون أكثر عرضة للفناء..



اصباغ الالوان

وتنتج الألوان الصيفية الزاهية من مركبات كيميائية تمتص وتعكس اضواء ذات اطوال موجيه معينة . فمثلا **الصبغة الحمراء** تمتص او يمر خلالها كل الموجات الضوئية ما عدا الاحمر الذى ينعكس او ينتقل منها وبالمثل تنقل الصبغة الصفراء اللون الاصفر. اما الصبغة السوداء

المعروفة **بالميلانين** فتمتص جميع الألوان فلا ينعكس منها أي لون ما عدا بعض الألوان البنية أو الحمراء الداكنة .

ومن المعروف أن الصبغات عبارة عن مواد اخراجية ناتجة عن العمليات الكيميائية الحيوية وبذلك يصنع الحيوان معظم الصبغات الخاصة به ما عدا القليل مثل صبغة **الجزرين** التي يكونها النبات ويحصل عليها الحيوان من النبات الذي ياكله، أما الحيوانات أكلة اللحوم فتحصل عليها

المجترة معدة كيسية كبيرة الحجم ومنقسمة الى حجرات أولها تسمى المعدة المجترة، ويصل الطعام إلى هذه الحجرة مهضوما جزئيا ثم يعود الى الفم ليعاد مضغه قبل ان يبلع مرة اخرى الى المعدة الرئيسية . وتوجد كائنات حية دقيقة عديدة في المعدة المجترة تكون في هذا المكان صبغة الريبوفلافين بتركيز يبلغ مائة ضعف مما يحصل عليه الحيوان من غذائه، ولكن

النبات والحيوان كلما اتجهنا من أقطاب الكرة الأرضية إلى خط الاستواء **ولهذا تكون الكائنات الحية المزركشة أقل في العدد واللون في المناطق المدارية عن المناطق الاستوائية** . وهذا ينطبق أيضاً على الحيوانات البحرية وأسماك المياه العذبة والمالحة ، لأن الشمس وأشعتها الساخنة تسرع من عمليات هدم الغذاء وتكوين الألوان الزاهية ، ولهذه القاعدة بعض الشذوذ



بطريق غير مباشر من لحوم فرائسها، وصبغة الجزرين تنتج ألوان حمراء زاهية وبرتقالية وصفراء، وغياب هذه الصبغة من طعام حيوانات الأسر هو السبب في انطفاء ألوانها. ويرجع اللون الأحمر الزاهي للبجع الصغير الحجم إلى مادة الجزرين التي يحصل عليها من القشريات الصغيرة التي يتغذى عليها والتي حصلت على الصبغة بدورها من النباتات الميكروسكوبية الموجودة في مياه البحيرات والتي لها القدرة على صنعها بنفسها، ويفقد بجع حدائق الحيوان هذا اللون الزاهي اذا لم يحصل في طعامه على هذه الصبغة .

أما صبغة الريبوفلافين التي تعطي لونا أحمر لفراء الثعالب فتتكون بواسطة كائنات دقيقة مثل البكتيريا والفطريات والسوطيات التي تعيش في امعائها، وهذه الكائنات تعيش متكافلة مع الثعالب لأنها تستفيد من الوسط الداخلي المحيط في الحماية وكمصدر للطعام ، وفي المقابل تساعد الحيوان المضيف في هضمه لغذائه واعطائه بعض الكيماويات الضرورية مثل صبغة الريبوفلافين التي لا يستطيع أن يكونها بنفسه . وهذا التكافل أكثر انتشاراً في الحيوانات أكلة العشب مثل الأرنب والمجترة مثل البقر والغزال. **وللحيوانات**

المعدة المجترة غير التامة النمو للحيوانات الرضيعة تفتقر لهذه الكائنات وتحصل هذه الحيوانات على الصبغة اللازمة لها من لبن الأم الذي يمر مباشرة إلى المعدة الرئيسية ويحتوي على هذه الصبغة بتركيز يبلغ عشرة أضعاف ما هو موجود في الغذاء العادي للأم وتتعمد اكلات اللحوم مثل الثعلب والذئب والأسد التهام كمية معينة من محتويات امعاء فرائسها لتضمن لونا زاهيا لفرائها . ويلاحظ ازدياد وتنوع الألوان في

فالصحاري مثلا تحتوي على حيوانات ذات ألوان باهتة تميل إلى الرمادي والبني الناتج عن الجو الحار الجاف ، أما الحيوانات التي تعيش في الغابات الكثيفة الرطبة فيكون لونها أكثر قتامة من مثيلاتها القاطنة خارج الغابة، وهذا راجع لعملية الانتخاب الطبيعي الذي يكون من نتيجتها فناء الحيوانات ذات الألوان الملفتة في الصحاري والغابات وتتبقى فقط الحيوانات ذات الألوان المشابهة للبيئة المحيطة .





نحو نظرية جديدة:

الإخراج (المسرحي) في كتب الأطفال

بقلم: أحمد نجيب

ظاهرة عالمية جديدة، يسجلها الكاتب في هذه الصفحات وهي تمثّل اتجاها متناميا نحو أسلوب جديد، أو نظرية جديدة، في إخراج كتب الأطفال الحديثة، نتيجة تحليله لمقومات إخراج هذه الكتب، ومحاولته رد هذه المقومات إلى منابعها الفكرية والنفسية والفنية المختلفة..

وهي نظرية جديدة، نلمحها تتبلور وتنمو وتتطور بطريقة تدريجية على مر السنين، كثمرة للتفاعل بين الفنانين والمبدعين من مخرجي كتب الأطفال من ناحية، ومعطيات العصر ومناخه ومقوماته و إمكاناته من ناحية أخرى..

ولعل الفنانين المعاصرين ممن مهّدوا لهذه النظرية في إخراجهم لكتب الأطفال لم يفعلوا هذا عن عمد، وإنما هي اتجاهات فنية نمت وتطورت متأثرة بمناخ العصر لا شعوريا في الغالب، فنجم عنها هذا الأسلوب المتميز في إخراج كتب الأطفال الحديثة..

ثم يأتي دور النقاد والباحثين في رصد هذه الظاهرة وتفسيرها وتقنينها وردها إلى أصولها..

وهذا ما يحاول كاتب هذه السطور أن يقوم به، كمحاولة أولى لتوجيه الأنظار إلى هذا الاتجاه، وإلقاء الضوء حوله، ومحاولة تفسيره، وتأصيله، وردّه إلى المنابع النفسية والفكرية المختلفة..

كتب الأطفال.. والمناخ العالمي المعاصر

تمثل (كتب الأطفال) دعامة من الدعائم الرئيسة في ميادين ثقافة الأطفال وأدبهم..

وقد ساعدها على الوصول إلى هذه المكانة ما تتمتع به من مميزات ذاتية، وخصائص جذب وتشويق، من ناحية (الشكل)، أو من ناحية (المضمون) على حدّ سواء..

وقد أتاح لها المناخ العالمي المعاصر عناصر قوة إضافية، نتيجة عوامل منها:

١ ـ التقدم التكنولوجي الكبير، وبخاصة في وسائل الطباعة، مما ساعد على إخراج كتب ملونة رائعة شائقة تغري بالقراءة والاقتناء، كما ساعد على التفنن في إصدار كتب ذات صور بارزة أو متحركة، أو تصدر عنها أصوات مختلفة، إلى غير هذا من أساليب التشويق والإغراء..

٢ ـ التقدم الهائل في مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، الأمر الذي أتاح من حقائق العلوم والمعارف ما هو أغرب من الخيال..

٣ ـ التقدم في علوم التربية وفي علم النفس، مما ساعد على تعرّف خصائص الأطفال في مختلف الأعمار، وما يناسبهم في كل مرحلة..

٤ ـ ازدياد الوعي العام ـ خصوصا في المجتمعات المتقدمة ـ بأهمية الطفولة، والدور الحيوي الذي يلعبه أدب الأطفال في بناء حاضر الأجيال الجديدة ومستقبلها، الذي هو مستقبل الأمة نفسها، مما جعل العناية بأدب الأطفال وثقافتهم معيارا من المعايير الحضارية في العالم المعاصر..

٥ ـ التقدم في علوم الكتب والمكتبات، لمسايرة (الانفجار المعرفي) الذي جعل من الكتاب والمكتبة ـ بمفهومها الحديث الشامل ـ مصدرا أساسيا للمعرفة في عالم سريع التغير والتطور..

من كتاب العدد



● **الأستاذ أحمد نجيب**

كاتب متخصص في أدب الأطفال

- فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في فرع الأدب (بالاشتراك) عام (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- مدير مركز أدب الأطفال (سابقا) في دار المعارف المصرية
- يقوم بتدريس فنون الكتابة للأطفال في جامعة القاهرة.
- له حوالي ٣٠٠ كتاب للأطفال، طبع منها نحو ٩ ملايين نسخة
- عضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر
- حائز على جائزة الدولة (مصر) في أدب الأطفال ١٩٧٢م
- مواليد الجيزة (مصر) ١٩٢٨م

أهمية دور (الإخراج) في كتب الأطفال :

● تتم قراءة كتب الأطفال ـ عادة ـ قراءة (حرة). بمعنى أن الطفل هو الذي يقبل على الكتاب بإرادته واختياره، ولا محل هنا لعناصر الضغط أو الإكراه التي لا يمكن أن تصنع قارئا جيدا . .

وعلى هذا فإن من أهم عوامل نجاح (كتاب الطفل) أن يعرف كيف يجذب الطفل ويشده . .

وهنا ندخل في الاعتبار عناصر مختلفة، منها :

الصور والرسوم، قطع الكتاب، الألوان، صورة الغلاف، عنوان الكتاب، موضوعه، البنط المستعمل، تنسيق الصفحات الداخلية، الخ .

● ومن الواضح أن (النظرة الأولى) تؤدّي هنا دورا كبيرا :

فالكتاب الناجح يبهر الطفل للوهلة الأولى، ويستحوذ على اهتمامه، فيمد يده نحوه بمطلق حريته، ويبدأ في تقليب صفحاته، ليرى ما بداخله،

فإذا راقه (الداخل)، كما راقه (الخارج)، فإنه يقبل على الكتاب، ويلتهم صفحاته بنهم شديد،

وهنا فقط يبدأ في الإعجاب بالقصة أو (المضمون)، إذا كان المضمون جديرا بالإعجاب،

ومعنى هذا أن (النظرة الأولى) تلعب دورا هاما حيويا في كتب الأطفال، وكم من كتاب بديع رائع في (مضمونه وجوهره)، لم ينجح في جذب الطفل إلى قراءته، لأنه لم يكن على نفس المستوى البديع الرائع في (شكله ومظهره) . .

ومن هنا تنبع أهمية عملية (الإخراج) في كتب الأطفال، للتأليف بين عناصر (الشكل ـ والمضمون)، وعرضها بذكاء واقتدار وحكمة، للوصول إلى إعداد كتاب أطفال شائق . .

مراحل متعددة :

● ومن البدهيّ أن أسلوب (الإخراج) يرتبط بسن الطفل، ومرحلة النمو التي يوجه لها الكتاب . .

ومن البدهيّ أيضا أن النجاح في هذا لا يأتي مصادفة، وإنما هو يعتمد ـ وبقدر كبير ـ على أمور منها :

ـ علم كاف بخصائص الأطفال واهتماماتهم وقدراتهم وما يشوقهم ويستهويهم . .

ـ مقدرة فائقة في مجالات التذوق الفني والقدرة التشكيلية، ووعي بأساليب الرسم التي تناسب الأطفال في مختلف الأعمار . .

ـ استيعاب كامل لمضمون الكتاب ومحتواه وأهدافه . .

ـ خبرة كافية بعمليات الطباعة ومقوماتها وإمكاناتها، ونوعيات الورق ومواصفاته والنتائج المتوقعة من استعمال كل نوع . .

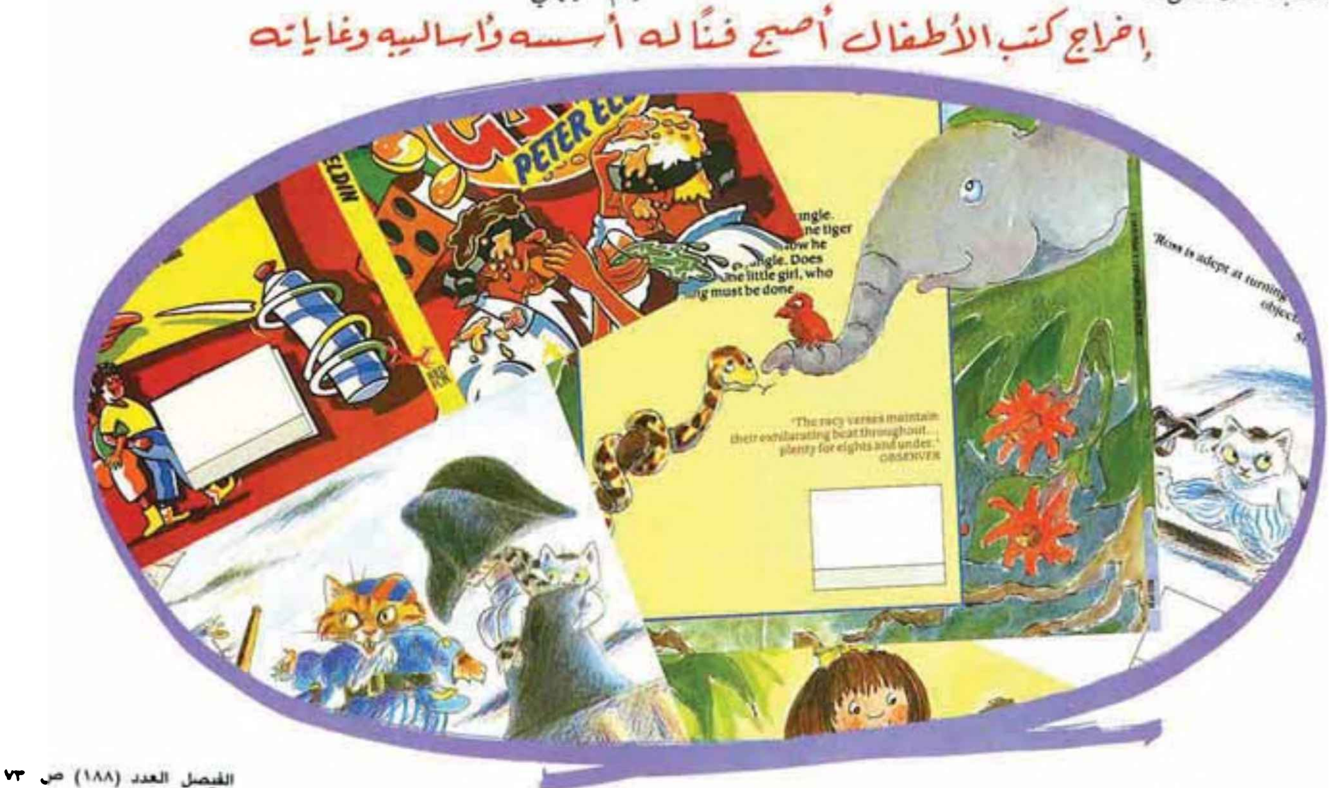
ـ معرفة بالإمكانات التكنولوجية الحديثة المتاحة، للإفادة منها في عمليات إخراج الكتاب . .

ولا شك أن (إخراج) كتاب الطفل ليس هو مجرد (إعداد الصور والرسوم)، ووضعها في أي مكان، كما تفعل كثير من الكتب . .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن (مخرج) كتاب الطفل الحديث هو (المايسترو) الذي يجب أن يتمتع بموهبة وعلم وخبرة ودراسة، مع حاسة مرهفة ووعي كامل بدنيا الأطفال وأدبهم وثقافتهم وفنونهم . .

ودوره في (إخراج) الكتاب لا يقل عن دور (المخرج) بالنسبة للمسرحية أو الفيلم السينمائي . .

إخراج كتب الأطفال أصبح فنًا له أسسه وأساليبه وغاياته



ويخرج كتاب الطفل الناجح يجب أن يعرف :

ـ كيف يتحدث إلى الطفل بلغته . .

«واللغة هنا ليس مقصودا بها مجرد (لغة النص المكتوب)، بل إن كل ما في الكتاب من نصّ (وأبناط) وعناوين ورسوم وهوامش ومساحات لونية وفراغات و(ماكت)، إلخ هو (لغة) تتحدث إلى الطفل، فيجب أن تكون متفقة مع ما يناسبه . .»

ـ وكيف يتمشى مع طريقته في التفكير . .

ـ وكيف يتفق مع خصائصه وقدراته في مرحلة النمو التي أُعدّ لها الكتاب . .

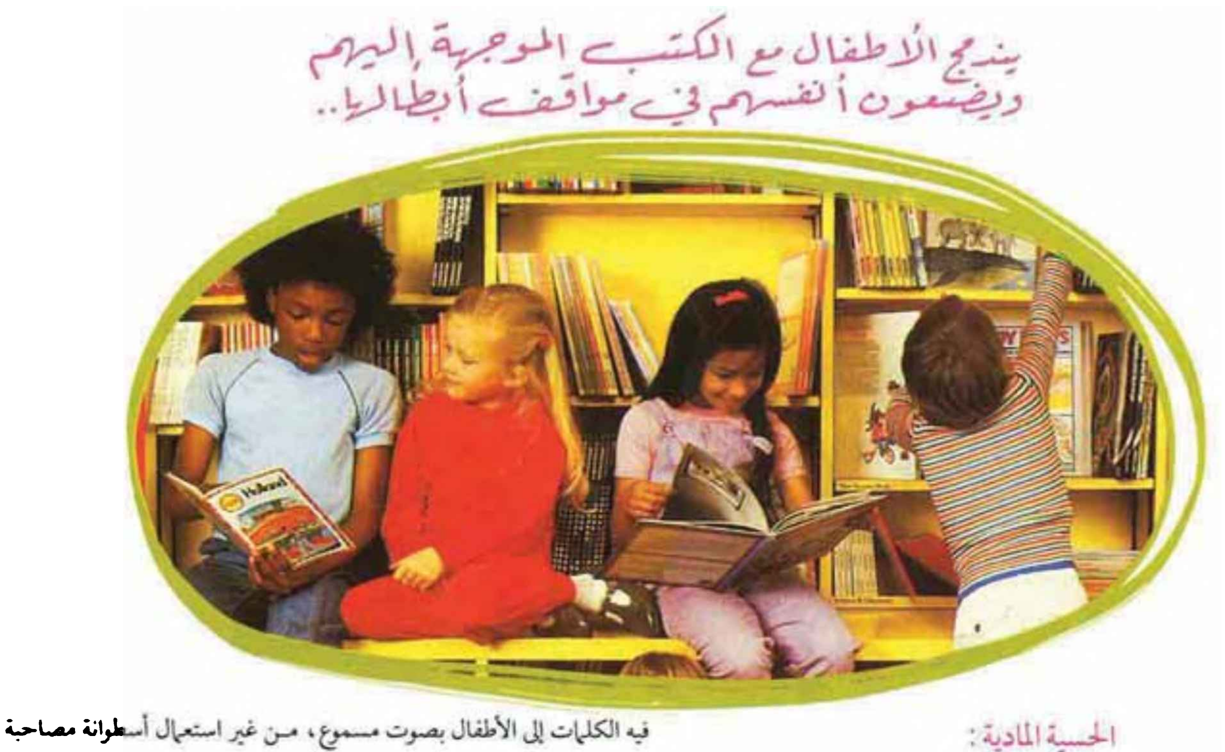
ـ وكيف يقدم كل هذا في إطار فنّيّ جميل . .

والأطفال يغلب عليهم لونان من ألوان التفكير هما :

أ ـ **التفكير الحسي**: أي التفكير المتعلق بأشياء محسوسة ملموسة .

ب ـ **التفكير بالصور** : أو التفكير الذي يستعين بالصور الحسية المختلفة .

ومن المعروف أن تفكيرهم لم يصل بعد إلى مستوى التفكير المعنويّ المجرد، وعلى هذا فإنهم عندما يقرؤون قصة، يستعينون بتكوين (صور بصرية)، كأنهم يرون ما يقرؤون ماثلا أمامهم . .



يندمج الأطفال مع الكتب الموجهة إليهم ويضعون أنفسهم في مواقف أبطالها..

الحسية المادية :

إذا كان الإخراج الناجح يتمشى مع أسلوب الطفل في التفكير، ويُحسن الإفادة من التقنيات الحديثة، فإنه يستطيع أن يحقق لمحتوى الكتاب نوعا من (الحسيّة)، و(تجسيم) المعاني والأفكار والأحداث والشخصيات، بما يجعلها محسوسة ملموسة، يراها الطفل بعينيه، ويجسها بأنامل يديه ويسمعها بأذنيه، وقد يشمّها بأنفه أيضا ويتحقق هذا باستعمال الرسوم البارزة، والمتحركة، والتي تصدر أصواتا، أو تصحبها أشرطة تسجيل، أو بوجود عرائس قفاز يحركها الطفل بأصابعه داخل صفحات الكتاب، وبالإضافة الملحقة بجسم الكتاب (مثل : عقارب ساعة أو مؤشر ميزان أو عجلات سيارة أو رباط حذاء، الخ) ، كما يساعد عليه أيضا أن يصدر عن الكتاب روائح مناسبة تستهوي الأطفال . .

الحسيّة المعنوية :

إذا تركنا هذه (الحسيّة المادية) الواضحة جانبا، فإننا نجد أن هناك لونا آخر من (الحسيّة المعنوية) فعّال الأثر في إخراج كتب الأطفال الجيدة، وفي تجسيم المعاني وإبرازها . .

وتتحقق هذه (الحسيّة المعنوية) في إخراج كتب الأطفال بأمور منها :

١ ـ استعمال «نبرات الكتابة» [١]، وحسن اختيار نوعيات الرسوم وأماكنها، والبراعة في تقطيع السطور، وترتيبها، وفي التعامل مع المكونات الأساسية الجزئية لصفحات الكتاب[٢]: (الكلمة ـ السطر ـ الرسم ـ الفراغ ـ اللون،) وما إلى ذلك .

٢ ـ البراعة في الكتابة للأطفال (بالأسلوب المجسم)، والمقدرة على الإفادة من اللغة الصامتة والكلام الباطن[٣] عند الأطفال لإعداد كتاب جيد، تتحدث فيه الكلمات إلى الأطفال بصوت مسموع، من غير استعمال أسطوانة مصاحبة أو شريط مسجل . .

ولماذا: الإخراج (المسرحي) في كتب الأطفال؟

أولاً ـ بين خصائص الأطفال ، وخصائص المسرح :

بمقارنة سريعة بين [خصائص (الأطفال) وخصائص (المسرح)]، يمكن أن نلحظ أمورا منها .

● أن الأطفـال في تلقيهم لـلأعمال الأدبيـة أقـرب مـا يكـونـون إلى (النـوع الاندمـاجي)، أي إنهم يندمجون في الـدور، ويضعون أنفسـهم داخل الموقف، ويعـايشـون الجو الانفعـاليّ الحقيقيّ للعمل الفني، كأنهم أبطـال القصـة أو المسرحيـة، وكأنهم يعيشـون فعـلا في الجو الـذي حـدثت فيـه وقـائع العمل الأدبيّ . .

ويساعدهم على هذا خيالهم القويّ بنوعيه : الإيهاميّ - والحر.

●وأن المسرح بخصائصه الـدرامية (أو المسرحية) يسـاعـد الأطفال في هذا المجـال، لأنـه يُـريهم الحوادث أمـامهم، في أمـاكنهـا التي حـدثت فيهـا، وبأشخاصهـا الذين حدثت معهم، بالإضـافة إلى مناظره وديكوراتـه وملابس ممثليه، ومؤثراته الصوتية والموسيقية، وحيلـه المسرحية وإضاءته السـاحرة، وما إلى ذلك مما ينقل الأطفال إلى العالم الشائق، أو الجوّ الأسطوري الذي يسعدهم أن يعيشوا فيه . .

●وبهذا نجـد أن عـوامل الإيهام المسرحيّ، تتعـاون مع خيـال الأطفـال الإيهامي وخيالهم الحر ومواقفهـم الاندماجية، وحالات التعـاطف الدراميّ أو المسرحيّ، على أن تصل بجمهور الأطفال إلى قمّـة المتعة والانفعال والتأثر، إذا أحسنّا الربط بين هذه العوامل، ونفّذناها بطريقة واعية تراعي إمكانات المسرح



فتفيـد منهـا، وتـراعي خصـائص الأطفال النفسيـة واحتيـاجـاتهم، فتلبيهـا وتتجاوب معها، في إطار من القيم التربوية والأدبية السليمة . .

● وتفكير الأطفال - كما سبق القول - حسّيّ وبالصور . .

والمسرح في هذا يتفق مع طريقة الأطفال في التفكير، لأنه يقدّم لهم، أمام أعينهم الأحداث والشخصيات والأماكن تموج بالحركة والحياة . .

وهو في هذا يفوق الكتاب، والإذاعة، والتليفزيون، والسينما :

- فإذا كان (الكتاب) يقدم صورا مكتوبة ومرسومة . .

- و(الإذاعة) تقدّم صورا مسموعة .

- و(التليفزيون والسينما) يقدّمان صورا مرئية ومسموعة . .

- فإن (المسرح) يقدم صورا واقعية حية ناطقة محسوسة ملموسة مسموعة، كأنها تحدث أمام الأطفال في عالم الحقيقة . .

ثانيا - خصائص الأطفال - وخصائص المسرح، وكتب الأطفال الحديثة :

إذا سرنـا خطوة أخرى إلى الأمام، وأضفنـا إلى ما سبق عن : [خصـائص (الأطفـال) وخصـائص (المسرح)]، بُعـدا ثـالثـا يتعلق : (بخصـائص كتب الأطفال الحديثة)، فإننا نجد أن من أهم ملامح هذه الكتب : «الإبهار» . .

فهذه الكتب تبهر الصغـار والكبار على السواء، وقد ساعـدها على هذا، التقدم التكنولوجي الهائل، الذي مكّن من إعداد كتب للأطفال ملونة - مجسّمة - متحركة - ناطقة إلخ . .

وهذا أدّى إلى أن يكتسب الكتاب جانبا من خصائص المسرح ومقوماته إذا صح هذا القول . .

فالكتاب الجديد - بما فيه من صور ملونة - مجسّمة - متحركة - ناطقة، إلخ -

يتحول أمام الطفل إلى ما يشبه خشبة المسرح بـمناظرها الخلفية وديكوراتها . .

وبلغ الأمـر ببعض الكتب ــ كما سبق القـول ـ إلى حـد أنها قـد تحولت إلى (مـسرح عـرائس)، فنجد عـروسة مـن عرائس القفّـاز مثبتة في الغـلاف الأخير للكتاب، يستطيع الطفل أن يحركها بأصابعه . وفي كل صفحـة من صفحات الكتاب فتحة يستطيع الطفل أن يحرك العروسة من خلالها، فتتكامل مع المنظر المرسوم في الصفحة .

والكتب التي لا تستعمل عناصر التجسيم والصـوت والحركـة، كثيرا مـا تخصص للصور والرسوم مساحات كبيرة، أو تلجأ إلى الرسم ذي الأعماق، وإلى استعمال المنظور، الذي يكسب الصور قدرا كبيرا من التجسيم والعمق . .

ويساعد على هذا استعمال القَطع الكبير في كتب الأطفال، الذي قد يصل أحيانا إلى ٣٠ × ٤٣ سم أو أكثر . .

ثالثا ـ البانوراما الشاملة، وتكامل الموقف :

وقد كان من نتائج هذه الإمكانات الحديثة لكتب الأطفال، إتاحة الفرصة لما يكن أن نسميه (تكامل الموقف) في اللوحات المصورة التي تقدمها كتب الأطفال . .

وبدلا من أن تشتمل الصورة المرسومة على مشهد يوضح منظرا جزئيا : شخصان يتبادلان الحديث، أو رجل يسير في الطريق، أو أرنب يقف أمام أسد في خضوع . . إلخ

بدلا من هذه المشاهد (الجزئية)، تقدّم الصورة المرسومة (بانوراما) متكاملة للأحداث التي تجري في موقف من مواقف القصـة، وما يحيط بها من منظر خلفيّ وتفاصيل مختلفة . مع استخدام الألوان والمنظور والأعماق والأجزاء المتحركة، وما إلى ذلك، مما يجعل اللوحة المرسومة أشبه بخشبة مسرح، بما فيها من مناظر خلفية وشخصيات وديكورات . .

وثمة إمكانية أخرى أساسية تتيحها المساحات الكبيرة للرسم في كتب الأطفال الحديثـة، تلك هي أنها تجعل أحجام الشخصيات وأحجام العناصر المختلفة في اللوحة أكبر كثيرا مما كان متاحا في كتب الأطفال القديمـة . وهذا يجعل شخصيات القصة وعناصرها المختلفة أقرب إلى الأحجام الطبيعية مما كان متاحا في الماضي، وهذا بدوره يساعد على عمليات التجسيم والاندماج والإيهام المسرحيّ في كتاب الطفل . .

مع ملاحظـة أن كثيرا من كتب الأطفـال الحديثـة تعتبر كل صفحتين متقابلتين لوحة واحدة كبيرة متكاملة، تبين كل تفاصيل الموقف، وتأتي الكتابة فيها بطريقة مدروسة، موزعة في داخل هذه اللوحة بعناية لتوضح (موقفا متكاملا)، وربما تكون الكتابة فيه خارجة من أفواه الشخصيات، كأنما هي تتحدث في الحياة الواقعية، أو كأنما هي لممثلين يتحدثون على خشبة مسرح . .

● من هذا :

ـ باتساع مساحة الرسم، الذي يملأ الصفحة كلها، أو يملأ الصفحتين المتقابلتين معا، ويقدم بانوراما شاملة للغابة أو المغارة أو القصر أو الموقع الذي

ـ ووجود أجزاء مجسمة كديكورات المسرح . .

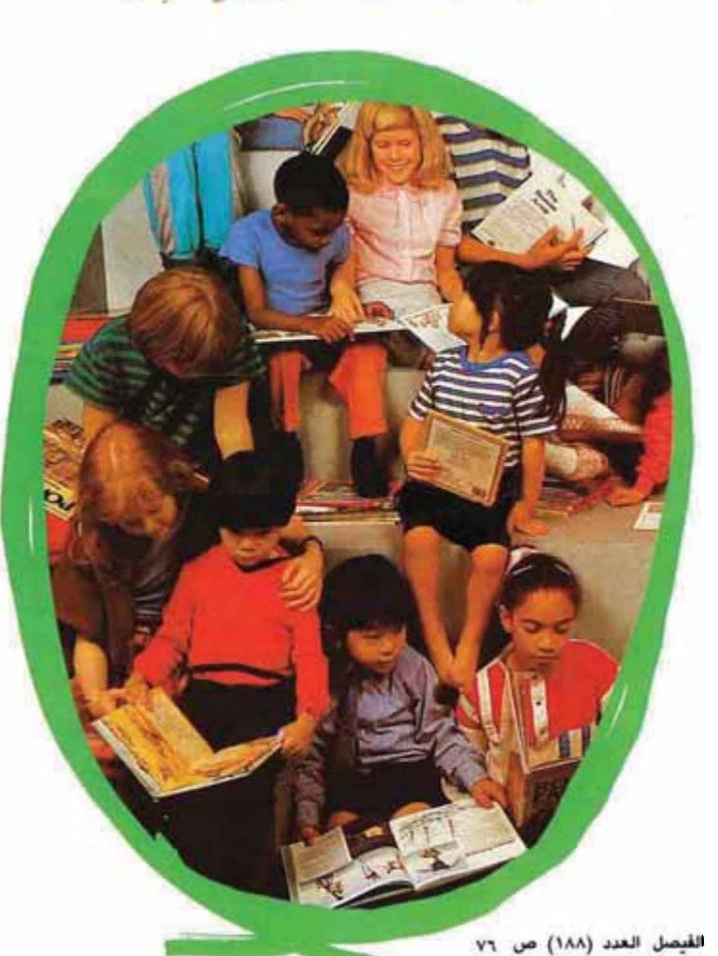
ـ وكبر حجم الشخصيات، التي قد تكون متحركة وسط المنظر، وقد تكون ناطقة بأصوات مصاحبة، أو بكلمات تخرج من أفواهها . .

ـ وباستعمال قواعد المنظور، والأعماق، وتوزيع الألوان والظلال،

من هذا، وبه . .

تبدو صفحات الكتاب وكأنها خشبة مسرح حقيقيّ، يعيش فيه الطفل بخياله الإيهاميّ مع شخصيات القصة في موقع الأحداث . .

الكتابة في كتب الأطفال موزعة داخل لوحة جميلة وكأنها خارجة من أفواه شخصياتها..



هوامش :

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ـ انظر:

أحمد نجيب . فن الكتابة للأطفال . ط٣، بيروت، ١٩٨٦م ـ ص : ١١٥ ـ ١١٧

(٢) أحمد نجيب . القصة في أدب الأطفال . القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٨٢م ـ ص . ٢١٥ ـ ٢٢٣ .

(٣) أحمد نجيب . أدب الأطفال : علم وفن . القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٩١ م ـ ص : ٣١٠ ـ ٣٢٤



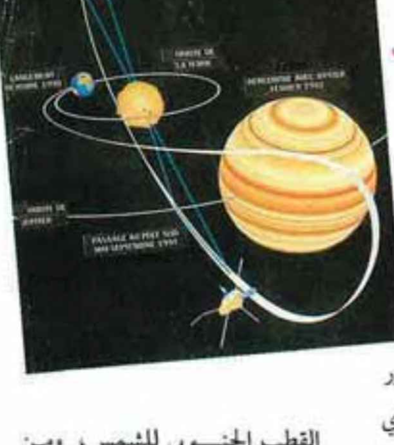


طائرة فضائية أوروبية

بتاريخ ٢٣ كانون الثاني (يناير) الماضي، احتفلت الشركة الأوروبية Euro Hermespace بتأسيسها وهي شركة فرنسية - ألمانية - إيطالية وبرأسمال مشترك وقد اجتمع خلال هذا الاحتفال الصناعيون من الدول الثلاث من أجل صنع الطائرة الفضائية - **Hermas** - التي سوف يتم إنجازها عام (٢٠٠٢) وبتكلف صنعها ٤ ,١ مليار فرنك فرنسي

القمر الصناعي أوليسي Ulysse يدور حول كوكب المشتري

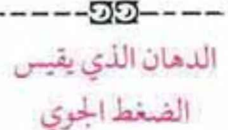
منذ إطلاقه في شهر تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٩٠م فإن القمر الصناعي الأوربي Ulysse قد قطع مسافة مليار كيلومتر، وهو يدور حاليًا بمحاذات كوكب المشتري ويستفيد من الجاذبية العظيمة التي يتصف بها هذا الكوكب الذي يعتبر من أكبر كواكب المجموعة الشمسية حجمًا وأعظمها توهجا لكي يتجه إلى مدار جديد باتجاه القطب الجنوب للشمس. ومن ٣١ كانون الثاني (يناير) وحتى ١٦ شباط (فبراير) دار القمر الصناعي حول المشتري وبفعل هذه الجاذبية فقد حوّل مساره إلى الجنوب **وقد كان هذا القمر الصناعي أول قمر أطلقه الإنسان ليترك مجال مدار الشمس لاستقصاء وسط جديد وفي عام ١٩٩٤م سوف تكون مهمة هذا القمر الصناعي مراقبة ورصد**



القطب الجنوبي للشمس، ومن خلال مداره حول المشتري لم يبق القمر الصناعي المذكور عاطلاً عن العمل إذ أنه ضاعف من عمليات التحليل التي قام بها مثل كثافة توزيع الإلكترونات والبروتونات للرياح الشمسية، والشحنات الكهربائية

(الأيون = ذرة ومجموعة ذرات ذات شحنة كهربائية)

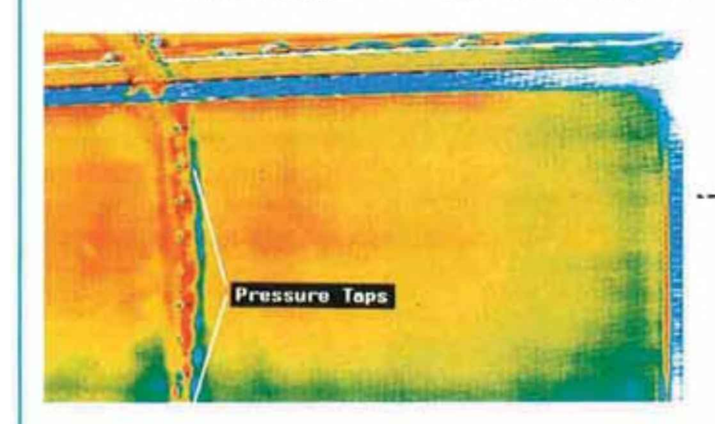
والحقل المغناطيسي الكائن بين الكواكب الشمسية، والموجات اللاسلكية وتركيب وخواص الجزئيات، والأشعة الكونية، والكثافة وحرارة الغازات بين الكواكب وقد جمع الكوكب الصناعي المذكور عددا كبيرًا من أرقام القياسات التي حققها والتي تعتبر الأولى من نوعها. كما أظهر العلاقات بين التغيرات التي تطرأ على جوّه، والنشاط الشمسي، ودراسة بنية أعلى مستوى للساحة المغناطيسية ومراقبة المنطقة التي بتجمع الهليوم الحامل فيها بفعل التركيز الجاذبي الحاصل من الشمس وعند مرور القمر الصناعي قرب كوكب المشتري، كانت المعدات والأجهزة المركبة فيه تدرس السّاحة المغناطيسية الهائلة لهذا الكوكب = والبلاسما (= الغازات المؤيّنة التي تحتوي على أعداد متساوية من الأيونات والإلكترونات) ونطاق الإشعاعات، وقمر المشتري وبراكينه النشطة.



الدهان الذي يقيس الضغط الجوي

كانت الطريقة المتبعة حتى الآن في قياس الضغط الجوي على أجنحة وهيكل الطائرة تقوم على وضع أجهزة التقاط خاصة في ثقوب صغيرة على السطح المراد دراسته وكان يضطلع بهذه المهمة مهندسو الطيران.

هذه العملية طويلة ومُكَلِّفَة ولا تتيح الحصول على مقاسات ونتائج موحّدة إضافة إلى أن أجهزة الالتقاط تعدّل قليلاً جريان الهواء.



وأخيرًا جاءت منظمة الفضاء (الناسا Nasa) لمساعدتهم بدهان تمتص مادته الملوَّنة الأشعة فوق البنفسجية وتُعيد الطاقة على شكل ضوء مرئي. وبوجود الأكسجين فإن انعكاس المادة الملونة للدهان تتغير بشكل تدريجي. ومن الممكن أيضًا تَصَوُّر — وبدقة متناهية - الضغط الجوي في درجاته المختلفة. وكلما كان انعكاس المادة الملونة يميل إلى اللون الأزرق يكون الضغط الجوي قويًا.

وبالعكس كلما كان انعكاس المادة الملونة يميل إلى اللون الأخضر يكون الضغط الجوي ضعيفًا.

حقائق وغرائب

الهبّار

المهاجر منذ ملايين السنين

في جزيرة مدغشقر رابعة أكبر جزر العالم.. يعيش حيوان الهبار الذي هاجر إليها منذ ملايين السنين.. له أنواع عديدة تختلف في كل شيء، أصغرها الهبّار الفأر الذي يقل وزنه عن ثلاث أوقات وأكبرها الهبّار من نوع إندري يزن ٢٠ رطلاً.

الهبّار الفأر.. أصغر الأنواع



هبّار من نوع Aye Aye، من الأنواع المهددة بالانقراض

يعيش في وحدات اجتماعية معقدة وتتسيد الإناث الذكور في أحوال كثيرة؛ خاصة وقت الطعام كما أنهن أكثر ولاءً للقطيع.

العيش في سلام

■ من المعروف أن حيوان الهبّار - الليمور - متقدم في الظهور على الأرض مثله مثل الإنسان والقرد وقد ظهر على الأرض منذ أكثر من ٤٠ مليون سنة. يعلو طوفا من أغصان الأشجار أو جذوعها؛ يعبر مضيقا مائيًا متجهًا إلى جزيرة مدغشقر التي بدأت في الاقتراب من شرق أفريقيا منذ ١٢٥ مليون سنة مضت.

ففي ذلك الوقت حدث مد جيولوجي عندما اقتربت مدغشقر من أفريقيا، ومن بين الحيوانات الثديية القليلة التي عبرت المضيق المائي قاصدة مدغشقر كان أسلاف الهبّار الحالي. ولأن القرود والعيلة وسائر الحيوانات من أكلة اللحوم



روحان من الهبّار

وصلوا إلى أرض الجزيرة في وقت متأخر عن وصول الهبّار - وهم منافسون متوحشون له عاش الحيوان في سلام وكانت أعداده تبلغ ٢٨ نوعًا وأربعين نوعًا فرعيا؛ وقد انقرض تلابد أكثر من ١٢ سلفًا من أسلافه وكلهم يفوق في الحجم حجم الهبّار المعروف اليوم. وكان من بينهم نوع يفوق حجم الشمبانزي ويتحرك بخفة وسرعة مثل القط البري ونوع آخر يزن أكثر من ٢٠٠ رطل.

وحتى عام ٥٠٠ بعد الميلاد كان الهبّار يعيش في ازدهار وتزايد حتى وفد آدميون أكثر عدوانية قدموا من أفريقيا وأرخبيل الملايو. وبعدها أخذت مجتمعات الهبّار في الاضمحلال؛ خاصة بعد تحويل الغابات إلى أراضٍ زراعية أو تخصيصها لتربية الماشية.

أنواع عديدة متباينة

■ يمثل الهبّار فصلاً أساسيًا في تطور الحياة الفطرية غير العادية في مدغشقر، وفي هذه المجموعة الرائعة تمثل الحيوانات المفقودة أهمية كبيرة مثلها مثل الحيوانات الموجودة تمامًا.

وتتباين أنواع الهبّار فيما بينها تباينًا كبيرًا سواء في الشكل أو الحجم، فعلاً هناك الهبّار الفأر وهو فصلاً في حجم الفأر، يتغذى على الفاكهة والحشرات ولا يزيد وزنه على ثلاث أوقيات، والهبّار آكل أوراق



هبّار ذو جبهة حمراء.. عند مورد الماء

الأشجار ويبلغ حجم الطفل الصغير، يجوب الغابات نهارًا باحثًا عن الطعام يردد في جماعة ما يشبه الأغنية المنظومة التي تبعث الرهبة في النفس، والهبّار من نوع aye aye أسود الذيل الذي تبرق عيون الخرزية في لون العنبر وسط الظلام وتنتشر شعيرات فضية في فرائه الأسود، المختلط باللون الأصفر الفاتح، وهذا النوع استغرق من علماء الطبيعة قرنًا



هَبّار البامبو الذهبي

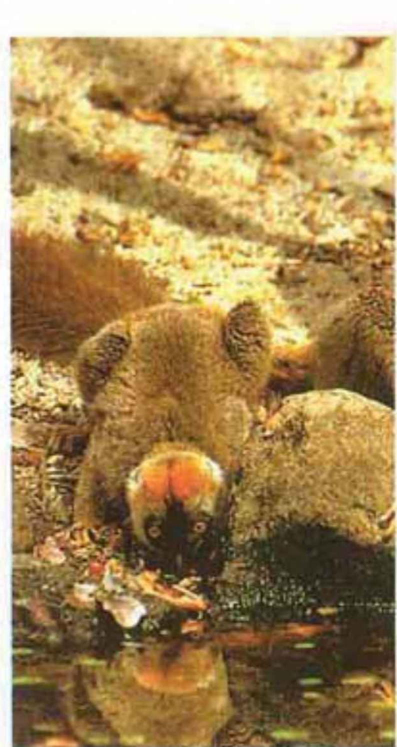


هَبّار من نوع سيفاكا

كاملاً ليقرروا هل هو هَبّار أو نوع مختلف من الثدييات؟. وأيضا يوجد الهَبّار مخطط الذيل والهَبّار ذو الجبهة الحمراء وثلاثة أنواع من الهَبّار آكل البامبو.. ويتميز الهَبّار بأنواعه كافة أن له أذنًا مرهفة حساسة ممكن أن تسمع أقل صوت يصدر من يرقة حشرة تتحرك داخل شجرة ينخرها التلف.

تكيف بالفطرة

■ يعيش الهَبّار في مجتمعات تتراوح أعداده فيها بين ١٥ أو ٣٠ حيوانا، ويسكن الأماكن الرطبة التي تكثر بها الخضرة.



هَبّار من نوع إندري



أنثى الهَبّار الأسود





ويحدث التزاوج لمدة أسبوعين في شهر أبريل، ولذا فإن دورة التناسل تجعل الإناث يحملن صغارهن في أصعب وقت: ففي جنوب مدغشقر يتميز شهر يوليو بأنه جاف وبارد، لذا يعاني صغار الهَبّار من نزلات صدرية والتهابات الرئوية، وعلى العكس يتصف شهر سبتمبر بأنه مترب وحار وبالتالي تظل الأشجار في الغابات دون أوراق.

وللتكيف مع هذه الظروف الصعبة التي ألهمها آياها الخالق العليم، تنتظر الأنثى وقت الفجر لكي تلعق قطرات الندى من فوق فروع الأشجار العادية، وفي وقت الظهيرة الحار تثني نفسها مندسة بين الأشجار الرطبة، وفي وقت الغسق تتجه إلى الجدول لكي تعبّ الماء وهي في غاية اليقظة خوفًا من هجوم الضواري والكواسر المنتشرة والمنبثة على ضفاف الجدول وحوله.

وعندما يأتي الفرج مع مقدم شهر أكتوبر وتزهر أشجار قليلة يعيش الهَبّار على رحيق الأزهار، وبذلك يسترد الذكور قوتهم وتقوم في أو بين ذكور القطيع بتغيير مجموعتهم، وبهذا يقضون وقتهم في الطعام والانطلاق مع الرفاق الجدد ويتدربون على فنون القتال حتى يحل موسم التزاوج التالي.

تسيُّد الأنثى

■ برغم أن الدراسات التي أُجريت على مجتمعات الهَبّار أكدت تسيُّد الذكر لمجموعته، لكن تبين في دراسة حديثة أن كل أنثى تتمتع بالسيادة والهيمنة على الذكور وخاصة في وقت تناول الطعام حيث تأكل الأنثى أولاً وبعد أن تفرغ يبدأ الذكر في الأكل وإذا ما نسي الذكر هذا الأمر وبدأ أولاً في التهام الطعام تدفعه الأنثى جانبًا.

ومجتمع الهَبّار عبارة عن وحدات اجتماعية معقدة تتعاون الإناث فيما بينهن في حضانة الصغار وتوفير الطعام، وبوجه خاص تظل إناث الهَبّار الوليدة مع أمهاتهن محمولة على الظهور وتساعد «الخالات» أو شقيقات الأم على رعايتهم، وإذا ما اعتدى قطيع آخر أو حتى اقترب من حرم الإناث ينطلقن وهن يحملن الصغار لمقاتلة الغريب والذود عن الوطن.

وهكذا تظل الإناث في مجتمع الهَبّار أكثر تميزًا وإخلاصًا للقطيع، ونادرًا ما تغير الأنثى قطيعها بخلاف الذكر الذي يغير قطيعه مرة أو أكثر في السنة!!!

جسدك أفضل من يعلم

بقلم: الطبيب البريطاني فيرنون كولمان ● ترجمة: د. ظفر الإسلام خان

جسدك مصمم بصورة جميلة ولكي يبقى مدة طويلة، وبإمكانه مقاومة شتى أنواع الضغوط، والتعامل مع عدد كبير من المخاطر البيئية.

ولكن جسدك قد يتعب، فهو بشري خاضع للتأثيرات الخارجية. وكلما شعرت ببعض الأعراض غير العادية ستجد الناس تحثونك على التوجه إلى طبيب خبير. وهناك الآلاف من الأطباء والمعالجين بطرق طبية بديلة ممن سيحاولون أن يعملوا القيام به لكي تستعيد صحتك. والقضية في نهاية الأمر هي أن معظم هؤلاء يريدون أن يبيعوا لك خدماتهم أو المنتجات التي يصنعونها أو يتقاضون عنها عمولات.

فلا تسمح لنفسك بالانخداع بأن هؤلاء الخبراء يملكون كل الأجوبة... والحقيقة عكس ذلك.

ومعظم هؤلاء سيعترفون في أحاديث خاصة بأن تسعين في المائة من المرضى سيستعيدون عافيتهم بأنفسهم بدون علاج معقد وغال.

ولا شك في أنك في بعض الحالات ستحتاج إلى المساعدة الطبية المهنية. فبمكان الأطباء الخبراء - في بعض الحالات - إنقاذ الأرواح - بإذن الله - وتخفيف الآلام ومحاربة المرض بصورة فعالة. ولكن الحقيقة هي أن هؤلاء في معظم الأحايين يضرون المريض أكثر مما ينفعونه.

فالأطباء وغيرهم من المهنيين العاملين في حقل الرعاية الصحية مسؤولون اليوم عن قدر مقنع من الأمراض. وهم يعترفون بأنه حين يجري إدخال مريض ما إلى المستشفى فهناك إمكان بنسبة عشرة في المائة بأنه يحتاج إلى المساعدة الطبية لأن طبيبا ما جعله مريضا. والأطباء يعترفون كذلك بأنه لو كان مريض ما يتعاطى علاجا لحالة معينة ثم ظهرت فيه أعراض مرض آخر فالغالب هو أن هذه الأعراض الجديدة قد ظهرت نتيجة العلاج الذي تلقاه لمعالجة حالته الأولى.

ومن دواعي الأسف الحقيقي أن كثيرين من الناس الذي يصيبهم أطباؤهم بالأمراض لم يكونوا في حاجة أصلا إلى العلاج الطبي. وهم يتوجهون إلى الطبيب لأنهم قد تعلموا أنهم كلما شعروا ببعض الأعراض المرضية فعليهم السعي لاستطلاع آراء الأطباء، وهم يجهلون أنهم سيستعيدون عافيتهم في معظم الأحيان بدون تدخل الأطباء.

قوى جسدك واسعة النطاق ومدهشة بكل معنى الكلمة..

إذن عليك أن تحاول فهم جسدك وأن تتعرف على الكفايات الكامنة فيه لعلاجه نفسه بنفسه، وعليك أن تلم بأساليب جسدك المعجزة الواسعة النطاق للتعامل مع الأخطار والأمراض التي تهددك.

والمشكلة الكبرى مع غالبية العاملين في الرعاية الطبية - ولا أعني بهم فقط العاملين في الحقل الطبي المعتاد بل وكذلك الذين يتعاطون العلاج بالإبر الصينية وتقويم العظام والمعالجين بالعطور إلى آخره من الطرق البديلة - هي أنهم يعتبرون مرضاهم ميدانا للقتال، والمرض عدوا، وأدويتهم وأساليبهم العلاجية أسلحة يحاربون بها المرض.

وسبب هذا كله بسيط للغاية، فالطبيب حين يغرز فيك إبرة أو يعطيك شيئا من الأعشاب أو يصف لك حبوبا لتتناولها فهو يفعل هذا كله لكي يبرر الرسوم الباهظة التي يأخذها منك. والدليل قاطع بأن فلسفة التدخل هذه خاطئة، وأنك لا تحتاج إلى علاج ما بالضرورة كلما شعرت بمرض.

فجسدك مجهز بكفايات معقدة واسعة النطاق للسهر على عافيته وإعادته إلى الصحة. **فجسدك أودع الخالق سبحانه فيه قدرة على معالجة نفسه وحمايته بنفسه وعلى صد آلاف الأنواع من "التهديدات الخارجية. وجسدك يتمتع بميكنة داخلية مصممة ليسمح لك بالتعامل التلقائي بالأضرار الصغيرة، والتعامل مع الألم، وتحسين الرؤية في الظلام، ومقاومة البرد، وإبقاء الجسد نحيفا، والتعامل مع القلق، بل وحتى محاربة أمراض خطيرة مثل السرطان. ولو وجدت هذا كله مدهشا فلعل السبب في ذلك هو أنك لا تقدِّر كفايات جسدك وصلاحياته حقَّ قدرها.**

ولكن فكر، ولو للحظات، حول أبسط الكفايات التي يتمتع بها جسدك. فلو أصبت بجرح نازف فأنت تتوقع أن الدم سيتخثر وأن الجرح سيندمل من تلقاء نفسه. وقد يبدو لك أن الأمر بسيط وغير معقد، ولكن حقيقة الأمر أن تخثر الدم الذي تستخف به هو جزء من نظام دفاعي معقد وعظيم. فالجسد يتمتع بنظام لا يخطئ أبدا. وهو يضمن بأن نظام التخثر لا يبدأ عمله على وجه المصادفة لو لم يكن هناك جرح ينزف. ثم هناك ضوابط الأمن المودعة في هذا النظام وهي تضمن بأن نظام التخثر لا يبدأ عمله إلا بعد خروج قدر كاف من الدم من خلال الجرح ليغسل أية قذارة قد توجد في الجرح. وعندما تكتمل عملية التخثر

وبتوقف النزيف تقوم الخلايا الجريحة بإخراج مواد كيماوية مصمّمة لتوسيع الأوردة الدموية في المكان المصاب. وتوسُّع هذه الأوردة يضمن تدفق المزيد من الدم إلى مكان الجرح. وكمية الدم الإضافية هذه هي المسئولة عن انتفاخ ذلك المكان واحمراره وسخونته. والسخونة تساعد على قتل كائنات حية مُعدية أو إلحاق الضرر على الأقل بتلك الكائنات المُعدية، بينما الانتفاخ يضمن أن العضو المصاب لن يُستخدم كثيرا. وهكذا يمثّل الانتفاخ والألم والتصلب جبيرة طبيعية. وخلايا الدم البيضاء التي تُسرع إلى مكان الجرح تقوم بالتهام الحطام والبكتريا. وهذه الخلايا ــ التي تقوم بدور عمّال التنظيف ــ تخرج من جسدك محمّلة بالقاذورات المتمثلة في الصديد بعد أن تكون قد قامت بوظيفتها. وبعد تنظيف المكان من الحطام والقذارة ودرء خطر العدوى يأخذ الجرح في الاندمال. والنسيج الجديد الذي يتكون فوق الجرح سيكون أقوى دائما من الجلد الذي سبقه في المكان نفسه.

وما نقوله ينطبق على الجروح الصغيرة حيث يتمكن نظام التخثر من التعامل مع ضياع الدم بسهولة وسرعة. أما لو كان ضياع الدم بكميات كبيرة فجسدك يتمتع بعدد من الأنظمة الأخرى للمحافظة على الحياة. ومن المحاسن المذهلة ـ التي سيعتبرها أي مهندس ضربا من الإعجاز الإلهي ـ إن ضياع الدم بكمية كبيرة يؤدي تلقائيا إلى شعور المصاب بالعطش وذلك لضمان أن يستعيد جسدك السوائل اللازمة بأسرع ما يمكن.

ولو خرجت في المساء واحتسيت عدة أكواب من السوائل فإن كليتيك سيتخلصان من السوائل الزائدة، أما لو قضيت يوما حارا تجهد نفسك في الخارج ولم تتناول إلا القليل من السوائل فإن كليتيك سيُقلّلان من خروج السوائل من جسدك. وكليتاك ـ وهما ينظمان تدفق السوائل ـ سيحافظان كذلك على توازن الأملاح والمواد الكيماوية المختلفة في جسدك. ولو تناولت الكثير من المشروبات والفول السوداني المملّح فإن جسدك سيقوم بحفظ توازن الملح والسوائل المطلوب في جسدك وذلك بإخراج ما يزيد عن حاجتك من هاتين المادتين.

وهناك أنظمة في جسدك مصممة للمحافظة على ثبات الحرارة الداخلية. فلو قعدت تحت الشمس فسيبتل جلدك بالعرق وذلك نتيجة خروج السوائل من الأوردة السطحية لجسدك. وهذه الزيادة في تدفق الدماء إلى الأوردة السطحية ستساعد جسدك على التخلص من الحرارة لأن دماء العروق السطحية ستبرد بواسطة الهواء الذي سيلمس جلدك. وأنت تعرق لأن جسدك يجيد استخدام النظام الكوني القائل: بأن تبخر الماء يقضي على الحرارة. وهكذا بينما يخرج العرق من جلدك ستلاحظ أن مستوى الريق سيقل فيجفّ فمك، وهنا ستشعر بالعطش وستتناول المزيد من السوائل التي فقدها جسدك.

ولو دخلت عينك ذرةٌ من تراب أو رمل فإن الدموع ستخرج تلقائيا لكي تخرج معها تلك الذرة التي تزعج عينك. وتحتوي الدموع على مادة قاتلة للبكتيريا، وهي مصممة للقضاء على أية إصابة بالعدوى. وتصاب أهداب عينيك بحالة التشنج المؤقت وذلك لحماية العينين من المزيد من الضرر.

وحين تصاب بالحمى فإن زيادة حرارة جسدك تعزى في غالب الأمر إلى أن جسدك يحاول التعامل الفعال مع مواد معدية بداخل جسدك. وارتفاع الحمى يساعد جسدك على تحسين كفايته الدفاعية ومهاجمة المواد الداخلية المعدية.

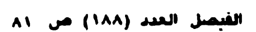
إن قوى جسدك واسعة النطاق ومدهشة بكل معنى الكلمة. **وقد أثبت الباحثون أن المخ الإنساني يحتوي على دواء طبيعي يساعد على التغلب على القلق، كما أن سطح احتمال الألم يرتفع طبيعيا عند الحوامل في الأيام الأخيرة من الحمل، وأن حليب الأم يحتوي على مادة تُخبر الرضيعَ بأنه قد رضع بما فيه الكفاية، وأنه خلال سنوات خصوبة المرأة تفرز جدران المهبل مادة كيماوية خاصة للقضاء على أي عدوى داخلية. ولو قمت بالكثير من الحثو على سطح صلب فإن عظم رأس الركبة سيصاب بانتفاخ رخو ليحمي العضو من الضرر ولو أكلت طعاما فاسدا فسوف تتقيأ. هذا كله من الأنظمة المدهشة المودعة في جسدك.**

إلا أن جسدك لا يقدر على التعامل مع الأخطار في كل الأحوال. ففي بعض الأحايين تعجز أنظمة جسدك المعقدة لعلاج نفسه بنفسه عن التعامل بخطر أكبر من قواه، وبالتالي تحتاج إلى مساعدة خارجية. وإهمال هذه الأنظمة بحجة أنها لا تقدم الحل الكامل لكل مشكلات الصحة هو كالقول بأنه لا جدوى من تعلم السباحة لأنك في بعض الأحايين ستحتاج إلى قارب النجاة!.

﴿صنع الله الذي أتقن كلَّ شيء إنَّه خَبيرٌ بما تَفْعَلُونَ﴾ (النمل/ ٨٨)

(٭) Dr Vernon Coleman, "Your body knows best", The Statesman, New Delhi, 22 February 1992.





لون الوردة

شعر: جمال بلعربي

وردة للصباح

كلما طوقتها يدي

زغردت

أجهشت بالنواح

ذاك طيب لها . . للضحى

بددته الرياح

* * *

وردة لا تنام

لاتلملم أوراقها حين يأتي المساء

لا يغادر بستانها الشعراء

كلما ذوبتها يدي

قهقهت

سطرت دفترا للعزاء

من بقايا الكلام .

* * *

وردة من خيال

لا يغازلها العاشقون

وردة . . متعة للعيون .

ضمها الصبح يوما وقال :

الخيال . . الخيال

أيها الناس هل تسمعون؟

الخيال . . الخيال

هل يحب الرجال

وردة من خيال؟

* * *

وردة للمنى

هام في عشقها الأقحوان

واستراحت على صدرها دمعتي



واطمأنت على طيبها

من يدي وردتان

واشتكتني إليها المنى

وهي قد علمتني أنا .

من . . أنا .

* * *

وردة للبكاء

لا دموع لها لا نحيب

قل لقلب الحبيب

لا يساورني الشك في طيبها

أي طيب . . !

وردة . . عاشق . . ومساء .

* * *

وردة للألـم

كم تخادعني الشمس . . كم!

كم أغازلها من بعيد

كي يبادلني قلبها الخفقان

هل أحبك أم لا أحبك يا وردة . .

يا لون مرجانة ونعم!

وردة للندم .

* * *

البُعدُ الإسلاميّ في ثقافة الطفل

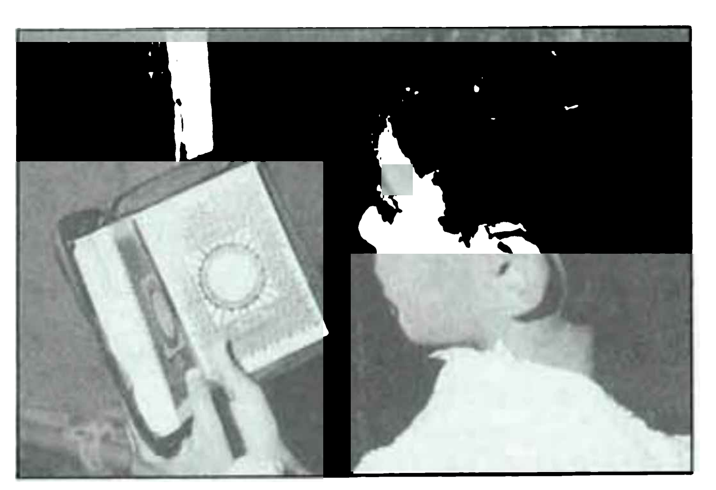
بقلم: أحمد سويلم

> اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها.. والصبيّ أمانة والديه. وعلى الوالد صيانة ولده.. بأن يؤدّبه.. ويهذبه.. ويعلّمه محاسن الأخلاق.. ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوّده التفاخم.!
>
> الغزالي
>
> (إحياء علوم الدين)

ربما نستطيع بقليل من الجهد تعرف ميول الكبير ورغباته.. ومن ثم أمكن للكاتب أن يبدع أدبه للكبار دون أن يتحسس طريقه إليهم كثيرًا..

لكن الأمر يختلف حين نقترب من عالم الطفل.. في محاولة لتعرف رغباته وميوله وتقديم الثقافة الملائمة له.

وقد نعود من كثير من مغامرات تلك بالخيبة والإخفاق.. ولعل هذا يفسر لنا ذلك الجدل الحاد الذي يثور بين الحين والآخر حول: **ماذا نقدم لأطفالنا؟.. وكيف نوازن بين المادة الجاهزة المترجمة.. والتراث العربي والإسلامي لمجتمعنا؟..**



وهذه الصعوبة نفسها هي التي دعت علماء النفس والتربية إلى اقتحام هذا العالم المجهول.. ومحاولة تحليل أساليب التعبير التي يعبرون بها لكي يتعرفوا ـ عن يقين غير قليل ـ أسرار هذا العالم..

ولأن الثقافة تبدأ بالطفل ـ كما نعرف ـ فإن الأدب يجيء في مقدمة الوسائط الثقافية.. وهذا الأدب يوجد معظمه في بطون الكتب.. **وهذا تمثل علاقة الطفل بالكتاب.. المفتاح الطبيعي لأبواب التعليم والتثقيف على السواء.. ومن ثم تبرز أهمية القراءة في مجال الطفولة.. وكذلك أهمية الكتابة فيه**

وقد استقر رأي العلماء على أن التربية عملية تنصرف في جوهرها إلى إعداد الصغير إعدادًا يؤهله لكي يكون فردًا صالحًا نافعًا لنفسه ولمجتمعه..

ويتسع مفهوم التربية ليشمل مجالات ثلاثة هي: تنمية الجسم.. وتهذيب النفس.. وتثقيف الفكر.. وهي أضلاع ثلاثة لمثلث التربية قد تطول أو تقصر مع ما توليه البيئة الاجتماعية من أهمية لأحدها دون الآخر.. وإن كانت التربية الحديثة تمثل دائمًا القاعدة لهذا المثلث.

ولنا أن نذكر في هذا المجال عبارة قديمة جامعة لمطالب التربية على لسان الحكيم المصري القديم [عنخ شاشنقي] تقول:

«اعمل على تعليم ولدك أن يكتب.. وأن يحرث.. وأن يصيد.. وأن يستخدم النبل على مدار العام»

وقد لازمت عملية التربية الإنسان منذ وجد على ظهر الأرض.. وأضاف كل مجتمع بفكره إليها الكثير.. ويعتبر الجانب الفكري في مقدمة الجوانب التي نهتم بها ونحن نقدم ثقافة للطفل.. ثم يأتي بعده الجانب النفسي.. والجانب الجسمي.

كما أن ثقافة الطفل في أي مجتمع تحكمها رؤى ومعايير تشكل عناصرها وتحدد ملامحها.. بحيث تتميز وتختلف عن مثيلتها في أي مجتمع آخر..

وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن المسؤولين عن الطفولة.. وكذلك

الأدباء والكتاب الذين يقدمون أعمالاً إبداعية للطفل . . قد أولوا اهتماما خاصا للبعد الإسلامي والعربي في ثقافة أطفالنا . . ولعلهم انتهوا إلى هذا الزحف الخارق لمزيد من الأعمال المستوردة الجاهزة التي تهبط علينا من الغرب . . والتي تُقدّمُ إلى أطفالنا دون تنقية أو اختيار بما يتلاءم مع عقلية الطفل العربي . .

وقد دفعني إلى الدخول في هذا الميدان . . محاولاً وضع يدي على بعض العلامات والإشارات والمفاتيح التي تهدينا ونحن نضع أية خطة لثقافة أطفالنا . . وصولاً إلى إطار مقترح للتربية الإسلامية المعاصرة . .

التربية والثقافة العربية

أ - قبل الإسلام

لا نختلف على أن التربية العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالحقبة التاريخية بالظروف السياسية والثقافية والاجتماعية لهذه الحقبة . .

فالمجتمع العربي قبل الإسلام كان يسوده النظام القبلي . . ذلك النظام الذي كان ينظر إلى النشء على أنهم (رجال صغار السن) يدل على ذلك قول **شاعرهم عمرو بن كلثوم:**

إذا بلـــغ الفطـــامَ لنـــا صبيٌّ — تخرّ لـه الجبـــابرُ ســـاجـدينـــا

ويؤكد ذلك أيضا شاعر آخر من بني نهشل حيث يقول:

إنــا ــ بني نهشل ــ لا ندَّعي لأب — عنه ولا هــو بالأبنــاء يَشرينـــــا

إن تُبتـدرْ غـايـةٌ يـومًـا لمكرمـةٍ — تلْقَ الســـوابقَ منـــا والمصلّينــا

وليس يهلكُ منــــا سيـــدٌ أبـــــدًا — إلا افتلينـا غــلامًـــا سَيِّـدًا فينــا

وهذا الأمر وإن شابته مبالغة كبيرة . . إلا أننا نستخلص منه أهمية إعداد النشء وتربيتهم ليكونوا على مستوى التبعة والمهام المطلوبة .

وتفيدنا أخبار ذلك العصر بما يؤكد صدق هذه النظرة . . فقد كان الغلام يتدرب على أعمال آبائه ليسلك طريقهم في كسب العيش وتحصيل اللباس . . واتخاذ المسكن

والقدرة على مدافعة الأعداء . . ومنازلة الوحوش . . . أما التربية عند الحضر منهم فكانت ترمي إلى تخريج الأحداث وتهيئتهم ليعيشوا حياة تلائم البيئة الحضرية . . وفق هذا وذاك يدلنا الشعر العربي ـ خاصة ـ كيف كانت التربية في ذلك العصر تستهدف بث القيم الفاضلة والصفات الحميدة التي عرف به العرب قديما . .

ولم يكن لدى الجاهليين ـ غالبا ـ طرقٌ محددة في تثقيف النشء، وإنما كان الصغار يأخذون ما يصل إليهم من الآداب والأخلاق والمعارف بالتقليد والمحاكاة، أو بما يسمعونه من النصائح والعظات التي يلقيها عليهم الآباء والأمهات والحكماء . . أو بما يتدبرونه من الشعر . . ومعانيه الحسنة السامية . .

وتدلنا أخبار العرب الجاهليين أن فن ملاعبة الأطفال كان يمثل تيارا خاصا في ساحة التربية العربية، ذلك الفن الذي ينتمي إلى (الشعر الشعبي العربي) وهو أغانٍ للطفولة يرقص به العربي أولاده، يداعبهم، ويحكي هم، ويلاعبهم، وكانت تغنّى ببساطة شديدة، وفي إيقاعات قصيرة، وتلتزم ـ بالطبع ـ لغة العرب التي كانت تتخذ مستوى واحدا سواء كتب بها الشعر للكبار أو كتب للصغار . . أو كانت أداة للحوار . . أو للغناء . .

ومن هذه النماذج . . الأبيات التي كانت تقولها (الشيماء) للنبي ﷺ وهو طفل في بادية بني سعد:

يا ربنا أبْقِ لنا محمدا

حتى أراه يافعًا وأمردا

ثم أراه سيّدًا مسوّدا

واكبِتْ أعاديه معًا والحُسّدا

وأعطه عزًا يدوم أبدا .

كما وجدت أساليب تثقيفية كثيرة مرحة . . تتعلق بلعب الأطفال . . وكذلك لم يغفل الآباء والأمهات وصاياهم ومواعظهم وتوجيهاتهم لأبنائهم . . **وتتعدد أغراض هذه الوصايا من تعليم الأخلاق . . إلى الحث على القيم والشجاعة والتأثر والفتوة والعمل والكرم . . .** وغيرها . . كما عثر على محاولات لتعليم القراءة والكتابة في بعض المدن العربية التي تفوقت بحكمائها ومعلميها في ذلك العصر .

والغريب في الأمر أن الصغار أنفسهم لم يكونوا بعيدين عن إبداع الشعر ـ فن العربية الأول .

وفي مقدمة هؤلاء الشعراء الذين كتبوا وهم في سن الطفولة: **لبيد بن ربيعة . . وطرفة بن العبد . . وكعب بن زهير . . وغيرهم . .** مما يدلنا على جدوى أساليب التربية الثقافية التي كان يقدمها الكبار لأبنائهم في هذه البيئة العربية القديمة . . والتي كانت إرهاصا لعصر آخر سوف يشهد حربًا على الجهل والتراخي . . ويضع أسسه العلمية في التربية السليمة . .

ب ـ التربية الإسلامية:

لم يكن هدف التربية الإسلامية دينيا محضا كما كان عند الجاهليين أو كما كان عند الرومان واليونان والفرس مثلا . . ولم يكن دينيا كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول . . وإنما جمع بين الدين والدنيا معا . .

وسوف يتأكد ذلك حينما نتتبع كيف عُني الإسلام بالدين والدنيا على السواء . وبتدريس علوم الدين والشريعة إلى جانب علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك . .

لقد بدأ الإسلام (بلسان عربي مبين) مما جعل اللغة العربية ذات مكانة كبيرة . . خاصة بعد أن نزل القرآن بها فكانت لغة الدين . . والحوار . . والجدل .

ولقد أدى القرآن والحديث دورًا مهمًا في التأكيد على إعجاز العربية وقيمها وتعليمها والتحدث بها . فربطها بالعبادات والإيمان . . حتى إن أداء الصلاة لا يصح إلا بالنطق العربي . . ومن ثم كانت العناية بتعليم الصغار لغتهم العربية في مقدمة أسس التربية الإسلامية .

أدرك العلماء المسلمون أهمية الصلة بين الجسم والعقل فاهتموا بالإثنين معًا . .

مطلوب إطار تثقيفي واضح لثقافة الطفل العربي

وكان للإسلام مؤسساته التعليمية والتثقيفية .. والتي اتخذت أشكالاً كثيرة أهمها :

١ ـ **الكتاتيب**: والتي وجدت قبل ظهور الإسلام .. وإن كانت قليلة الانتشار .. ثم أصبح الكُتّاب بعد ظهور الإسلام المكان الرئيسي لتعليم الصغير اللغة ومبادئها وتعلم القرآن الكريم .. وكان الكُتّاب ملحقاً غالبًا بالمسجد ..

٢ ـ **المسجد** : وكان مدرسة إسلامية نموذجية .. جامعة ، قامت فيه حلقات الدراسة وألقي فيه الشعر .. وشرحت فيه مبادئ الدين الإسلامي ..

ومن أشهر المساجد الإسلامية عبر التاريخ : جامع المنصور ـ جامع دمشق ـ جامع عمرو ـ الأزهر الشريف ..

٣ ـ **القصور**: حيث ضمنت نوعاً من التعليم الابتدائي .. وكان الخلفاء والوزراء يشجعون ذلك .. ويُسمّى المعلم هنا (مؤدّب) حيث يتولى تأديب (تثقيف) الصغير حتى سن متأخرة من مراحل العمر في ألوان المعرفة العلمية والعملية المختلفة ..

٤ ـ **المنتديات الأدبية**: وقد ظهرت ساذجة في العصر الأموي .. لكنها انتشرت رائعة في العصر العباسي بتقاليدها الخاصة .. وتنوع فيها ما يقدم من الأدب والشعر والعلوم والفنون والموسيقى والغناء .. وغيرها ..

٥ ـ **المكتبات** : حيث ظهرت في المدن والعواصم الكبيرة والتي تأكدت عن طريقها الثقافة العربية والإسلامية والترجمات وغيرها من الصلات الثقافية بين العرب وجيرانهم ...

لقد عبرت هذه المؤسسات عن حكمة الإسلام في التربية .. وكان المدرسون الذين يقومون على تثقيف الصغير في مستوى علمي يؤهلهم لشغل هذه المكانة .. بل كان يشترط في اختيار المدرس أن يكون مستكملاً لعدته العلمية .. ومتفرغاً للتعليم ومنزهاً عن الهوى والطمع المادي .. وأن يكون متديناً وعلى خلق كريم .. ورفيقاً بطلابه .. عادلاً في الثواب والعقاب

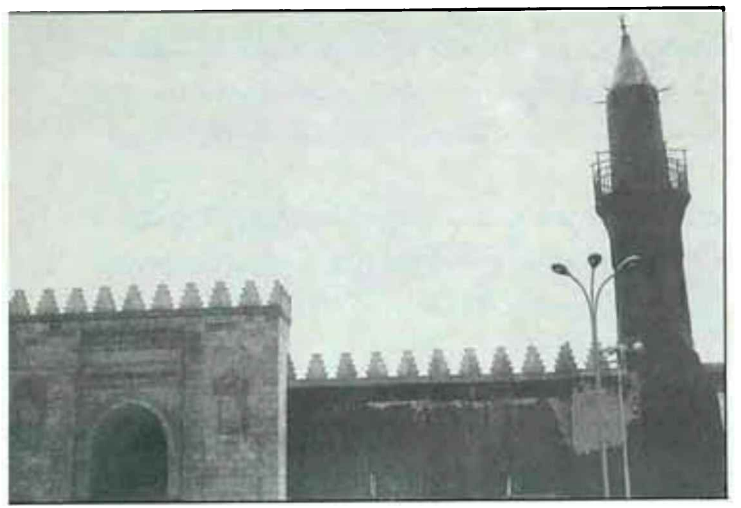
وقد أدرك العلماء المسلمون أهمية الصلة بين الجسم والعقل .. ولهذا عنوا بالجسم والتربية البدنية كذلك .. وكان للعب مكانة خاصة في التربية باعتباره الجانب الترويحي في أوقات الفراغ ..

المدرسة الإسلامية تعليم وثقافة

لم تفصل المدرسة الإسلامية بين التعليم والثقافة .. فقد كانت الثقافة جزءاً من مناهج التعليم ..

ويلاحظ أن هذه الصورة كانت موجودة في الحضارات القديمة بأسرها .. فقد جمعت الحضارة المصرية القديمة بين مناهج التعليم والثقافة .. ولم تكن هناك دور نشر أو مكتبات خاصة منفصلة عن المدرسة تقدم الثقافة وحدها .. ولهذا نتج عن لقاء العلم والثقافة حضارة رائعة .. وعقول مستنيرة شهد لها العالم القديم والحديث ..

وظلت الحضارة العربية الإسلامية كذلك تغذي مناهجها التعليمية بالثقافة العامة .. فأقبل عليها التلاميذ ينهلون بنهم وحب .. كل ما كان



جامع عمرو بن العاص

يقدم في مؤسسات التربية المختلفة **ومن أجل الوصول إلى الحكمة التي قامت عليها التربية الإسلامية فسوف نعرض هنا لأهم آراء رجال التربية المسلمين في مناهج التربية**

المناهج والمبادئ :

تبلورت المناهج والمبادئ في ألوان الثقافة والتعليم الآتية :

أ ـ **اللغة العربية ومبادئها** .. تلك اللغة التي تمثل اللسان العربي المبين .. والتي هبط بها الوحي السماوي .. واللغة العربية تقوم على معرفة النحو ونظم الكلام والكتابة والقراءة .. تلك القواعد التي تلزم كل مسلم يريد أن يعرف دينه أو دنياه

ب ـ **القرآن الكريم** ذلك الكتاب السماوي الذي تحدى العرب بإعجازه اللغوي وبما جاء به من أصول الدين والدنيا .. فبغير حفظ القرآن ومعرفة تفسيره لا يعرف المسلم دينه .. ولا يعرف أصول دنياه .

والقرآن ليس عبادات فقط .. وإنما هو أيضاً أدب وقصص وتاريخ وفلسفة وعقيدة وشريعة وفكر وفن .. أو هو بشكل عام الحياة بمعناها العام الواسع في دنياها وآخرتها

ويبدأ الصغير ـ بعد أن يتعلم اللغة ـ في تعلم القرآن الكريم قراءة وحفظاً وتفسيراً وإعراباً ودراسة ..

حـ ـ **الحديث النبوي** .. أي كل ما أتى به الرسول بقصد التشريع .. والذي إن تمسك به المسلم ـ مع القرآن الكريم ـ لا يضل أبداً ..

د ـ **العلوم الاختيارية** مثل الحساب والشعر وأيام العرب وأخبارها وعلوم العربية ..

وقد قسم بعض العلماء هذه العلوم إلى : علوم الملوك ـ أي النسب والخبر ـ وعلوم الفقه .. : علوم التجار ـ أي الحساب والكتابة ـ وعلوم أصحاب الحرب ـ أي درس كتب المغازي وكتب السير

آراء علماء المسلمين في مناهج التعليم والثقافة :

لا يكاد يختلف العلماء في شيء بالنسبة للكتاب والسنة واللغة العربية ..

وما يتعلق بها من علوم النحو والكلام والكتابة والفقه الذي يبحث في العبادات والشريعة) أما النوع الآخر من المناهج ـ أي المناهج العلمية والأدبية ـ فقد اجتهد العلماء في تصنيفها ووضع أولويات لها حسب أهميتها لكل مجتمع أو إقليم إسلامي.

لقد زاد الاهتمام بهذه العلوم الاختيارية مع نمو الفكر الإسلامي والفتوحات الإسلامية.. **وفتح هذا الاهتمام آفاقاً جديدة للبحث والترجمة والنقل**.. بدءاً من النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة حتى القرن الرابع على وجه الخصوص..

في ساحة الطفولة عدد من القصص التي تخلّت عن عبقرية الحكمة الإسلامية

ففي تلك الفترة الحضارية المزدهرة.. قام نشاط علمي وفلسفي كبير.. وأسست دور العلم وترجمت أعمال كثيرة من وإلى العربية.. ودرست علوم اليونان والهند وفارس إلى جانب علوم العربية.

بل قامت كشوف علمية مختلفة.. وشارك العلماء العرب في مجالات العلوم من رياضيات وفلك وكيمياء وطبيعة وطب وموسيقى وغير ذلك..

وقد لخص الخوارزمي أنواع العلوم غير الإسلامية التي لا بد أن يدرسها المسلم الصغير في ثلاثة أفرع:

العلوم الطبيعية والتي تشمل الطب بفروعه ثم علم المعادن والنبات والحيوان والكيمياء وتحويل المعادن إلى ذهب..

والعلوم الرياضية والتي تشمل الحساب والجبر والهندسة وعلم الفلك والموسيقى والميكانيك وعلم الآلات الرافعة.

وعلوم المنطق والفلسفة..

أما الفارابي فقد صنفها في خمسة أفرع:

علم اللسان وأجزاؤه ـ علم المنطق وأجزاؤه ـ علوم التعليم من هندسة إلى علم المناظر والنجوم إلى الموسيقى ـ **والعلم الطبيعي والعلم الإلهي ـ ثم العلم المعرفي وعلم الفقه والكلام**

أما ابن خلدون فقد صور حالة التعليم والثقافة في الأمصار الإسلامية علما على هذا النحو:

[**أما أهل الأندلس** فيتعلم الولدان القرآن والكتاب من حيث هو ـ أي جعلوه أصلاً في التعليم ـ لكنهم يخلطون في التعليم رواية الشعر والترسل وقوانين العربية والخط.. إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة.

أما أهل أفريقيا فيلتزمون القرآن والحديث.. ثم العلوم غير الإسلامية.

[وأما أهل المشرق فيخلطون في تعليمهم كذلك!!]

ومن أشهر الرسائل التي قدمت في مجال التربية والتعليم.. **رسالة أبي الحسن القابسي ـ في القرن الرابع الهجري ـ وقد أسماها**: أحوال المعلمين والمتعلمين.

ومما يهمنا في هذه الرسالة أن **القابسي نادى بأمرين سبق فيهما علماء التربية في المغرب الحديث وهما**:

أن التعليم حق لكل صغير.. وواجب على الدولة

وأن الدين الإسلامي يساوي بين الذكر والأنثى في التعليم.

وقد ظهر في التأليف التربوي علماء آخرون أهمهم: **الغزالي ـ وابن مسكويه ـ والزرنوجي ـ ومحمد بن سحنون ـ وابن سينا وآخرون..**

وما يعنينا الآن أن الحضارة العربية الإسلامية لم تكن ـ كما خيل لبعض الباحثين ـ حضارة أدبية فلسفية فحسب.. معيدة عن الطابع العلمي أو التجريبي.. وإنما جمعت بين الطرفين في تكامل واضح.. وقد شهد بذلك مستشرقون ذوو عدل في آرائهم منهم: **(راندل) في كتابه (تكوين العقل الحديث)** حيث عدّ الطابع العربي التجريبي السمة المميزة التي ميزت الحضارة العربية عن الحضارة اليونانية.. **ويمكن أن نضع أيدينا بارتياح شديد على مبادئ التربية الإسلامية في ستة أسس هي:**

الأساس الديني ـ والخلقي ـ والتثقيفي ـ والتدريبي ـ والمهني ـ والعلمي.

وهي مبادئ ـ كما نرى ـ **جامعة شاملة لأي دستور تربوي في أي زمان وفي أي بيئة**.. خاصة إذا تأكدنا معاً من أن التربية في الإسلام تقوم في ظل الحرية والتطور وتكافؤ الفرص.. والآن يمكن أن نضع **إطاراً تثقيفياً للطفل العربي المعاصر** يقوم على حكمة الإسلام بجانبيها الديني والدنيوي كما يلي:

١ ـ **اللغة العربية الفصحى**: أداة تقديم العلم والثقافة للطفل العربي.. والكاتب المتمكن من لغته يستطيع عبرها بمقدرة حقيقية يستطيع اختيار المستوى الملائم من اللغة لأي مرحلة من العمر دون صعوبة.

٢ ـ **القرآن والسنة**.. وهما أساس الفكر الإسلامي.. فالقرآن ليس كتاب عبادات فقط.. ولكنه يشمل القصص التي تحكي عن الأنبياء والرسل وتلك التي تحكي عن الأمم السابقة والتاريخ.. ويشمل الحيوان والنبات والعلوم والفلك.. والبشر والغزوات وغيرها من القصص التي تحمل قيماً ومتعة ومعرفة للصغير.

ثم يأتي الحديث النبوي ليعرف المسلمين تفاصيل ما أجمله القرآن وآراء الرسول الكريم في شؤون الحياة الإسلامية.. فهو إذن مصدر من مصادر الحكمة الإسلامية في التربية.

إن في ساحة الطفولة عدداً كبيراً من القصص الديني ومن الأمثال القرآنية والنبوية.. ولكنها في حاجة إلى المزيد من التنقيب والتذكير وإعادة العرض والتبسيط.. بل في حاجة إلى المعاصرة في الرؤية.. وإصلاح بعض المذاهب التي اختلفت وأحدثت تشكيكات.. وتحدث عن عبقرية الحكمة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

٣ ـ **التراث**.. ذلك التراث الذي يمتد إلى أكثر من ستة عشر قرناً من الزمان.. ويبوح بها تاريخ الأدب في هذه المنطقة العربية.

وقد آن الأوان لكي نعطي اهتماماً خاصاً لتراثنا العربي والإسلامي.. بما

يتضمنه من القيم الاجتماعية والأخلاقية والنفسية تصلح من الإنسان . وتجعله يمارس حياته بسعادة وهناءة .

وقيمة التراث العربي والإسلامي في أنه مجموعة من التجارب الإنسانية التي تؤكد إنسانية الإنسان . .

وبعيدا عن الآراء المختلفة . . يمكننا أن ننظر إلى التراث على مرحلتين

أ ـ مرحلة التنقية والترشيد .

ب ـ مرحلة إعادة الصياغة والتقديم . .

وتتم هاتان المرحلتان في ضوء ما يهم الطفل المعاصر . وطبيعي أن تراثنا الطويل يشمل كثيرا من الصياغات المختلفة :

أ ـ إنه يشمل المأثورات الشعبية من قصص ونوادر وسير وحكايات من ألف ليلة وليلة . وكليلة ودمنة . . ولقمان . . والأمثال العربية وغيرها

ب ـ و القصص الديني . . و أخبار الغزوات الإسلامية والفتوحات . .


احمد شوقي

جـ ـ والأساطير القديمة العربية والملاحم .

وهذه تمثل مادة صالحة لتقديمها إلى عقلية الصغير بصورة عصرية تتلاءم مع هذه العقلية . . في صور مختلفة فنية مثل القصة والمسرح والشعر وغيرها .

د ـ الأدب والذي يشمل الشعر والنثر بفنونهما وقيمهما المختلفة . .

فيمكننا مثلا عن طريق الشعر تقديم القيم والمبادئ الأخلاقية بطريقة غير مباشرة استنادا إلى تأثير الإيقاعات الشعرية في وجدان الصغير .

ولا نستطيع أن ننكر إنجازات بعض الشعراء الرواد من أمثال **محمد عثمان جلال في ديوانه (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)** ـ وأحمد شوقي الذي قدم القيم والسلوكيات في قصائده الشعرية للأطفال ـ **ومحمد الهراوي** الذي كتب ديوانا كاملا في أنباء الرسل . .

ولا شك أن جيل اليـوم يمكن أن يضيف الكثير إلى مجال الأدب الخاص بالأطفال . .

هـ ـ العلوم . . حيث يهتم الإسلام بتقديم العلوم الطبيعية والحديثة إلى الطفل العربي باعتبار العلم معبرا جيدا للتخلص من الجهل والركود والانعزال عن العالم . . فالبعد الإسلامي يفتح ذراعيه مرحبا بقصص الخيال العلمي . . الذي يجسد الإنسان فيها أحلامه . وقصص العلم المبسطة . . وسير العلماء العرب وغير العرب . . وكل جديد في مجالات الفلك والكيمياء والطبيعة والطب والهندسة والكومبيوتر . . ثم يؤدي دورا في التنشئة الكاملة للطفل المسلم . .

إن الاهتمام بالعلم ليس جديدا . . فقد مر بنا كيف وضعت تصنيفات العلوم في مناهج التعليم والثقافة للأطفال المسلمين . . كما أن القرآن نزل لقوم يعقلون . . وقوم يعلمون . . وقوم يفقهون . . وما العقل إلا بالتفكير . . وما العلم إلا بالبحث . . وما التفقه إلا بالحوار والاقتناع واليقين . . وكل هذا يتعلق بمناهج العلم النظرية والتجريبية على السواء . .

لهذا فإن الاستزادة من المعرفة العلمية هي جزء من عمل المسلم في الحياة ولا شك أن الإسلام هو دين العلم والمعرفة . . ودين القوة والثقافة . . ودين الحوار واليقين . . هذا كان للعلم مكانته المتميزة في الحكمة الإسلامية **والفنون** حيث يعترف الإسلام بالقيم التشكيلية الفنية غير المجسمة لذوات الأرواح . مثل الخط العربي الذي يؤدي دورا أساسيا في العناصر الزخرفية . . أما اللون والمساحات الأخرى والمنمنمات فمن العناصر الفنية الإسلامية الجيدة . .

كما عني الإسلامي بفنون الإيقاع . ومن ثم كان الوزن في الشعر والإيقاع في تلاوة القرآن . . (والسيمترية) في العمارة . . والتوازن في التصوير . . ومن يطلع على مخطوطات مقامات الحريري يتأكد من قوة تأثير الفن الإسلامي وعناصره الإيقاعية . .

ومن ثم فالفن الإسلامي خطا ورسما وزخرفة ونسيجا يمثل عالما ثريا من الإحساس بالجمال والإبداع . . فإذا نحن استطعنا أن نقدمه إلى صغارنا في بساطة اكتسبنا من وراء ذلك إضافة حقيقية إلى الوجدان . . وارتباطا وثيقا بالأصالة والإبداع . .

ولا شك أن إضافة الفنون الإسلامية إلى مناهج التعليم والثقافة . . تمثل إضافة حقيقة خاصة حينما تتعانق الكلمة مع الرسم أو الزخرفة أو الآية القرآنية في كتاب واحد . .

كما أن الفنون الإسلامية قادرة على تقديم القيم والمبادئ بطريقة جميلة . . ويمكن استخدام الفن الإسلامي كخلفيات فوق المسرح . . أو في لوحات تعليمية . . أو فوق شرائط كاسيت . . أو في بطاقات مصورة . ولن يحدث ذلك بغير الاقتناع التام بقدرة هذا الفن على العطاء . والمتعة . . وتقديم القيم الجمالية .

خاتمة :

استطرادا لما نتصوره من الإطار الثقافي الإسلامي . . ونظرة إلى المستقبل فإن البعد الإسلامي حينما يحيط ويؤسس هذه الثقافة للطفل . . فإنه يضمن نقاء ما يقدم . . ويضمن الاستفادة من المعرفة الإنسانية ـ عامة في ضوء كثير من المعايير الدينية والدنيوية معا . .

إنها دعوة لن تتوقف لكل كاتب قادر على عمل هذا المزج الجميل بين ثقافتنا العربية الإسلامية وثقافة العالم . . لكي نضمن تنشئة أطفالنا على القيم والمبادئ . . وعلى حب الله ثمَّ الوطن والإنسان المؤمن كائنا من كان .

أهم المراجع :

١ ـ التربية عبر التاريخ د. عبد الله عبد الدايم دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤
٢ ـ التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني دار المعارف مصر ١٩٨٠
٣ ـ التربية الإسلامية للطفل والمراهق [illegible] محمود دار الاعتصام مصر ١٩٩١
٤ ـ علم الاجتماع الإسلامي د. [illegible] دار المعارف مصر ١٩٩[illegible]
٥ ـ التربية الثقافية للطفل العربي أحمد سويلم مركز الكتاب للنشر مصر ١٩٩١
٦ ـ أطفال في عيون الشعراء أحمد سويلم دار المعارف مصر ١٩٨٥
١ ـ الفن الإسلامي د. صالح الألفي دار المعارف مصر ١٩٧٤

قصص الجاسوسية العالمية

عندما تصبح حياة الإنسان كذبة

بقلم: د. غسان حتاحت

يقول تشرشل: "في زمن الحرب تصبح الحقيقة غالية جدًا، بحيث يجب أن تحاط دائمًا بسياج من الأكاذيب لحمايتها"... وفي سبيل حماية هذه الحقيقة يهون كل شيء، وأول ما يهون هو الإنسان نفسه.

في أحد الأفلام التي تتحدث عن الجاسوسية في الحرب العالمية الثانية، وهو فيلم أسود (لا يقصد بذلك أن الفيلم غير ملون)، يختار علماء النفس وقيادة الجيش أحد الضباط الشجعان كي يزودوه بمعلومات سرية مهمة عليه أن ينقلها إلى رجال المقاومة داخل **ألمانيا**. ويحذرونه من أن يعترف بها على كل حال وتحت أي ظرف قاهر. ويخبرونه بأنهم سيضعون عوضًا عن أحد أضراسه سم "**السيانيد**" كي يبتلعه ويموت بسرعة حتى ينجو من التعذيب إذا ماتم القبض عليه. ويعتقل هذا الضابط من قبل "**الجستابو**"، ويوضع رهن التعذيب. ويبتلع ما يظن أنه "سيانيد" فلا يموت، فينهار ويعترف.

بعد الحرب يعيش هذا الرجل حياته مدمنًا الخمر، محطمًا يائسًا. ذلك أنه يعتقد أنه أفشى أسرار وطنه وخان شرفه ومهنته.

وفي نهاية الفيلم تنقذه امرأة كانت تعلم بمهمته منذ بدايتها. وتعلم أنه اختير بالذات لأن علماء النفس كانوا يعرفون أنه سينهار ويعترف



تشرشل

خاصة عندما يتناول ما يظن أنه سم "السيانيد" دون أن يتأثر به وتوضح له أنه كان لعبة بيد القيادة وعلماء النفس، وأنه أرسل خصيصًا كي يزود الألمان بالمعلومات الخاطئة التي كان هو يعتقد بصوابها وصحتها، ولو لم يكن يعتقد ذلك ما كان الألمان قد صدقوه.

وفي الوقت الذي نجحت فيه الخطة، وحاز رؤساؤه وعلماء النفس على الميداليات والأوسمة كان هو يعيش محطمًا حزينًا.

ولكن، ما قيمة الإنسان في أثناء الحروب؟

البروتوكول الرابع

وفي رواية "**البروتوكول الرابع**" للكاتب المشهور **فريدريك فورسايث** (وهو كتاب تصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العالم، فقد بيعت منه ملايين النسخ). يروي الكاتب قصة خيالية (بل مغرقة في الخيال) عن رئيس دولة عظمى يحاول أن يقوم بعملية تخريبية يستخدم فيه **الأسلحة النووية**



داخل دولة أخرى معادية، دون أن يستعين برجال مخابراته بحيث يشرف هو شخصيا على تفاصيل هذه العملية، كي ينال وحده مجد نجاحها ويدخل التاريخ من أوسع أبوابه.

ويطلب هذا الرئيس من مخابراته تزويده بأحسن رجالها، وببعض الجواسيس النائمين (وهم أشخاص يعيشون حياة عادية في الدولة الأخرى، وقد دربوا وادخروا للصعب من المهمات، وهم ذوو قيمة كبيرة بالنسبة للدولة التي تستخدمهم، وربما قضوا حياتهم كلها دون الاستعانة بهم ومن هنا جاء اسمهم ـ النائمون).

وفي سبيل ضمان السرية الكاملة تشمل تفاصيل المهمة إعدام كل من يشترك فيها بعد أن ينتهي دوره.

وتعلم المخابرات في الدولة المستهدفة أن ثمة ما يريب، لكنها لا تعرف كنهه، فترسل معلومات من خلال عملاء مزدوجين تدل على أنها مطلعة على كل شيء، وتصل هذه المعلومات طبعا إلى مخابرات الدولة العظمى التي تجاوزها رئيس الدولة، فيعتقد مدير هذه المخابرات أن العملية فشلت قبل بدئها، ولكنه في الوقت نفسه كان خارج هذه العملية، فماذا يفعل، وكيف يتفادى الأضرار؟

إنه لا يعرف شيئا عنها، ولكنه يعلم أنها ستتم بواسطة الجواسيس النائمين الذين أعطيت أسماؤهم لرئيس الدولة، فيرسل عميلاً من عملائه بأوراق شخصية مزورة واضحة التزييف كي يسهل كشفها، ويطلب منه أن يزور هؤلاء الجواسيس النائمين بحجة فحص **أجهزة اللاسلكي** لديهم، ويطارد هذا العميل المفضوح من قبل رجال مخابرات الدولة المستهدفة حتى تتم معرفة الجواسيس النائمين ومراقبتهم المستمرة مما يؤدي في النهاية إلى فشل العملية من أساسها. وكان سبب ذلك هو الحيلة التي أوحت إلى رئيس مخابرات الدولة العظمى أن الدولة المستهدفة كانت مطلعة على الخطة من أولها، وما هي كذلك، فكان أن أرسل من يدل على الجواسيس النائمين كبادرة حسن نية، بعد أن ظن أن العملية لن تنجح، وبذلك يحمي سمعة مخابراته، وينتقم من رئيس دولته الذي حاول تجاوزه.

تشرشل

هاتان القصتان خياليتان، كما هو جلي واضح، ويرى فيهما أن القيمة للإنسان في عالم الحروب والجاسوسية، لكن من الحقيقة ما هو أشد هولا من الخيال. من ذلك مثلا ما قام به تشرشل نفسه من تضحيات بشرية هائلة أثناء الحرب العالمية الثانية دون أي اعتبار لحياة الإنسان. فكثيرا ما ضحى بحياة عديد من رجال المقاومة وعملاء بريطانيا في سبيل استمرار الخداع الذي يريد أن يحمي به الحقيقة.

ومما يروى عنه ـ وتنفيه الأوساط الرسمية ـ أن تشرشل في سبيل إعطاء المصداقية لأحد جواسيس بريطانيا المهمين في ألمانيا جعله يكشف للألمان أسرار غارة جوية بريطانية على «نورمبرج»، مما أدّى إلى مقتل (٧٠٠) من رجال سلاح الجو البريطانيين وذلك كله كي يجعل الألمان يثقون بذلك الجاسوس.

لماذا ترخص حياة الإنسان في عيون الذين يغامرون بشعوبهم دون ضمير..؟

وكما ذكرت آنفا فإن الأوساط الرسمية البريطانية تنفي هذه الحادثة. لكن هذه الأوساط نفسها لا تنكر قصة أخرى أشد هولاً من هذه وهي قصة «ألترا».

قصة «ألترا»

وتفاصيلها أن الألمان استطاعوا في بداية الحرب ابتداع جهاز دقيق معقد يستطيع أن يرسل الرسائل برموز وشيفرة لا يمكن للأعداء أن يكتشفوا سرها، وسمي ذلك الجهاز (اينجما)، لكن يهوديا بولنديا اسمه «رينشارد لوينسكي» كان يعمل في مصنع «اينجما» قبل أن يهرب من ألمانيا، نجح في رسم مخططات هذا الجهاز من الذاكرة وباع هذا السر لبريطانيا.

وفي بريطانيا قام عالم عبقري اسمه «آلان تورينج» وهو رجل غريب الأطوار يقال إنه كان يحضر إلى الاجتماعات في وزارة الخارجية ركضا من بيته إلى هناك مسافة (٤٠) ميلا وهو يضع ساعة منبهة مربوطة على حزامه.

قام هذا العبقري باختراع جهاز أسماه «ألترا» يستطيع أن يكشف ويفك رموز «اينجما» بعد أن عُرفت أسرارها ومخططاتها.

وقد كُشف بواسطة جهاز «ألترا» كثيرٌ من أسرار ألمانيا، وكان من جملة ما كشف أن سلاح الجو الألماني كان سيقوم بغارة شعواء على مدينة «كوفنتري» في نوفمبر عام ١٩٤٠م. وكان من الممكن تخفيف الخسائر والتقليل منها بدرجة كبيرة، باستخدام وسائل دفاعية استثنائية أو بإخلاء المدينة من سكانها المدنيين. لكن تشرشل رفض أن يلجأ إلى أي من هذين الخيارين، لأن ذلك ربما جعل الألمان يحسون بوجود «ألترا» التي تكشف أسرار «اينجما» فكان أن حصلت الغارة دون حماية استثنائية لكوفنتري، وكان أن مات أثناءها (٥٥٤) شخصا عدا آلاف المصابين والجرحى.

وبعد الغارة مباشرة زار تشرشل «كوفنتري» وأخذ يجوس خلال الخرائب والأنقاض وخاصة ما تبقى من كاتدرائيتها الشهيرة. والتقطت الصور التذكارية لهذا الرجل العطوف الذي يزور ضحايا الكوارث. وكأنه لم يكن مسؤولاً عن هؤلاء الذين قضوا نحبهم ضحايا بريئة في حرب عاتية، كأنه لم يكن بإمكانه أن يحميهم وهو رئيس الوزراء المسؤول.

لقد مات أولئك الناس في أثناء تلك الغارة، ومات تشرشل بعد ذلك بسنوات مدمنا على الخمر أي إدمان، مصابا بخرف الشيخوخة الشديد (نسأل الله العافية). وأصبح كل ذلك جزءا من تاريخ مضى.

ولكن، ما يحزّ في النفس جدا أن ترخص حياة الإنسان حتى تبلغ تلك الدرجة من الهوان وانعدام القيمة، وحتى تصبح هذه الحياة نفسها كذبة يحاول القادة أن يحموا بها الحقيقة التي قد تكون مُرّة.



شعر:
د. محمد إياد صلاح الدين العكاري

أُخْتَـاهُ يَـا بُلْبُـلا فِي صَمْتِـه السَّجْعُ ... وَيَـا مَنَـارًا إلى الجَوزَاءِ يَـرْتَفِعُ
وَيَـا شِهَـابًـا بليل الظلم مُـؤتَلِقًـا ... بِشْرِي وبُذلِـجُ الأَنْـوَارُ تَنْـدَفِعُ

أيـا جَمِيلَـةُ يَـا أُخْتَـاهُ يَـا أَمَـلاً ... يَسْمُـو بِأَجْنِحَـةِ الإيمان يَـدَّرِعُ
أَبَيْتِ إلاَّ حَيَـاةَ العِـزِّ مُسْلِمَـةً ... تُصْغِينَ لِـلأْيِ إنْ جَـارُوا وَإِنْ مَنَعُـوا
ذَكَّـرْتِنِي صَبْرَ خَنْسَـاءٍ عَلَى حَـدَثٍ ... لَـهُ تَفَطَّـرُ هَـامَـاتٌ وتَنْصَـدِعُ
فنصفُ قَـزْنٍ مِـنَ الآلام أنْتِ بِهَا ... كَـالمَاسِ تَصْقُلُـهُ الهَزَّاتُ يَلْتَمِعُ
أرى مُحَيَّـاكِ فِيـهِ النُّـورُ مُنسكِبٌ ... وفي جَبِينِـكَ راسي الشُّـمِّ يَجْتَمِـعُ
تَهُزُّنِي كَلِمَاتٌ مِنْـكِ سَـابِحَـةٌ ... فَـالـرُّوحُ فِيكِ ونَبْضُ القلبِ يَضْرَعُ
أُخْتَـاهُ طَيْفٌ مِنَ الأفْكَـارِ زَاحَمَنِي ... فَمِنْـكِ أنـتِ دروس الصَّبْرِ نستمِـعُ
وَمِنْـكِ نَقْتَبِسُ الأَنْـوَارَ سَـاطِعَـةً ... بِفِكْـرِكِ الثَّـرُّ بِـالآدَابِ نَنْتَفِعُ

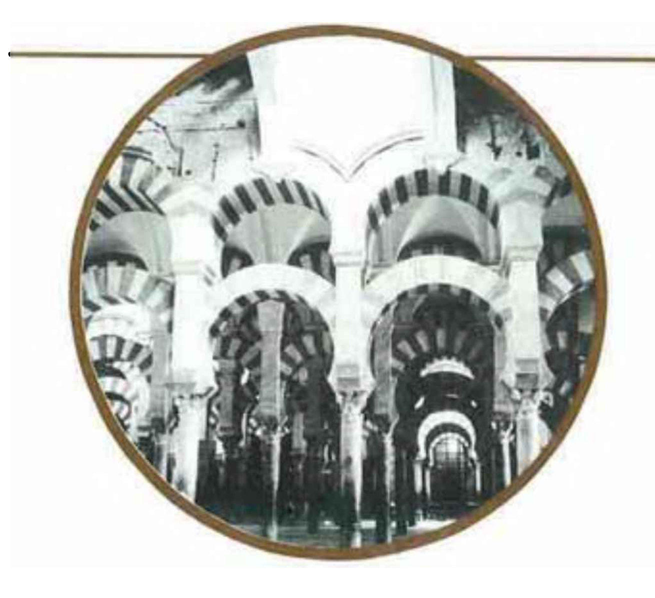
أَيَـا خُنَـاسُ هِـيَ الأَيَّـامُ تُخْبِرُنَـا ... وَتَكْشِفُ البَـاطِلَ المَأْفُـونَ تَقْتَلِعُ
فَـدَوْلَـةُ الكُفْـرِ وَالإلْحَادِ قَـدْ أَفَلَتْ ... وغَـاصَ مَـرْكَبُهَـا في التِّيـهِ والشِّيَعِ
مَضَى وَوَلَّى بِثَـوْبِ الـذُّلِّ مُنْتَكِسًـا ... والحَالُ يَخْنُقُـهُ والظُّلْـمُ يَتَّسِـعُ
خَـوَى وأَقْفَـرَ لا أَمْنٌ ولاَ دَعَـةٌ ... وَرَكْبُـهُ هَـالِكٌ والـدَّرْبُ مُنْقَطِعُ

أُخْتَـاهُ آصِرَةُ الإيمان تَـدْفَعُنِي ... لأَنْ أَقُـولَ هُنَـا مَـا لَيْسَ يُصْطَنَعُ
أُخُـوَّةُ الحَقِّ والإِسْـلاَمُ يَجْمَعُهَـا ... وَشَـائِجٌ بَيْنَنَـا مَـا شَـابَهَا طَبَعٌ[1]
أُخْتَـاهُ عُـذْرًا فَإِنَّ الحالَ كَبَّلَنِي ... بَيْنِي وبَيْنَكِ سَـدٌّ حَـائِلٌ يَشِعُ
بَيْنِي وبَيْنَكِ أَسْـوَارٌ تُمَزِّقُنَـا ... فَـأُمَّتِي اليَـوْمَ أَشْتَـاتٌ بِهَا الـرُّقَعُ
رَانَتْ على قَلْبِهَـا الـدُّنْيَـا وبَهْجَتُهَـا ... وارْتَـابَ فيهـا المُنَى واغْتَـالَـهُ الطَّمَعُ
لَكِنَّهَـا ـ وأَمَـانُ اللهِ يَحْـرُسُـهَـا ... لاَ بُـدَّ يُشْرِقُ في أَعْمَاقِهَـا الـوَرَعُ
لاَ بُـدَّ أَنْ يَـأْخُـذَ القُـرْآنُ نَـاصِيَـةً ... إلَى المَعَـالِي ومَهْمَا الكُفْـرُ يَبْتَـدِعُ
يَـا أُمَّـةَ الخَيْرِ أَلْقَى فِيكِ أُمنيتي ... آنَ الأَوَانُ لِـرَكْـبِ الحَقِّ يَضْطَلِـعُ
آنَ الأَوانُ لِـرُكْبَـانِ الهُدَى نَفَـرُوا ... تُقِلُّهم سُفُـنٌ للمَجْـدِ تَنْتَـزِعُ
لِيُشْرِقَ الغَـارُ مِنْ أَجْسَـادِنَـا عَبِقًـا ... وسُنَّـةُ الحَقِّ أَنَّ الحَقَّ يَصْطَـرِعُ
هَـذَا أَوَانُ العُـلا أُخْتَـاهُ فَـارْتَقِبِي ... سَيُسْفِـرُ اللَّيْلُ والإظْـلاَمُ يَنْقَشِعُ

(١) [illegible]

من كتاب العدد

● محمد إياد صلاح الدين العكاري
- من مواليد دمشق ١٩٥٧م
- خريج كلية طب الأسنان في جامعة دمشق ١٩٧٩م
- أصدر ديوان «صدى الأعماق» ١٤١١هـ
- نشر العديد من نتاجه الشعري في العديد من الصحف والمجلات منها المجلة العربية ـ الشرق الأوسط ـ المسلمون ـ منار الإسلام الإماراتية ـ الوعي الإسلامي الكويتية ـ مجلة قافلة الزيت ـ الإصلاح الإماراتية ـ المجتمع الكويتية ـ النور الكويتية ـ الخيرية الكويتية ـ الجهاد ـ البنيان المرصوص
- شارك في عدد من الأمسيات الشعرية آخرها كان في رمضان ١٤١٢هـ بدعوة من النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية



حينما نلقي نظرة على الشعر الأندلسي ومراحل تطوره خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخه يمكن لنا أن نلاحظ مروره بطورين رئيسيين تعاقبا عليه وإن كان بينهما بعض التداخل.

المرحلة الأولى هي التي كان الشاعر فيها مستجيبًا لطبعه وموهبته، فكان يعبر عن تجربته بغير احتفال كبير بالصنعة ولا اعتماد على ثقافة تراثية واسعة، نرى أمثلة لذلك في النماذج الأولى التي وصلت إلينا من الشعر الأندلسي، مثل ما نظمه بعض ولاة الأندلس وأمرائها أو من اتصل بهم من الشعراء. ويتوج هذه المرحلة يحيى بن الحكم البكري الملقب بالغزال (توفي نحو سنة ٢٥٠هـ)، فهو شاعر يعبر عن تجربته في عفوية

ابن زيدون وشعراء التروبادور (١)

بقلم: د. محمود علي مكي

وتلقائية بغير اصطناع للثقافة ولا اهتمام بالصياغة، بل كانت لغته قريبة سهلة أشبه بلغة الكلام في مجتمعه. على أنه عوض ذلك بطرافة صوره وغوصه على المعاني الغريبة يعبر عنها في بساطة وسهولة، كما نرى في حديثه عن فتاة تعرض عنه حبها بعد أن أخذت منه الشبحوحة:

من كتاب العدد

● د. محمود علي مكي

من مواليد محافظة قنا بمصر في سنة ١٩٢٩م.

فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (مناصفة) عام ١٤٠٨هـ

حصل على الدكتوراه بتقدير «ممتاز» من جامعة مدريد المركزية عام ١٩٥٥م

عمل وكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد. ثم ملحقًا ثقافيًا للسفارة المصرية في مدريد حتى مارس ١٩٦٥م

في أكتوبر ١٩٨٢ عمل رئيسا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة

في أكتوبر ١٩٨٤ عين رئيسا لقسم اللغة الأسبانية بجانب عمله أستاذا للأدب الأندلسي بجامعة القاهرة حتى اليوم

انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٥

انتخب عضوا مراسلاً في القاهرة للمجمع الملكي للآداب في مدينة برشلونة بأسبانيا في سنة ١٩٦٤م

عضو لعديد من الهيئات والمؤسسات العلمية في مصر والخارج

أشرف على العديد من الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه في جامعة القاهرة وعين شمس والأزهر والكويت

قالت: أحبك. قلت: كاذبة ... غري بذا من ليس ينتقد
هذان قولك ذا وقولك ... إن الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولي: النار باردة ... أو أن تقولي الماء يتقد

وأما **الطور الثاني** الذي مر به الشعر الأندلسي منذ أواخر القرن الثالث الهجري **فهو الذي أصبح الشاعر يهتم فيه بثقافته الأدبية**. فيستعين عليه بالتبحر في اللغة ورواية الشعر القديم والأخذ بأسباب العلوم المختلفة، لا سيما وأن الثقافة الأندلسية أخذت خلال هذه الفترة طريقها إلى النضج، فرأينا ظاهرة الشعراء المؤلفين الذين لا يركنون في شعرهم إلى مجرد الموهبة، وإنما يستعينون عليها بثقافة متنوعة واسعة. ولعل أول ممثل كبير لهذا الطور هو ابن عبد ربه (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) الذي كان إلى جانب تصدره لشعراء عصر الخلافة عالمًا موسوعيًا. فهو مؤلف كتاب «العقد الفريد» الذي أراد أن يثبت به معرفة الأندلسيين الواسعة بالتراث الشرقي. أما في ميدان الشعر فقد كان ابن عبد ربه مغرمًا بمعارضة الشعراء المشارقة من أمثال أبي تمام ومسلم بن الوليد. يحدوه لذلك الطموح لإثبات تفوقه على هؤلاء الشعراء.

ويسود هذا الطابع شعر الأندلسيين خلال عصر الخلافة الذي بلغت فيه الثقافة الأندلسية أوج نضجها وازدهارها مما يتمثل بعد ذلك في ابن دراج القسطلي الذي كان يلقب بمتنبي الأندلس والذي كان شعره معرضا



لثقافة أدبية ولغوية واسعة ولصنعة فنية معقدة سواء من ناحية المعاني أو الأسلوب .

وقد كان على النهضة الكبيرة التي أتيحت للثقافة الأندلسية خلال عصر الخلافة طوال القرن الرابع الهجري أن تؤتي أُكلها في أواخر القرن وفي أوائل القرن التالي ، فرأينا عددًا كبيرًا من الشعراء جمعوا بين فن الشعر ودقة الفكر وموسوعية الثقافة . من أمثال ابن فرج الجيَّاني صاحب كتاب «الحدائق» الذي جمع فيه مختارات من الشعر الأندلسي تبلغ أربعين ألف بيت شعر . ويوسف بن هارون الرمادي الذي كان من أكثر الشعراء اهتمامًا بالغوص على المعاني الغريبة المبتكرة ، وابن شهيد الذي عرض علينا في رسالته « التوابع والزوابع » نظيرًا لفن الشعر مستخدمًا في ذلك نماذج من شعره هو ، وابن حزم الذي كان مجمعًا لعلوم العربية كلها والذي قدم لنا

● عندما أصبحت الأندلس في ظل الحضارة الإسلامية أرقى بلاد الغرب الإسلامي والمسيحي على السواء .

صورة بالغة الروعة لمجتمعه القرطبي في كتابه «طوق الحمامة» مدرجا فيه نماذج كثيرة من شعره .

نضج ثقافي وفني :

ونصل إلى ابن زيدون الذي يعد خلاصة لهذا النضج الثقافي والفني الذي بلغته الأندلس في أواخر هذا العصر الذهبيّ ، فقد ولد في سنة ٣٩٤هـ في أيام عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر التي كانت تلقب بـ «أيام العروس» لما بلغته الأندلس من عظمة وقوة وحضارة زاهرة جعلت من هذه البلاد أرقى بلد في الغرب الإسلامي والمسيحي على السواء . غير أنه لم يكن أحد يقدر أن الأندلس مقبلة بعد سنوات قليلة على أزمة عنيفة طاحنة سوف تدمر هذا البنيان العتيد . ذلك أن ابن زيدون لم يكد يبلغ الخامسة من عمره حتى انفجرت الفتنة المعروفة باسم «الفتنة البربرية» أو الحرب الأهلية التي استمرت نحو ربع قرن منذ وفاة عبد الملك المظفر في سنة ٣٩٩ . وكانت قرطبة عروس مدن الغرب هي مسرح هذه الحرب الضارية التي انتهت بسقوط خلافة بني أمية وببداية عصر التمزق السياسي والاجتماعي المعروف بعصر الطوائف . وكان على شاعرنا ابن زيدون أن يقضي فترة صباه وشبابه المبكر بقرطبة في ظل هذه الظروف المأساوية الحزينة . ومع ذلك فلا يبدو في شعره تأثر كبير بتلك الفتن كما بدا في الإنتاج الفكري للجيل السابق عليه ومنهم ابن دراج وابن شهيد وابن حزم ، ربما لأنه كان صغير السن آنذاك ، بل نراه آخذًا بنصيب وافر من التعليم بفضل أبيه وجده ، وكانا فقيهين كبيرين . ولما استقر الأمر في قرطبة لبني جهور في سنة ٤٢٢ رأيناه يتصل بهم ، ويبدأ نجمه في الظهور في ميدان الحياة العامة ، فيلي بعض المناصب في ظل أبي الحزم ابن جهور حاكم قرطبة ، ولكن تهمة تلحق به فتؤدي به إلى السجن حيث قضى نحو سنة ونصف السنة ، ثم اضطر للهرب والفرار إلى إشبيلية ، وعاد بعد ذلك إلى قرطبة ، فتوثقت علاقته بأبي الوليد بن جهور وكان قد ولي الأمر بعد أبيه أبي الحزم ، فعينه في منصب كبير ، ثم عهد إليه بالسفارة عنه إلى جيرانه من ملوك الطوائف ، وتنقل ابن زيدون في هذه السفارات حتى آثر في النهاية أن يلحق ببلاط المعتضد بن عباد في إشبيلية منذ سنة ٤٤١هـ ، فأصبح من كبار وزرائه ، وظل مقربا منه ثم من ابنه الملك الشاعر المعتمد حتى توفي سنة ٤٦٣ .

على أن جانبًا من شهرة ابن زيدون يرجع لا إلى نشاطه بصفته رجل سياسة ، وإنما لعلاقته الغرامية بولادة بنت الخليفة الأموي المستكفي . وكانت ولادة هذه كما يقول ابن بسام : «واحدة نساء زمانها حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعبًا لجياد النظم والنثر . . . يتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها» .

وقد أحبها ابن زيدون حبا صادقًا ، وبادلته هي الحب ، ولكنها كانت متقلبة الأطوار ، فكانت كثيرًا ما تنغص عليه متعة الحب بهجره وإيثار غيره ممن كانوا يتنافسون على خطبة ودها . وكان الوزير أبو عامر بن عبدوس هو المنافس لابن زيدون في حبها . ويشبه المستشرق التشيكي نيكل علاقة ابن زيدون بولادة بتلك التي انعقدت بين الأديب الفرنسي ألفريد دي موسيه وجورج صاند . وهكذا ظلت صلة شاعرنا بتلك الأميرة الجميلة القاسية متذبذبة بين الوصل والقطيعة وبين اليأس حتى انتهى الأمر برحيله نهائيا عن قرطبة . ولعل هذا الرحيل لم يكن سببه السياسة بقدر ما كان يأسه من نتيجة ذلك الحب المستحيل . أما هي فظلت في قرطبة عازفة عن الزواج حتى توفيت عن سن عالية في نحو الثمانين .

سياسة . . وحب

أما إنتاج ابن زيدون الأدبي فإنه يدور حول هذين المحورين اللذين استقطبا حياته : السياسة ، وحبه لولادة . ومعظم شعره السياسي مفرغ في قصائد المديح التي توجه بها لبني جهور وبني عباد ثم لغيرهم من ملوك الطوائف الذين اتصل بهم . وأما شعره الوجداني فينتظمه عدد كبير من المقطوعات والقصائد يبلغ أكثر من ستين مقطوعة ، أو قصيدة . صور فيها

• صنعة محكمة وتأنق بالغ واهتمام بالثقافة التراثية الأصيلة للوقوف في وجه الزائف ..

هذه العلاقة الغرامية بولادة وتوّجها بتلك القصيدة التي بلغت حدًا عظيمًا من الشهرة، إذ اعتبرها الأدباء في الشرق والغرب من أفضل نماذج الشعر الوجداني الخالص:

أضحى التنائي بـديلاً من تـدانينا ... ونـاب عن طيـب لقيانا تجافينا

وما زال الشعراء قديمًا وحديثًا مغرمين بمعارضتها والنسج على منوالها، وآخرهم في ذلك هو شاعرنا أحمد شوقي الذي عارضها وهو في منفاه بأسبانيا بقصيدته: «**يا نائح الطلح أشباه عوادينا**».

وحينما نتأمل شعر ابن زيدون فإننا نلاحظ أنه، كما توزعت شخصيته بين هذين الجانبين: السياسي والعاشق فإن شعره أيضًا يصور هذا الانشطار في شخصيته. **فشعره السياسي تتمثل فيه الصنعة المحكمة والتأنق البالغ والاهتمام بالثقافة التراثية من شعر قديم وأمثال وأخبار وإشارات إلى الأحداث التاريخية، ويبدو فيه تأثيره بالجيل السابق من** شعراء الأندلس العلماء ولا سيما ابن دراج القسطلي. **ومثل هذا أيضًا يبدو** في نثره، وبخاصة في رسالتيه الجدية والهزلية، فهما معرض لثقافته الواسعة، وكأن **ابن زيدون** حينما كتبهما كان يقدر أنهما سوف تستثيران همم أهل الأدب فيعمدون إلى شرحهما، وهو ما حدث بالفعل، إذ إننا نجد أديبين متأخرين هما **صلاح الدين الصفدي وابن نباتة المصري** يقومان بشرح الرسالتين في كتابين ضخمين.

وأما شعره الوجداني فهو على النقيض من شعره السياسي: ليس بقصائد مطولة فيما عدا قصيدة «أضحى التنائي»، **بل هو يتألف من مقطوعات قصيرة يعبر فيها الشاعر تعبيرًا تلقائيًا سهلاً بعيدًا عن تكلف الثقافة. وهذا هو مصدر جمال تلك القطع التي تعد من أفضل نماذج الشعر الوجداني العاطفي في الأدب العربي.**

قصائد وجدانية:

ويلاحظ أن شعر ابن زيدون الغزلي لم يكن مقصورًا على تلك المقطوعات، بل إننا نراه أيضًا في مقدمات قصائده السياسية في المديح على عادة الشعراء القدماء في افتتاح قصائدهم بالنسيب. غير أنه شتان بين هذا الشعر هنا وهناك. فنسيب ابن زيدون في قصائد المديح غزل تقليدي قليل الحظ من الأصالة والصدق، هو مجرد محاكاة لما ورد في الشعر البدوي القديم: من حديث عن المحبوبة التي يتعذر الوصول إليها بسبب غيرة أهلها ومنعتهم وشدة مراسهم. نرى نموذجًا لذلك في مستهل **قصيدة يمدح بها أبا الوليد بن جهور:**

أجل إن ليلى حيث أحياؤها الأزدُ ... مهاةٌ حمتها في مراتعها أسدُ

يمانية تدنو ويناى مزارها ... فسيَّانِ منها في الهوى القربُ والبعدُ

إذا نحن زرناها تمرد مارد ... وعَزَّ — فلم نظفرْ به — الأبلق الفردُ

تحول رماح الخط دون اعتيادها ... وخيلٌ تمطَّى دون غاياتها جُرْدُ

ومن الواضح أن مثل هذا الشعر لا يمت بصلة إلى واقع الأندلس ولا إلى حياة ابن زيدون.

ولهذا فإننا لن نلقي بالاً إلى هذا النسيب الذي افتتح به ابن زيدون قصائده السياسية، وإنما سيكون همنا تأمل تلك المقطوعات الوجدانية التي تبدو كما لو كانت نابعة من شاعر آخر، وهي مقطوعات يعبر فيها الشاعر عن علاقته بمحبوبة حقيقية من لحم ودم، وتطور هذه العلاقة وتقلبها من وصل وهجر، ورجاء ويأس، ومتعة وألم، على نحو قل أن نجد له مثيلا في الشعر العربي. وأول ما نلاحظه أن طابع البداوة الذي تميزت به مقدماته الغزلية يختفي في هذه المقطوعات تمامًا، إذ هي تمثل مجتمعًا حضريًا بلغت فيه رقة الحاشية وأساليب التخاطب المهذبة مستوى بالغ الرقي. ويلفت نظرنا أن ما يصوره لنا ابن زيدون في هذه المقطوعات من الرسوم التي ينبغي أن يلتزم بها العاشق الحضري وشرح أحوال المحبين ومعاناتهم يتفق تمامًا مع ما فصله أديب معاصر لابن زيدون خلف لنا كتابًا من أجمل الكتب في تحليل عاطفة الحب الصادق وأحوال المحبين، ونعني به ابن حزم القرطبي في كتابه «طوق الحمامة».

ويستوقف نظرنا في تعبير ابن زيدون في تلك المقطوعات البعد عن جانب الحس، فهو لا يكاد يصف تفاصيل جمال المحبوبة، وكأنه يريد أن يصفها بالجمال المطلق الذي لا يتوقف فيه الشاعر عند أعضائها كما يفعل الشعر الغزلي في العادة، وهو شعر عفيف يلتزم ما ذكره ابن حزم في مواضع كثيرة من كتابه متمدحا بفضل التعفف ومزية الحرمان. **كما نرى في قول ابن زيدون:**

ألم ألزم الصبر كيما أخِفّ ... ألم أكثر الهجر كيلا أُمَلّ

ألم أرضَ منك بغير الرضا ... وأُبْدِ السرور بما لم أنَلْ

ألم أغتفر موبقات الذنوب ... عمدًا أتيت بها أم زلل

وما ساء ظني في أن يسيء ... بي انتحل حسنك حتى فعل

على حين أصبحت حب الضمير ... ولم تبغِ فيك الأماني بدل



• عندما يبحر الشاعر دون قيود، تبقى هنا وقفة..

حقا إننا نرى هذه العفة وذلك الحرمان في الشعر العذري، ولكن ذلك كان مما تقضي به ظروف البادية وتعذر الاتصال بين الحبيبين. أما في بيئة حضرية مثل المجتمع القرطبي فللعفة والحرمان مزية لأن هذا الاتصال ممكن، غير أن الشاعر يعبر بهما عن سمو روحي من طراز آخر. وقد يكون أقرب ما نراه إلى هذا المفهوم هو تعبير العباس بن الأحنف عن حبه لفوز، فقد كان العباس يعيش أيضا في بيئة حضرية كان الاتصال فيها بين الحبيبين أمرًا ميسورًا سهل المنال. وأقرب من ذلك إلى شعر ابن زيدون ما قاله شاعر أندلسي ينتمي إلى الجيل السابق هو ابن فرج الجيّاني الذي يقول:

وطائعة الوصال صددت عنها   وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فأمست   دياجي الليل سافرة القناع
وما من ساعة إلا وفيها   إلى فتن القلوب لها دواع
فملّكتُ النُّهى جَمَحاتِ شوقي   لأجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت الطفل بظما   فيمنعه الفطام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلي   سوى نظرٍ وشمٍّ من متاع
ولست من السوائم مهملات   فأتخذ الرياض من المراعي

والوفاء وحفظ العهد من شروط المحب الصادق مهما تجنى عليه المحبوب، كما يقول ابن زيدون:

أنى أضيّعُ عهـدَكْ   أم كيف أخلف وعدَكْ
وقد رأتك الأماني   رضًا فلم تتعدَّكْ
يا ليت ما لك عندي   من الهوى لي عندك
فطال لَيْلُك بعدي   كطول ليلي بعدك

أو كما يقول:

ثقي بي يا معذبتي فإني   سأحفظ منك ما ضيعت مني
وهل قلب كقلبك في ضلوعي   فأسلو عنك حين سلوت عني
تمنت أن تنال رضاك نفسي   فكان منيَّةً ذاك التمني
ولم أجنِ الذنوب فتحقدها   ولكن عادةٌ منك التجني

ويقول ابن حزم: « إن من عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسرًا إلى طباع من يحبه، وترى المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضي العزيمة، حمِيَّ الأنف، أبيّ الخسف، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب ويتورط غمره ويعوم في بحره، حتى تعود الشراسة لينا، والصعوبة سهلة، والمضاء كلالة، والحمية استسلاما».

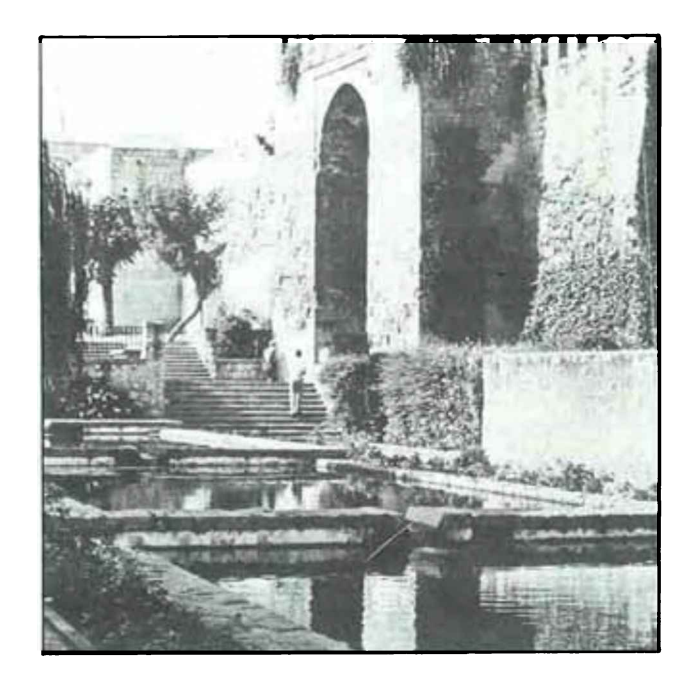
وهو يعتبر محبوبته مالكة له:

أُسِرُّ عليك عتبًا ليس يبقى   وأضمِرُ فيك غيظًا لا يبيتْ
وما زدْتِي على الواشين إلا   رضيتُ بجَوْرِ مالكتي رضيتْ
فليُغْنِ كفَّكِ أني بعض مَنْ ملكت   وليكف طرفَكِ أني بعض مَنْ قتلا

وهذا فإن قرب الحبيبة هو الحياة وبُعدها هو الموت:

إن الزمانَ الذي عهدي به حسَنٌ   قد حال مُذْ غاب عَنّي وجهُكِ الحَسَنْ
أنتِ الحياةُ فإن يُقْدَرْ فراقُكِ لي   فليُحفَرِ القبرُ أو فلْيُخضَرِ الكفَنْ
ولو أنني أقسمت أنك قاتلي   وأني مقتولٌ لما قيل حانثْ

ويكثر ابن زيدون من الحديث عن طول الليل عليه إذا هجره



الحبيب، وعن قصره في الأوقات القليلة التي يتم فيها وصله إياه:

وَدَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ   ضائع من عهده ما استودعك
يقرع السنَّ على أن لم يكُنْ   زاد في تلك الخُطَا إذ شيَّعك
يا أخا البدر سناءً وسَنا   حفظ الله زمانًا أطلعك
إن يَطُلْ بعدك ليلي فلكم   بتُّ أشكو قِصَرَ الليل معَكْ
يا ليلُ طُلْ لا أشتهي   إلا بوصلٍ قِصَرَكْ
لو بات عندي قمري   ما بتُّ أرعى قمرك

كما أننا نجد في مقطوعاته الغزلية هذه حديثًا لا ينقطع عن الوشاة والعذال والرقباء الذين يحولون بينه وبين الحبيبة ويعكرون صفو علاقاته بها كما نرى في قوله:

ولي أملٌ لَوِ الواشون كفُّوا   لأطلعَ غرسُهُ ثمر النجاح

وأعجب كيف يغلبني عـــدوٌّ　　رضـــاك عليه من أمضى ســلاح

أستودع الله من أُصفي الوداد لـه　　محضًا ولام بـه الـواشي فلم أطع

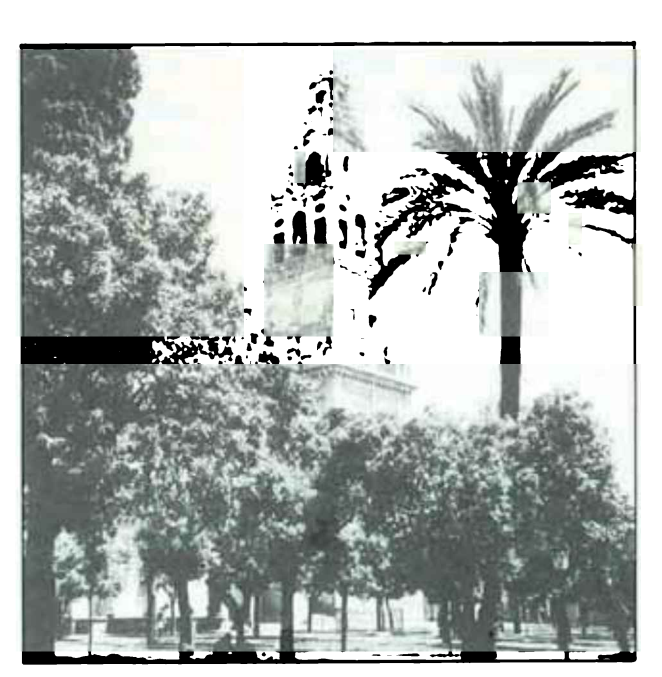
ومـــا رَدِّي على الـــواشين إلا　　رضيتُ بجـور مـــالكي رضيتْ

أحـــاذر أن تَتَظنَّى الــوشـــاة　　وقـد يُستدامُ الهوى بـــالحَذَرْ

لما اتصلتِ اتصال الخِلْبِ بـالكبد　　ثم امتزجتِ امتزاج الروح بالجسدِ

ساء الوشاة مكاني منك فـاتقدت　　في صـدر كل عَــدُوٍّ جمرةُ الحسـد

ونعود إلى كتاب «طوق الحمامة» فنجده يفرد فصولاً للعاذل والواشي والرقيب يتحدث فيها عن دور كل طائفة في إفساد العلاقة بين المحبين. ضارب عليها أمثلة كعادته مما خبره من قصص الحب في مجتمع قرطبة. وهي قصص واقعية حقيقية. فنحن نذكر ما التزم به ابن حزم من ذكر ما عرفه بنفسه من أخبار تلك القصص. متحاشيا ترديد قصص المتقدمين.



ومما يجدر التنويه به أن كثيرا من مقطوعات ابن زيدون في الحديث عن حبه لولادة يبدأ بمقدمة روضية تتجلى فيها رقة إحساس الأندلسيين وانفعاله بمشاهد الطبيعة. نذكر من ذلك مقطوعته التي تشوق فيها إليها وهو في رياض مدينة الزهراء بقرطبة

إني ذكرتك بـالـزهراء مشتـاقـا　　والأفق طلقٌ ومرأى الأرض قـد راقا

وللنسيم اعتـلالٌ في أصـائلـه　　كأنـه رقَّ لي فـاعتـلَّ إشفـاقـا

والروض عن مائه الفضي مبتسمٌ　　كما شققت عن اللَّبَّات أطـواقـا

نلهـو بما يستميل العين من زَهَـرٍ　　جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينـه إذ عـاينـت أرقي　　بكَتْ لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألَّق في ضـاحي منـابتـه　　فازداد منه الضحى في العين إشراقا

سرى ينـافحـه نَيْلـوفَـر عبق　　وسنان نبَّه منه الصبح أحداقا

كلٌّ يهيج لنـا ذكـرى تَشَوُّقنـا　　إليكِ لم يعد عنها الصدر أن ضاقا

وأخيرًا نشير إلى لون من الشعر كان للأندلسيين فضل ابتكاره. وكان ازدهاره في هذا العصر: عصر الخلافة ثم عصر الطوائف. ونعني به الموشحة. وهو فن ارتبط بالغناء ارتباطا وثيقا. وكان موضوعه الأول هو الغزل. ويستوقف النظر هنا أن الموشحة تقوم على تغاير القوافي دائما والأوزان أحيانا. وأن من أهم عناصرها القفل الأخير وهو الذي اصطُلح على تسميته بالمركز أو الخرجة. وقد جرى الوشاحون الأندلسيون على أن ينظموه بلغة تختلط فيها العربية الفصحى بالدارجة والعجمية أو «اللطينية الأندلسية» (التي تولدت عنها إسبانية اليوم). ومثل هذه الخرجات تعكس ذلك الازدواج اللغوي الذي تميزت به الأندلس. والذي يرجحه الباحثون هو أن هذه الخرجات تبدو أجزاء من أغانٍ شعبية لاتينية دارجة كانت شائعة في أوساط الأندلسيين. ونذكر من نماذجها موشحة مجهولة القائل جاء مطلعها على هذا النحو:

قد وضح الشجوا / حين جلا / سِرَّهُ الإعلانْ

من كتم الشكـوى / عاد على / قلبه الكتمان

والغاية القصوى / لو أن تلا / حسنه إحسان

يا فتنة اللائذ / أنت العياذ / لو أجرت العائذ (القفل)

أما الخرجة وهي القفل الأخير فقد كانت :

يا فـاتـن يا فـاتـن / وش إنتـراذ / كنْذ جِلـشُـش كادذ

والجزء الأول من الخرجة عربي اللغة أما الجزآن الأخيران فهما بعجمية الأندلس وهما بالحروف اللاتينية :

Os entrad

Cuando gilos queded

وترجمتها : ادخل

حينما ينام الرقيب (أو العاذل الغيور)

ويلاحظ أن الوشاح عبر عن الرقيب بهذا اللفظ العجمي **gilos** (وهو الذي أصبح في الأسبانية **celoso** وفي الفرنسية **Jaloux** وفي الإنجليزية **jealous**). وسوف نرى هذا اللفظ يتكرر بنفس المعنى في شعر التروبادور.

وفيما يتعلق بابن زيدون فإننا نرى أنه لم يشارك في نظم الموشحات، ولكن له قصيدتين مسمطتين تشتركان مع الموشحات في المغايرة بين القوافي. وهما أيضا في تذكار علاقته بولادة. الأولى مطلعها :

سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى　　وحـاك عليهـا ثوب وشي منمنم

وأطلع فيهـــا للأزاهــــير أنجما　　فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى

إذ العيش غضٌّ والزمان غلام

ومطلع الثانية :

تنشق من عَرْف الصبا ما تنشقا　　وعاوده ذكـــر الصبا فتشوقا

ومـــازال لمع البــرق لما تألقا　　يهيب بدمع العين حتى تدفقا

وهل يملك الدمعَ المشوقُ المصبَّأ

(يتبع)

الشهيد في الفقه الإسلامي

بقلم : د. شوكت عليان

الشهيد لغة ماخوذ من كلمة الشهادة . ومعناها الحضور . يقال شهد الشيء فهو شاهد . بمعنى حضره . ومنه قوله تعالى .فمن شهد منكم الشهر فليصمه.(١)

وتاتي بمعنى الخبر والعلم . يقال شهد به إذا اخبر به عن مشاهدة بالبصر او عن مشاهدة بالبصيرة . وهي الاعتقاد والعلم . ومنه قوله تعالى وما شهدنا إلابما علمنا (٢)

«شهد الله انه لا إله إلا هو» (٣) اي علم. واستشهد ساله ان يشهد

والشهيد القتيل في سبيل الله . وسمي بذلك لان ملائكة الرحمة تشهده . او لان الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة . او لانه ممن يستشهد يوم القيامة على الامم الخالية . او لسقوطه على الشاهدة اي الارض . او لانه حي عند ربه حاضر . او لانه يشهد ملكوت الله وملكه

الشهيد اصطلاحا

من قتل في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر . وسبيل الله هو الإسلام . فمن بذل نفسه لإعلاء كلمة الله فهو شهيد

قال صلى الله عليه وسلم .من قتل دون ماله فهو شهيد . ومن قتل دون دمه فهو شهيد . ومن قتل دون دينه فهو شهيد . ومن قتل دون اهله فهو شهيد .

وعلى ذلك فمن قاتل حفاظاً على المعتقدات الدينية . وتمكيناً للأمة من إقامة شعائر دينها فقتاله في سبيل الله . ومن قاتل دفاعا عن القيم الخلقية . والمثل العليا . والمبادىء التي اقرتها الشريعة الإسلامية فقتاله في سبيل الله . ومن قاتل دفاعا عن المال او العرض او النفس فقتاله في سبيل الله

واما من قاتل للسمعة والشهرة . او للظلم والعدوان . أو للمغنم . او للسيطرة وقهر الامة فقتاله ليس في سبيل الله

قال تعالى .وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . وقال سبحانه .وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.

فالقتال في الإسلام إنما شرع لغاية نبيلة وهدف سام يتمثل في الدفاع عن العقيدة ومبادئها وقيمها السامية . ومنع القتال ظلما وعدواناً . اي كف المقاتلين عن قتالهم . والبغاة عن بغيهم .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم . والرجل يقاتل للذكر . والرجل يقاتل ليرى مكانه . فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. اي من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله تعالى اي الدعوة إلى الإسلام فهو في سبيل الله

دوافع القتال

ويرى ابن خلدون ان دوافع القتال اربعة

● الدافع الاول الغيرة والمنافسة . كما يجري في الحروب بين القبائل المتجاورة . والعشائر المتناظرة

● الدافع الثاني العدوان . ويكون في الأكثر من الأمم الأكثر فقرا . لأنهم علقوا ارزاقهم بسلاحهم . وجعلوا همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما في ايديهم

● الدافع الثالث الغضب لله ولدينه

● الدافع الرابع العناية بالملك والسعي في تمهيده . كما يكون ذلك في حروب الدول مع الخارجين عليها . والمانعين لطاعتها

فالدافع الأول والثاني لا يقرهما الإسلام لأنهما حروب بغي وفتنة اما الثالث والرابع فهما مشروعان لأنهما حروب جهاد وعدل . وإن كانت الحروب في جملتها مكروهة إلا انها قد تصبح ضرورة . ويكون الجهاد فرض عين

انواع الشهداء

صنّف فقهاء الإسلام الشهداء إلى ثلاثة أنواع:

●● الأول شهيد في حكم الدنيا والأخرة . تجرى عليه احكام الدنيا. فلا يُغسل ولا يُصلى عليه . وتجرى عليه الاحكام الأخروية . فله ثواب عظيم ومكانة عالية عند الله تعالى وهذا هو من يقاتل في سبيل الله ويقتل في المعركة

●● الثاني شهيد في حكم الدنيا فقط وهو من قاتل لرياء او طمعاً في عرض دنيوي او قتل وهو فاراً او مدبراً. فهذا ليس بشهيد حقيقة. غير ان الفقهاء اجروا عليه احكام الشهادة ظاهراً.

●● الثالث شهيد في حكم الأخرة فقط كالمقتول ظلماً من غير قتال . والغريق والمحروق والمدهوس . ومن وقعت عليه حاجة فقتلته او سقط عن شاهق ونحو ذلك

حالات الاستشهاد

الاستشهاد في سبيل الله ـ وقد عرفنا معنى في سبيل الله ـ فإنه قد يكون على ايدي المشركين او الكافرين

قال تعالى .وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.(٥) فهذا النص القراني الكريم يتناول كل قتال بين الفئات المسلمة . وعلى كافة المستويات وعليه فالمقتول في مقاومة الباغين كالمقتول في محاربة الكافرين سواء بسواء . وذلك لانه قتل باذلاً نفسه في سبيل الله. وقد نقل عن علي رضي الله عنه انه لم يغسل من استشهد من اصحابه في قتال البغاة من أهل النهروان.

مكانة الشهيد

تتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد . فالقاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان . وهذا معنه قوله تعالى .لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.(٦) فبينهما من التفاوت العظيم والبون الشاسع ما يأنف منه القاعد . ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته . فيهتز للجهاد .

ويرغب فيه . وفي ارتفاع طبقته ونحوه .**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**.[٧] اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به إلى التعلم . ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم

ومن هنا ندرك ان للمجاهد فضلاً كبيرا ومنزلة عالية عند الله . كما جاء في القران الكريم قال تعالى **فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**. اي ثوابا وافرا في الجنة

وقال تعالى .**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**.[٨]

وهنا يخبر الله تعالى انه عاوض من عباده المؤمنين عن انفسهم واموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة . وهذا من فضله وكرمه وإحسانه . فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على المطيعين له

وقال سبحانه .**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**.[٩] فقد رفع الله مكانة الشهداء . وجعل مرتبتهم عالية . ودرجتهم سامية فهم في المرتبة الثالثة بعد الأنبياء والصديقين

وقال **صلى الله عليه وسلم** في فضل الشهداء .اكرم الله الشهداء بخمس كرامات لم يكرم بها احدا من الأنبياء ولا انا

★ **احدهما** ان جميع الأنبياء قبض ارواحهم ملك الموت . وهو الذي سيقبض روحي . واما الشهداء فالله تعالى هو الذي يقبض ارواحهم بقدرته كيف يشاء ولا يسلط على ارواحهم ملك الموت .

★ **ثانيها** إن جميع الأنبياء قد غسلوا بعد الموت . وانا اغسل بعد الموت . والشهداء لا يغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا

★ **ثالثها** إن جميع الأنبياء قد كفنوا وانا اكفن . والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم

★ **رابعها** إن الأنبياء لما ماتوا سموا امواتاً . وإذا مت يقال قد مات . والشهداء لا يسمون موتى

★ **خامسها** إن الأنبياء تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي ايضا يوم القيامة واما الشهداء فإنهم يشفعون في كل يوم فيمن يشفعون .

وقال صلى الله عليه وسلم .لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

وعن **انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال** .ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع إلى الدنيا وان له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره ان يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة اخرى.

وقال **صلى الله عليه وسلم** .تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بان يدخله الجنة او يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة.

وقال **صلى الله عليه وسلم** .والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك. قال العلماء الحكمة في بعثه كذلك ان يكون معه شاهد بفضيلته . ببذله نفسه في طاعة الله تعالى.

ومن هنا كان الشهيد يدفن بدمائه وثيابه . ولا يُزالُ عنه الدم بغسل ولا غيره ليجيء يوم القيامة كما وصف **النبي صلى الله عليه وسلم** .

الشهداء من الأمة
بمثابة الروح من البدن
وهم الطاقة التي تمدها
بالوقوف في وجه البغي

وقال صلى الله عليه وسلم .ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.[١٦] اي لا تمسه النار لوجود اثر الغبار على قدميه . وفي هذا إشارة عظيمة إلى قدر المجاهد في سبيل الله . فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه

وفي رواية أخرى من حديث **ابي الدرداء** مرفوعاً .**من اغبرت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة الف عام للراكب المستعجل**.[١٧]

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .ارايت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي .فقال له **رسول الله صلى الله عليه وسلم** نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين . وفي رواية فإنه ماخوذ به كما زعم لي جبريل.

وما دام ذلك كذلك فلا غرو ان حبب الإسلام في الشهادة . ورغب فيها بهذه الصورة . وكشف عن منازل الشهداء في الأخرة . وعما أعد الله لهم من الجزاء والأجر فلا عجب بعد ذلك ان عشق المسلمون الأوائل الشهادة في سبيل الله

ولا عجب ان شيع المجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل ملايين الشهداء في مواكب الشرف والعزة والفخار . فهم الذين اكدوا بدمائهم الزكية قدرة الانسان المسلم على حمل رسالة السماء بشرف وإيمان وبذل وتضحية

والإسلام ينهي عن وصف من يقتل في سبيل الله بالميت . فكان المقاتل قد دعم حياته باستشهاده ولم يفقدها . فهي لا تنقطع بمفارقة روحه لجسده

قال تعالى .**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ** [٢٠] فهم احياء عند ربهم ولكن لا ندرك كنه حياتهم وحقيقتها . ولا نحس كيفيتها . لأنها لا تقع تحت الحس . بل هي حياة خاصة

وكما نهى الإسلام عن وصف الشهيد بالميت . فهي كذلك عن مجرد الظن او الشك في استمرار حياتهم حتى وإن لم تنطق بذلك السنتنا

قال تعالى .**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** [٢١]

فالشهداء في حياة غيبية تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر أرواح الناس مما يرزقون وينعمون . ولكننا لا نعرف حقيقتها . ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها . على انه لا ينبغي ان نبحث عن ذلك لأنه من عالم الغيب الذي نؤمن به . ونفوض الامر فيه إلى الله . وهذا ما ذهب إليه المحققون من العلماء .

اثر الشهداء في المجتمع

الامة التي تحرص على بقاء مجدها .واستمرار فاعليتها بين الامم . يجب على افرادها ان يكونوا مستنفرين . وعلى اهبة الاستعداد للدفاع والتضحية بالنفس والنفيس . صيانة لكيانها . وتعزيزا لوجودها . وحفاظاً على مبادئها وقيمها

وإذا ما تصاعدت روح التضحية والفداء لدى أفراد الأمة ذبا عن حياضها، ودفاعا عن قيمها ومبادئها، وصونا لمعتقداتها، اشتد عودها، وتعاظمت سطوتها، وقوي نفوذها، وهابتها الأمم الأخرى.

والأمة التي لا يضحي أفرادها، ولا يلبون نداء الجهاد إذا ما حزب الأمر، وجد الجد، فهي أمة غير جديرة بالعزة والكرامة، وسرعان ما تتخطفها الأمم والشعوب الأخرى ويطمع فيها القوي والضعيف. فالشهداء من الأمة بمثابة القاعدة من البناء، على أشلائهم ينتهض بناء الأمة ويعلو شامخا.

والشهداء من الأمة بمثابة الروح للبدن، ينشط البدن مادامت الروح فيه، ويقضي عليه إذا فارقته. والشهداء وقود حياة الأمة والطاقة الخفية التي تشق لها طريق الخلود والمجد، وتظللها بسحائب الخير والطمأنينة والرخاء.

ومن هنا ندرك سر عطاء الله لهؤلاء الشهداء، وتخليده لهم، واحتفائه بهم، وإكرامه لهم.

الهوامش

(١) سورة البقرة آية (١٨٤)
(٢) سورة يوسف آية (٨١)
(٣) سورة آل عمران آية (١٨)
(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي ج ١ ص ٣٠٤ وللمزيد انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٣ : ٢٤
(٥) سورة [illegible] آية [illegible]
(٦) سورة النساء آية (٤١)
(٧) سورة الزمر آية (٩)
(٨) سورة التوبة آية (١١١)
(٩) سورة النساء آية (٦٩)
(١٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص [illegible]
(١١) الحديث متفق عليه انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ١٣ رقم (٢٧٩٢) وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٢٣ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٤٠ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٠٢
(١٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٤١ رقم (٢٨٠٥) ونحوه سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٠٢
(١٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٢٢
(١٤) فتح الباري ج ٦ ص ٢ رقم ٢٧٩٠ وصحيح مسلم ج ١٣ ص ٢٦
(١٥) فتح الباري ج ٦ ص ٢
(١٦) فتح الباري ج ٦ ص ٢٩ رقم (٢٨١١) وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٠٢
(١٧) فتح الباري ج ٦ ص ٣١
(١٨) صحيح مسلم ج ١٣ ص ٢٠
(١٩) سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٠٦
(٢٠) سورة البقرة آية ١٥٤
(٢١) سورة آل عمران آية ١٦٩
(٢٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ٢٦٩

.. وللأشواق منطقها

شعر : يس الفيل

لا تعـــــذليني . . وخلِّي بين إحســـــاسي ... وبين من كـــان ــــ إن جفَّ الهوى ــــ كـــاسي
ولا تظني . . فمي ــــ إن غـــاب ــــ يُنكـره ... يأبى كيـــاني . . وتـأبى ذاكَ . . أنفـــاسي
مـــا حيلةُ القلب . . إن طـــافَ الـوفـاء بـه ... على تخوم نأت، بـــالـــذاكـــر النـــاسي
صمت الحبيب ــــ وإن يمتـــد . . يحملني ... إليـــه نبض هـــوًى، يسمـــو على اليـــاسِ
والحب في القلـب . . لا تعنيـــه أمنيـــة ... ضلت خطـاهـــا، على درب الهوى القـــاسي

لا تعــــــذليني . . وخلِّي بين راحلتي ... وبين من كـــان يـــومـــا نبض إحســـاسي
إني أســـافـــر في عينيـــه . . مـــاخطـــرت ... عينـــاه، لـــو كنت ــــ حتى ــــ بين جـلاّسي
وإن أقمت وحيـــدا . . كـــان أغنيتي ... وكـــــان في ظلماتي . . ضــــوء نبراسي
حـــولي أقـــام، وفي قلبي، وفي رئتي ... يمتـــد، يمتـــد، من أدنـــاي للـــراسِ
فكيف يحتـــاج هـــذا البعـــد . عـــاطفـــةً ... بـــالحب تُـــذكرُ، لا بـــالكره . للنـــاسِ؟

لا تعـــذليني . . إذا مـــا أطبقَتْ كبـــدي ... كصخـــرة . . أُطبقت يـــومـــا . . على مـــاسِ
إن انتـــزاع الهوى مـــن مهجـــة عشقت ... أقسى، وأقسى مـــدى . . من نـــزع أحـــراسِ
والحبُّ ليـــس نبـــاتًـــا حين تنقلـــه ... من أرضـــه، ربما يـــزهـــو لغـــراسِ
الحب إن يُنتَـــزع . . فـــالموت غـــايتـــه ... وإن تحصن دهـــرا . . بين حـــراسِ
والجرح في الحب أبقى من هـــوى لعبت ... بـــه العـــــواطف بين الفل والآسِ

لا تعـــذليني . . فـــللأشـــواق منطقُهـــا ... ومنطـق الحـب، لـم يخضع لـمقيـــاسِ
ضـــاع الـــذي ضـــاع . . لكـنَّ الهوى قـــدرٌ ... خبـــأتُـــه في دمي عـن كل وســـواسِ
فإن يغـب حـــاصرتْ دنيـــاي أغنيـــةٌ ... لما تـــزل، منـــه تنتشي بـأنفـــاسِ
وإن يعـــدْ . . عـــاد لي مـــا كـــان ــــ واخترقت ... بـــراءةُ الحب فينـــا، ظلمـــةَ اليـــاسِ
هــــو الحيـــاةُ . . فخلِّي بين أغنيتي . . ... وبين من كـــان ــــ إن جفَّ الهوى ــــ كـــاسي



عصر النهضة

تأليف : أليسون براون ○ عرضه وتقديم : د. علي شلش (لندن)

هل بقي شيء في عصر النهضة الأوربية لم يدرس؟
لقد أشبع الأوربيون ذلك العصر بحثا ودراسة وتحليلا . ومع ذلك فأي موضوع قابل للبحث من جديد كما نعرف . وقد قال الكاتب القصصي والمسرحي الروسي أنطون تشيكوف ذات مرة : إن مئات الشعراء تغزلوا في القمر، ولكن القمر يظل قابلا للتغزل . وهكذا الحال في موضوعات البحث والدراسة ، ولا سيما إذا ظهرت فيها وثائق أو شواهد جديدة وحتى إذا لم تظهر هذه الوثائق والشواهد فلكل جيل من الباحثين والدارسين رؤيته وطريقة تفكيره ومن حق كل جيل أن ينقب ويحلل . ومن حق الجيل الحالي أن يخوض في ما خاضت فيه الأجيال السابقة . والعبرة بالجديد الذي يقدمه الباحث أو الدارس حول موضوعه في النهاية .

وآخر ما ظهر من هذا النوع كتاب يحاول من البداية إلى النهاية أن يعيد النظر في موضوع النهضة الذي شبع بحثا ودراسة .

عنوان الكتاب هو ذاته اسم موضوعه : النهضة The Renaissance ومؤلفته أستاذة إنجليزية في التاريخ، ومتخصصة في تلك الفترة التي استمرت بضعة قرون في أوربا في أعقاب ما سُمّي باسم العصور الوسطى، اسمها **أليسون براون** . وناشره **دار لسونجمان الإنجليزية** التي تخصصت تقريبا في الكتب العلمية .

العنصر العربي

ماذا يمكن أن يقال إذن في عصر النهضة الأوروبية بعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على انتهائه؟

تقول المؤلفة : إن كلمة **«النهضة»** ذاتها لم تستخدم حتى مطالع القرن التاسع عشر إلا نادرا، في حين شاع مصطلح **«الميلاد من جديد»** وفي عام ١٨٢٩م استخدم الروائي الفرنسي **أونوريه دي بلزاك** كلمة **«النهضة»** في إحدى رواياته فقال في وصف إحدى شخصياتها إنها «تستطيع الحديث بطلاقة عن فن التصوير الزيتي الإيطالي أو الفلمنكي (البلجيكي) في العصور الوسطى أو في عصر النهضة» ولكن أول مؤرخ أوربي يؤلف عن النهضة كان الفرنسي جيل ميشليه (١٧٩٨ ـ ١٨٧٤م) **ففي عام ١٨٥٥م أصدر أول كتاب عن ذلك العصر.** وبعد خمس سنوات تلاه المؤرخ **جاكوب بركار بكتابه «حضارة النهضة في إيطاليا»** وفي هذين الكتابين ترددت عبارات مثل اكتشاف الإنسان، مما كان يتردد على ألسنة أنصار المذهب الإنساني في إيطاليا منذ القرن الخامس عشر.

ومع ذلك شاع عن تلك النهضة أنها اقتصرت على إحياء الثقافة القديمة عند اليونان والرومان؛ وهذا معنى جزئي. لأن هذه الثقافة القديمة «لم

بلزاك

تختف تماما من أوروبا، لأن مكتبات الأديرة أولت المخطوطات القديمة اهتماما بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية وانقسامها في القرن الخامس، وفي عهد شرلمان الذي توج ملكا في روما عام ٨٠٠م تمت محاولات لإحياء الإمبراطورية الرومانية في غرب أوروبا عن طريق إحياء الأدب الروماني وفن الرومان وعمارتهم ومؤسساتهم السياسية. ثم قضت غزوات الهمج على تلك المحاولات . وفي القرن الثاني عشر تجددت المحاولات، واستمرت حتى القرن الخامس عشر بالرغم من الطابع النصراني الذي تلفعت به **وكانت الفترة من ١١٠٠ إلى ١٣٢٠م «من أعظم عصور الإنسانية في تاريخ أوروبا، وربما كانت أعظمها قاطبة»** كما قال المؤرخ ريتشارد سذرن .

في تلك الفترة بوجه خاص ظهر عنصر جديد، لم يتكرر بعدها، عن طريق الحروب الصليبية والاحتكاك بالأندلس، وهو العنصر العربي وشكل هذا العنصر أحد العوامل الأساسية التي حركت النهضة بعد ذلك . فقد انكب الأوروبيون على دراسة تراث العرب، وترجمته إلى اللاتينية، والانتفاع به في تأسيس الجامعات الجديدة، وتحديث التعليم . وقد اضطروا إلى تعديل أفكار **أرسطو** حين نقلوها عن العرب، بحيث تتمشى مع الصليبية المسيحية وفكرها، واضطروا أيضا إلى إسقاط كل ما يتعلق بالدين الإسلامي عند النقل والاقتباس، حتى لا يضعفوا عقيدتهم . ولهذا السبب مال بعض المؤرخين إلى إنكار نهضوية تلك الفترة، لأن العلوم القديمة التي أحيتها واقتبستها ارتدت رداء مسيحيا . واستندوا في إنكارهم على أن



القرن الرابع عشر شهد حركة إصلاح فكري شامل هاجمت العلماء وأساتذة الجامعة المعجبين بأرسطو، ووصفتهم بأنهم «محدثون» ومقلدون للقدماء الأصلاء.

وكان قائد هذه الحركة مثقفاً موهوباً هو **فرانشيسكو بترارك** (١٣٠٤ ـ ٧٤) الذي بدأ به عصر النهضة، كما بدأ بمدينته فلورنسه.

كانت المدن الإيطالية في قمة رخائها وازدهارها، تتخذ من أثينا وروما القديمتين مثلاً أعلى، وتطمح إلى أن تكون مثلهما. ومع ذلك لم يكن بترارك من مواليد تلك المدن. فقد ولد بالريف، ولكنه أحب وطنه فلورنسة بمقدار حبه للكتب والقراءة، حتى وهو في منفاه مع أبيه في فرنسا. كما أحب الطبيعة والسفر والمغامرة. وكان يقول عن نفسه: إنه عاشق شبق للكتب، حتى إنه تحدى الكنيسة بجمع الكتب التي وُصمت بالخطورة في زمنه ولم يفلح أبوه المحامي في كبح جموحه إلى القراءة. فقد أحرق الأب الكثير من كتب ولده دون جدوى. وعن طريق هذا الحب غير المشروط **أسس بترارك علم تحقيق النصوص ونقدها**، وترجمة الكتب الإغريقية، والهوس بالمكتبات الخاصة وفرض على الحكام احترام المثقفين وتقديرهم ومع أن حكام عصره لم يكفوا عن دعوته إلى بلاطهم فقد كان لا يقبل البقاء عند أحد منهم **وكان يكره الجهل والجمود والمدرسية وروح الهمجية، حتى أطلق عليه لقب «أول إنسان حديث»**.

وعن طريق هذا الشاعر العالم المتعدد الجوانب صارت مدينة فلورنسة مهد النهضة في إيطاليا، وفي أوربا عامة.

لماذا إيطاليا؟

كانت إيطاليا وقتها أصلح بيئة للنهضة بسبب ثرائها، وكثرة مدنها، وانفتاح أثريائها على الثقافة والفنون والعلوم. ومع أن فلورنسة كانت تشبه مدينة مانشستر الإنجليزية الصناعية الحالية فقد أهلتها الظروف لقيادة النهضة. فقد وصفها **بترارك** نفسه بأنها تلك المدينة التجارية صانعة الأقمشة، وسماها **البابا بونيفاس «دار الذهب»**.

ومع أنها سقطت في منتصف القرن الرابع عشر فريسة الموت الأسود (الطاعون) والأزمات الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة فسرعان ما استعادت عافيتها وثروتها، وصار لها موقعها الخاص عند البابوات والملوك. وكانت قد أصبحت منذ منتصف القرن الثالث عشر ١٣ دائنة هؤلاء وأولئك ومموردة البضائع لقصورهم. ومنذ عام ١٤٢٠م صارت أسرة ميديتشي دائنة للجميع ومستودعاً للثروة في إيطاليا كلها.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه فلورنسة مأوى المرتزقة من كل مكان شاركت البندقية في احتكار التجارة مع الشرق الأدنى (العراق والشام) وكما احتكرت تصدير النسيج للدولة العثمانية وشمال أوروبا قبل أن تخطف منها دول شمال أوروبا هذه الصناعة في القرن الخامس عشر. وكانت مشهورة بنقاباتها المهنية والعمالية التي رعت الفنون جنباً إلى جنب مع الأفراد. وكان تجارها معتزين بأنفسهم، يعدون التجارة والسفر والاختلاط بالأمم من فضائل الإنسان ومع أن تجارها كانوا يتعاطون الربا، بالرغم من تحريم الكنيسة له، فقد كانوا يجدون في التبرع للفنون والدولة تكفيراً عن خطاياهم.

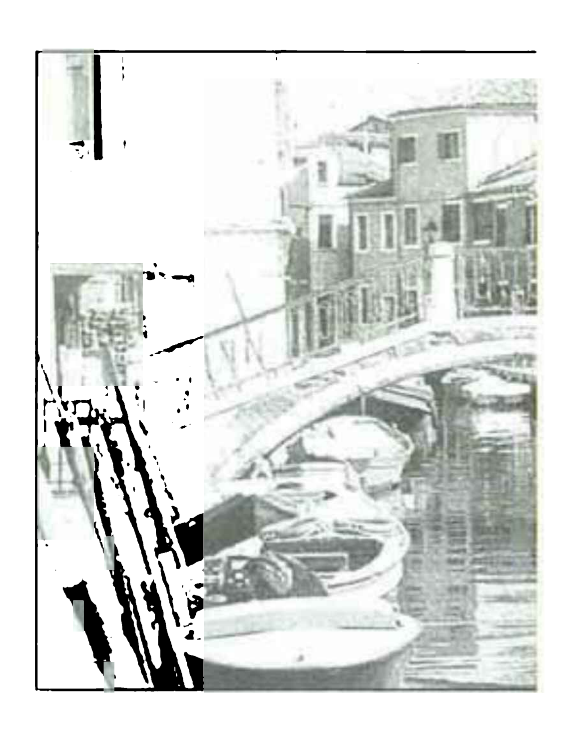
وسط هذا كله قامت السياسة بدور ملحوظ في النهضة. فقد كانت فلورنسة جمهورية على عداء مع ميلانو المستبدة فشجعت النهضة نكاية بجارتها. وكانت حكومتها من الصفوة برغم طبقاتها الخمس المتغيرة المواقف والنمو وكانت الرغبة في المراكز والشهرة أحد دوافع رعاية الفنون، فضلاً عن الورع والتقى عند مواطنيها، وانفتاح الحياة، وحرية الرأي. ومن مجموع تفاعلات هذه العوامل ازدهرت النهضة وصارت عوامل النهضة في فلورنسة هي ذات العوامل في المدن الأخرى مثل بادوا وبولونيا وبعض هذه المدن كان متفوقاً في الإمكانات العلمية على فلورنسة التي لم تظهر بها جامعة مشهورة إلا في عام ١٣٤٨م. ومع ذلك عوضت عن هذا النقص بالإكثار من المدارس، وحيازة أهم عالم وصاحب مكتبة من المخطوطات في إيطاليا كلها بعد وفاة بترارك، وهو **كولوشيو سالوتاتي**. وكان هذا الرجل سياسياً مرموقاً، أسس أول كرسي جامعي في أوربا لتدريس اللغة اليونانية عام ١٣٩٦م، وورث عن بترارك حب المعرفة والكتب القديمة


مدينة البندقية ـ إيطاليا

> **أدى الاهتمام بالخطابة والبلاغة والمنطق إلى العودة إلى التاريخ للاسترشاد به في مناقشة الجمهور..**

كيف كانت أعراض النهضة ومظاهرها؟

كان حب الكتب والقراءة أبرز أعراض تلك الحركة الثقافية الشاملة التي نطلق عليها اسم النهضة. ولم تكن الأفكار التي روج لها رواد النهضة ثورية بمقاييس اليوم، ولكنها كانت غير مريحة في إطار ثقافة التجار ورجال الدين الذين يكرهون الثقافات الوثنية. ويحكى عن سالوتاني أنه جمع أكثر من ٦٠٠ مخطوطة كان يعيرها لأصدقائه للقراءة أو النسخ، ويستخدمها هو نفسه في بحوثه وتحقيقاته التاريخية والعلمية ولكن أكبر مساهمة له



هي استدعاؤه أستاذا لليونانية من القسطنطينية. وقد توسعت حلقات هذا الأستاذ حتى صار أشبه بكلية جامعية. ونجح هو نفسه في تزويد فلورنسة بالكتب والمخطوطات اليونانية، حتى أصبح النهم للمعرفة والقراءة سلعة رائجة أما تمويل هذا النشاط فقد وقع على عاتق التجار والمقاولين الذين راحوا يتسابقون على جلب الكتب من اليونان، حتى إن مقاولاً واحدا جلب ٢٣٨ كتابا في عام ١٤٢٣م وحده. وكان لكتاب واحد هو «الجغرافيا» لبطليموس دور كبير في اكتشاف الدنيا فما بالنا ببقية الكتب! وبلغ من حب التجار للمعرفة أن أحدهم سافر إلى إنجلترا عام ١٤٢٠م فكتب إلى أحد أصدقائه أنه زار الريف الإنجليزي فأحزنه أنه لم يجد به كتبا تقتنى!

وحتى النصف الأخير من القرن الخامس عشر تأسست مكتبات أخرى مهمة في إيطاليا، ولا سيما مكتبة الفاتيكان في روما ومكتبة البندقية اللتين ساهم فيهما البابوات والتجار وآل ميديتشي. وكان تحقيق النصوص القديمة وترجمتها على رأس نتائج الاهتمام بالكتب والقراءة، يليه إنشاء سلاسل من المدارس الجديدة، وإعداد المدرسين، في مانتو بادوا والبندقية وغيرها من المدن الإيطالية. وكان بعض هذه المدارس داخلية بمصروفات تختلف باختلاف الوضع الاجتماعي للتلميذ. وكان بعضها الآخر يجمع أبناء الحكام والتجار والعامة. ومن أشهر المدارس الداخلية مدرسة فيتوربنو دافلتري (هو نفسه مدرس نحو) **التي افتتحت عام ١٤٢٣م في فلورنسة**. وكان بها ٧٠ تلميذاً من الأطفال والصبيان يدرسون اليونانية واللاتينية والأدب والحساب والهندسة والفلك، ويستعين **دافلتري** في تعليمهم بالرسم والألعاب والرياضة البدنية **عملا بالمبدأ اللاتيني المشهور: «العقل السليم في الجسم السليم» وكانت فلسفة المدرسة وغيرها هي ملاحظة استعداد الطفل ونموه قبل تحديد نوع التعليم الصالح له**، على عكس ما كان سائدا في العصور الوسطى من تحديد نوع التعليم منذ ميلاد الطفل.

ارتبط التعليم في الوقت ذاته بترقية ألوان السلوك الاجتماعي، فكان المتعلمون يأكلون في الصحاف والأطباق الأنيقة ويشربون من الأقداح الثمينة، المرصعة أحيانا، حتى صار ذلك أمرا يحتذى في كل أوروبا. وبدأوا يتعلمون أيضا كيف يضعون الملاعق والسكاكين على يمين الجالس والخبز على يساره. وكان التعليم أيضا يحض على الطاعة والانضباط. **ولكن النساء لم يكن متساويات بالرجال** كما ظن بعض مؤرخي القرن التاسع عشر **فقد اتضح أخيرا أنهن كن أسوأ حالاً في بعض الأمور مما كن عليه قبل النهضة**. ومن ذلك أن التعليم كان يفصل بين البنت والولد، وأن القانون الروماني الذي يعد الزوجة متاعا وملكا شخصيا للزوج ظل مطبقا، **وأن دور المرأة عموما ظل منحصرا في الإنجاب وتربية الأولاد!!**

الفن مرادف النهضة

وهكذا أدت الكتب والمخطوطات إلى ارتقاء التعليم وتعدد المدارس. **ولكن، ما الذي حبب الطبقة الحاكمة في تعليم اليونانية واللاتينية كما تتساءل المؤلفة؟**

كانت إيطاليا تختلف عن باقي أوروبا في تمتعها بقدر كبير من الحكم الذاتي. وابتداء من القرن الثاني عشر على الأقل كان أفراد الطبقة الحاكمة، والطموحون إلى الاشتغال بالسياسة، يقبلون على قراءة الكتب القديمة في الخطابة والسياسة، حتى يشاركوا في الحياة السياسية. وكانت الخطابة تعني علم الكلام، وتسمى «العلم المتصل بحكم المدن» كما قال **برونيتو لاتينو** مستشار أول حكومة شعبية في فلورنسة. وكانت القرارات في المدن الإيطالية تتخذ بالتصويت بعد مناقشات كلامية حامية. وفي عام ١٣٧٥م صدر في فلورنسة قانون يخول للمواطنين الحق في التعبير عن رأيهم بصراحة، دون أي خوف. ومع ذلك كانت المناقشات تقع تحت سيطرة الأقوياء، من غير أصحاب الحرف والنقابيين. ومن هذا كله **ولدت الحاجة إلى معرفة الأدب القديم والخطابة عند أفلاطون وأرسطو وشيشرون**. كما أدى الاهتمام بالخطابة والبلاغة والمنطق إلى العودة إلى التاريخ لدراسته **والاسترشاد به في الخطب والمناقشات**. وفي عام ١٤١٣م وضع أحد المواطنين ذلك المبدأ الذي نادى به **ماكيافيللي** بعد قرن من الزمان، وهو: **«من أجل إدارة الشؤون العامة بذكاء يجب النظر في الماضي حتى يتم الإعداد للحاضر والمستقبل»** وعن طريق معرفة الماضي القديم بدأ نموذج أثينا في الظهور. وكان هذا النموذج يدعو إلى الحكم عن طريق الأقلية. ولهذا



مال المؤرخون المعاصرون إلى رفض دعوى فلورنسة وغيرها بأنها كانت مدنا أو حكومات ديمقراطية. وقالوا: إن هذه دعاوى لا أصل لها، فلم تكن الجمهورية في فرنسا سوى قناع يخفي وراءه ألوانا من الاستبداد.

ولكن التغيرات السياسية التي شجعت نحو الحكم الجمهوري صحبتها تغيرات مهمة في رؤية التاريخ. **وأهم مظاهر التغير في هذه الرؤية اهتمام المواطنين** - البارزين على الأقل - **بجمع تاريخ أسرهم وكتابته**، وربطه بتاريخ الوطن. **وشاع الرأي بأن التاريخ «معلم الحياة»**. وبعد أن كان مرادفا لتاريخ الكنيسة طوال العصور الوسطى صار يهتم بالحياة والناس وعوامل الحظ والقدر، ويعرض للتضارب في الروايات، ويقتبس من الخطب المشهورة كنوع من التحميس والحث على الوطنية. **وشيئا فشيئا أصبح التاريخ علما تجريبيا مثل القانون والطب**، وراح المؤرخون يحللون الأحداث وينقدون الأفعال، ويقارنون بين الماضي والحاضر.

لم يكن التطور في رؤية التاريخ وكتابته أبرز منجزات النهضة على أي حال. فقد كانت الثورة التي وقعت في الفن أبرز هذه المنجزات، وأكثرها إثارة، بل هي مرادف النهضة عند كثيرين من المؤرخين المحدثين. ولكن الفن لم يكن منفصلا عن السياسة. **فأهم شخصية في النهضة الفنية هو فيليبو برو نيللسكي (١٣٧٧ - ١٤٤٦م)** وكان مهندسا معماريا ونحاتا وسياسيا، صديقا **لنيقولو نيقولي** الذي كان همزة وصل فناني عصره بسياسييه. وقد وجههم إلى تشييد المباني والمرافق في فلورنسة، واستحث فيهم النزعة الوطنية. و عن **طريقهم ظهر أسلوب عصر النهضة** في عشرينيات القرن الخامس عشر بل استفادت فنون العمارة والتصوير بالزيت والزخرفة من اكتشاف **كتاب بطليموس في الجغرافيا. فقد ترجم إلى اللاتينية عام ١٤٠٦م** وأثر في الفنانين ورسامي الخرائط والملاحين. كما استفادت من المنافسة الشديدة بين أسرتي ميديتشي وباتسي على التشييد وتشجيع الفنون. وعن طريق هذه المنافسة بنى **برونيلليسكي** الكاتدرائيات على الطراز القديم عند اليونان والرومان، وتوصل إلى المنظور الواقعي للمشهد. وفي عام ١٤٣٦م **ألف ليون باتيستا ألبرتي كتابه «عن التصوير بالزيت»، فكان أول كتاب يتحدث عن فناني عصره وقوانين المنظور وضرورة دراسة الفنانين للفنون الحرة والتعمق في الثقافة.**

وعندما ظهر **ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩م)** قدم بشخصيته وأعماله دليلا على إمكان ظهور نموذج الفنان الذي دعا إليه **ألبرتي. وكان دافنشي أديبا وفنانا وعالما ومخترعا وإنسانا نهضويا**


ليوناردو دافنشي

مايكل أنجلو

عالميا مثل ألبرتي نفسه. وفي عصره عادت البابوية إلى تشجيع الفنون ورعاية الثقافة. وبناء على هذه الرعاية **أبدع مايكل أنجلو ورفاييل في القرن السادس عشر، ومزجا إبداعها بالفلسفة واللاهوت.**

مع بداية ذلك القرن (١٦) صارت روما المركز الرئيس للفن ورعايته في إيطاليا، ولم يعد تجار فلورنسة يحتكرون هذه الرعاية بعد أن نزلت إلى الميدان بادوا وميلانو والبندقية.

ولم يكن الاهتمام بالعمارة والنحت والرسم مظهر النهضة الفنية وحده. فقد شمل الموسيقى أيضا. وامتزجت الموسيقى بالمشاعر الدينية والأفكار العلمانية، ولكن اهتمت بما خلفه الإغريق من موسيقى وأساطير عنها، ولا سيما أسطورة أورفيوس التي كانت وراء الإيحاء بطلائع السيمفونيات.

إنسان النهضة

يستخدم المؤرخون للنهضة تعبير **«النزعة الإنسانية»** في وصف رؤيتها وقيمها، ولكن هذا التعبير - كلمة واحدة في اللغات الأوروبية Humanism - لم يكن موجودا في القرن الخامس عشر، ولا تبلور وقتها كفلسفة متماسكة أو إيديولوجية، ولا كان له معنى سوى دراسة ما يسمى بالفنون الحرة Liberal Arts، وهذه ترجمة حرفية قاصرة، والصحيح أن نقول: الفنون العقلية، وهي اللغات والعلوم والفلسفة والتاريخ. ولم يستخدم تعبير النزعة الإنسانية إلا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وكان استخدامه بغرض وصف النهضة ككل.

ومع ذلك، كان مثقفو ذلك العصر يتحدثون في أمور كثيرة تخص الإنسان. ومن المعروف عن السوفسطائي الإغريقي **بروتاجوراس أنه قال: «الإنسان مقياس كل شيء»**، وأن القوانين عنده - في القرن الخامس ق. م - من صنع البشر، وقابلة للتعديل والتبديل. فلما وصلت أفكاره هذه إلى عصر النهضة أثرت كثيرا في نظم التعليم والسياسة، فكانوا يعلمون اللغة والبلاغة لإعداد الأطفال للحياة السياسية. كما أثرت في الأدب والفن، فكانوا يلحون على أهمية الإنسان من حيث القيم والمعايير.

أعجبت أبناء عصر النهضة بحكاية البطل الإغريقي هرقل، وعلموها لأطفالهم. ولكنهم ربطوا البطولة والشجاعة بإرادة الإنسان، وقالوا في مأثوراتهم: **«عن طريق المصاعب تصل إلى النجوم»**، مخالفين بذلك الحل المسيحي القائل إن الإنسان ليس في يده شيء، وكل شيء موكول إلى خالقه. كما **أعجبوا بآراء أفلاطون في الأطفال**، وكيف أنهم مثل الشمع، سريعو التأثر، وليس من الواجب تعريضهم للشر قبل البلوغ، ولا سبيل إلى تجنيبهم عقبات الحياة وشرورها إلا التعليم. ولذلك نقل عن **قوزيمو دي ميديتشي قوله: «سلوك الطفولة فينا مثل حجر الأساس في البناء، إذا أسس جيدا ظهر أثره على جميع أفعالنا إلى نهاية حياتنا»** ولعل شكسبير من أبرز الأمثلة على التأثر

بتلك النزعة الإنسانية النهضوية. **فهو يقول في مسرحيته «هاملت»: يا للإنسان من مأثرة! يا له من عقل نبيل! يا لقدرته غير المحدودة!**

الانتشار

عند هذا الحد تنتقل المؤلفة إلى دراسة ظاهرة انتشار النهضة، وتجاوزها السريع لحدود فلورنسه. وتقول: «بالرغم من كونها في الأصل حركة أدبية فقد امتدت إلى مناطق كثيرة مختلفة من حياة الناس السياسية والاجتماعية والثقافية. وبرغم تركز الحركة في فلورنسه فقد انتشرت في المدن والسلاطات الأخرى بجميع أرجاء إيطاليا، ثم في حلقات أوسع داخل بقية أوربا»

وقد لخص جيوفاني روتشيللاي دوافع مشروعه المعماري في لذة الإنفاق وحب الله والمدينة (فلورنسة) وحب نفسه. ومعنى هذا أنه لم يكن عند النهضويين الأوائل هؤلاء تدين كامل ولا تواضع تام، وهذا هو الجديد كما تقول المؤلفة. وقد اغتنى تجار فلورنسة بعد الموت الأسود الذي أصابها غنى فاحشا. فالنهضة إذن مظهر للانتعاش الاقتصادي في أوربا كلها، ولا سيما في إيطاليا عامة وفلورنسة خاصة. وهذا ما دفع **قوزيمو دي ميديتشي الورع** إلى الحذق في الأعمال المصرفية، فكان يمنح ماله لإعادة ترميم كنيسة سان ماركو من أجل حسن الذكر والصيت ولكنه كان يفعل ذلك بدافع وطني أيضا نحو المدينة التي رعاها. بل إن الدوقات وكبار الإقطاعيين، مثل جونزاجا دوق مانتوا، أدركوا دور الفن في الدعاية لهم ولحكمهم فأغدقوا على الفنانين، وكانوا يتسابقون استضافتهم وتكليفهم بالتشييد والإبداع.

تعد أسرة دستي d'Este في مدينة فيرارا من أهم رعاة الفن في ذلك العصر، بسبب ما حققه أفرادها من ثراء عن طريق القتال بالأجر وتوريد الجنود المرتزقة. ولما كثر المال في أيديهم ظهروا بمظهر رعاة الفن ومحبي الثقافة. وكانوا يصاهرون سواهم من الحكام المرتزقة، ويتبارون معهم على تشجيع الفن ورعايته. وكذلك فعل البابوات، ابتداء من نيقولاس الخامس (١٤٤٧ ـ ١٤٥٥م) الذي استعاد لروما مركز الدين والثقافة في أوروبا. ثم لحقت البندقية بجاراتها عندما أسس بها ألدوس مانوتيوس مطبعة. ومع هذا كله كان للصفوة وأنصار الحكم الجمهوري أكبر دور في تعميق النهضة ونشرها، داخل إيطاليا وخارجها.

هل كان انتشار النهضة خارج إيطاليا مدعاة إلى إحداث تغيير وتقدم أم مجرد «بدعة جديدة على حياة القصور» كما تتساءل المؤلفة؟

لقد توقفت عند انجلترا التي زارها بوجيو براتشيوليني عامي (١٤١٩ ـ ١٤١٠م) موفدا من البابا. **ومع أن براتشيوليني حزن لأنه لم يجد كتبا يشتريها، فقد كانت الكتب موجودة بالفعل، ولكن داخل الخزانات الخاصة.** وعن طريق بعثته



شكسبير

تلك نجح هو وغيره في وصل الإنجليز بالحركة الإنسانية في إيطاليا، ولا سيما في فلورنسه. فقد **أخذ الباحثون الإيطاليون يتلقون تكليفات بترجمة الكتب وتحقيقها من الدوقات الإنجليز.** ومن هؤلاء **دوق جلوستر الذي تلقى كتاب «الأخلاق» لأرسطو** من ترجمة ليوناردو بروني فكلفه بترجمة مما شجع إيطاليا آخر على إهداء الدوق ترجمة كتاب «الجمهورية» لأفلاطون. **وأعجب الدوق بالترجمة فكلف مترجمها ـ ديسمبريو ـ بتأسيس مكتبة خاصة في قصره للكلاسيكيات، وهي المكتبة النادرة التي أورث معظمها جامعة أوكسفورد.** ومع أن الدوق لم يكن عالما فقد نقل عدوى حب الكتب وتشجيع الفنون إلى غيره من الدوقات وأفراد الأسرة المالكة. ثم ظهرت في لندن مدارس لتعليم اليونانية واللاتينية، وتدفق الطلاب الإنجليز على مدارس فلورنسة ذاتها. وعن طريق هؤلاء بعد عودتهم تعلم السير توماس مور اليونانية. **وكان اهتمام الأسرة المالكة بالنهضة إيذانا بانتشارها في إنجلترا.** وكثرت المباني والتماثيل والقصور، وشاعت الكتب اللاتينية في المقررات الدراسية، ومع أن الإنجليز لم يترجموا كتاب «الأمير» لماكيافيللي إلا بعد قرن (عام ١٥٨٠م) **فقد ظهر المؤلف شبيه في شخصية إياجو بمسرحية «عطيل» لشكسبير. بل تأثر شكسبير نفسه بترارك.**

وهذا الذي حدث في إنجلترا حدث في غيرها على النمط ذاته: تأثر العلماء أولا، ثم تأثرت الصفوة الحاكمة، بأفكار النهضة ودعواتها، ولا سيما في الإحياء الكلاسيكي. **وهكذا ظهر إرازموس في هولندا، وكان صديقا لمور الإنجليزي، وارتبطت حركته بحركة الإصلاح الديني في ألمانيا. ولكن النهضة كانت أبطأ في فرنسا وأسبانيا.**

وهكذا تحولت النهضة من «حب الكتب» إلى حركة ثقافية شاملة. ولكن حب الكتب أدى إلى نمو سوق الكتب. وترافق هذا النمو مع نمو التعليم في أواخر القرون الوسطى، **فازدادت معرفة الناس بالتراث القديم، أو الكلاسيكيات،** قبل ظهور الطباعة. وبذلك لم تكن الطباعة عاملا حاسما منذ البداية. بل إنها لم تشجع التعليم الكلاسيكي أو طبع النصوص النقدية الجديدة.

وقد قيل: إن كتبا كلاسيكية كثيرة عرفت طريقها إلى المطبعة. وهذا غير صحيح، لأن ما طبع أكثر من سواه كان الأناجيل والاعترافات وكتب الدين والتواريخ الشعبية وروايات الغرام والمغامرات. **ومع ذلك أدى ظهور المطبعة إلى رخص إنتاج الكتب، وتخفيض أثمانها، وتوفير الوقت في نسخها** (طبعت مطبعة ريبولي في فلورنسة ١٠٢٥ نسخة من محاورات أفلاطون عامي ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥م أي في زمن يستغرقه الخطاط في نسخها) كما ساعدت الوسائل الطباعية، مثل الفهارس وقوائم التصويبات والمحتويات والملخصات في الهوامش على تسهيل متابعة الكتب المطبوعة.

الطباعة إذن هي التي أضفت على النهضة طابعا مختلفا عما كان لسابقاتها ولاحقاتها. بل هي التي جعلت عملية إحياء التراث القديم غير ذي موضوع بعد أن طبعت جميع ذلك التراث.



وإذا تساءلنا عن عوامل النهضة لوجدنا من أهمها:

١ - توافر المواهب المختلفة في الترجمة والبحث والعلم والإبداع الفني.

٢ - توافر المال والحماسة عند رعاة العلوم والفنون.

٣ - توافر شبكة علاقات مختلفة، منها الطباعة والتجارة والدين (مبعوثو البابا) والحروب والدبلوماسية (نشرت الدبلوماسية السفراء في إيطاليا وخارجها ونقلت الكتب من إيطاليا إلى فرنسا على سبيل المثال)

٤ - ازدهار جامعة فلورنسة ابتداء من ثمانينيات القرن الخامس عشر فصارت محط أنظار طلاب العلوم الإنسانية ومركزها في أوروبا. ومع ذلك كان عامل تنقل الطلاب والمدرسين محدود الدور في بداية النهضة. في ظل هذه العوامل أنتجت المطابع قبل عام ١٥٠٠ نحو ٧٧٥ كتابا في فلورنسة، ٣٠٠٠ في البندقية، ٢٠٠٠ في روما، ١١٢١ في ميلانو. ولكن لم يكن بينها أي كتاب لشيشرون أو ليفي أو تاكيتوس أو بليني، و إن كان بعض كتب أفلاطون طبع عامي ١٤٨٤ — ١٤٨٥م، وهوميروس عام ١٤٨٨م، ودانتي ١٤٨١م، عدا المسرحيات الدينية.

لم تكن وحدها
هل كانت النهضة ثورة أم نكوصا؟

هذا هو السؤال الذي شغل المؤلفة في الجزء الأخير من كتابها، وهو سؤال لا بد منه في سياق مماثل. أما جوابه عندها فهو أن النهضة الإيطالية لم تكن وحدها في الميدان. فقد رافقتها حركة مماثلة في شمال أوروبا سعت إلى ازدهار الثقافة وإصلاح التعليم بطرق مختلفة عما ظهر في فلورنسة، وإيطاليا كلها. ولذلك تبدو الثقافة الكلاسيكية غير مهمة، في مجتمع سابق على المسيحية، كسبيل حقيقي للتقدم، و كذلك الحال في مجتمع أكثر تقدما من الناحية التكنولوجية عن اليونان وروما القديمتين. ولكن المؤكد أن النهضة كانت مظهرا واحدا من مظاهر الإحياء الثقافي الواسع في أوروبا ذلك العصر. ولا شك أن إقبالها في البداية على إحياء الكلاسيكيات والتراث القديم مفتاح لفهم أهمية الحركة. فالنموذج الكلاسي الروماني كان حضريا ونخبويا وعلمانيا من حيث إنه عزل الكنيسة عن السياسة، وطبق نظاما شاملاً للرعاية الثقافية. وكان انتقال النهضة من إيطاليا إلى غيرها من بلدان أوروبا مرتبطا بنمو المدن الأوربية ذات النشاط السياسي والرعاية الثقافية. «فالمدن لم تقدم المال والحافز اللازمين وحسب، وإنما شهدت — كما حدث في المدن الكلاسية — شبكات من الرعاية الحضرية، مما شجع النشاط الثقافي والسياسي. وشكلت هذه المدن روح السلوك الكيّس والمهذب عند سكان المدن (بما توجيه كلمتا الكياسة والتهذيب). وتضمنت هذه الروح بناء الدور الحضرة المؤثثة تأثيثا رشيقا أنيقا بغرض الترفيه المتحضر الذي يشمل الحفلات والعروض المسرحية والفنية».

وأدى هذا في إنجلترا إلى رد فعل مختلف. فقد خطب الملك جيمس عام ١٦١٦م ضد ما سماه «الصرعة الإيطالية» في التكالب على العيش في المدن. ودعا جميع أهالي لندن، ما عدا رجال البلاط والسكان الأصليين والمحامين، إلى هدم دورهم، والعودة إلى الريف.

غير أن التجار الأثرياء وقادة الجند المرتزقة كانوا من أشد الناس انتفاعا بتلك النهضة حين ارتبطوا بالتراث الكلاسي، مثلما حدث مع أهالي الريف الذين تقاطروا على المدن في سبيل تحقيق الثروة والشهرة، ووجدوا في معرفة اللغة اللاتينية والحضارة الكلاسية جواز مرور إلى النجاح في المهن القانونية والإدارية. وبذلك أتاحت النهضة ظهور استراتيجية اجتماعية متماسكة للصعود والارتقاء في سلم التقدم. وارتبط صعود هذه النخبة الجديدة بحركة علمية في السياسة وهي حركة وجدت في التراث القديم نموذجا مفيدا.

ويكمن أكبر فارق بين نهضتي العصور الوسطى والقرن الخامس عشر في أن الأخيرة حطمت — بفضل بترارك وأتباعه — الحاجز بين الأدباء الكلاسيين وأقرانهم المسيحيين، ومكنت الناس من استعادة التراث والنصوص القديمة وترجمتها، وقد بدأت ثورة إنسانية النزعة على العلماء الأرسطيين المحدثين، ولذلك طورت المهارات عند الناس، وجعلت لها آثارا ثورية، كما جعلت للنصوص القديمة مساهمة في تغيير رؤية الإنسان ونظرته إلى العالم. و بهذا كله كانت «قابلة ومولدة للثورة» على حد تعبير المؤلفة. لقد ألحقت المؤلفة بكتابها بعض الوثائق المهمة، وكلها نصوص لكتاب عصر النهضة أنفسهم. وفيها يشيدون بما أحدثته من اكتشاف للتراث القديم، واحترام للفنون وتشجيعها، وتحقيق رؤية الإنسان بوصف مخلوقًا اجتماعيًا، و تطوير تربية الطفل، وتعليم الهندسة والخطابة والشعر للفنانين لما فيها من مشابه مع الرسم والنحت وفوائد لها.

من أطرف هذه الوثائق رسالة من إيزابللا دستي إلى ليوناردو دافنشي في ١٤ مايو ١٥٠٤م تطلب فيها لوحة للمسيح في سنة ١٢ سنة، وتترك له تحديد الثمن. ومنها أيضا مقال للأديب الفرنسي ميشيل مونتاني (١٥٣٣ - ١٥٩٢م)، ذكر فيه أنه سمع عن أكل بعض أبناء البرازيل لحوم الموتى. وعلق بقوله: «إن أكل لحوم الأحياء هي المأساة. فتحت ستار الورع والدين يؤكل لحم الإنسان الحيّ أي يلقى للطير والخنازير بعد أن يعذب ويشوه» وكان بذلك يسخر من استبداد حكام عصره!

وهكذا ينتهي الكتاب بهذه الوثائق التي تساند رؤيته العامة للنهضة. وبالرغم من اختلاف وجهات النظر عند المؤرخين حول هذه النهضة فسوف تظل في أساسها حركة ثقافية إنسانية شاملة، هزت كثيرا من معتقدات العصور الوسطى، وأتاحت لأوروبا بوصلة جديدة تهتدي بها في تقدمها الحثيث من القرن الخامس عشر. وإذا كان عماد تلك الحركة هو الإلحاح على المعارف والفنون والعلوم وصبغها بصبغة إنسانية فقد أطلقت في مريديها طاقة الإبداع والمغامرة والتجديد، وجعلت الطبيعة والإنسان كتابا مفتوحا يدعو الناس إلى قراءته والإضافة إليه، بالعقل والمنطق وحسن الإدراك.

الحمد لله

شعر: محمود مفلح - نجران

الحمد لله لي سمعٌ ولي بصر / ولي ذراعٌ ولي قوسٌ ولي وتر
ولي فضاءٌ به تختالُ أجنحتي / وفيه نرحل أشواقي وتزدهر
ولي غيومٌ غداةُ البرق أعرفها / ولي رياحٌ ولي عصفٌ ولي مطر
ولي بقية أصحابٍ ألوذ بهم / إذا تناوشني الحرمان والضجر
ولي سفوح بها ترتاح قافلتي / إذا تعبتُ، ومنها يبدأ السفر

***

الحمد لله إني ما أزال على / طبعي القديم، فلا كِبْرٌ ولا بَطَر
وُلدتُ في الريف لا أرضى به بدلاً / ولست للمدن الصمّاء أعتذر
درجتُ فوق ضفاف النهر منتشيا / ومن قوافيه أجنّتْ هذه الصور

***

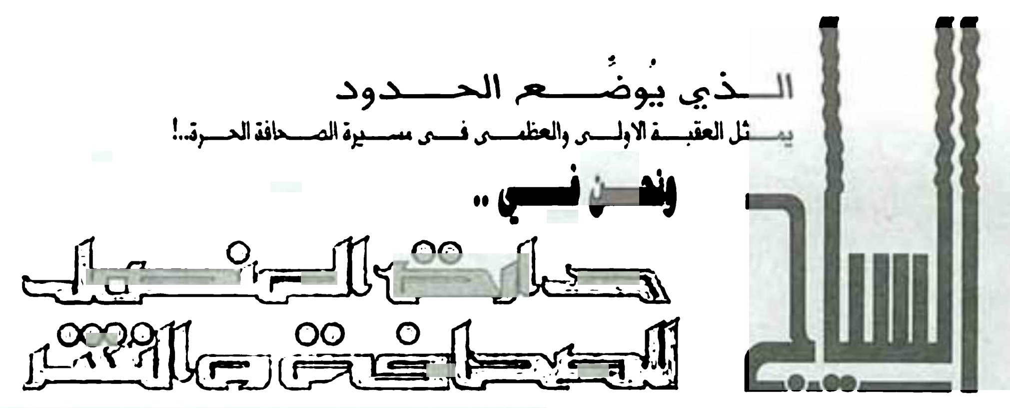
أضم طفلي أغفو في براءته / وأعشق اللثغ مثل الغيث ينهمر
وأفتح القلب للأصحاب كلهم / سيّان عندي من غابوا ومن حضروا

***

الحمد لله إنَّ الفجر يوقظني / وإنني برداء الفجر أتّزر
وقد عزفت عن الغادات من زمن / فلا تحركني حُورٌ ولا خَوَرُ
وأعذب اللحن لحن الطير يعزفه / عند الصباح فلا عودٌ ولا وتر
تلك الكنوز التي في العمر تقنعني / وليس يقنعني الياقوت والدرر
صوت المؤذن مثل السحر في أُذني / لما تُغرّد فيه الآيُ والسُور
صوت المؤذّن يُحيي كلَّ جارحة / لكنهم عن سماع الحق قد وقروا

***

الحمد لله لي صبرٌ ولي جَلَدٌ / ولي يقينٌ بأن الحقّ منتصر
ولا يُغير طبعي ما أشاهده / من النفاق ومَنْ في حِضْنه كبروا
وقد أضج كموج البحر إن لمحت / عيناي طيفَ ذليل مَسّه الكِبَر
وكم يفجّعني وغد غدا بطلا / وكم يُفجّعني شهمٌ به خَوَرٌ ! !
وأمة كخشاش الأرض ليس لها / عند الملمات لا سَعْدٌ ولا عُمَر
يداي صوب ضفافِ الشمس مشرعةٌ / وخافقي بكتاب الله منصهر


الذي يوضع الحدود
يمثل العقبة الاولى والعظمى فى مسيرة الصحافة الحرة..!
ونحن في..


وضعنا منذ سبع
وخمسون عاما نصب
أعيننا اختراق تلك
الحواجز والسدود في
سبيل صحافة حرة
بلا حدود!
المنهل
سبع وخمسون عاما فى خدمة القراء

مسرحية

رسل المسلمين بين يدي رستم

من الأعمال التي تنشر لأول مرة ـ تأليف: علي أحمد باكثير

سرادق كبير مفروش بالبسط الفاخرة . يرى رستم جالساً على سرير من ذهب وحوله على الارائك قواده وكبار رجاله فيهم بهمن جاذويه والجالينوس والفيرزان والهرمزان ويزرجمهر.

رستم (يتكلم في حماسة) استحلفكم يا قوم الا ترون ما ارى ، الا تجدون في هؤلاء امرأ غريباً لا عهد لنا بمثله من قبله ،

بزرجمهر صدقت يا رستم ما راينا مثل هذا ولا سمعنا بمثله ولا قراناه فيما قرانا من تاريخ الشعوب .

الفيرزان (في سخرية) مجذفم انت ايضاً يا بزرجمهر الف كتاباً في مناقبهم لعل ملكهم الذي اسمه عمر يجيزك عليه

بزرجمهر يا فيرزان دعني اذكرك بما قاله الحكماء قبلي

الفيرزان ماذا قالوا ،

بزرجمهر إن الذي يسخر في غير موضع السخرية إنما يسخر من نفسه

الفيرزان ما اهون الحكمة واضيعها في لسان من يتزلف بها إلى الزعماء والرؤساء

بزرجمهر وما اشقى الحكيم حين يجادله من لا يشاكله

الفيرزان انت تعد نفسك حكيماً ، فوارحمتاه إذن للحكماء

رستم على رسلك يا بزرجمهر دعني اشرح للفيرزان ما كنت اريد الم تشهد يا فيرزان مجلس امس ومجلس اول من امس ،

الفيرزان بلى

رستم اسمعت ما قال العربيان ،

الفيرزان نعم

رستم الم يدهشك ما سمعت ،

الفيرزان كلام واحد مكرر يرددونه كالببغاء

رستم قد فاتك إذن شيء هام وما كان ينبغي ان يفوتك

الفيرزان ما هو ،

رستم إن لكل منهما اسلوبا يختلف عن اسلوب صاحبه مع اتفاقهما في المعنى الذي يقصدان بل إنهما ليتباينان في كل شيء في القامة والسحنة والحركة والمشية والابتسامة والنظرة والسمت

الفيرزان هكذا هم منذ كانوا لا يجمعهم سوى كنه الدعوة التي إليها يدعون

رستم ذلك سر عجيبي من اتفاقهم في كنه الدعوة التي إليها يدعون

الفيرزان وما تقول فيما فعلاه امامنا ، االعجبك ايضاً سلوكهما الهمجي ،

رستم لا غرو ان تحسبه همجياً إذ فاتك المعنى الذي ينطوي عليه

الفيرزان علام ينطوي إلا على الوقاحة وسوء الأدب وقلة الذوق ،

رستم اعمل ذهنك قليلاً يا فيرزان وحاول ان تفهم

الفيرزان يا قوم انصفوني من هذا الذي يضفي على هؤلاء الهمج ما ليس فيهم الم تروا احدهما كيف ربط فرسه على مدخل الايوان ثم جلس على الارض بعد ان ركز رمحه في البساط ،

رستم اخبروه يا قوم ماذا قصد من ذلك ،

الفيرزان جلف اراد ان يتحداك في سلطانك وقد فعل

رستم إني اعيذكم يا قوم الا يكون بينكم من يدرك اكثر من ذلك

بزرجمهر راءنا نعظم هذه البسط والارائك والرياش فاراد ان يرينا ان همتهم فوق ذلك

رستم احسنت يا بزرجمهر

جاذويه واراد كذلك ان يشعرنا بانه غلبنا على ارضنا إذ جلس عليها دوننا

رستم احسنت يا جاذويه

الفيرزان والجلف الثاني الذي دخل راكباً حتى وقف امامك وامرته ان ينزل فابى ما تقول فيه ،

رستم الم تفهم ماذا قصد ،

الفيرزان ماذا قصد إلا انه اهانك واهاننا جميعاً معك

رستم كلا يا فيرزان اراد ان يشعرنا بانه هو في يمن الطائر يقوم على ارضنا دوننا

الفيرزان خبرني يا رستم افهمت ذلك ساعة وقع ام فهمته الآن فقط ،

رستم بل ساعة وقع

الفيرزان فكيف تركتهما دون ان تعاقبهما على ذلك ،

رستم ويحك اتريدنا ان نفقد حلومنا ، فذلك ما يبغيه اميرهم سعد ومن ورائه عمر .

الفيرزان فلقد بلغت سعداً وعمر ما يريدان بتثاقلك عن الحرب وترددك بين الإقدام والإحجام حتى توقح علينا هؤلاء الاجلاف

الهرمزان (ينظر إلى الفيرزان كالمؤيد له) والثالث الذي هو ات إلينا اليوم ترى ماذا هو فاعل ،

الفيرزان (متشجعاً) الا يستطيع احد ان يتكهن ماذا هو فاعل ، فكروا من الآن حتى لا تتهموا بالغباوة وسوء الفهم

(يدخل احد الحجاب مسرعاً)

الحاجب رسول العرب يا مولاي قد حضر

رستم دعوه يدخل (يخرج الحاجب) انظروا يا قوم إليه لقد اطلنا اليوم مسافة البسط التي يقطعها إلينا حتى نتمكن من تامله وهو يمشي عليها إنك لا تستطيع ان تهزم عدوك إلا إذا عرفت سر قوته . فانظروا وتأملوا وتبصروا **(يدخل كثير من الخدم والاتباع متسللين حيث ينبثون في جوانب السرادق)** **(تتوجه ابصار الجميع جهة المدخل ثم يظهر المغيرة بن شعبة ماشيا في خطى ثابتة دون ان يلتفت يمنة او يسرة حتى إذا دنا من كرسي رستم اعترضه احد الجلاوزة)**

الجلواز قف هنا عندك

المغيرة أانت رستم ،

الجلواز (مستعظماً) لا اليس عندك نظر ، ذاك رستم

مسرحية

المغيرة: (بلهجة امرة) تنح إذن عن طريقي (محيياً) عم صباحاً يا رستم
(يثب نحو رستم فإذا هو جالس بجنب رستم على سريره . يدهش الجميع ويراع الحرس فينقضون عليه وينزلونه من السرير في غلظة)
الهذا دعوتنا يا رستم ؟

الحرس: ايها العربي كيف تريد ان تجلس على سرير رستم ؟

المغيرة: ليحادثني واحادثه

الحرس: وما ينبغي لأحد ان يجلس على سرير رستم . إجلس هنا على هذا المقعد .

المغيرة: كلا لا اجلس إلا حيث اريد (يدير بصره في وجوه الحاضرين)
يا اهل فارس كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا ارى قوماً اسفه اليوم منكم . إنَّا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً فظننت انكم تتواسون فيما بينكم كما نتواسى . وكان احسن من الذي صنعتم ان تخبروني ان بعضكم ارباب بعض . إذن لتركتكم وما ارتضيتم لانفسكم من الذل وانا لم اتكم ولكنكم دعوتموني . اليوم علمت ان امركم مضمحل وانكم مغلوبون وان ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول
(همهمة سخط في صفوف العلية وهمهمة استحسان من صفوف الخدم والبسطاء)

رستم: هذا فعل الحرس وليس من فعلنا

المغيرة: انتم الذين نصبتم هؤلاء الحرس ليذلوا الناس لكم وكان عليكم ان تنبهوهم من قبل ان يتركوني وشأني فإني لست عبداً من عبيدكم إذن لما سمعتم مني ما يحرجكم امام هؤلاء المستضعفين من قومكم .

رستم: هلم اجلس بجانبي على السرير لتعلم ان ما قلته عنا غير صحيح

المغيرة: (يجلس على سرير رستم) يسرني يا اهل فارس ان قائدكم رستم قد فاء إلى الحق معي وارجو ان يفيء إلى الحق معكم .

رستم: دع عنك هذا يا عربي . إننا لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء اشرافاً في الأمم ليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا . اما انتم فلم يكن في الأمم امة اصغر عندنا شأناً منكم وكنتم تقصدوننا إذا اقحطت بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ثم نردكم

المغيرة: كل ما قلته حق ولكن ذلك كان فيما مضى قبل ان يبعث الله فينا هذا الرسول بالحق والهدى ليقوم بنشرها على العالم كله والدنيا كما تعلم دول ولم يزل اهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ولم يزل اهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم .

رستم: ويلكم اتريدون ان تملكوا جميع العالم .

المغيرة: كلا . ولكن علينا حقاً ان نخرج الناس من عبادة اشرافهم ورؤسائهم وملوكهم إلى عبادة الله وحده في كل مكان يسوقنا الله إليه .

رستم: إنني لأحسب أنه ما حملكم على ما صنعتم إلا الجهد والقحط في بلادكم كدابكم فيما سلف . فماذا ترون لو زودناكم بما يعوزكم من الطعام والميرة وتنصرفون عنا فإني لست اشتهي ان اقتلكم .

المغيرة: يا رستم عن اي جهد تتحدث اليوم ؟ الا تعلم اننا استولينا على معظم بلاد سورية حتى اجبرنا هرقل على الفرار بنفسه إلى عاصمته ؟ اما تعلم يا رستم ان اميرنا امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يمدّنا بالغنم والجزر والميرة طوال مسيرنا من المدينة إلى القادسية ؟ وانه يعلم كل صغيرة وكبيرة عنا وعنكم وانه يشاركنا بالراي والنصيحة من مقامه بالمدينة فكأنه حاضر لدينا
افهذا يا رستم فعل من اضر به الجهد ليرده القليل مما عندكم

رستم: لعلكم تريدون ان تضموا إليكم هذا الجزء من السواد الذي يقطنه قبائل من بني جنسكم من النمر وتغلب وإياد فإن كان ذلك ما تطلبون فسنتفاوض في هذا الأمر لعلنا نتفق على حل يرضينا ويرضيكم

المغيرة: يا رستم ينبغي ان تعلم ان نبينا لم يبعث للعرب خاصة ، بل بعث للناس عامة وان ديننا لخير البشر اجمعين ولا فضل فيه لعربي على اعجمي ولا لأحمر على اسود إلا بالتقوى . فليس هؤلاء العرب المقيمون في هذه الناحية بأكرم علينا منكم إن اهتديتم إلى الحق . وإنك لتعلم يا رستم ان هؤلاء العرب قد قاتلونا في سبيلكم بأشد مما قاتلتمونا انتم . فقاتلناهم بأشد مما قاتلناكم وإن قليلاً منهم رغب ان يقاتل معنا فقبلنا ذلك منهم لعلهم يهتدون لما اهتدينا إليه .

رستم: إذن فماذا تريدون ؟

المغيرة: اختاروا إحدى ثلاث . الإسلام او الجزية او القتال .

رستم: إنني لأعجب من ذكركم الجزية . إن الجزية إنما يدفعها الأضعف للأقوى ، فكيف تطمعون في ذلك .

المغيرة: نحن الأقوى بالله ثم بالحق والعدل والحرية . وانتم الأضعف بالباطل وبالظلم واستعباد الأشراف للمستضعفين

رستم: اي حق واي عدل إذا طمعتم في اموالنا فطلبتم منا الجزية بغير حق ؟

المغيرة: هذه الجزية تدفعونها من اجل حمايتكم والدفاع عنكم . فإذا اسلمتم فعليكم دفع الصدقة .

رستم: جزية .. صدقة .. إنكم تريدون المال بأي سبيل . تأخذونه منا إذا لم نسلم وتأخذونه منا إذا اسلمنا

المغيرة: هداك الله يا رستم . ليس الأمر كما ذكرت . فالجزية ضريبة الدفاع .. نقاتل بها عنكم ونصون اموالكم واعراضكم وانفسكم . فإذا عجزنا عن ذلك فلا جزية لنا عليكم . فاما الصدقة إذا اسلمتم فتؤخذ من اغنيائكم وترد على فقرائكم كما تؤخذ من اغنيائنا فترد على فقرائنا

رستم: لقد تبيَّن لنا الآن انكم تأبون إلا القتال فاعبروا إلينا ليفصل السيف بيننا وبينكم .

المغيرة: بل اعبروا انتم .

رستم: اتركوا لنا هذه القنطرة نعبر عليها .

المغيرة: كلا لا نرد عليكم شيئاً غلبناكم عليه .

رستم: فماذا نصنع إذن ؟

المغيرة: اعبروا إلينا من طريق اخر غير القنطرة او ابقوا بهذا المكان ما شئتم فإننا

باقون هنا عاماً او عامين او اكثر حتى تقبلوا منا إحدى الخصلتين الإسلام او الجزية.

رستم: (في حدة) كلا ليس بيننا وبينكم غير السيف .

المغيرة: فما الذي يمنعكم من ذلك ؟ اهذه النظيفة يا رستم ام خوفك مما ينتظركم بالضفة الأخرى من سوء المصير ؟

رستم: اسكت يا اعور .

المغيرة: لو كنت جباناً لبقيت عيناي سليمتين كعينيك هاتين .

رستم: اسكت

المغيرة: لا اسكت حتى تسمع قصة عيني اتدري اين فقدتها ؟

رستم: اين ؟

المغيرة: في معركة اليرموك حيث هزمنا الروم هزيمة ماحقة .

رستم: غداً يا اعور نجعلك اعمى . فإن عندنا لرماة لا يخطئون الحدق .

المغيرة: ليكن حظنا في القادسية مثل حظنا في اليرموك ولتذهب عيني الثانية . لكنك وا أسفاه لن تراني وانا اعمي كما رآني باهان قائد الروم وانا اعور .

(يصمت رستم قليلاً كانما تطيّر من هذا القول)

رستم: إني مازلت اطمع ان ترجعوا إلى صوابكم فابلغ اميركم ذلك وقل له ان يبعث إلينا رجلاً يكلمنا ونكلمه لعلنا نتفق معه على شيء .

المغيرة: حباً وكرامة . سياتيك الرجل غداً ويأتيك غيره بعد غد ثم غيره ثم غيره . لن نكل ابداً حتى تكلّوا انتم . نحن دعاة حق فاحب شيء إلينا ان تسمعوا منا مرة بعد مرة لعلكم تهتدون . إننا لا نرهب قتالكم لاننا واثقون بنصر الله لنا ولكن إسلامكم احب إلينا من غنائمكم وحياتكم احب إلينا من موتكم .

رستم: يا هذا حسبك إني حمّلتك رسالة إلى اميرك واريد جوابها منه لا منك .

المغيرة: يا رستم انا واميري شيء واحد . نحن المسلمين كالجسد الواحد بعضنا من بعض يجير ادنانا على اعلانا ولسنا مثلكم بعضكم ارباب بعض (يخرج) .

(يتسلل الخدم والاتباع خارجين خلفه لينظروا اليه)

الفيرزان: ارايتم كيف افتتن به العبيد والسفلة فقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه .

الجلينوس: ليتنا كنا منعنا هؤلاء السفلة والعبيد من دخول هذا السرادق اليوم

جاذويه: اجل لقد كثروا اليوم كانما دعاهم داع .

الهرمزان: كلا يا قوم لقد سمعوا شيئا من هذا الكلام امس فلو منعتموهم اليوم لكان ذلك احرى ان يضاعف الخطر الذي تخشونه

الفيرزان: ما كان ينبغي ان يسمح لهؤلاء العرب بالحضور البتة لقد كان ذلك من خطل الراي .

رستم: كن انت يا فيرزان كالنعامة تخفي راسها في الرمل حين ترى الخطر . اما انا فليس ذلك من طبعي ولا ارضاه لقومي

الفيرزان: ايرضيك ان يفتتن عبيدنا وخدمنا باقوال هؤلاء ومذهبهم .

رستم: بل اشفق عليهم من ذلك

الفيرزان: فما تماديك في دعوة هؤلاء للحضور واحداً بعد واحد ؟ لقد جاءك ثلاثة منهم فسمعت منهم وسمعوا منك فماذا تريد بعد ؟ اتطمع ان تحملهم على ترك دينهم إلى دينك ؟ ام تريد أن تعرف المزيد عن دينهم لعلك تقتنع به فتعتنقه .

الهرمزان: اجل يا رستم ما كان لك ان تطلب منهم رجلا آخر بعد هؤلاء الثلاثة .

رستم: اواه . ماذا اصنع لاجملكم تفهمون ما ارمي إليه ؟ إني اطاولهم لعل امرأ يحدث مما لا يخطر لنا ولا لهم على بال لعل خلافا في الراي يقع بينهم فقد بلغني ان فريقا منهم قد شغبوا على اميرهم سعد قل لهم يا جاذويه ماذا حدث ؟

جاذويه: انكروا على اميرهم احتجابه عنهم في قصر قديس لمرضه وعجزه عن الخروج

الفيرزان: إذن لماذا تنتظرون ؟ هذا اصلح وقت لمناجزتهم القتال . إن كنتم تريدون القتال ؟ وإلا فياضيعة فارس في قائدها بالليل ينظر في النجوم وبالنهار ينظر في وجوه العرب .

رستم: ما انت وذاك ؟ إنما انت نفاج فإذا عضتك الحرب بنابها فررت ونجوت بنفسك .

الفيرزان: سوف يعلم الجيش غداً اين النفاج

رستم: إنك خرجت معنا وعقلك في المدائن تدبر الخطط للمستقبل ويلك إن خسرنا هذه المعركة فلن يكون لفارس مستقبل .

الفيرزان: رمتني بدائها وانسلت . بل انت الذي تركت عقلك في المدائن في مخدع هناك . إنك لا تريد أن تحارب خشية ان تفقد حياتك فيقيم في المخدع سواك .

رستم: كذبتك نفسك . لقد عزمت ان اناجزهم القتال فاستعد ايها الفارس الشجاع .

الجميع: متى يا رستم ؟

رستم: في الحين .

الهرمزان: لكنك ارسلت إلى اميرهم ليبعث لك رجلاً آخر .

رستم: لا بأس . لكي نفاجئهم على غرة .. انصرفوا الآن . ليذهب كل قائد إلى رجاله يأمرهم بالتعبئة ليكونوا على اهبة .

(يخرجون جميعا ما عدا جاذويه والبندوان فقد استبقاهما بإشارة من يده)

جاذويه: ماذا حملك على تغيير خطتك ؟ إن كان الفيرزان فسنكفيك امره .

رستم: لو كان الفيرزان وحده لهان علينا امره ولكن ماذا تصنع في شاهنشاه ؟ لقد ارسل إليّ اليوم يهددني إن لم اعبر إليهم واناجزهم القتال ليحضر هو بنفسه .

جاذويه: لا مناص إذن من المناجزة .

رستم: فليشهد التاريخ غداً انني اكرهت على هذه الخطة وانني اطعت مليكي وعصيت صوابي .

البندوان: وعلام يا اخي ؟ على اقتحام القنطرة أم ردم المضيق .

رستم: **ماذا ترى يا جاذويه ؟**

جاذويه: إن جيشنا كبير والقنطرة غير مأمونة حتى لو انتزعناها من يد العدو فإذا اردنا ان نضمن لنا طريقاً والا يشطر بعض جيشنا عن بعض فلنردم جانباً من النهر

رستم: احسنت يا جاذويه هذا هو الراي الذي عولت عليه قد زدتني به بصيرة . آه لو وافقني على خطتي هذا الملك .. غير إذن لطاولت هؤلاء العرب وصابرتهم وإذن لضمنت النصر .

جاذويه: لا تبتئس يا رستم فإننا سننتصر عليهم بمشيئة أهورمن.

رستم: **(يتمتم شارد الفكر كانه لم يسمع ما قاله جاذويه)** اواه لقد غلبني عمر .. عمر اكل كبدي .. اكل كبدي عمر ..

(ستار)

من قضايا المسرح العالمي

أوستروفسكي
.. على طريق الكوميديا الأخلاقية الهادفة

بقلم : د. محمد أبو بكر حميد

من بين كل أدباء عصره تفرغ الكسندر أوستروفسكي Alexander Ostrovsky (١٨٢٣ - ١٨٨٦) للكتابة المسرحية وكان فنه مصدر رزقه الوحيد. وبالرغم من أنه كتب أكثر من خمس وسبعين مسرحية وملأت أعماله الواقعية مسارح عصره وله الكثير من الأفضال على تطور حركة المسرح الروسي إلا أنه لم يأخذ حقه من التقدير والدراسة خارج وطنه كتلك التي حظي بها من جاء بعده أمثال تشيكوف وتولستوي وجوركي.

ظل أوستروفسكي منذ سنة ١٨٤٧ حتى وفاته الكاتب المسرحي الروسي الوحيد الذي تنعكس من أعماله روح الحياة الروسية وذلك لبراعة تصويره ودقة ملاحظته لبيئة عصره وأهله وارتباط أعماله بالواقع الأمر الذي جعل بعض النقاد ينعته بأنه أكثر أدباء المسرح الروسي انتماء لروسيا في أعماله. أصدر أوستروفسكي أولى مسرحياته سنة ١٨٤٧ بعنوان «الإفلاس» "Bankruptcy" التي لقيت ترحيباً من الناقد أبولون جريجوريف Apollon Grigoriev وتكشف أحداثها عن حياة طبقة تجار موسكو من خلال قصة تاجر عجوز يعلن عن إفلاسه فيخذله شريكه وابن زوجته ويتركانه يذهب إلى السجن. وقد أعاد صياغة نفس المسرحية في العام التالي بعنوان «علاقة عائلية» "A Family Affair" وقرأها في أحد الصالونات الأدبية فلفت ذلك انتباه ميخائيل بوجدن Mikhail Pogodin رئيس تحرير مجلة موسكفيتينين Moskvityanin الذي أعجب بها ونشرها في مجلته في مارس ١٨٥٠. ولسوء حظ أوستروفسكي أنه بدأ يلقى صعوبات مع الرقابة منذ أول أعماله، فقد خشي الرقيب هذه المسرحية وأحالها إلى الإمبراطور نيكولاس الأول الذي رأى فيها إجحافاً بطبقة تجار موسكو فوضع أوستروفسكي تحت الرقابة، وانتهى به الأمر إلى فقدان وظيفته. فدعاه بوجدن ليعمل في تحرير مجلته «موسكفيتينين» وتحديدها إلا أنه خرج من هذه التجربة بمرارة جديدة فقد حالت مركزية بوجدن وبخله دون أن يجني منها أوستروفسكي أي كسب معنوي أو مادي بالرغم من نشره فيها مسرحيتين أخريين. وقد أدت هذه التجربة بأوستروفسكي إلى هجر الوظيفة والاعتماد في كسب رزقه من دخل مسرحياته.



وتعتبر مسرحيتا «العروس الفقيرة» The Poor Bride (١٨٥٢) و «العاصفة الرعدية» The Thunder storm (١٨٦٠) من أفضل مسرحياته التي تعرض فيها للوضع الاجتماعي والأخلاقي الذي تعاني منه المرأة الروسية ففي مسرحية «العروس الفقيرة»، نرى ماريا الشابة الجميلة لا تستطيع قبول أي من الخطّاب الذين يتقدمون لها ممن هم في سنها لعدم مقدرة أسرتها على تغطية تكاليف الزواج. ثم تضطر في النهاية إلى قبول الزواج من موظف حكومي غني في سن والدها وتترك الفتى الذي تحبه. وما بين ترددها وقبولها امتلأت المسرحية بكثير من المشاهد الكوميدية التي تسخر من مذلة الحاجة. وبرغم أن موضوع المسرحية قد أصبح تقليدياً في عصرنا إلا أنها كانت رائدة في عصرها.

أما مسرحية «العاصفة الرعدية» التي حصلت على جائزة أوفاروف Uvarov الحكومية فهي تصور ملابسات الزواج بالإكراه والخيانة الزوجية. فبطلة المسرحية كاترينا شابة متدينة زوجها أهلها بالإكراه لرجل غني لا تحبه ومع ذلك فهي تحاول أن توجد محبته في نفسها وتخلص له. ولكن سيطرة أمه عليه وخوفه منها شغله عن الاهتمام بعواطف زوجته المهملة. وفي هذه الأثناء تقع الزوجة في حب الشاب بورس الذي جاء مع خاله للسكن بالقرب منهم ثم تكتشف كاترينا أن بورس هو الآخر يعاني من اضطهاد خاله الوصي عليه. وفي أثناء غياب زوجها تتبع كاترينا خطوات الشيطان . وبعدها تهب عاصفة رعدية رهيبة تماثل ما يدور في كاترينا المذنبة فتشعر كاترينا بوخز الضمير وثقل المنكر

الذي ينوء بـه كاهلها فلا تملك إلا أن تبـوح به أمام الناس جميعا ثم تسلم نفسهـا لسـوط عـذاب أم زوجها، ولما رأت أن جسدها لم يعد يتحمل عذاب روحها ألقت بنفسها منتحرة في مياه النهر. وقد نجح أوستروفسكي في التوظيف الرمزي للعاصفة الرعدية التي كانت بمثابة المعادل المادي لما كان يحدث في نفس البطلة من ندم ومعاناة وغليان.

كانت العاصفة بمثابة صدى لعمق الإحساس بالجرم الذي أحست به كاترينا.

على أن موضوعه الأثير الذي استهلك الكثير من أعماله كان السخرية في قالب كوميدي من حياة طبقة تجار موسكو التي عاش بالقرب منها وعرف فضائحها ومشكلاتها. وكان أول عمل سمحت الرقابة بعرضه مسرحية «لا تتزلج في عربة ليست لك» "Dont Use a Sledge That Is Not Your Own" سنة ١٨٥٣ وقد لقيت نجاحا باهرا في كل من موسكو وبطرسبرج حتى إن القيصر نيكولاس الأول قال عنها «إنها ليست مسرحية بل درس في الأخلاق». وفي ١٨٥٤ قدم كوميديا «الفقر ليس عيبا» Poverty is not vice مليئة بالمشاهد التي تصور العادات والتقاليد الروسية من خلال الأغاني والأمثال الشعبية وقد كتب أحد النقاد يقول: «إن مسرح أوستروفسكي يقدم تفاصيل جديدة على الناس ويكتشف أرضا مجهولة من خلال لغة تُقنع أكثر مما تُبهر».

منعطف جديد

وبزيادة ضغط الرقابة عليه أحس أوستروفسكي أن هذا النوع من الكوميديا الاجتماعية الصريحة التي يقدمها لم تعد تناسب أجواء الخمسينات (من القرن التاسع عشر) فاتجه إلى التخفيف من نقده اللاذع وإلى تقديم أعمال تجعل المتفرج يخرج راضيا أكثر مما يخرج ساخطا. ومع ذلك فلم تكن رقابة القيصر راضية عنه كل الرضا فقد ظلت مسرحية «نحن لسنا غرباء» We aren't Strangers ممنوعة لمدة عشر سنوات ولم يتم عرضها إلا سنة ١٨٦١م بحجة أنها تسيء إلى تجار موسكو.

غضب القيصر على أعمال أوستروفسكي ثم وصفها بأنها مدرسة أخلاقية

وقد شغل أوستروفسكي نفسه في فترة العشرين سنة الأخيرة من حياته ١٨٦١ إلى ١٨٨٠ بالانتقال من قضايا مجتمع التجار في موسكو الذي شغله في الفترة الأولى إلى قضايا التحول الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته روسيا وأدى إلى إصلاحات ١٨٦١ وظهور طبقة رأسمالية جديدة، فكانت أهم مسرحيات هذه الفترة هي «النقود المجنونة» "Mad Money" (١٨٧٠)، و «ذئاب ونعاج» "Walves and Sheep" (١٨٧٥). ومن أهم مسرحياته المتأخرة التي تميزت بالاتجاه الأخلاقي مسرحية «بدون مهر» "Without A Dowry" (١٨٧٩).

وقد اهتم أوستروفسكي في هذه الفترة بتقديم مجموعة مسرحيات تصور حياة الممثلين وعالمهم بكل ما فيه من مواطن الفضيلة والرذيلة برؤية نقدية واقعية مثل مسرحيات «مواهب ومعجبين» "Talents and Admirers" (١٨٧٣) و«الغابة» "The Forest" (١٨٧١) وهي أفضل وأكثر مسرحيات هذا النوع نجاحا إذ تروي قصة اثنين من الممثلين قاما بإنقاذ فتاة جميلة من قبضة وصي مستبد، وتقترب هذه المسرحية في تصوير شخوصها وحبكتها من مسرحية «العاصفة الرعدية» الشهيرة. وتعد مسرحية «ملهاة القرن السابع عشر» "The Comic of the 17 th Century" (١٨٧٣)

قدم أروع الأعمال الفنية بملامح إنسانية ولكنه لم يشتهر خارج وطنه..

من أفضل الأعمال التي جمعت بين العبق التاريخي والتصوير الواقعي. أما مسرحية «حلم على نهر الفولجا» "A Dream on the Volga" فهي خير نموذج لأفضل مسرحياته التاريخية الخالصة.

الوجه الآخر

ومع ذلك فلم يقتصر عطاء أوستروفسكي على إثراء المسرح الروسي بأعماله الجادة والهادفة في مرحلة التكوين، وإعطاء الكوميديا الروسية ملامحها الواقعية التي تهدف إلى خدمة المجتمع والارتقاء الأخلاقي به، بل امتدت يده إلى إصلاح أحوال المسرح والمسرحيين الذين عاش متفرغا لهم. فقد أنشأ جمعية تحافظ على حقوق الممثلين والمؤلفين، ومد فترة حقوق المؤلف المسرحي في أعماله من خمس إلى خمسين سنة كما أسس نوادي للممثلين يلتقون فيها ويتدربون بها على أسلوب الأداء الواقعي بعيدا عن المغالاة الرومانسية والتقليد الأعمى للأساليب الأوروبية. وقد ساعده هذا كله العيش بقرب ورشة التمثيل وحضور تدريب مسرحياته وإعطاء توجيهاته لممثلي مسرحياته في إضفاء الأسلوب الواقعي البسيط على الصوت والحركة. وقد عين في آخر أيامه مخرجا فنيا لمسرح مالي في موسكو Maly Theatre. ويتفق كثير من مؤرخي المسرح الروسي بأن أوستروفسكي أهم شخصية مؤثرة في المسرح الروسي في القرن التاسع عشر سواء من حيث قيمة أعماله الفنية ورصده الواقعي فيها أو من حيث خدماته المتمثلة في تفرغه لخدمة المسرح طوال حياته الأمر الذي يجعل ظهور مسرح الفن في موسكو وحركة التجديد التي قادها تحقيقا لأحلام أوستروفسكي وامتدادا لخطوط وضعها لمن يجيء بعده.

المصادر

1 - Ostrovesly, Alexander. **Five Plays of A. Ostravesky**, Trans. and ed Eugene K. Bristow. 1969.

2 - Ostrovesky, Alexander. **Easy Money and other Plays** Trans. David Magarshack. 1970.

3 - Welsh David, **Russian comedy 1965-1823, New York. Yerhov, Peter. Comedy In the Russian Theatre.**

4 - Trans. T. Zuber, New York, 1956.

قصة قصيرة

تفاصيل ليلة مملّة

بقلم: عباس عبار الجنوبي

مرت ليلة طويلة، مشبعة الضجيج، وهو يرقب من خلل الفجوة حركة العجلات البطيئة. يحدق في طابورها الطويل ينمطي أمامه مثل هيكلٍ عملاق، يجر خطواته الثقيلة بتمهل، كأنه يخشى أن يُسرع، فتفزع النوافذ، والأبواب النائمة. «لا يدري لماذا تخيّل أن هذه الآليات تشبه أخطبوطا يحاول أن يمرق بخفية دون أن ينتبه له أحد».

لم يكن يأبه لأزيز المحركات المتصاعد، وزعيق سرفات المجنزرات، مصطكًا بالأسفلت الرخو - عيناه وحدهما مشغولتان بهذا السرب الهائل يستمر ببطء، إلى أن يتلاشى في نهاية الشارع، متجهًا شرق الميدان الذي يؤوي سيارات الأجرة والنقل في نهاراتٍ هادئة فاتت.

«هو لا يدري ماذا سيحدث بعد الليلة. لا بد أن شيئًا ما تخبئه المدينة. فالرجال المتكومة خوذاتهم على فولاذ العربات، يتابع من خلال جمرات سجائرهم همًّا ثقيلاً، يفكرون به برتابة وبرود قائلين. «ربما هم في دهشة مثلي؟».

- ٢ -

مرت ليلة طويلة...

أحسّ بطنين في أذنيه، خلّفته أصوات المحركات المزعجة، وشعر بوجهه ذابلاً، مثقلاً بسهرٍ يرافقهُ التوجس، وخوف يستوطن رأسه، «إنه يرتاب بالمجهول، لا بد أنه موشك أن يحدث؟».. سحب جسده بكسل، لم تعنهُ خطواته، فاستلقى رغبةً في النوم - الذي لم يأت - «أخذ يرسم أشكالاً ممسوخة لرجالٍ منهكين، بخوذٍ صدئة، يلتحفون، بطانيات ومعاطف موحلة.. يغفون قليلاً، وبين غفوة وأخرى، يفزون، كأنما، كانوا فريسة كوابيس مريبة.. : «هل يعلمون أين وجهتهم؟»، ربما كانوا مثله، يحاولون توقع المجهول الذي يتجهون بأسلحتهم نحوه.

لم يستطع أن ينام، نهض إلى النافذة، التي بدأت تُسرّب أشعة الشمس، رفع الستارة، فالصباح جاء في شجرة الحديقة رفع زقزقة العصافير. حاول أن يفعل شيئًا ما..

لَمّ بقايا سهرته الباردة - يراها كحلم مبهم -، سجائره، أوراقه، أقداح الشاي في قعرها الرواسب القاتمة، تذكرهُ بلونٍ قديم يكرهه.

تطفو في ذاكرته صورة يده اليسرى.. يلتفت نحوها، ويتفحص كفه المبتورة، كأنه يكتشفها لأول مرة؟ رغم مرور ثلاث سنين. وهي هكذا، نهايتها، جلد محروق، منكمش بعض على بعض، مثل عصا مهشمة... «نعم، رواسب الشاي تحمرّ.. يراها دماءً بفقاعات قاتمة، يتذكر الآن جيدًا كيف كان يشمله الألم والخوف والحزن والارتباك، وكفه تتدلى مثقلة بالشظايا، ونثار العظام المتكسّرة، ودماء كثيفة، تزرقّ، ثم تسودّ، ولا يتوقف نزفها، من حوله أصوات الانفجارات، دويّ مستمر، قذائف.. طلقات، وسماء تنغلق فوقه باحتراق مستعر، كأنه يشبُّ برأسه الآن، ذاكرته تستحضر شاهد احتراقه القديم، تجعله يتشنج، «في تلك اللحظة تحول إلى قطعة من الدم والوحل.. عندها غاب عن الوجود، لم يفتح عينيه إلا وأضواء الغرفة تبهره، بياض الأسرّة حوله، وجوه الممرضات والطبيب... ونهاية ذراعه ملفوفة بالضماد الطبي دون كف.

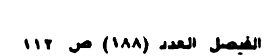
- ٣ -

الساعة الثامنة صباحًا...، البيت دبت فيه الحياة، تأتيه الأصوات من الخارج مثل رموز يعجز عن فهمها، ينتبه لزوجته مشغولة بإعداد الشاي: «هي تعتقد أنه استيقظ قبلها».

لم يزل منغمسًا في مخيّلة سوداء: «الماء لم تُجدِ برودته، جسدي ذابل، يسيطر عليّ خواء غريب»، زوجته تمرق أمامه، يلحظها في شروده «ما زالت زهرة جميلة، لم تتغير... هي أكثر الذين فرحوا بانتهاء الحرب، كانت مذعورة، تنكمش على نفسها، أيام القصف.. وتبكي بتفزع مثل طفل صغير».

- الشاي؟... انتبه على صوتها الخفيض وهي قربه... وضعت الكوب بصمت وجلست قبالته، تتأمله مندهشة في سرّها «لا بد أن أمرًا قد حدث؟»

سألته برفق: - ما بك؟.. خير



إن شاء الله، هل أنت مريض؟.

ظل يتفرّس بوجهها مشفقًا.. وهو يُفكر:

لا شيء ـ لا شيء... فقط «كان بوده أن يصمت».. ماذا لو عادت الحرب يازهرة؟

سقطت كلماته على رأسها، وخزات مؤذية، كادت أن تفقدها وعيها، تغيرت سحنتها، وهي تتصور أنه سمع خبرًا مؤكدًا.. من المذياع.

أكمل كلماته المرتجفة، ليطمئنها ظنت أنه لن ينتهي.

ـ ٤ ـ

لم يكن حدسه في تلك الليلة، وهمًا،، واجهته تفاصيل موحشة،، ابتلع كلماته المرّة، وظلّ صامتًا يضرب بيده المبتورة على خشبة الإسفنج التي يجلس عليها، وأسنانه تصطك، ليختنق في داخله صوتًا مُخدّشًا، وخيبة مريرة كبلته في قفص موحش.

لا يدري لماذا تتحول الأشياء أمامه إلى مسخ كريه، لا شيء يهون عليه، حتى زوجته، زهرته القديمة يعجز عن فك مغاليق ما يحدث، وبفزع يسأل زوجته «زهرة.. زهرة..

ـ نعم؟ تجيبه برجفة (إنها لا تعرف ما تفعل، حالتهُ تسوء، وهي حائرة).

ـ زهرة! هل صحيح أن الجيش دخل الكويت.. مثلما يقول المذيع؟

ـ نعم.. «وهي مرتبكة تمامًا» نـ..ـعـ..م يا حبيبي.

يشعر بخذلان، فرغم هروبه من ملمح منكفئ، يرقبهُ ملتصقًا بفجوته الأثيرة: «فتحة صغيرة لا تكفي إلاّ لعينيه من خلل النافذة المغلقة». لم يكترث لوهن أعضائه «نعم كل شيء يُحتل الآن.. حتى الجسد؟». ويده المبتورة تتدلى قربه متأرجحة، يفكر: ربما كنتُ أهذي «هناك.. في البعيد، ما وراء ساحة الميدان.. «جنود، خوذات، أسلحة، وأطفال.. نعم الأطفال.. كيف تكون وجوههم وقد انتابها الخوف، ونافذة مذعورة، أبواب موصدة.. وأخرى مهشّمة، ملامح لوجوه ملتصقة بالزجاج،، القسوةُ تحاصر كل شيء. أنا جربت قبل سنين، ما تفعله الأسلحة.. والبارود، وفولاذ العجلات الكريه... آه، لو أستطيع أن أنام، زهرة تستطيع ـ بعد البكاء ـ أن تغفو حزينة، لكن...».



بعد أن شاهد ملامحها اصفرت مضطربة:

ـ لا تخافي.. إني أتساءل فقط.

صمتت زهرة، وقد أحست أن شيئًا معكرًا يدنو منها «تذكرو الآن، أنها قبل ليالٍ فاجأها كابوس، روته له بدقة فضحك مداعبًا، وأمها التي خافت كعادتها، وتعوذت قائلة: إن شاء الله خيرٌ».

أحس أنه بحاجة شديدة لأن ينام،، ترك زهرة تصارع أوهامًا مفترسة، جعلتها تقضي نهارًا مؤرقًا، التي اعتاد مداعبتها كطفلٍ مرتقب، هي طفلهُ، وأنثاه... يراها بعيدة..».

عبر المذياع صوت غريب، كأنه صدى عميق يأتيه من جوف موغل في البُعد، لم يُصدق كلمات المذيع، خُيّل إليه أنه يمزح، أفكاره، لا تتجمع الآن، يحاول عبثًا أن يسيطر على رجفته، لكن أعصابه تخذله، الجدران حوله تتمطى، كأنها تتثاءب، اللوحات تتأرجح دون ملامح. الصور ذاتها تحاصره الآن، كل شيء يتراءى له في ثوب الحلم، مرارة التفاصيل، الكلمات تواجهه بصلافتها، يبكي دون دموع، ويُحس بطعم الملوحة في ريقه، يهذي «الأفضل أن أنام؟».

لكنه.. لم يستطع أن ينام.

ـ ٥ ـ

مرت ليلة مشبعة بالسكون...

ليلة أخرى، وهو يرقب العتمة في الخارج.. الشارع.. الأرصفة.. الجدارن.. الأسيجة، والأضواء الكابية «في ذبول كالمريض، أكثر من

كان يُحرّك أطرافه، ليتحسس وجودها، أحس بنفسه متجمدًا أمام الفجوة، كأنه محنّط يكتم في أعماقه، أفكارًا شائكة كالأسلاك، خائضة في معترك أوهامه، ووساوسه، يشعر أن نبضاته القوية توقفت («ربما أغفى؟».

هو الآن في نصف إغفاءة ليستشعر الصباح الذي حمله زقزقات خافتة، يتسربُ إليه باردًا، وزرقة واضحة تنتشر على زوايا كفه المبتورة. وسكون تام، يحيطه رغم الضجيج الذي بدأ يتنامى في الشارع «يتذكر في تلك الليلة، الجيش متحركًا ما وراء ساحة الميدان في المدينة، شهق في سرّه.. إنها الحرب.. هذه المرة مقززة، تطفو على مساحةٍ من ذهول مستمر، وهو ساكن.. ساكن تمامًا.. في هدوءٍ غريب.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة »للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ »،.. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي»



شعر: عماد ميزار عبد العظيم جابر

دَهاني ليلةً أرقٌ وذعرٌ ... فساورني اضطرابٌ لا يُفارقْ

أكادُ أُجنُّ وحدي لا سميرٌ ... يؤانسني ولا خِلٌّ مُوافِقْ

فكنتُ كمن أتاهُ نَذيرُ سُوءٍ ... يُهَدِّدهُ بقربِ قُدوم سارقْ

فأُنصِتُ ثم أُصغِي في سُكونٍ ... كأني سامعٌ للباب طارقْ

ولم أسمعْ سوى خفقان قلبي ... كأنَّ عليه تَنْهَالُ المَطارقْ

وخلتُ الليل ممّا طالَ دَهرًا ... وكالساعاتِ أصبحتِ الدقائقْ

فلا صاحٍ أنا من فَرْطِ ذُعري ... ولا في النومِ والأحلامِ غارقْ

عجيبٌ أن يؤرقني اضطرابي ... وأوهامي خلتْ منها الحقائقْ

لبثتُ بلا حَرَاكٍ في مكاني ... كعُصْفُورٍ يَرِفُّ عليه بَاشقْ

وصوتي خانني وغدا لساني ... لشدّة رِعدتي بالحَلْقِ لاصقْ

وضاعَتْ حيلتي في ضبط نفسي ... ولم يكُ لي من الآمال بارقْ

فخوفي حاصلٌ من كل شيءٍ ... ومن لا شيء، صدقني ووافقْ

يُريني الرُّعب سيفًا فوق رأسي ... وحولي ينصبُ الوهمُ المشانقْ

وأشباحٌ يُصَوِّرُها اضطرابي ... تُهاجمني فأحسَبها فَيالقْ

وقد أصبحتُ معروفًا بخوفي ... وكم لي فيه قد كتبتْ سوابقْ

ولستُ مبالغًا في شرحِ حالي ... فجيراني على قولي تُصادقْ

أضاعَ الخوفُ مني نصف عمري ... وحتمًا ما بقي في الإثرِ لاحقْ

لقد أقسمتُ لستُ أبيتُ وحدي ... ولو هَبطت على رأسي الصواعقْ

وحسبي أنَّني أنذرتُ زوجي ... فإن عَصَتِ الأوامرَ فهي طالقْ

الجانب الإنساني في حياة

السلطان العثماني "محمد الفاتح"


محمد الفاتح

إعداد الخبيرة: سهيلا إسماعيل قزيبيليغا

يلاحظ من يطالع التاريخ العثماني أن أكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن السلطان «محمد الثاني» الملقّب (بالفاتح) قد اكتفوا بالحديث عن الجانب العسكري والفتوحات فقط وقلما تعرضوا إلى الجانب الإنساني لهذا السلطان. .

وقد خرج عن هذه القاعدة المؤرخ والمحدث التركي (خواجه سعد الدين) بوصفه مدرسا لأولاد الأمراء في قصور السلاطين وسنحت له فرصة كبيرة للاطلاع على التاريخ العثماني من كل جوانبه وأعطى صورة واضحة عن حياة هذا القائد في كتابه (تاج التواريخ)، ثم تلاه المؤرخ الألماني (هَمْ لَرْ) في مذكراته الفريدة بحديث عن الناحية الإنسانية والثقافية - والاجتماعية لهذا القائد عند حديثه عن المعارك التي دارت (بين دول البلقان - وسلاطين بني عثمان).

ونحن لا نملك عند طرحنا هذا الموضوع إلاّ أن نستأنس برواية هؤلاء المحدثين الذين استندوا، حسب أفواههم، إلى شهود عيان كانوا قد لازموا السلطان الفاتح فترة طويلة من الزمن.

أضف إلى ذلك أن المجمع التركي للتاريخ العثماني للمؤرخ التركي (نامق كمال) الذي يعد من أشهر المحدثين المعاصرين. فقد تحدث بإسهاب عن حياة هذا القائد.

لقد عرف السلطان العثماني «محمد الثاني» بالفاتح وهو سابع سلاطين بني عثمان. ولد عام ٨٣٣هـ الموافق ١٤٢٩ م واعتلى سدة الحكم وعمره لا يتجاوز «٢٢» عامًا على إثر وفاة والده المفاجئ السلطان (مراد الثاني) وكان حينذاك في بلدة (مغنيسيا) على الطرف الغربي من الأناضول.

وعندما تلقى نبأ وفاة والده كان يقبع في مكتبته العامرة وسط كراسات من الأبحاث العلمية من (هندسية. . وفلكية. .) بعيدا عن مركز السلطة فأسرع إلى مدينة (أدرنة) عاصمة المملكة وهو لا يزال يشعر بالأسى للموقف الذي وقفه والده (مراد) حين نحّاه عن قيادة (معركة أدرنة) الشهيرة في ظروف عصيبة. .

ثم أثبتت الأحداث، بعد أشهر من استلام هذا القائد الحكم، بأنه شخصية متميّزة حين أخذ يتنقل من نصر إلى نصر ولم يفشل طوال حكمه الذي دام (٣١) سنة وترك لمن بعده دولة على غاية من النظام والقوة يسود الأمن والاستقرار في جميع أرجائها.

الناحية الفكرية والأدبية والفنية

عندما استتب الأمن في ربوع البلاد بعد أن توّج فتوحاته بدخول (القسطنطينية) فتح أبوابه للعلماء والمفكرين والأدباء يغدق عليهم الهبات السخية ويجتمع إلى الشعراء، وتمكن من أن ينظّم عدة قصائد غزلية وحماسية نقلت عنه ولاقت قبولاً في الأوساط الأدبية والعسكرية لا سيما لدى شعراء الصوفية وفي ميادين القتال فأعطى دفعا قويًا إلى الجهاد والفداء.

إلى جانب هذا فقد كان يحب اللغتين (العربية - والفارسية) حيث طلب إلى الشاعر التركي «شهدي» بأن ينظم له ملحمة تاريخية على غرار (ملحمة الشاهنامة) للشاعر الفردوسي.

وكان شديد الولع والاهتمام بالنهضة الفكرية والفنية في (إيطاليا)، فقد طلب إلى حاكم إحدى مقاطعات (إيطاليا) في (جمهورية راخوزي) أن يقدم له المخطوطات والرسوم التي في متاحفها كبديل عن (ضريبة الجزية)، وكلف أحد رسامي (البندقية) السيد «جنتيل بلاني» بأن يرسم له لوحات زيتية كان بينها لوحة خاصة به محفوظة حتى اليوم في مجموعة رسوم (الأبارو) في متحف (البندقية).

وكان يتحاشى المواقع في المعارك فيأمر بالمحافظة على الآثار من (تماثيل - وايقونات - ونفائس - وتحف) حتى إنه عندما حاصر (قلعة ليفوس) الأثرية الموجودة على ساحل (بحر إيجة) بقي ينتظر خروج حاميتها صلحًا واستسلامها ثم أمر بنقل التحف والآثار من القلعة إلى متحف السلاطين في «القسطنطينية» وجعل من «قلعة ليفوس» مزارًا أثريا.

كما لم يشأ أن يهاجم مدينة «أثينا» اليونانية رغم رجوع حاكمها (دوق باور) عن اتفاقية الهدنة وبقي خارج مدينة (أثينا) يماطل ويداور حتى اغتيل هذا الحاكم من قبل حرّاسه وبذلك حافظ على الآثار اليونانية (نقلت هذه المعلومات بلسان المؤرخ «نامق كمال» عن المجلة التركية (ثروت فنون).

وجاء على لسان المحدث التاريخي (كارل بروكلمان) الأوروبي أن السلطان «محمد الفاتح» عندما كثرت فتوحاته شاهد جنوده يهملون الآثار فاستدرك ذلك وحذّر ضباطه لكي يحتاطوا كثيرًا من إيقاع التلفيات في الآثار من (تماثيل - وأوابد - وخلافه) عند دخولهم الكنائس والأديرة والمكتبات وعدم التعرض إلى نفائسها وتحفها ومخطوطاتها بحيث يكون الهدر على أقل قدر ممكن، وغضب كثيرا حين تجرأت أيادٍ أثيمة فسرقت بعض النفائس والتحف من (كنيسة العذراء) وأضاعوا أثرها.

الناحية الإنسانية

في الأول من شهر شعبان من عام ٨٥٤ هـ الموافق ١٤٥٣م وبعد أداء

صلاة الجمعة أمر بقراءة مرسوم يقضي بتحويل اسم «قسطنطينية» إلى اسم «الأستانة» أي (بيت الإسلام) وجعلها عاصمة المملكة. وكان يومًا مشهودًا أقيمت فيه الصلوات والأذكار ثم وقف على المنبر يعلن لمن حضر من رجال الكنيسة (الأرثوذكسية) أن يختاروا (بطريقا) (لاستانبول) ولهم كل الحرية بأن يختاروا من يشاؤون فنصّبوا البطريق (جورج سكولاريوس) رئيسا للكنيسة (الأرثوذكسية) فهنأه السلطان وسمح لمن حضر بإقامة حفلات التدشين لتجري كما كانت على طريقتهم المعهودة وبمطلق الحرية، كما خصص للبطريق حرسًا خاصًا يأتمرون بأمره وأصدر أمرًا بإبقاء القسس الذين لم يغادروا (استانبول) في مناصبهم وإقامة الصلوات ودق الأجراس وإجراء المراسم حسب عاداتهم وكأن شيئًا لم يتبدل. فنادوا به في كنائسهم (كداعية إنسانية) وقامت في مناسبة أعياد دينية (للأرثوذوكس) فئة من القسيسين وطلبت إذنا من السلطان باستلام الإعانات الكنسيّة التي تصلهم من الدول المجاورة لترميم الأديرة والكنائس فرحب بذلك وساعدهم على الحصول على هذه الإعانات كما ترك أمر معالجة قضاياهم المذهبية (للبطريق) وأصدر براءة شريفة قال فيها: **«يحق لأي مواطن منكم إذا عاد إلى (استانبول) خلال ثلاثة أشهر من تركها أن يعاد له جميع حقوقه وأمواله وأملاكه»**.

وأطلق يد الصناعيين والزراعيين منهم وأصحاب المهن لكي يمارسوا أعمالهم بكل حرية ويستغلوا مواردهم وأراضيهم وإقامة أسواق للبيع والشراء ما داموا يدفعون (الجزية الشرعية) متبعا تعاليم الإسلام ومقتديا بالخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه وبعض الخلفاء عند فتحهم (القدس - وانطاكية - والإسكندرية).

ولما كانت الاعتبارات الدينية في مدينة (استانبول) لها الشأن الأكبر فإن السلطان رغب في أن لا تمس شعائرهم ومعتقداتهم حتى إنه عندما يجد ضرورة لجعل أحد الأديرة مبيتًا أو الكنيسة جامعًا يقوم بذلك بمعرفة (البطريق) لذلك تمازجت وتقاربت الأعراف وبرز إلى الوجود مجتمع متحابٌ متعاون متجاوب.

أسلوبه في إدارة الحكم

نقل عن المؤرخ (نامق كمال) في كتابه (تاريخ العثمانيين) أن السلطان الفاتح عندما يستعصي عليه تطويع حكام المقاطعات المسيحية كان يزيحهم عن مناصبهم ويأتي بهم مكرمين إلى «الأستانة» ويرحب بتعيينهم معتمدين لديه عن بلادهم كسفراء.. وله أقوال مأثورة بهذا الشأن **(لا تترك من خلفك في بلاد دخلتها - [أعداء] - لك بل اكتسب صداقتهم فقد تلقى منهم من المساعدة ما لا تلقاه من أقرب الناس إليك)**.

وبالنسبة لزواج ضباطه بالكتابيات قال ثانية:

(إن النساء طيعات إذا أحسنتم سياستهن، وخطرات إذا هدرتم كرامتهن)

ومن قبيل الاحتياط وهي صفة مميّزة له أن يقيس كل الأمور بمقياس دقيق فيعرض رجال لتجارب عديدة ويُقيّم على أساسها مؤهلاتهم وإمكاناتهم وينتقي الرجل المناسب والأصلح والكتوم. وله قول مأثور جاء على لسان المؤرخ **(نامق كمال)** أنه قال لجلسائه أكثر من مرّة **(لو علم شعر ذقني بسري لقلعتُهُ)** وقال أيضا **(إن كتمان السرّ هو الذي نصرني على خصومي قبل أن أخرج سيفي من غمده)**.

وعندما يقوم باتفاقية أو مهادنة مع طرف كان يكلف هذا الطرف أولا بوضع شروطه فيطّلع على ما يبيّنه له من أمور إلى أي قدر ممكن أن يعدل من شروطه فيما بعد.

كما عزّز القوة البشرية المنتجة والطموحات الفردية للصناعيين والحرفيين بإعطائهم منحًا أو مكافآت.. وتمكن بمساعدة أحدهم من اختراع مدفع له دقّة في إصابة الهدف بشكل كبير وهو موجود حاليًا في متحف (برلين).

وكان يولي ثقته للخبراء الأجانب ولا سيما (الجنويين) (والرودوسيين) الذين ساعدوه على إقامة عدة أساطيل في موانئه.. وكانت القنصليات التجارية في (استانبول) عيونا له لتعاطفه معهم بالنظر للمعاملة الطيبة التي كانوا يلمسونها منه من (انجليز - وفرنسيين - وعجم - ويهود)..

ومن مساعيه الحميدة أنه يأخذ بيد الذين يعملون في الخدمات الإنسانية (كالمشافي - والمرافق - ودور العلم - ودور الوعظ) ويقدم كل عون لهم حتى إن بعض المحسنات استطاعت أن تنشئ بمالها الخاص عدة مستشفيات ودفعت الكثير من الجرحى إلى الدخول في (الدين الإسلامي) - وكانت هذه المرأة عاقرًا فأقامت روضة للأطفال - ومصحًا لفاقدي النظر - وذوي العاهات - وقامت بتعمير وترميم الأديرة المتروكة واتخاذها كميتم لأولاد الشهداء وتبنت الكثيرين منهم.

وكل هذه المحاسن كانت بتوجيه من السلطان «محمد الفاتح» وعندما وافتها المنية سار الكثير من أعيان المملكة في جنازتها وعلى رأسهم الصدر الأعظم (محمود باشا) ممثلا عن السلطان الذي كان طريح الفراش وكتب على لوحة قبرها **(هذه عائشة بالم المحسنة الكبيرة رحمها الله)**.

وللسلطان محمد الفاتح مآثر لا تُعد ولا تُحصى من هذا القبيل إذا استطاع أن يخلق جيلا من المحسنين والمحسنات كان لهم الأثر الكبير في خدمة المملكة.

وأبلغ كلمة قيلت في السلطان (محمدا لفاتح) هو ما ورد في حديث **المؤرخ اليوناني [الأثيني] «كولوكوندينى Kolokondini** الذي أبكاه نبأ احتلال (القسطنطينية) قال:

«لم أكن أتصور أن هذا السلطان الشاب يقتحم أسوار (القسطنطينية) الحصينة ويجعل منها حاضرة العالم الإسلامي وقد عجز الكثيرون عن احتلالها».

وقبل أن يوافيه الأجل سعى لإنشاء حي في (استانبول) سمّاه **(حي الغرباء)** بجوار جامع الصحابي **(أبي أيوب الأنصاري)** رضي الله عنه ووهب كل من يرغب السكن بجواره أرضا ومعونة لبناء سكن، وكان لا ينقطع عن زيارة هذه البقعة التي تدفقت فيها الحياة واخضرت حتى غطت أضواء الفوانيس.. رحم الله محمد الفاتح جزاء ما قدم من خير.

المراجع

(١) تاج التواريخ للمؤرخ خواجه سعد الدين، المولود سنة ١٤١٥م.

(٢) مذكرات فريدة للمؤرخ الأوروبي افرنتزا المولود سنة ١٤٣٣م.

(٣) كتاب التاريخ العثماني للمؤرخ نامق كمال.

(٤) مجلة التركية العثمانية ثروت فنون، عدد من المؤرخين.

قصة قصيرة

أبجديات

بقلم : أحمد المزاري

دخل الحجرة ـ حجرة الدرس ـ بقامته القصيرة وحجمه الضئيل .. وقف الجميع تحيةً له ... خَطَا بين الصفوف يتفقّدنا كعادته .. كان يُخَيَّلُ لمن يراه في تلك اللحظة ، أنه قائدٌ عظيمٌ ، يستعرض جنوده قبل المعركة الفاصلة .. بين العلم والجهل ..

عاد إلى صدر الحجرة .. رفع يده ثم خفضها مُصَاحَبَةً بلسانه : **جلوس ..**

أخيراً .. اتَّضحت الرؤية أمامي .. كنت أجلس في عَجُزِ الحجرة ، وكنت قصيراً ضئيلاً مثله .. خلع المعطف الحائل اللون .. ألقاه على كتفي المقعد ، ثم تهيَّأ للدرس : بسم الله الرحمن الرحيم .. التاريخ الهجري .. التاريخ الميلادي .. ثم خطَّ عنواناً ما على السبورة ، استدار بعده إلينا ، بينما كانت يداه تصفِّقان ، وعيناه تدمعان من جرّاء الغبار الذي أصابهما ..

أشرق وجه البائع العجوز حين رآني مُقْبِلاً نحوه ، كانت بضعة قروش من دخله اليومي تكمن في جيبي ، وكان عليه أن يسعى جاهداً لإخراجها من مكمنها ..

كان ـ رغم أُمِّيَّتِه ـ يعلم نوع الكتب الذي أفضله ، دواوينُ الشعر في غُرَفِه ، لا تعدو أن تكون كُتُباً تَشْطُرُ أسطرَ صفحاتها مساحةٌ ضيقةٌ بيضاء تمتدُّ من أعلى لأسفل في كل صفحة .. وكان يحفظها لي في مكان خاص من حانوته المتهالك ، ولا يدعُ أحداً يمسُّها قبل أن أمرَّ عليه وآخذ حاجتي منها ..

وقع بصري اليوم عنده على كتابٍ حَالَ لونه من جرّاء الأيدي التي تناولته أو تداولته .. كان يحمل عنواناً مُحَبَّباً إليَّ .. إنه عين العنوان الذي اتُّخِذَ لدرسنا الواقف هناك .. خلف عشرين عاماً من الزمان ...

مازلت أذكر يدي المرفوعة في أقصى الحجرة ـ حجرة الدرس ـ مثيرةً للهمس والهمهمة بين التلاميذ ، والحرج بين أضلعي ، حتى أنني كدت أنزلها إلى موضعها السابق على صدري ، كي تحتضن رفيقتها الأخرى بهدوء ، لولا أن عين الأستاذ كانت أسرع إلى رؤيتها ..

كان ـ كما قَدَّمْتُ ـ قصيراً ضئيلاً ، لا يزيد وزنه ـ بلغة الرياضة البدنية ـ عن وزن « الذبابة » ، لكنه كان بالنسبة إلينا ـ نحن الصغار ـ في وزن « الفيل » ، ذلك الحيوان الضخم الذي كانت صورته في كتاب القراءة ، تؤكد أنه من أكبر الحيوانات حجماً ووزناً ..

كان أستاذنا يتمتع بصوت جَهْوريٍّ غليظ ، تتلاشى إلى جانبه ، كُلُّ نأمةٍ أو همسةٍ ، تَصْدُرُ من مقاعدنا أثناء الدرس ، بل لقد كان صوته يتناهى إلينا من أي مكان ، يقفُ فيه أو يمرُّ به داخل المدرسة .. لهذا .. كنا نخافه ونرهبه ، وفي الوقت عينه نُحِبُّهُ ونُقَدِّرُهُ ، بيد أن حبه وتقديره ، لم يبلغا أبداً الحدَّ الذي يمحو من ذواتنا الخوف والرهبة ..

من أجل هذا ، صعد الدم حارَّاً إلى وجهي وأذنيّ ، عندما لمح يدي المرفوعة إلى أعلى ، تتحدَّى كلَّ ذلك الهدوء وتلك الرهبة ، اللذين ينبعثان حالما يدخل علينا .. رنا إليَّ مُشَجِّعاً .. وبصوتٍ حاول جهده أن يكسر حدَّته أمرني بالوقوف ، ثم سألني :

ـ هل تريد شيئاً ياحازم ؟ ..

ـ نعم يأستاذي .. ولكنني أذوب خجلاً قبل النطق به .. ماذا أقول له ؟ .. أأقول له إنني عدلت عن السؤال قبل أن يستدير إليَّ ؟ .. أأقول له إن يدي كانت في طريقها إلى قاعدتها سالمةً ، لولا أنه رآها .. قطع عليها خطَّ الرجعة ؟ .. « ..

صوته يصافح أذنيَّ ثانية :

ـ تكلَّمْ .. لا تخفْ .. هل هناك ما تودُّ أن تقوله ؟ ..

.. بعض الطمأنينة ينتابها بعض القلق .. هنا تكمن الشجاعة لدنيا نحن الصغار .. وفي هذه اللحظة بالذات ينبغي لها أن تخرج .. إنْ لمْ تقلْ شيئاً الآنَ ، فلنْ تقولَ شيئاً على الإطلاق ، لحظة الطمأنينة والقلق هي اللحظة المناسبة .. قد يتلعثم لسانُك .. تصطكُّ أسنانُك .. يخفقُ قلبُك .. غير أنّك على أيِّ حال ، سوف تقولُ شيئاً ما .. أمّا إن انتظرت حتى يستقرَّ جَنَانُكَ ، فقد تنسى ما كُنْتَ تريد قوله .. قد تُضَيِّع جانباً مهماً منه .. وعندها يصبح سؤالك بلا معنى .. بلا معنًى تماماً .. يصبح لغو أطفال .. حسناً .. فلأتَكَلَّمْ قبل أن أفقد اضطرابي .. » .

ـ كنت أريد أن أقول .. إن اسم الدرس .. أقصد عنوان الدرس في الكتاب ....

« .. أخيراً انطفأت جذوتي .. ما عادت لي قدرة على الكلام .. لقد وقع ما قَدَّرْتُهُ .. ما كنتُ أخشاه .. إن الثواني التي لذتُ فيها بالصمت ، هي الثواني الخصبة .. كان السؤال فيها متكاملاً .. وفي أقصر حَيِّز من الكلمات .. أما الآن .. فلن يعدو كُلُ ما سأقوله ، لغوَ الأطفال .. » ..

طالت فترة الصمت .. كنتُ أثناءها نَهْباً لمشاعرَ شتَّى ، قطع عليها وحشتها ، وَجْهُهُ الباسمُ ..

صَوْتُهُ الحاني :

- آه .. لقد فهمت .. تقصد أن عنوان الدرس في الكتاب ، مُغايرٌ لعنوانه على السَّبُورة ؟ ..

- آه .. نعم .. بالضبط .. هذا ما أقصده ..

يالله .. لقد كفاني مئونة تقليد الجمادِ لفترةٍ أطولَ من تلك التي مضت ..

- إجلس ياحازم ..

أخيراً .. ارتميت على مقعدي ، غَيْرَ مُصَدِّقٍ بنجاتي من هذه الورطة ودون عقاب .. تطلّع إليّ بعضُ الزملاء بدهشة .. لم يكن يتبادر إلى أذهانهم مثل هذا السؤال .. وكنت أعرف السبب . كانوا قد قسموا أنفسهم منذ قليل قسمين ، أقصد فريقين للعب الكرة في الشارع المجاور للمدرسة ، عقب انتهاء الدرس الأخير .. ، كان هناك مَنْ سيحكم المباراة.. مَنْ سيلعب .. مَنْ سينتظرُ كاحتياطيٍّ ، حتى تنجلي الخشونةُ المتوقَّعَةُ عن إصابةٍ ما ، أو يُسْلِمَ الإنهاكُ بعضَهم إلى الحائط للرّاحة ، أما أنا ، فكنتُ أعلمُ أن دوري سينحصرُ - مثل معظم إخواني — في المشاهدة والتشجيع ، لذا لم يكن عجيباً أن أفكّرَ فيما لا يخطر لهم على بال ..

كان العنوان المسطور على السبورة ، هو عين العنوان غير الواضح للكتاب القديم ، الذي وقفتُ أساومُ البائع العجوز على ثمنه.. وبعد مُشادةٍ كريمة، تأبّطتُ الكتاب إلى المنزل، حيث نضوت عن جسمي رداء العمل، وارتديت ثوبي المنزلي المريح، ثم جلست ألتهم الكتاب...

كانت بعض الهوامش قد امتلأت بالتعليقات والشّروح والأمثلة ، التي كُتِبَتْ بِخَطٍّ واضحٍ ، يَنُمُّ عن شخصيَّةٍ مُتَّزِنَةٍ وثقافةٍ واسعةٍ .. كان يمكن لصاحب هذه الهوامش أن يجعل منها كتاباً قائماً بذاته .. ولكنْ .. ما هذا ؟ .. إنه يُذَكِّرني بشيءٍ ما .. كنتُ أحتفظُ ببعض الكرّاسات القديمة ، التي تعود إلى الوراء عشرين عاماً .. وكنتُ أعودُ إلى تَصَفُّحِها بين الحين والآخر ، استرجاعاً لبعض لحظات البراءة والصفاء ، التي مَرَّتْ بي في طفولتي ، وإضْفاءً لِجَوٍّ من الأمل ، على حاضري الراهن ، الذي كثيراً ما تَتَلَبَّدُ في سمائه سحبُ اليأس والقُنُوط .. أذكرُ أن أستاذي قال لي ، يوم وقفتُ أعترضُ على عنوان الدرس :

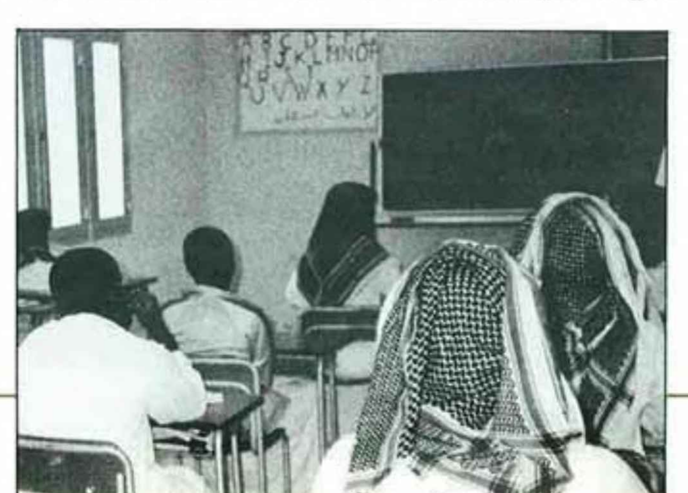
« أعلم أن عنوان الدرس في الكتاب مُغايرٌ لعنوانه على السبورة ، ولكنني فعلت ذلك عن قصد ، فموضوع الكتاب به الكثير من الإيجاز والقصور ، رغم أهميته بالنسبة إلى مَنْ كان في مرحلتكم السِّنِّيَّة .. لذا .. فإن مسؤوليتي التربوية ، تقتضيني التوسُّعَ والتفصيلَ وضربَ الأمثلةِ العديدةِ في هذا الموضوع .. ولكي يبقى لهذا الذي سأقوله أثَرُهُ الدائمُ على مَرِّ السنين ، أرجو أن تُخْرِجُوا كرّاسَ الواجبِ المنزلي ، وتكتبوا بعنايةٍ ودقَّةٍ كلَّ ما سَأُمْلِيهِ عليكم في هذا الشأن .. و .. »

وأخذ يَسْرُدُ علينا كلَّ ما يودُّ أن يَرْسَخَ في عقولنا ، وتستظهره ذاكرتنا دوماً ، ولقد أفاض في الحديث وقتها ، حتى أننا نسينا ما يَنْتَظِرُنا عقب هذا الدرس من مباراةٍ وحُكْمٍ ولَعِبٍ واحْتِيَاطيٍّ ومشاهدةٍ وتشجيع .. وأخيراً ..

وخَشْيَةَ أن يكون أحدُنا قد تكاسل أو تراخى في كتابة بعض ما أملاه علينا ، قام بنفسه بمراجعة كراساتنا واحدةً واحدةً ، حتى اطمأنَّ إلى عدم ضياع شرحه سُدىً ..

آه .. أخيراً .. هاهي ذي كراستي القديمة .. وهاهو ذا كلام أستاذنا بالحرف والنص .. حسناً .. لم تَخِبْ فراستي .. إنه عين الكلام المسطور على هامش الكتابِ القديمِ .. بل إنني أكاد أَجْزِمُ - بعد الرجوع إلى الصدى والطيف في ذاكرتي - أنه عين الخطِّ أيضاً ...

تُرى .. ما الذي جعله يتخلى هكذا ، عن كتابٍ ثمينٍ كهذا ، وشروحٍ حاول جهده أن يُسَرِّبَهَا إلى دمائنا ، قبل أن تتفرق بنا السبل ، ويمضي كلٌّ إلى شأنه ؟ ..



تَهَيَّأتُ في المساء للخروج .. كان في طريقي مكتبة ، عَرَّجْتُ إليها .. سألت البائع الشاب عن كتابٍ يحمل عين عنوان الكتاب القديم الذي ابتعته بعد ظهر اليوم .. أخذ يُنَقِّبُ ويُنَقِّبُ .. يرفعُ تَلاًّ من الكتب هنا ، ثم يعود ليرفعَ غيره هناك ، قبل أن يعثر على بُغْيَتِي .. أخذ ينفضُ عنه الغبار ونسيج العناكبِ المخَيِّمَ عليه ، وهو يَلُوكُ كلاماً تَبَيَّنْتُ منه أن الناس لم يعودوا يبحثون عن أمثال هذا الكتاب .. شكرته ونَقَدْتُهُ عِدَّةَ أضعاف الثمن الذي دفعته لنظير هذا الكتاب منذ بضع ساعات .. خطوتُ بضعَ خُطُواتٍ ثم تَوَقَّفْتُ لأكتبَ بعضَ عباراتِ الإهداء على أول صفحة من صفحات الكتاب :

« بدافع من الحب والتقدير .. والوفاء . لأستاذي الجليل ، الذي علمني كيف أسير في الحياة .. ماذا آخذ .. وماذا أدع .. وبدافع من ذلك الغرس النبيل ، الذي تعهده بالرعاية والسقاية ، حتى آتى أكله .. ، أَتَقَدَّمُ بهذه الزهرةِ الفَوَّاحَةِ إليه ، رغم علمي بأن لديه منها ومن بنات جنسها باقاتٍ وباقاتٍ .. » ...

وأخيراً .. هاهوا ذا المنزل .. بضع درجات متآكلة .. ثم .. مسكن أستاذي .. باب الحجرة الحائل اللون .. مازال كعهدي به منذ أيام الطفولة ، حيث أتيح لي أن أصاحبه في الطريق حتى يبلغه ، فيدخل وأمضي إلى منزلي .. ترى .. كيف تسير الأمور خلفك أيها الباب ؟ .. لعل شبيه الكتاب الذي في يدي ، قد أفصح عن

قصة قصيرة

أبجديات

بعضها ، فما عسى أن يكون بعضها الآخر .

امتدت يدي في رعشة يد التلميذ الصغير واضطرابها - تطرق الباب بشيء من التردد والرهبة ... بعد برهة .. تحرك السكون ولكنْ .. مع شيء من الاضطراب :

- مـ .. مـ .. نْ ؟

- إنه أنا يا أستاذ .. تلميذك حازم ..

عاد السكون إلى موضعه السابق في أذنيَّ .. وبعد وقت خلْتُهُ دهراً ، دقَّت العصا على أرض الحجرة .. ولكنْ بصورة غير منتظمة .. إن صوتها يُذكِّرني بتلك العصا التي كانت تداعب أكفّنا الصغيرة يوم ذاك ، مداعبة تذكِّرنا بإهمالنا ولكنْ .. في رفق وحنانٍ ... دار الباب ببطء ، لأرى أن تلك الأعوام الماضية ، كانت مضاعفةً على وجه أستاذي .. تَطَلَّعَ إليَّ في صمت .. ثم سرعان ما علت وجهه ابتسامتُه المعهودةُ .. حسناً .. إن هذا يُوفِّرُ علينا كثيراً من الحرج ...

- آه .. حازم .. تفضَّلْ يابني .. تفضَّلْ ...

دخلتُ مُطأطِئ الرأس ، كأنما ارتكبتُ إثماً ما ، لابُدَّ من محوه بتلك العصا ، لكنها لم ترتفع عن الأرض .. ، لقد صارت رِجلاً ثالثة ، لا يمكن الغناءُ عنها وإلا تهاوت الأخريان ... أشار إلى مقْعَدٍ متهالكٍ ، يدعوني للجلوس ، بينما مضى هو إلى السرير العجوز ، حتى إذا بلغه هَمَّ بالجلوس على حافَّتِه دون جلبةٍ ، لكنَّ شيخوخته لَمْ تُمهِلْهُ ، فسقط عليه سقوطاً خَفَّفَ من وَطْأَتِهِ ، تلك الرِّجْلُ الثالثةُ التي قبض عليها بكلتا يديه ..

وأخيراً .. حانَ وقتُ الكلام .. كنتُ مضطرباً .. عاودتني كُلُّ ركاكة الطفولة ولَعْثَمَتُهَا .. إنه بعينه أستاذي الذي أعرفه ويعرفني .. مازال بالنسبة إليَّ في « وزن الفيل » .. إن كل تلك السنين التي مضت وتضاعفت على وجهه ، لم تنَلْ منه شيئاً .. إلا من حيث المظهر .. أما ذلك الجزء الخفي .. الذي كنا نحبه ونخشاه .. فما زال كما هو ..

- كيف حالك يا أستاذ ؟ ..

« كان هذا هو كل ما انفرجت عنه شفتاي » ..

- بخير والحمد لله .. كيف حالك أنت ؟ .. أرجو أن تكون مُوفَّقاً في عملك ..

- الحمد لله ..

ثم ساد الصمت ثانية .. تتابعت



الثواني تتابع الطرقات التي كانت تنبعث من صدري وتعلو شيئاً فشيئاً ، حتى كادت أن تصُمَّ أُذُنيَّ .. عاودتني أفكار الطفولة ..

« هذه هي اللحظة المناسبة .. إنْ لَمْ تَقُل شيئاً الآن ، فلنْ تقولَ شيئاً على الإطلاق .. حسناً .. فلأتكلَّمْ قَبْلَ أن أفقد اضطرابي .. لكنْ .. » :

- لقد كنتُ ماراً في شارعٍ قريبٍ .. و .. خطر لي أن أزور أستاذي .. و ...

« بدأت شحنتي تفرغ .. فَلأقُلْ قبل أن تأتي لحظة التعادل .. » :

- وكان في طريقي مكتبة ، عرجت إليها .. وتخيَّرْتُ من أقسامها العديدة كتاباً نادراً ، أرجو أن يَتَقبَّلَهُ أستاذي مني قبل أن ... أقصد قبل أن ...

« حلَّتْ اللحظةُ الحرجةُ .. لن أستطيع أن أقول شيئاً الآن .. سوف يصيبني الجمود المعهود ، حتى يفكر هو في إخراجي منه .. هاهو يبتسم ابتسامته القديمة .. يبدو أنه قد فهم مرادي .. لكن ماذا تراه سيقول ؟ » :

- وما عنوان هذا الكتاب ؟ ..

يالله .. ما أبْسَطَ هذا السؤال .. إن أستاذي يعاملني كطفل .. ولكن .. ألستُ أستحقُّ ذلك ؟ .. « حسناً .. استطيع الإجابة دون اضطراب أو تلعثم هذه المرة .. فالكتاب مازال بين يديَّ .. وعنوانه لا يعدو كلمةً واحدةً .. ومضمونه يكاد أن يكون مسطوراً بِنَصِّهِ بين جوانحي منذ الطفولة حتى هذه اللحظة .. لكنني رغم كل ذلك - آثرتُ الصمت ، وناولته الكتاب بيد مضطربة .. قرأ العنوان .. قرأتُ على وجهه بضع كلمات حزينة » :

- آه .. أذكر أنه كان بحوزتي مثل هذا الكتاب .. ولكنْ ...

ولكن الصمت هذه المرة ، قد طال أكثر من ذي قبل ، يبدو أن عدوى الطفولة .. أفكارها .. تلعثمها .. اضطرابها .. قد انتقلت إليه مني .. أصبحتُ سيِّدَ الموقف .. ولن أسمح لنفسي بأن أطيل حيرته بعد أن خَلَّصَني كثيراً من أمثال هذ الورطة ..

- لا عليك يا أستاذي . لعل يد البلى قد امتدت إليه ، أو لعل النسيان قد احتفظ به في أحد الأركان .. ويسعدني أن تأذن لي بالبحث عنه الآن ، إن كان الأمر يـ ...

- لا يابني .. لا ضرورة لذلك .. فقد يستغرق البحث عنه وقتاً طويلاً دون جدوى .. ثم .. ما حاجتي إلى كتابٍ قديمٍ عَوَّضْتني عنه بآخَرَ جديدٍ .. شكراً يابني وبارك الله فيك ..

قال هذا بينما التقت عيناي بعينيه للحظةٍ خاطفةٍ ، أغْنَتْ عن إتمام الحديث .. فاستأذنته مُودِّعاً على أمل اللقاء القريب ، وسرتُ في طريقي .. الطويل ، لا يشغلني شيء ، سوى بضع أبجديات حَيَّةٍ ، مازالت تسكن صدري .. منذ أن حفرها فيه يوماً ما ، مُعلِّمٌ مغمورٌ ، تحوَّلَتْ عصا التأديب بين يديه .. بعد هذا الزمن الطويل - إلى رِجْلٍ ثالثةٍ ، تُؤدِّي دورها أو بَقِيَّةَ دورها في خضمِّ الحياةِ ، وتضيف إلى صداها القديم في ذاكرتي .. صدى جديداً .. مستمرّاً .



قاموس الألوان عند العرب (٢)

إعداد : أ.د. عبدالحميد إبراهيم

خ

ـ ختم :

المختَّم الذي في أشاعره بياض، فإذا ارتفع البياض فجاوز الثُّنن حتى يصعد في الأوظفة فهو التجبيب، فرس مجَّب ومجبَّبة.

ـ خدر :

الخُداري: السحاب الأسود. وبعير خُداري، أي شديد السواد. والخدر: المكان المظلم الغامض، قال ابن الأعرابي: الخُدري: الحمار الأسود.

ـ خدم :

فإن ابيضت أوظفة الساق، ووظيفها الواحد أسود، فهي حجلاء وخدماء...

الاسم: الخُدمة. وقيل: هي التي في ساقها بياض عند الرُّسغ، كالخدمة في سواد، أو سواد في بياض.

ـ خرج :

الخَرَج بالتحريك: لونان سواد وبياض. وفي التهذيب: ثوبا أخرجا: لبست الحروب ثوبا فيه بياض وحمرة من لطخ الدم، أي شهرت وعرفت كشهرة الأبلق.

وقال بعضهم: تخريج الأرض، أن يكون نبتها في مكان دون مكان، فترى بياض الأرض في خضرة النبات. والخرجاء: قرية في طريق مكة، سميت بذلك لأن في أرضها سوادا وبياضا إلى الحمرة.

ـ خشرم :

فإن كانت الأرض حمراء الحصى فهي خشرمة. قال أبو النجم يذكر نهرا يجري:

يركب سهلا مرة وحزورا ومسكا من خشرم وحدرا

والمسكة: موضع غليظ يمسك الماء.

ـ خصف :

وهو لون الحديد. وكل لونين اجتمعا في شيء فهو خصيف، وخصفه الشيب: إذا استوى فيه البياض والسواد، وحبل أخصف وخصيف: فيه لونان سواد وبياض، الأخصف والخصيف لون كلون الرماد.

والخصيف: ...راء إلى الخضرة، وقد يبنى على أفعل.

ـ خضرة :

ومن الخضرة في ألوان الخيل: أخضر أحمّ وهو أدنى الخُضرة إلى الدُّهمة، وأشد الخُضرة سوادا، غير أن أقرابه (يديه) وبطنه وأذنيه مخضرة، وليس بين الأخضر الأحم وبين الأحوى إلا خضرة منخرية وشاكلته، لأن الأحوى تحمر مناخره، وتصفر شاكلته صفرة مشاكلة للحمرة، ومن الخيل أخضر أدغم، وأخضر أطحل، وأخضر أورق، ويقال للأسود أخضر، وشاهده قول الشاعر

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

أراد بالخضرة سمرة لونه. والخضرة من الكتائب مثل الجأواء، يعلوها سواد الحديد، ويقال لليل أخضر.

ـ خطب :

الخُطبة: لون يضرب إلى الكُدرة، مشرب حمرة في صفرة. كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس، وكلون بعض حمر الوحش. والخُطبة: الخُضرة، وقيل: غُبْرة ترهقها خضرة. وقيل: الأخطب: الأخضر يخالطه سواد. واخطبَّ الحنظل اصفرَّ، أي صار خُطبان، وهو أن يصفر، وتصير فيه خطوط خضر. وحنظلة خطباء: صفراء فيها خطوط خضر وهي الخطبانة. والأخطب:



الشُّقْر، وقيل: الصُّبر، لأن فيها سوادا وبياضا، وقيل لنيد عند نضوّ سوادها من الحناء: خطباء. والأخطب: الحمار تعلوه خضرة.

ـ خلس:

أخلس رأسه إذا خالط سواده البياض. وكذلك النبت إذا كان بعضه أخضر وبعضه أبيض وذلك في الهيج. وأخلس الحليّ: خرجت فيه خضرة طرية. والخليس: النبات الهائج، بعضه أصفر وبعضه أخضر. وكذلك الخنيط يسمى خليسا. والخلاس: الولد بين أبيض وسوداء، أو بين أسود وبيضاء.

ـ خمص:

تخامص الليل تخامصا: إذا رقت ظلمته عند وقت السحر. والخميصة برنكان (ثوب) أسود مُعْلم من المرعِزّى (الصوف المخلوط) والصوف ونحوه. والخميصة: كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن مُعْلما فليس بخميصة. وقال الأعشى: حسبت خميصة، أراد شعرها الأسود شبّهه بالخميصة والخميصة سوداء. وفي الحديث: جئت إليه وعليه خميصة. تكرر ذكرها في الحديث: وهي ثوب خز أو صوف معلم، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة.

ـ خوص:

الخوصاء من الضأن: السوداء إحدى العينين، البيضاء الأخرى مع سائر الجسد. وخوص رأسه وقع في الشيب. وقيل: إذا اخضر العرفج (نبات) على أبيض فتلك الخوصة. وخوصة العرفج كأنها ورق الحناء، وخوصة السنط على خلقة الحلفاء. وخوصة الأرطى مثل هدب الأثل. وفي حديث تميم الداري: فنقدوا جاما من فضة مخوّصا بذهب، أي عليه صفائح الذهب مثل خوص النخيل، ومنه الحديث الآخر: وعليه ديباج مخوّص بالذهب، أي منسوج به كخوص النخل، وهو ورقه.

د

ـ دجج:

أسود دَجوجي ودُجاجي، قال الراجز:

لما رأيت سدَّ نيلٍ أدمسا ... ليلا دجوجيّ الظلام خِزمسا

وأسود غرابي كلون الغراب، وأسود خُداري، قال جرير:

تخطىّ إلينا من بعيد خيالها ... يخوض خُداريا من الليل داجيا

ـ دخن:

الدُّخن: الكدورة إلى السواد. والدُّخنة من لون الأدخن: كُدرة في سواد... ولا أحسبه إلا من الدخان، وهذا شبيه بلون الحديد.

ـ درع:

شاة درعاء: سوداء الجسد بيضاء الرأس... سميت بدرعاء إذا اسود مقدمها تشبيها بالليالي الدُّرع، وهي ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثماني عشرة، اسودت أوائلها وابيض سائرها، فسمين دُرعا.

ـ دسم:

الدُّسمة: غبرة إلى السواد، ومنه قيل للحبشي: أبو دسمة.

ـ دعج:

الدَّعَجُ والدُّعجة: السواد وقيل قيل شدة السواد، وقيل الدعج: شدة سواد سواد العين، وشدة بياض بياضها.

ـ دعم:

إذا كان في صدر الفرس بياض فهو أدعم، أما إذا كان في خواصره فهو مشكَل.

ـ دغم:

الدغماء من النعاج: التي اسودت نُخرتها وهي الأرنبة، وحَكمتها وهي الذقن. وفي الحديث: أنه ضحى بكبش أدغم، وهو الذي يكون فيه أدنى سواد، خصوصا في أرنبته وتحت حنكه. والأدغم: الأسود الأنف. والدُّغمان بالضم الأسود وقيل الأسود مع عِظَم. وقيل: أدغمه الله: سود وجهه وأذلّه.

ـ دكن:

الدُّكن والدكَن والدُّكْنة: لون الأدكن كلون الخز، الذي يضرب إلى الغُبرة، بين الحمرة والسواد، وفي الصحاح: يضرب إلى السواد.

ـ دلص:

أبيض دُلِص ودُلامص ودُمَلِص ودُمالص، قال الأعشى:

إذا جُرِّدَتْ يوما حسبتَ خميصة ... عليها، وجريال النضير الدُّلامصا

والجريال: صبغ أحمر يشبه بالخمر. والدلامص: الذي له بريق، وقال أبو دؤاد الإيادي:

ككنانة الزُّغريّ زَيَّـــنها من الذهب الدلامص

ـ دلم:

الأدلم: الشديد السواد من الرجال والأسد والحمير والجبال والصخر في ملوسة. وقيل هو الآدم. وفي التهذيب: الأدلم من الرجال الطويل الأسود.

ـ دمى :

المدمّى : الشوب الأحمر. والمدمّى : الشديد الشقرة. وفي التهذيب : من الخيل الشديد الحمرة شبه لون الدم. وكل شيء في لونه سواد وحمرة فهو مدمّى، وكل أحمر شديد الحمرة فهو مُدمّى، ويقال : كميت مُدمّى.

ـ دهس :

الدُهسة : لون كلون الرمال وألوان المعزى.

والدَهاس في الرمل : كل لين لا يبلغ أن يكون رملا، وليس بتراب ولا طين، قال ذو الرمة يذكر فراخ النّعام :

جاءت من البيض زُغر الألباس لها

إلا الدهـــــاس وأم برة وأب

والصدعاء من المعز المشربة حمرة، والدهساء أقل منها حمرة

ـ دهم :

حديقة دهماء مدهامة : خضراء تضرب إلى السواد من نعمتها وريها، وفي التنزيل العزيز ﴿مدهامتان﴾ أي سوداوان من شدة الخضرة من الري، وقيل للجنة مد هامة لشدة خضرتها، والعرب تقول لكل أخضر أسود.

ـ دهن :

الدهان : الجلد الأحمر. وقال الفراء في قوله تعالى ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ شبهها في اختلاف ألوانها بالدُهن واختلاف ألوانه، ويقال : الدُهان الأديم الأحمر، أي صارت حمراء كالأديم، والدهان في القرآن الكريم : الأديم الأحمر الصّرف.

ذ

ـ ذرأ :

إذا ابيض أعلى رأس الفرس فهو أصقع، وإذا ابيض قفاه فهو أقنف، وإذا ابيض رأسه كله فهو أغشى وأرخم، فإن شابت ناصيته فهو أسعف، فإن ابيضت كلها فهو أصبغ، فإن كان بأذنيه نفش بياض فهو أذرأ، وإن كان أبيض الرأس والعنق فهو أدرع.

ـ ذهب :

المذهب هو الشيء المطلي بالذهب، وهو من قولهم : فرس مذهب، إذا علت حمرته صفرة.

ر

ـ ربد :

الرُبدة : هي الغبرة، وقيل لون إلى الغبرة. والربد في النعام سواد مختلط. وقيل الربداء السوداء، أو التي في سوادها نقط بيض أو حمر.

ـ رثم :

إذا كان بياض بجحفلة (شفة) الفرس العليا فهو أرثم، وإن كان بالسفلى فهو ألمظ، وفي الحديث : خير الخيل الأرثم الأقرح.

ـ رجا :

الأرجوان : الحمرة، وقال الزجاج : الأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة، وحكى السيرافي : أحمر أرجواني على المبالغة به، كما قالوا أحمر قانئ.

ـ رحل :

الرحلاء من الشياه التي ابيض ظهرها واسود سائرها، وكذلك إذا اسود ظهرها وابيض سائرها. . . المصدّر : الأبيض الصدر من الفرس، فإن كان الفرس أبيض الظهر فهو أرجل بالجيم، فإن كان أبيض العجز فهو آزر، فإن كان أبيض الجنب أو الجنبين فهو أخصف.

ـ رقش :

الرقش والرقشة : لون فيه كدرة وسواد ونحوهما. جُندب أرقش وحية رقشاء، فيها نقط سواد وبياض. وفي حديث لأم سلمة قالت لعائشة : لو ذكّرتك قولا تعرفينه نهشتني الرقشاء المطرق، الرقشاء : الأفعى، سميت بذلك لترقيش في ظهرها، وهي خطوط ونقط.

ـ رقط :

الرُقطة : سواد يشوبه نقط بياض، أو بياض يشوبه نقط سواد. والرقطاء من أسماء الفتنة لتلونها. وفي حديث حذيفة : ليكونن فيكم أيتها الأمة أربع فتن : باخية الرقطاء والمظلمة وفلانة وفلانة. يعني فتنة شبهها بالحية الرقطاء وهو لون فيه سواد وبياض، والمظلمة التي تعم، والرقطاء التي لا تعم. ارقاطّ من الرقطة البياض والسواد، يقال ارقطّ وارقاطّ مثل احمرّ واحمارّ، قال القتيبي : أحسبه ارقاطّ عرفجها، يقال إذا مطر العرفج فلان : قد ثقب عوده، فإذا اسود شيئا قيل : قد قمل، فإذا زاد قيل : قد ارقاطّ.

ـ رمد :

الأرمد الذي على لون الرماد، وهو غُبرة فيها كُدرة، ومنه قيل للنّعامة رمداء وللبعوض رُمْد.

ـ رمك :

الرُمكة لون الرماد، وهي وُرقة في سواد، وقيل الرمكة في ألوان الإبل حمرة يخالطها سواد، وكل لون يخالط غبرته سواد فهو أرمك.

ز

ـ زرق :

الزرقة البياض حيثما كان، وهي خضرة في سواد العين. وقيل هي أن يتغشى سوادها بياض. الزُّرْقُم: الأزرق الشديد الزرق

ـ زكر:

ومن العنوز الحمر عنز حمراء زكرية. وعنز زكرية وزكرية شديدة الحمرة.

ـ زهر :

الزُّهرة البياض. يقال أزهر بيّن الزُّهرة وهو بياض عتق. الأزهر من الرجال: الأبيض العتيق البياض النير الحسن، وهو أحسن البياض. النَّوْر الأبيض والزهر الأصفر وذلك لأنه يبيض ثم يصفر. والزاهر: المشرق في ألوان الرجال. والأزهر: النير ساعة يجلب وهو الوضح وهو الناهض والصريح، والزهرة البياض النير، وهو أحسن الألوان.

س

ـ سجر :

يقال رجل أسجر وامرأة سجراء، أن يضرب سوادها إلى الحمرة، قال الحجير السلولي.

غدت كالقطاة السجراء راحت   أمام مزمزم لجب نفاها

ويقال: غدير أسجر إذا كان يضرب ماؤه إلى الحمرة.

ـ سحم :

السحم: السُّحام. السُّحمة السواد. السحمة كلون الغراب الأسود، وكل أسود أسحم، والسحمة كلا أبيض.

ـ سعد :

السعدانة واللوع: السواد الذي حول الثدي.

ـ سفر:

السفير: الورق تغير لونه فحال وابيض بعدما كان أخضر. والسَّفر بياض النهار، ويقال لبقية بياض النهار بعد مغيب الشمس: سفر لوضوحه.

ـ سفع :

السُّفعة في الوجه: سواد في خدي المرأة الشاحبة. وسُفع الثور: نقط سود في وجهه. الأسفع: الثور الوحشي الذي في حديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلا. ولا تكون السفعة إلا سوادا مُشرباً زرقة، وفي التنزيل ﴿لَنَسْفَعَنْ بالناصية﴾ ويقال معنى لنسفعن لنسوّدن وجهه، فكفت الناصية لأنها في مقدم الوجه.

ـ سمر:

السُّمرة منزلة بين البياض والسواد، يكون ذلك في ألوان الناس والإبل، وغير ذلك مما يقبلها، وبعير أسمر أبيض إلى الشهبة. والسمر ظل القمر، والسمرة في الناس هي الوُرقة. قال الأصمعي: السمر عندهم الظلمة، والأصل اجتماعهم يسمرون في الظلمة، ثم كثر الاستعمال حتى سموا الظلمة سمراً.

ـ سمند :

فإذا كانت كُمتته بين البياض والسواد، فهو ورد أغبس، وهو السمند بالفارسية.

ش

ـ شحب :

الشاحب المتغير اللون لعارض من مرض أو سفر.

ـ شرق :

شرق لونه شرقا: احمر من الخجل. والشرقي: صبغ أحمر. وشرقت الشمس شرقا إذا ضعف ضوؤها.

ـ شعل :

الشَّعل والشُّعلة: البياض في ذنب الفرس. ويقال: إذا كان البياض في طرف ذنب الفرس فهو أشعل، وإن كان في وسطه فهو أصبغ، وإن كان في صدره فهو أدغم، فإذا بلغ التحجيل إلى ركبته فهو مجبب، فإن كان في يديه فهو مُقفّز.

ـ شفق

الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل، ترى في المغرب إلى صلاة العشاء. قال الزجاج: الشَّفق النهار أيضا. قال بعض الفقهاء: الشفق البياض، لأن الحمرة تذهب إذا أظلمت، وإنما الشفق البياض الذي إذا ذهب صُلّيت العشاء الأخيرة.

ـ شقح :

الشُّقحة والشُّقحة: البُسْرة المتغيرة إلى الحمرة. وفي حديث البيع: نهى عن بيع الثمر حتى يُشقح، وهو أن يحمر أو يصفر. ويقال للأحمر الأشقر إنه الأشقح.

ـ شقر:

الأشقر هو الأحمر من الدواب، وفي الصحاح: هي في الإنسان حمرة صافية، وبشرته مائلة إلى البياض.

ـ شكل :

الأشكل من الإبل والغنم، الذي يخلط سواده حمرة أو غبرة، كأنه قد أشكل عليه لونه، والأشكل في سائر الأشياء بياض وحمرة قد اختلطا.

فإذا ابيضت يد الفرس والرجل التي من شقها، قيل به شكال. فإذا ابيضت رجله من شقه الأيمن، ويده من شقه الأيسر، قيل: به شكال مخالف، وفرس مشكول: ذو شكال.

- شمط:

شيء شميط: كل لونين اختلطا فهو شميط. والشميط الصبح لاختلاط لونيه من الظلمة والبياض. والشمط في الشعر: اختلافه بلونين من سواد وبياض. والشمط: بياض شعر الرأس يخالطه سواده. والشمط الخلط، يقول اختلط في ذنبها بياض وغيره.

- شهب:

الشهب والشهبة: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. والعنبر الجيد لونه أشهب. وقيل الشهبة البياض الذي غلب على السواد. قال أبو عبيدة: الشهبة ألوان الخيل أن تشق معظم لونه شعرة أو شعرات بيض، كميتا كان أو أشقر أو أدهم.

- شهل:

الشهلة في العين: أن يشوب سوادها زرقة. قال ابن سيده: الشهل والشهلة أقل من الزرق في الحدقة، وهو أحسن منه. والشهلة أن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد. وقيل أن تشرب الحدقة حمرة، ليست خطوطا كالشكلة، ولكنها قلة سواد الحدقة، حتى كأن سوادها يضرب إلى الحمرة، وقيل أن لا يخلص سوادها. قال أبو عبيدة: الشهلة حمرة في سواد العين. وأما الشكلة فهي كهيئة الحمرة تكون في بياض العين.

- شيم:

الشامة: علامة مخالفة لسائر اللون. الشامة: الأثر الأسود في البدن وفي الأرض. شام يشيم إذا ظهرت بجلدته الزقمة السوداء. ويقال: ما له شامة ولا زهراء، يعني ناقة سوداء ولا بيضاء.

والشيم: السود. وشيم الإبل وشومها: سودها. ويروى شيمها وحضارها أي سودها وبيضها.

- شي:

الشية: كل لون خالف سائر لون جميع الجسد في الدواب.

وقيل: شية الفرس لونه.

ص

- صبح:

الصبحة والملحة لونان. وهو بياض إلى الحمرة، وما هو كلون الظبي. يقال رجل أصبح اللحية وأملح اللحية، إذا كان يعلو شعر لحيته بياض من خلقة وليس من شيب. قال ذو الرمة:

ونادى بها ماء إذا ثار ثورة أصيبحُ نوامٌ بقوم وبخرق

وقال الآخر [وهو قيس بن عذارة الهذلي]

ألفيته يحمي المضاف كأنه صبحاء، تحمي شبلها وتحيد

وقال الأخطل في الملحة:

مُلح المتون كأنما ألبسنها بالماء إذ يبس الصبيح جلالا

- صبغ:

فإذا كان البياض في الذنب فهو الصبغة، وفرس أصبغ وصبغاء. وقيل: الصبغ أن يبيض الذنب كله، وقيل هو أخف من الشعل، وهو أن يكون في طرف ذنبه شعرات بيض، فإذا خالط البياض الذنب فذلك الشعلة. وقيل: الشعل يكون في الذنب طولا ويكون عرضا. وقد يكون في القذال. فإذا خلص لونه من كل لون، يريد من أي لون كان، فهو بهيم.

- صحر:

الأصحر قريب من الأصهب واسم اللون الصحر والصحرة. وقيل الصحرة غبرة في حمرة خفيفة إلى بياض. وقيل الصحرة حمرة تضرب إلى غبرة. يقال اصحار النبات أخذت فيه حمرة ليست بخالصة ثم هاج فاصفر. واصحار السنبل احمر، وقيل ابيضت أوائله.

- صحم:

الأصحم والصحمة سواد إلى الصفرة، وقيل هي لون من الغبرة إلى سواد قليل. وقيل هي حمرة وبياض. وقيل هي صفرة في بياض. قال أبو عمرو: الأصحم الأسود الحالك. وقال أبو حنيفة: اصحمة النبت خالط سواد خضرته صفرة. وقال الجوهري: اشتدت خضرته.

- صدأ:

الصدأة شقرة تضرب إلى السواد الغالب. ومنه جدي أصدأ بيّن الصدأ. إذا كان أسود مشربا حمرة. وكميت أصدأ إذا علته كدرة. وفي كتاب ألوان الإبل للأصمعي: إذا خالط كمتة البعير مثل صدأ الحديد فهو الجوة.

- صرح:

الصرح بالتحريك: الأبيض الخالص من كل شيء، وأبيض صراح كلياح خالص ناصع. والصراح اللبن الرقيق الذي أكثر ماؤه، فترى في بعضه سمرة من مائه وخضرة.

- صفر:

الصفرة من الألوان معروفة، تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبلها. الصفرة أيضا السواد. قال الفراء في قوله تعالى **﴿كأنه جمالات صفر﴾**. فإن الصفر السود من الإبل، لا يرى أسود من الإبل إلا مشرب صفرة. وفرس أصفر، ولا يسمى أصفر حتى يصفر ذنبه وعرفه. الأصفران: الذهب والزعفران، وقيل الورس والذهب. والصفراء الذهب للونها. والصفرية: تمرة يمامية تجفف بسرا وهي صفراء.

- صقع:

الأصقع من الطير والخيل وغيرهما ما كان على رأسه بياض. والأصقع طائر كالعصفور في ريشه ورأسه بياض. وقيل هو كالعصفور في ريشه خضرة ورأسه بياض.

- صنب:

الصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب، ومنه قيل للبرذون صنابي، شبه لونه بذلك. وفي الحديث أتاه أعرابي بأرنب قد شواها وجاء معها بصنابها أي بصباغها، وهو الخردل المعمول بالزبيب، وهو صباغ يؤتدم به، والصنابي من الإبل والدواب الذي لونه من الحمرة والصفرة مع كثرة الشعر والوبر. وقيل الصنابي هو الكميت أو الأشقر، إذا خالط شقرته شعرة بيضاء، ينسب إلى الصناب.

- صهب:

الصهبة الشقرة في شعر الرأس. قال الأزهري: لون حمرة في شعر الرأس واللحية، إذا كان في الظاهر حمرة وفي الباطن اسوداد. الأصهب من الإبل الذي ليس بشديد البياض، فيخالط بياضه حمرة، والأصهب أقل بياضا من الأدم، في أعاليه كدرة وفي أسافله بياض.

استراحة العدد

بين الحقيقة والزيف!!..



لقد اكتشفتها.. هذه هي الحقيقة.. دعوكم من الضجيج والتشمير عن سواعد الكلمات.. و«سيقان» الحروف.. اكشفوا رؤوسكم للشمس.. واسمعوا أيها السادة: عندما تموت المبادرة الذاتية أو يغتالها الطغيان.. أو تحتجز في زنزانة من حديد.. وحينها يسود الكذب ويعلو النفاق.. فإن المجتمع - أي مجتمع - يقدم نفسه إلى هُوَّة الضياع ويرتضي حكم الهلاك.. سموا الأشياء بأسمائها ولا تبحثوا في هوامش الأمور.. فعندما يكون الحديث اجترارًا لماض قد تولَّى.. أو محاولة تشخيص لظواهر دون النظر إلى أسبابها فإن ذلك استخفاف بالعقول.. وإهدار صريح للزمن واستثمار خاسر في سوق المتاهات..

ليس المهم أن تقول.. تحتسي الشاي على التكايا وتخطب في المجموع.. ولكن الأهم ماذا تقول وإلى أية نتيجة تصل.

★★ الله.. كلامك رائع يا حامد.. ويقول «ديفيد برلو» إن الكلمات التي نستطيع أن نستخدمها، والطريقة التي نضع بها الكلمات مع بعضها تؤثر على الأمور التي نفكر بها وعما إذا كنا نفكر أساساً أم لا.

○ هاه.. عدنا إلى قاعدة قيل وقال.. كأننا كربون أو اسفنجة تمتص ولا تفرز.. يا أخي المهم ماذا تقول أنت.. ولماذا تقول.. وعلى أي أساس من الأهداف تود أن تحقق؟!.. ما الإطار الذي يحكم أقوالك.. لا بد لك من مرجعية..!!

★★ حامد ألم تسمع الذي قال «مدحنا المجنون وأشعل النار في ثيابه».. نحن متفقون مع ما جاء في حديثك.. واسمح لي أرفع راية التأييد.. لكن «أشوفك بالعصا قمت تطرق كل باب.. والبيوت العارفة تُعرف أبوابها»!!

● عفوًا.. أقر وأعترف وأنا بكامل قامتي.. وأنا بكامل صحتي وضخامة جسدي أنك من لم تنجب الأرض أمثاله.. وأنك - بغيث أفكارك - من يروي (عطاشى) العلم والمعرفة.. وأننا أنت وأنا بنعمة نحمد الخالق عليها.. وندعو بكرة وأصيلا أن يديم العافية وراحة البال.

★★ نعم.. ما توقعته حصل.. عد يا حامد إلى سربك.. غرد.. أشد بأنغامك.. وأطرب الخاطر بأحاديثك.. رؤوسنا مالت.. (انهضوا باربعنا يا نمور ويا ذياب..) والعب الطبلة.. وانظر تحت أقدامك.. والذي عقد رؤوس الحبال يحلها!!

د. ساعد العرابي الحارثي

ويأتيك بالأمثال

لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلَّا مُمْسِكًا سَاقا

أصل هذا في الحرباء؛ يشتد عليه حَرُّ الشمس فيلجأ إلى ساق الشجرة يستظل بظلِّها، فإذا زالت عنه تحوَّل إلى أخرى أعدها إلى نفسه، ويقال: بل كلما اشتد حرّ الشمس ازداد الحرباء نشاطًا وحركة، فإذا سقط قرص الشمس سقط الحرباء كأنه ميت، فإذا طلعت تحرّك وحَيِيَ، وإنما يتحول من غصن إلى آخر لزوال الشمس عنه.

ويضرب هذا المثل لمن لا يَدَعُ له حاجة إلا سأل أخرى..

وفي ذلك:

بلت بأشْوَسَ مِنْ حرباء تَنَضُّبَةٍ
لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلا مُمْسِكًا ساقا

من معاني أسماء الأعلام

دُرَيْد: تصغير الترخيم من أدرد، أي الذاهبة أسنانه.

دَعد: حرباء.

زينب: شجر حسن المنظر طيّب الرائحة.

طُخيم: تصغير الترخيم من أطخم، كبش رأسه أسود وسائر جسمه كدر.

عائشة: حسنة الحال

عكرمة: أنثى الحمام

عنترة: ذبابة.

البُحتري: القصير

الشنفرى: سُمي هكذا لحدة طبعه، وأصل اسمه الشِنفارة: أي نشاط الناقة وحدتها

الخنساء: البقرة الوحشية، مؤنث الأخنس وهو ذو الأنف العالي الأرنبة أي الطرف..

المقفع: المتكّس رأسه على الدوام

خالد: مقيم في مكان، شيخ أبطأ عنه الشيب

لغات ذات حروف عربية في أوروبا:

- **القازانية** (روسيا الشرقية).
- **النوكائية** (روسيا الجنوبية).
- **الكوموكية** (ساحل بحر الخزر الشمالي الغربي).

أرقام

شبه الجزيرة

أكبر شبه جزيرة في العالم هي شبه الجزيرة العربية، حيث تبلغ مساحتها ٣,٢٥٠,٠٠٠كم مربع

أطول رواية

تُعد رواية **(الرجال ذوو النية الطيبة)** التي كتبها الأديب الفرنسي **جوول رومان** - المولود سنة ١٨٨٥م - أطول رواية، فقد ألفها صاحبها في **٢٧** جزءًا في الأعوام من ١٩٣٢م حتى ١٩٤٦م..

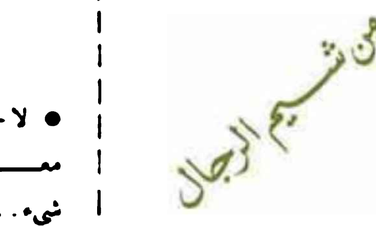
ديوان العرب

تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين، وكلٌّ عنك يأتيني

كل امرئ راجعٌ يومًا لشيمته ... وإن تخلّق أخلاقًا إلى حين

لا أسأل النّاس عمّا في ضمائرهم ... ما في ضميري لهم مِنْ ذاك يكفيني

(ذو الأصبع العدواني)




قيل لقُس بن ساعدة الإيادي:

- ما أفضل المعرفة؟

قال: معرفة الرجل نفسه.

قيل له:

- فما أفضل العلم؟

قال: وقوف المرء عند علمه.

قيل له:

- فما أفضل المروءة؟

قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.



- لا حاجة لي لشراء موسوعة معارف، زوجتي تعرف كل شيء..!!
- بالتأكيد كلنا يفهم مشاكل العصر. لكننا لا نعرف الحل!!



نظر رجلٌ من الحذاق إلى رجل من جُهال الناس عليه ثياب حسنة ويتكلم ويلحن، فقال له:

- تكلم على قدر ثيابك، أو البس على قدر كلامك.





عظة

قال عمرو بن عتبة: لمّا بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي: يا بُني قد تقطّعت عنك شرائع الصِّبا فالزم الحياء تكُن من أهله، ولا تزايله فتعطل منه، ولا يغرّنّك من اغترّ بالله فيك فمدحك بما ليس فيك، فإنه من قال فيك من الخير ما يعلم إذا رَضي، قال فيكَ من الشرّ مثله إذا سخِط، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من عواقبهم.

بطولات!!..



بعد توراة موسى - في العهد القديم اليهودي - تأتي سيرة يوشع بن نون، أول من عبر الأردن متجهًا إلى فلسطين، حيث استولى أولاً على أريحا، كبرى مدن البحر الميت، حوالى عام ١٤٥٠ ق. م.. وأحست فلسطين بخطر أولئك الغزاة، وهبّ كل أمير منهم يتصدى لبني إسرائيل الذين راحوا يتسربون إلى البلاد وينتشرون فيها، ويفرضون وجودهم الكريه على أهلها، على الرغم من المقاومة القوية التي قوبلوا بها.

وبعد موت يوشع (حوالي عام ١٤٢٥ ق. م) ظهرت في بني إسرائيل فئة من المحاربين اشتهروا في التاريخ باسم (القضاة)، ولا علاقة لهم بالقضاء ولا بالتوراة ولا بالشريعة الموسوية، وإنما كانوا منسقين للإرهاب الإسرائيلي في فلسطين، أقرب ما يكونون إلى فرسان الأساطير في كل الأمم: أخيل، هرقل، عنترة، أبي زيد الهلالي، آل كابوني وأمثاله من عصابات (المافيا) في الوقت الحاضر، كل همها القتل والهدم وإحراق المدن والقرى والمزارع، وسرقة الماشية وإفشاء الرعب بين الآمنين. وتعاصر أولئك المغاوير، أو تعاقبوا، لا يقيمون وزنا للدين ولا للأخلاق. وكان عددهم خمسة عشر، أولهم (عُثنيئيل) وآخرهم (عبدون) فكثر الكفر والشرك بين هذه الرعية المارقة «إذا مات القاضي كانوا يرجعون إلى الفساد أكثر من آبائهم فيتبعون آلهة أخرى يعبدونها ويسجدون لها» - سفر القضاة ٢ : ١٩.

وتحولت قصص القضاة ومغامراتهم إلى أساطير، ثم حرص اليهود على تدوينها بعد ذلك بألف سنة، أي في فترة السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، وبسرعة تحولت عندهم إلى نصوص مقدسة، لها في اعتقادهم صفة كلام الله المنزل، ولاصحابها هذه البطولات المذهلة، التي اكتفى منها اليوم بقصة (يفتاح) عاشر أولئك القضاة. يقول سفر القضاة: ١١ «وكان يفتاح الجلعادي بطلا مغوارًا، وهو ابن امرأة عاهر ولدته لجلعاد!» وعندما مات أبوه جحده إخوته حرصا على الميراث، فهرب منهم إلى البرية حيث انضم إليه عدد من الأشقياء يعملون معه في الإفساد في الأرض. وذات مرة هجم العمونيون (الأردنيون) على بني إسرائيل وهزموهم هزيمة منكرة. وفكر شيوخ اليهود في الاستنجاد بالفتى يفتاح، فلما وفدوا عليه قال لهم «ألم تبغضوني وتطردوني من بيت أبي؟» فأجابوه بأنهم اختاروه رئيسا عليهم، بعد أن فرض عليهم طاعة أوامره كلها طاعة عمياء. وبعد مفاوضات مرهقة مع ملك العمونيين، سار إليه يفتاح محاربًا، ونذر إن انتصر أن يقتل كل إنسان يراه خارجا من باب بيته عند عودته. والوصايا العشرة المتواترة عن موسى عليه السلام تقول (لا تقتل)، ولكن أنّى لزعيم (المافيا) يفتاح أن يعرف وصايا موسى؟ وأخيرا وصل إلى بيته فكان أول من رآه ابنته هو! وهمّ بقتلها وهو يبكي، فطلبت منه أن يمهلها شهرين لتنوح على نفسها هي وصديقاتها، ثم قتلها بعد ذلك! فصار تقليدا عند بني إسرائيل أن تخرج الصبايا الأبكار كل سنة للبكاء أربعة أيام على بنت يفتاح!

أ. د. حسن ظاظا

طبيبك

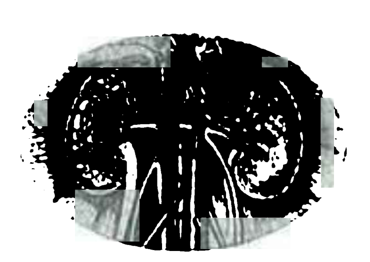
عيادة

طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفيصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصيي «مستشفى دلة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم.. ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة..

الفشل الكلوي

من القاهرة بعث القارئ سالم أحمد أبو المعاطي إلى المجلة، يقول:

- نسمع ونقرأ كثيرًا عن الفشل الكلوي.. كذلك نشعر بمعاناة بعض معارفنا من هذا المرض، أرجو إعطائي فكرة عن الفشل الكلوي، وهل هناك سن معينة يكون الإنسان في أثنائها أكثر عرضة لهذا المرض؟



وبإحالة السؤال إلى **الدكتور قتيبة عبدالحليم المتولي** استشاري جراحة المسالك البولية والتناسلية في «مستشفى دلة» أجاب قائلا:

الفشل الكلوي: يعني عجز الكليتين عن القيام بوظائفها الطبيعية إما بصورة مؤقتة قابلة للشفاء الطبيعي أو بصورة مزمنة غير قابلة للعودة إلى الحالة الطبيعية السابقة للمرض وعلى هذا فالفشل الكلوي نوعان: **فشل حاد مؤقت، وفشل مزمن دائم.**

أما وظائف الكلية بصورة عامة فهي:

١ - وظائف الإفراز Excnetory

٢ - وظائف كيماوية Metabolic

٣- وظائف هرمونية Endocine

ولا توجد سن معينة خاصة للإصابة بهذا المرض، فكل الأعمار معرضة له من الأطفال الصغار تحت سن خمس سنوات حتى الأعمار المتقدمة كلها معرضة للفشل الكلوي المزمن لسبب أو لآخر.

كذلك الحال بالنسبة للجنس فالرجال والنساء معرضون للإصابة به دون تمييز.

أما نسبة حدوثه فهي حوالى ٥٠ حالة بالمليون في السنة.

وعن أسباب الفشل الكلوي المزمن يضيف الدكتور قتيبة عبدالحليم؛ قائلا:

- من طبيعة هذا المرض أن يحدث بطريقة بطيئة جدا وعلى مدى فترة طويلة تصل إلى عدة سنوات أحيانًا ولهذا يصعب أحيانًا عند ظهور أعراض هذا المرض بصورة واضحة معرفة الأسباب التي أدت إلى حدوثه في البداية لمرور زمن طويل عليها ونتيجة للتغيرات التي تحدث في الكلية أثناء هذه الفترة.

وهناك أسباب متعددة تؤدي إلى تلف في خلايا الكليتين، بحيث إن ما يتبقى من خلايا سليمة عاملة في الكليتين لا يكفي للقيام بالوظائف الطبيعية للكليتين فتظهر أعراض الفشل الكلوي المزمن، وهذه الأسباب هي:

١ - أسباب خلقية ووراثية مثل مرض الكلية متعددة الكيسات Polygstic Kideny وبعض الأمراض الوراثية النادرة.

٢ - التهابات الكليتين التي لها علاقة بجهاز المناعة حيث ينتج الجسم أجساما مضادة خلايا الكلية مما ينتج عنه تدمير خلايا الكلية وبصورة مستمرة.

٣ - مرض ارتفاع ضغط الدم Essential Hypertentiv

٤ - مرض السكري

٥ - التهابات الجهاز البولي الميكروبية وهذه تؤثر بصورة خاصة على الأطفال والنساء في فترة الحمل.

٦ - التهاب الكلية المسبب عن سوء وكثرة استعمال الأدوية المسكنة ولفترة طويلة من الزمن.

٧ - حالات الانسداد في المسالك البولية كالكليتين والحالبين كما يحدث في حالات حصو الكليتين والتي تحدث في كلا الجهتين ويهمل علاجها لفترة طويلة من الزمن.

عدسات ملونة

القارئ مشعل محمد إبراهيم (الطائف - المملكة العربية السعودية) بعث إلى الصفحة، يقول:

بعد شكر الله ثم القائمين على هذه الزاوية الطبية في مجلتنا الحبيبة التي تقدم الثقافة الصحيّة المتنوعة والمبسطة للقراء؛ أتمنى الإجابة على سؤالي التالي من خلال إخصائي «مستشفى دلة» وسؤالي هو:

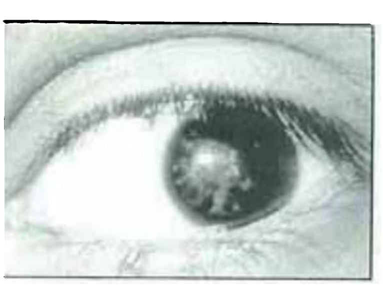
هل هناك ضرر من العدسات اللاصقة الملونة على العين؟

وقد أجاب على هذا السؤال الدكتور محجوب البشير سليم إخصائي العيون بالمستشفى:

العدسات الملونة مثلها مثل العدسات الشفافة، إذا وصفت للشخص المناسب بواسطة الطبيب المختص **ليس فيها أي ضرر على** العين برغم المعتقدات الخاطئة عند كثير من الناس في تصور خطورة تأثيرها على العين.

فنرى أن شهرة استعمال العدسات اللاصقة قد فاقت حد التصور، فحوالى ثلاثين مليون أمريكي يستعملون العدسات هذه.

عموما قد تكون العدسات أكثر فائدة في بعض الأحيان كقصر النظر الشديد وحالات القرنية المخروطية (عدسات صلبة) وأحادية اللاعدسة



وإن كانت النظارات الطبية أكثر شهرة وأكثر أمانة وأكثر تفصيلاً.

لكن العدسات لها محاسنها واستعمالاتها كما أسلفت فهي زائدًا على الاستعمالات الجمالية - كما عند النساء - تؤمن حقل رؤية واسع مع عدم تصغير في الخيال الشبكي



المصـاحب لتصحيح قصر النظر بـالنظـارات الطبيـة حيث يـرى الشخص الصـورة أصغـر من الحقيقة.

وكفكرة عامة لقراء «الفيصل» فالعدسات الملونة تتكون من نوعين: -

١ - العدسات الملونة تلوينًا خفيفًا (Tinted C.L) حيث يتراوح التلوين من ١٠ إلى ٢٠٪ فلا يغير لون العين بدرجة ملحوظة وهذا النوع يُستحسن عند شُقر العيون والبشرة.

٢ - العدسات الملونة تلوينًا يدويًا Hand-painted C.L حيث لها القدرة على تلوين العين تلوينا كاملاً وتغيير لونها الأساسي إلى لون العدسة الذي اختير بواسطة الشخص ومنها أنواع كثيرة بالأسواق، قصيرة مدى اللبس أو طويلته Extended Wear ، وفرصة الاختيار للألوان أكثر وهي أكثر متانة واحتمالا ولونها ثابت لكنها أغلى ثمنًا وتأتي عادية وطبية أي معدلة للضعف.

عمومًا اختيار الشخص المناسب للبس العدسات اللاصقة وبواسطة الطبيب المختص الكاشف لعدم موانع لبس هذه العدسات واهتمام المريض بنظافة العدسة والوجه واليدين عند استعمالها يقلل من احتمال ظهور أي ضرر ويطيل لبس العدسة ملونة كانت أو شفافة.

المحافظة على الأسنان

من الجزائر العاصمة بعث الأخ بن علوان محمدي يسأل عن طرق المحافظة على الأسنان:

وأجاب الدكتور عبد الحميد عيسى مدير قسم الأسنان «بمستشفى دلة» قائلا:

بداية أقول: «فم سليم» يعني «جسم سليم»

تلك مقدمة لا بد منها قبل أن نتطرق إلى طرق المحافظة على الأسنان، وأرى أن نعرف قيمة الأسنان؛ ذلك الجهاز المكون من اثني وثلاثين جزءا يفرط فيه الكثير منا دون أن يعرف قيمة ما يفرط فيه فيتم الإهمال أو الكسل وفي بعض الأحيان الخوف.

إن أول خطوات الهضم تبدأ من الأسنان بطحن الطعام وتمهيده للعصارات الهضمية وكذلك الكلام يعتمد أكثر مخارجه على وجود الأسنان أما تأثر جمال الوجه بوجود الأسنان فذلك ما يكتشفه الجميع بعد أن يفقد بعض أسنانه. خلاصة القول إن الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

والآن نعود لسؤال القارئ العزيز: كيف نحافظ على الأسنان؟

أولا: الوقاية وهي تتطلب ما يلي:

١ - غسل الأسنان بالفرشاة والمعجون صباحًا ومساء.

٢ - الإقلال من تناول الحلوى والعصائر خاصة للأطفال وبعد تناولها تنظف الأسنان جيدا.

٣ - إضافة الفلورين لماء الشرب وهو موجود بالفعل في المملكة وكذلك الفلورين الموضعي وهو يتم بواسطة طبيب الأسنان.

٤ - زيارة طبيب الأسنان كل ستة أشهر للكشف وإزالة الرواسب الجيرية وكذلك المبادرة بعلاج أي تسوس في وقت مبكر.

ثانيا: العلاج:

مما لا شك فيه أن العلاج المبكر عامل هام في المحافظة على الأسنان، وهنا نتناول التطور الباثولوجي الذي يبدأ بتسوس الأسنان ثم يقترب التسوس ويصل للعصب ثم يسبب التهاب ويكون خراجاً أو كيساً بالفك ثم يتسبب في تآكل عظام الفك المحيطة بالسن وينتهي بالخلع الذي يؤدي إلى اعوجاج بالأسنان المحيطة والمقابلة.

وهنا لا يجب أن نفقد الأمل في العلاج ولكن العلاج المبكر يؤدي لنتيجة أفضل بمعنى أن الحشو للضرس المتسوس مبكرًا يقي عصب السن.

وكذلك علاج العصب مبكرًا يقي من تكون خراج أو كيس بالفك وعلاج هذا الأخير يقي من تآكل العظام المحيطة والخلع.

وإذا اضطر المريض خلع الضرس فإن تركيب بديل يقي الأسنان المحيطة والمقابلة من الاعوجاج عند الكبار.

وعند الأطفال كذلك تركيب حافظة مسافة محل ضرس تم خلعه مبكرًا يقي من اعوجاج وتراكم الأسنان.

نعود ونكرر أن زيارة طبيب الأسنان بانتظام هي خير وسيلة للحفاظ على الأسنان سليمة.

ردود خاصة

الأخت دلال عبدالرحيم - حلب - سوريا

الأخت ليلى جمال الليل - مكة المكرمة

الأخ عبدالصمد عبدون - القاهرة

رسائلكم وصلت وهي محل عنايتنا، وقد عرضت على الأطباء المختصين وسوف تطالعون الإجابات عليها في الأعداد القادمة بإذن الله وشكرًا.

الأخ محمد الرماحي - الرياض.

الرجاء الكتابة على وجه واحد من الورقة وبخط واضح. وشكرًا

الأخت ليلى حامد العمودي - جدة:

أحلنا سؤالك عن «التقشير» إلى الطبيب المختص وأفاد أن السؤال غامض ومتناقض. نرجو الكتابة إلينا مرة أخرى بتوضيح للسؤال. مع تحديد مكان الإصابة وإرفاق صور للتحاليل الطبية إن أمكن. وشكرًا.

العطاء والوفاء

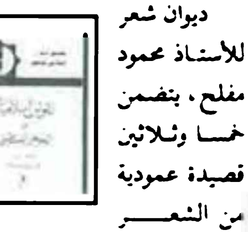


كتاب إعلامي وثائقي بعنوان (العطاء والوفاء) يقدم إضاءات إعلامية عن مركز الأمير سلمان الاجتماعي للمسنين..

وقد طبع بدعم وتمويل من مؤسسة الجريسي لخدمات الكمبيوتر كمبادرة في دعم المشاريع النبيلة الرامية إلى خدمة المجتمع والوطن، وهو يعتبر الإصدار الخامس لدار طويق للخدمات والنشر والتوزيع بالرياض في إطار سلسلة الكتب الإعلامية التي تصدرها حول المناسبات الوطنية ومراكز الخدمات الاجتماعية والمشاريع الإنسانية في المملكة.

يحتوي الكتاب على ١١٤ صفحة من القطع المتوسط ويتناول المشروع منذ أن كان مجرد فكرة تحت الدراسة والتخطيط تدور في أذهان أهل الخير من أبناء المملكة لتكريم سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في مشروع خيري كبير، كما توضح صفحاته الفرق بين مشروع المركز بوصفه ناديا اجتماعيا وليس مركزا إيوائيا ومراكز الخدمات الاجتماعية الأخرى..

نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني



ديوان شعر للأستاذ محمود مفلح، يتضمن خمسا وثلاثين قصيدة عمودية من الشعر العربي الفصيح، ويقع في أربع وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

تدور موضوعات القصائد حول القضية الفلسطينية بصفة عامة والانتفاضة بصفة خاصة. الكتاب صادر عن دار الوفاء للطباعة والنشر وهذه هي طبعته الأولى عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١. يقول الشاعر في القصيدة الرابعة عشرة:

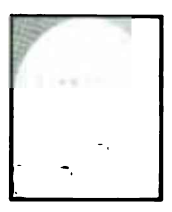
أنتم حجارتكم قد فجرت حمماً

وأنجبت في الليالي السود أقمارا

سيروا على بركات الله وانطلقوا

وحطموا الوحش أنيابا وأظفارا

غرّد يا شبل الإسلام



عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» صدر للأستاذ محمود مفلح ديوان شعري يتضمن مجموعة من القصائد كتبها للأطفال.

تُعد هذه القصائد المجموعة الشعرية الأولى التي ينشرها مكتب الرابطة للبلاد العربية في سلسلته الشعرية.

تحتوي المجموعة على أربع وثلاثين قصيدة مقسمة إلى مجموعات؛ منها: أناشيد الأبطال، وأناشيد ترحيبية في الحفلات المدرسية وغيرها..

يقع الكتاب في ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط.

هنا كان صوتي وعيناك يلتقيان



ديوان شعر للشاعر حسين علي هنداوي يقع في أربع وستين صفحة من القطع الصغير، تتنوع قصائده بين العمودي وشعر التفعيلة والشعر الحر..

قدم الشاعر ديوانه بقوله:

الشعراء ليسوا شياطين، إنهم بشر يتلقون مواهبهم من عالم الظل.

ألوان من قلب إنسان



أصدر الأستاذ فيصل أكرم على نفقته الخاصة هذه المجموعة في طباعة فاخرة تضم مجموعة من القصائد العربية العموديّة، يقع الكتاب في خمس وسبعين صفحة من القطع الصغير وهذه هي طبعته الأولى. وقد صدرت عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

وردة الشمال

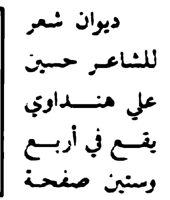


عشرة أيام في استوكهولم بالسويد عاشها الشاعر المصري **أحمد هريدي** كانت أول مشاهداتها فيها كارل جوستاف ملك السويد وهو يصافح فاطمة وأم كلثوم ابنتي نجيب محفوظ ويسلمها - نيابة عن والديها - جائزة نوبل في الأدب.. بعدها تكاثفت الانطباعات والأفكار والصور في ذهن الشاعر، فكان هذا الكتاب في أدب الرحلات إطلالة شاعرية عربية على الشمال الأوروبي.. يختتم المؤلف كتابه قائلا:

«أيها الأبيض الجميل: هل تدلني على وردة الصقيع التي لا تتغير رائحتها بتغير الفصول والأسماء؟..

صدر في القاهرة.

قلبي أنا



ديوان شعري جديد للشاعر خليل فواز صدر عن هيئة الكتاب المصرية بالقاهرة يتضمن عددا من القصائد الرومانسية، منها: «لا ترحلي» و«لست ندك» و«غنائية» و«قلبي أنا» التي يقول فيها:

لاَ تَقُلْ لِي حُبُّنَا

واللَّيالي بَيْنَنَا

لاَ تُذَكِّرْنِي حبيبي

بالَّذي مَرَّ بِنَا

فالذي أغدق في الحب أنا

والذي أخفق في الحب أنا

والذي حطمه طول الضنى

لم يكن قلبَكَ.. بَلْ قلبي أنا

ديوان الانتفاضة



مائة وإحدى عشرة قصيدة لشعراء من العالم العربي تدور حول الانتفاضة الفلسطينية، جمعها وقدم لها الدكتور **أحمد موسى الخطيب** أستاذ الأدب الحديث المساعد بكلية التربية بجامعة الملك فيصل (سابقا) وصدرت عن منشورات لجنة الكتاب الصحفيين الفلسطينيين بسفارة فلسطين بالرياض بعنوان (ديوان الانتفاضة) باعتبار أن أطفال الحجارة قناديل فلسطين ونجومها وأقمارها والأمل الخارج من رحم اليأس..

ردود قصيرة

● **الأخ بو زرور عبد اللطيف ـ الدار البيضاء ـ المغرب :**

الأخ فاطمي رابح ـ عين طارق ـ الجزائر :

نرحب بكما صديقين للمجلة . ونحيطكما علماً بأن «الفيصل» ليس فيها ركن التعارف .

● **الإخوة والأخوات : مريم مسعودي وزينب أو بختة وأحمد العشاشي وحراش العياشي ـ الجزائر .**

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص لإجراء اللازم ، شاكرين لكم اهتمامكم بالمجلة والكتابة إليها .

● **الأخ حسام عبد الحميد فاضل ـ الزقازيق ـ مصر :**

الاشتراك في المسابقة مرتبط بوقت صدور العدد الذي يتضمن أسئلة المسابقة ، ولا تقبل الإجابات بعد انتهاء المهلة المحددة لكل مسابقة شهرية . أما المساعدة التي تنشدها فليست من اختصاص المجلة . نرجو المعذرة وشكراً .

● **الأخ عمر الفاروق أحمد إمام ـ كوماس ـ غانا :**

مشاعرك النبيلة تجاه المجلة محل اعتزازنا وتقديرنا ، ونرجو أن نكون دائماً عند حسن ظن قرائنا الأفاضل . وجزاك الله خيراً .

● **الأخ لشهب يحيى ـ برج بوعد بريج ـ الجزائر :**

المجلة ليس فيها ركن هواة المراسلة والتعارف ، ولذلك لا يمكن أن نحقق لك رغبتك التي عبرت عنها في رسالتك . وشكراً على ثقتك في «الفيصل» .

● **الأخ سرسوري عبد القادر ـ فاس ـ المغرب :**

شكراً على اهتمامك بمراسلة المجلة . القصيدة التي أرسلتها ليست بالمستوى المأمول . نرجو أن نحظى بما هو أفضل . وأهلاً بك .

● **الأخ محمد بن سعد الكنعان ـ الرياض :**

المعلومات التي طلبتها عن مجلدات «الفيصل» في طريقها إليك . نأمل التواصل وشكراً .

● **الأخ عمر بن حراث ـ أرزيو ـ وهران ـ الجزائر :**

نشكرك على ما تضمنته رسالتك من مشاعر كريمة ومعانٍ عظيمة سائلين الله تعالى أن يديم بيننا جميعاً المودة والإخاء . وللإحاطة فإن مجلة «الفيصل» ليس فيها ركن للتعارف .

● **الأخ محمد عبد فطايري ـ دمشق ـ سورية :**

نعتذر عن عدم تلبية الطلب لكونه ليس من اختصاصنا ، وشكراً على حسن ظنك بالمجلة .

● **الأخ محمود عبد الحفيظ إسماعيل ـ قنا ـ مصر :**

كلماتك الطيبة عن المجلة نعتز بها . أما طلبك فهناك قنوات معروفة يمكن من خلالها تحقيق ذلك ، وأهلاً بك .

القصيدة اليتيمة والدوقلة

نشرت «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق في الجزء الرابع من المجلد الستين (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٥م) مقالة للأستاذ عبد القادر زمامة بعنوان (القصيدة اليتيمة والدوقلة) .

ثم نُشرت المقالة نفسها على صفحات مجلة «المناهل» بالمغرب في عددها الثالث والثلاثين (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥م) .

ويبدو أن هذه المقالة من المقالات التي رُزقت الحظوة والسعادة ، فقد طالعتنا بعد سنوات على صفحات مجلة الفيصل في عددها الحادي والخمسين بعد المئة (المحرم ١٤١٠هـ ـ آب / أغسطس ١٩٨٩م) منسوبة إلى الدكتور ناول عبدا الهادي .

وتمضي الأيام لنعود فنقرأ على صفحات مجلة «عالم الكتب» في العدد الرابع من المجلد الثالث عشر (ربيع الآخر ١٤١٢هـ ـ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩١م) المقالة نفسها منسوبة إلى الدكتور ناول عبد الهادي .

ولست على يقين من أني أحصيت المواضع التي نشرت فيها المقالة السعيدة كافة فإني لست من المتتبعين لما يُنشر في المجلات جميعاً ، ولكني على يقين من أن كل مجلة من هذه المجلات التي ذكرتها آنفاً تشترط على كُتّابها أن يوافوها بالجديد المبتكر من المقالات ، الذي لم يُنشر من قبل .

وليس الأمر هاهنا قاصراً على مقالة نُشرت غير ما مرة ، بل يُضم إلى ذلك أنها مقالة قد تنازعها اثنان : ناشرها الأول الأستاذ عبد القادر زمامة ، وناشرها الثاني الدكتور ناول عبد الهادي . فمن صاحب المقالة الحق؟ وإلى مَنْ ننسبها؟

كان النقاد العرب ، الذين عُنوا بنقد الشعر خاصة ، يتوقفون عند باب أسموه باب (السرقة) ، يكشفون فيه ما للشاعر من معانٍ منقولة مستعارة من سابقيه .

ومما ذكروه في هذا الباب أن بعض الشعراء سطا على شعرٍ أعجبه ، فادّعاه وألحقه بشعره ، ولما عوتب في ذلك قال : «خير السرقة ما لا يجب فيه القطع» .

فهل يصدق هذا الشعار على المقالة السعيدة؟

أرجو وآمل أن نلتزم الصدق في أعمالنا ، وألا ندعي ما ليس لنا . وقديماً قال الشاعر لمن سرق شعره :

اردُد علينا الذي استعرت وقُلْ   قولك يُعرَف لغالب غَلَبَهْ

د. شاكر الفحام

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء

الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى.

أجوبة مسابقة العدد (١٨١)

ج ١ : أسماء المدن التي نشرت عنها المجلة في باب «أماكن لها تاريخ» : نيويورك . . مدينة كل شيء، العريس . . أرض الفيروز، لشبونة . . المدينة التي أقام المسلمون فيها ثلاثة قرون، نوّة . . أقدم مدن دلتا النيل، بورصا الخضراء - أول عاصمة للدولة العثمانية .

□ □ □

ج ٢ : الأدباء الذين نشرت عنهم المجلة في «حوار الخطوط المتوازية» هم : الشاعر مقبل العيسى - د. عبدالله الغذامي، الشاعر عبدالله بن خميس - الناقد يحيى المعلمي، الشيخ محمد الغزالي - الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، أحمد فيشلاني - الروائي بشار كمال، الشاعر عبدالله بن إدريس - د. عزالدين إسماعيل، د. رشدي فكار - د. حلمي القاعود، د. إبراهيم عبدالرحمن - د. عبدالباسط بدر.

□ □ □

ج ٣ : أسماء الذين نشرت لهم الفيصل في «تجربتي مع» و «من تجاربهم» : د. غازي القصيبي، د. منصور الحازمي، عبدالتواب يوسف، د. عبدالله محمد الغذامي، د. أحمد كمال زكي، د. حسين مؤنس، د. عبدالله باقازي، حسن عبدالله القرشي، حسن محمد كتبي، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، عباس محمود العقاد، عبدالعزيز مشري.

□ □ □

ج ٤ : الموضوعات التي نشرت ضمن باب «حقائق . . وغرائب» : طائر المطر الأفريقي، أسماك السفن، طنان النحل، القدرة العلاجية للجنسة البرية، بث نووي مستمر في مركز الشمس، حجر أخضر . . اسمه الزمرد، باقة زهور من عجين الأرز الملون، قرية توقف عندها الزمن، أنثى الدب الأسمر، رقصة النحلة الألكترونية .

□ □ □

ج ٥ : عناوين دوائر المعارف التي نشرتها المجلة : شاعرات أندلسيات، مخترعون غربيون، أعلام القراء والمجودين، شعراء أوروبيون، حيّات، طب الأسنان، علوم الجيولوجيا، أديبات سوريات معاصرات، شعراء سودانيون معاصرون، جغرافيون إسلاميون رحالة، أمراض الأطفال، في الفلك والفيزياء الفلكية .

ونود أن نوضح للإخوة المتسابقين والأخوات المتسابقات، أن لجنة المسابقة رأت - كالمتبع - إيراد كافة المعلومات المتعلقة بالإجابة على أسئلة المسابقة؛ باعتبار أن هناك خيارات متعددة، الهدف منها توفير قدر من التسهيلات للمشاركين؛ لذلك فكل من أجاب في حدود شروط المسابقة تعتبر إجابته صحيحة، مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .



● نتائج مسابقة العدد (١٨١) ●

● فازت بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت هدى عبدالعزيز فالح العثمان، المزاحمية، المملكة العربية السعودية.

● وفاز بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخ الطاهر بن الهادي بن عمر غَرَب، سوسة، الجمهورية التونسية

● وفازت بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت آية بهاء الدين أحمد سعد، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

□ □ □

● وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من المملكة العربية السعودية، جيزان، الأخ عبده علي حسن العمري الفيفي.

من السودان، الخرطوم، الأخت سهام محمد الحسن محمد.

من مصر، القاهرة، الأخ ياسر محمد حسن سعد.

من الأردن، عمّان، الأخت دعاء أمين الزق.

من لبنان، بيروت، الأخ أحمد عارف الفاني.

من المملكة العربية السعودية، الرياض، الأخ بندر خليفة عبدالله الخليفة.

من المغرب، سطات، الأخت مليكة دحاني.

□ □ □

● إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من المملكة العربية السعودية، الرس، الأخ أرشيد عبدالله أرشيد الأطرم.

من السودان، الخرطوم، الأخ آدم أحمد أصيل.

من المغرب، مراكش، الأخ عبدالرحمن آيت وارهام.

من الجزائر، وهران، الأخ طارة يوسف.

من مصر، دقهلية، الأخ عبدالمجيد عبدالرؤوف السيد.

من سورية، دمشق، الأخت ديبة زياد شما.

من الباكستان، السند، الأخ عبدالحق حقاني.

من البحرين، المنامة، الأخت سميرة عبدالكريم العليوات.

من اليمن، ذمار، الأخ لطف حسين محمد دادية.

من الجزائر، الجلفة، الأخت خضرة تونسي عبد الرزاق.

مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشاركين في المسابقات القادمة.

أسئلة مسابقة العدد (١٨٨)

● السؤال الأول:

كم مرة ورد ذكر شهر رمضان في القرآن الكريم؟

□ □ □

● السؤال الثاني:

من أول فدائية في الإسلام؟

□ □ □

● السؤال الثالث:

عالم أندلسي، اشتهر بمذهبه الفقهي الذي اقترن باسمه. توفي عام ٤٥٦هـ؛ من أشهر مؤلفاته «المحلّى»، «الفصل في الملل والأهواء والنحل» من هو؟

□ □ □

● السؤال الرابع:

أين يوجد أضخم تمثال في العالم؟

□ □ □

● السؤال الخامس:

يعد أول روائي عربي؛ حيث نشر روايته «زينب» عام ١٩١٤ بتوقيع «فلاح مصري» من هو؟

□ □ □

متابعة شاملة للحركة الثقافية وبجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

- ☐ ندوة للتعليم الجامعي والبحث العلمي في دول الخليج
- ☐ موسوعة عن الرياضة في المملكة العربية السعودية
- ☐ هكذا رسم الرحالة صورة مصر في الماضي..
- ☐ معرض للآثار الإسلامية في وارسو..

السعودية

افتتاح مركز ثقافي للعسكريين


الأمير سلطان بن عبدالعزيز

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن عبدالعزيز** النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، والمفتش العام في منتصف ذي الحجة الماضي **مركز مدينة الملك فيصل الثقافي** التابع لإدارة الشؤون العامة بالقوات المسلحة في المنطقة الجنوبية.

حضر الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير **خالد الفيصل** أمير منطقة عسير، وعدد من أصحاب السمو الأمراء وكبار المسؤولين في المنطقة مدنيين وعسكريين.

وقام سمو **الأمير سلطان** ومرافقوه عقب الافتتاح بجولة داخل معرض الثقافة العسكرية المقام بالمركز، والذي يسجل مراحل تطور القوات المسلحة بالمنطقة، فضلاً عن مجموعة كبيرة من الأسلحة والدروع.

ويذكر أن المركز **يضم مكتبة كبيرة ملحق بها أرشيف خاص بالمجلات الدورية المتخصصة في الشؤون العسكرية، والصحف اليومية، فضلاً عن استديو للتصوير والمونتاج التلفازي، والتصوير الفوتوغرافي، وقسم للخط العربي.**

إقرار برنامج ملتقى أبها الثقافي



الأمير خالد الفيصل

أقر صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير في اجتماع عقدته اللجنة الرئيسية للتنشيط السياحي بالمنطقة برئاسة سموه **برنامج ملتقى أبها الثقافي الثالث** المقرر إقامته في الخامس عشر من ربيع الأول ١٤١٣هـ.

يتضمن البرنامج العديد من المقترحات والأفكار الجديدة التي ترقى بمستوى الملتقى، حيث يشمل العديد من الأمسيات والندوات، **إلى جانب معرض الكتاب، وإعلان أسماء الفائزين بجائزة أبها الثقافية، وعرض شعبي.**

يحضر المهرجان نخبة من مثقفي وأدباء المملكة العربية السعودية والمقيمين بها.

تليفزيون الشرق الأوسط يشتري يونايتد برس

بات من المؤكد - حتى لحظة كتابة هذه السطور - **فوز مركز تليفزيون الشرق الأوسط بصفقة شراء وكالة أنباء يونايتد برس أنترناشيونال ثاني أكبر وكالة أنباء أمريكية مقابل ٣,٩٥ مليون دولار.**

وكانت الوكالة التي أنشئت قبل ٨٥ عامًا قد تعرضت لخسائر وأوشكت على الإفلاس، وعرضت للبيع.

ويعد مركز تلفزيون الشرق الأوسط - في حالة فوزه بالصفقة - المالك الخامس للوكالة، وقد بدأت مجموعة عمل من المركز مع الإدارة الحالية تحديد نقاط الضعف المطلوب تلافيها لاستمرار عمل الوكالة.

وكان المدير التنفيذي للمركز الدكتور عبدالله المصري قد صرح بأن المركز يعتزم المحافظة على عالمية الوكالة في حالة إتمام الصفقة، وأشار إلى أن **الوكالة ستفتح مكتبًا لها بالرياض**، وينتظر أن تولي اهتمامًا للمشكلات العالمية مثل البيئة وقضايا الشرق الأوسط.

شروط جائزة ثقافة الطفل


الأمير فيصل بن فهد

ينتظر أن تعلن قريبًا التنظيمات الخاصة بجائزة «الأمير فيصل بن فهد لثقافة الطفل» بعد أن أوشكت دراساتها على الانتهاء.

وقامت لجنة مكونة من خبراء في شؤون ثقافة الطفل العربي بوضع لائحة شروط الجائزة.

وسوف تمنح الجائزة للمبدعين من الأطفال بين ٨ - ١٢ عامًا في مجالات القصة والمسرح والشعر والفنون التشكيلية والتصوير، والمقالة.

الطيران العربي - مجلة جديدة


محمد صلاح الدين

صدر العدد الأول من مجلة «الطيران العربي»، وهي مجلة فصلية متخصصة في علوم الطيران والفضاء وصناعة النقل الجوي، تصدر عن شركة الطيران العربي المحدودة.

وقد جاء في افتتاحية العدد الأول أنه «اشتدت الحاجة في الفترة الأخيرة إلى مجلة متخصصة تستطيع



تحمل مسؤولية الرسالة التي تضطلع بها، وتقدم للقارئ أفضل الآراء والمعلومات في مجالات صناعة الطيران المتعددة، بشقيه المدني والعسكري، في وقت تواجه فيه شركات طيران عربية عديدة مهمة إعادة بناء أساطيلها، وتعمل فيه دول عربية أيضًا على تطوير قدرات قواتها الجوية... على تحديث مطاراتها ومجمل بنيتها الأساسية في هذا القطاع المهم».

وتعد المجلة إضافة نوعية جديدة للصحافة العربية المتخصصة، وقد حفل العدد الأول بموضوعات هامة من أبرزها: عيون الفضاء تخترق حجب الأرض للدكتور فاروق الباز، الأقمار الصناعية والمراقبة الجوية، صناعة النقل الجوي في ظل النظام العالمي الجديد، حرب الخليج فرضت تكتيكات جديدة لتحييد المطارات وقصف المواقع المحصنة.

أما العدد الثاني الذي يتزامن صدوره مع صدور هذا العدد فيحتوي على ملف عن «الطيران الغربي في التسعينيات» وموضوعات عديدة منها: العالم الثالث وصناعة الطيران، الدفاع الأوروبي بعد زوال الشيوعية قاعدة استيطانية على سطح القمر.

يشرف على تحرير هذه المجلة ونشرها الكاتب والناشر الأستاذ **محمد صلاح الدين** الذي سبق أن قدم إصدارات صحفية متخصصة قبل سنوات مثل: الدفاع الإسلامي بالعربية، وأربيا بالإنجليزية.

ندوة التعليم الجامعي والبحث العلمي في دول الخليج

يعتزم مركز دراسات الخليج العربي بجامعة الملك سعود في الرياض تنظيم ندوة عن «التعليم الجامعي والبحث العلمي في دول مجلس التعاون الخليجي».

تحدد موعد الندوة - مبدئيًا - بمطلع العام الدراسي الجديد ١٤١٣هـ.

يذكر أن المركز الذي يتبع كلية العلوم الإدارية بالجامعة يسعى إلى إيجاد مركز علمي متخصص يهتم بمختلف شؤون الخليج، ويؤمن المعلومات والدراسات الخاصة بالمنطقة، للاستفادة منها في رسم الخطط المستقبلية لدولها ووضع السياسات المطلوبة في هذا المجال وفقًا لأسس علمية.

مسابقة في الشعر والقصة

حددت اللجنة الثقافية **بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في المدينة المنورة** آخر شهر صفر الجاري موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات في مسابقتها الثقافية الكبرى التي تشمل الشعر والقصة القصيرة.

تحدد موضوع مسابقة الشعر في الموضوعين التاليين: **موقف إنساني نبيل، أو رؤية عربية إسلامية متميزة للحاضر والمستقبل.**

أما القصة القصيرة فقد اشترط أن **تستمد من واقع البيئة** وتدور أحداثها حول التطور الاجتماعي والثقافي الذي شهدته المملكة خلال العهد السعودي، فيما لا يقل عن عشر صفحات ولا يزيد عن ١٥ صفحة.

وخصصت الجمعية جوائز قيمة للفائزين الثلاثة الأوائل في كل فرع.

كتاب عن البوسنة والهرسك



د. عبدالله مبشر الطرازي

يعد الدكتور **عبدالله مبشر الطرازي** الأستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة لإصدار **أول كتاب عن البوسنة والهرسك.**

يحمل الكتاب عنوان **«صفحات من تاريخ البوسنة والهرسك»**، وقام المؤلف بتطعيم كتابه بمقالات وأحاديث لكبار المفكرين والعلماء والكتاب المسلمين والصحافيين.

موسوعة علمية عن الحركة الرياضية

بموافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، تقوم إحدى المؤسسات العلمية الخاصة - حاليًا - بالعمل على إصدار أول موسوعة عن الحركة الرياضية في المملكة منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وحتى اليوم.

ينتظر أن تتناول الموسوعة تاريخ جميع النشاطات والألعاب الرياضية وتطورها، وقد قام مندوبها لهذا الغرض بزيارات للأندية والاتحادات الرياضية السعودية.

معرضان للوحات رضوي في الإمارات وأستراليا



د. عبدالحليم رضوي

يُنتظر أن يلبي الفنان التشكيلي الدكتور **عبدالحليم رضوي** دعوتين تلقاهما من **الإمارات العربية المتحدة وأستراليا** لإقامة معرض للوحاته في البلدين.

ويذكر أن الفنان السعودي سبق أن أقام ٧٢ معرضًا شخصيًا في مختلف البلدان العربية والأجنبية فضلاً عن مشاركاته في المعارض الجماعية.

مغادرة أبو سنة



محمد إبراهيم أبو سنة

الشاعر المصري المعروف **محمد إبراهيم أبو سنة**، غادر المملكة العربية السعودية بعد أن أمضى بها عامًا واحدًا مدرسًا في إحدى مدارس منطقة الدوادمي.

أبو سنة شارك خلال فترة وجوده بالسعودية في العديد من النشاطات الأدبية والثقافية، فضلاً عن إسهاماته في الصفحات الثقافية، وهو يستعد حاليا لإصدار ديوان جديد.

كتب جديدة

عاتق بن غيث البلادي

- **معجم الكلمات الأعجمية والعربية في التاريخ الإسلامي**، إعداد **عاتق بن غيث البلادي**، صدر عن دار مكة للنشر والتوزيع.
- **من شعر علي بن محمد السنوسي - جـ٢** - جمع وتحقيق الدكتور **عبدالله بن محمد أبو داهش**، صدر عن نادي جازان الأدبي.

د. عبدالله أبو داهش

- **الوسيط في تاريخ النحو العربي**، تأليف الدكتور **عبدالكريم الأسعد**، صدر عن دار الشوان بالرياض.
- **د. فائز الذيابي في الفكر الإسلامي والثقافة والأدب والفنون**، تحقيق وتقديم **الشريف منصور بن سلطان.**
- **ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العميل الأعرابي**، تحقيق د. **محمود شاكر سعيد**، صدر عن نادي جازان الأدبي.

البحرين

تسجيل الآثار وتوثيقها

بدأت سلطات الآثار المختصة في البحرين في **تسجيل القطع الأثرية التي عثر عليها خلال أعمال التنقيب في الموسم المنقضي وتوثيقها.**



ويتوقع أن تعرض هذه الآثار في المعرض الذي ينظم سنويًا عقب انتهاء مواسم التنقيب، حيث سيحوي معرض هذا العام نحوًا من **١٥٠ قطعة أثرية متنوعة** تمثل أواني وجرارًا وصحونًا وكؤوسًا فخارية وقوارير زجاجية، إضافة إلى مجموعة من الأختام والأدوات البرونزية في شكل رؤوس سهام وخناجر.

عُمان: مهرجان فني خليجي

يقام في مدينة صلالة خلال شهر آب (أغسطس) الجاري مهرجان **الفنون والألعاب الشعبية لدول مجلس التعاون الخليجي**.

نظم المهرجان بحيث يأتي متعددًا ومتنوعًا، ويتضمن محورين أساسيين، أولهما نظري ويشمل إقامة محاضرات وندوات عن الفنون الشعبية بدول المجلس، والثاني عملي ويتضمن العديد من العروض الفلكلورية.

الكويت: دعوة لإنقاذ مخطوطات إسلامية

دعت **جمعية إحياء التراث الإسلامي** بدولة الكويت (مركز المخطوطات والتراث والوثائق) إلى **إنقاذ مجموعة كبيرة من التراث الإسلامي** معرضة لخطر التلف والفناء في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقًا).

وأوضحت الجمعية أن هناك أكثر من **٤٠ ألف مخطوطة في طشقند** معرضة للسرقة والآفات الحشرية والعوامل الجوية، كما يوجد **٢٠ ألف مخطوطة في جمهورية أذربيجان** معرضة للفناء بسبب الحرب الدائرة هناك، إضافة إلى **٢٠ ألف مخطوطة في بطرسبرج**، تحتاج إلى صيانة وتصوير قبل أن تتلف، و**١٠ آلاف مخطوطة موزعة على مكتبات متنوعة في موسكو** تحتاج إلى جمعها وتصويرها.

قدر خبراء المعهد تكلفة إنقاذ تلك المخطوطات النادرة بنحو نصف مليون دينار كويتي.

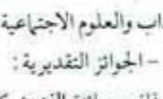
مصر: اكتشافات مدينة فرعونية

اكتشفت بعثة آثارية مصرية في منطقة «تل حبوة» على بعد ٤ كيلومترات شمال شرقي مدينة «القنطرة شرق» **مدينة فرعونية محصنة تعود إلى عصر الدولة الحديثة**.

تضم المدينة المكتشفة أسوارًا طولها ٨٠٠ متر وعرضها ٤٠٠ متر وقد بنيت جدرانها من الطوب اللبن بعرض أربعة أمتار.

وعثر داخل المدينة على **قصر الملك سيتي الأول** من الأسرة التاسعة عشرة، ومجموعة من المساكن والصوامع والمخازن وبعض أدوات الحياة اليومية.

الفائزون بجوائز الدولة



د. حسن رجب

أعلنت - مؤخرًا - أسماء **الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام ١٩٩١م** في مجالات الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

- الجوائز التقديرية:

فاز بجائزة **الفنون** كل من الدكتور المهندس **حسن رجب** والمخرج السينمائي **كمال الشيخ**، والفنان التشكيلي **أبو صالح الألفي**.



د. علي الراعي

وتحصل على جائزة **الآداب** الدكاترة: **علي الراعي، ومحمد زكي العشماوي، وكمال بشر**.

أما جائزة **العلوم الاجتماعية** فقد منحت لكل من: الداعية **الشيخ محمد الغزالي**، والدكتور **أحمد عمر هاشم**، والدكتور **حسن الساعاتي**، والدكتور **عبدالمنعم البدراوي**.



الشيخ محمد الغزالي

د. أحمد عمر هاشم

- **الجوائز التشجيعية**:

فاز بجائزة **الفنون** كل من: **محمد نوح** في مجال الموسيقى المسرحية، و**مصطفى محمد صالح** في مجال الديكور، و**سمير الجندي** (فن الخزف).

وفي **الآداب**: د. **محمود السيد علي** (الترجمة إلى اللغة العربية) والشاعر **أحمد زرزور** (ثقافة الطفل)، والدكتور **إبراهيم الدسوقي المسلمي** (السير والتراجم)، والشاعر **بدر توفيق** (الشعر)، و**إبراهيم حلمي** (الأدب الشعبي).

وتحصل على الجائزة في مجال **العلوم الاجتماعية** كل من: الدكتور **عبدالفتاح فؤاد** (الفلسفة الإسلامية)، والدكتورة **وفاء كمال عبدالخالق** (علم نفس الطفل).

وفاز بجائزة **العلوم الاقتصادية** كل من الدكتور **رأفت شفيق بسادة**، والدكتور **أحمد جمال عبدالفتاح**.

وفي مجال **الشريعة الإسلامية** فاز بالجائزة الدكتور **محمد أحمد عبدالهادي**.

سجل: مائة عام من الثقافة



عبدالمعطي حجازي

تعتزم وزارة الثقافة إنجاز سجل **«مائة عام من الثقافة»** يتناول في إطار مشروع ثقافي متكامل المؤلفات الثقافية وتفاعلها مع الحياة السياسية والاجتماعية.

ومن بين مخططات الوزارة بهذا الصدد إصدار موسوعة لأهم الكتب التي صدرت عن المطابع الأميرية خلال مائة عام، واختير لتحرير الموسوعة كل من: **د. يونان رزق لبيب، وأحمد عبدالمعطي حجازي، ومحمود أمين العالم**.



محمود أمين العالم



إضافة إلى ذلك تنوي الوزارة تقديم قصة دار الهلال في كتاب خاص يتناول بداية الدار وتطورها من مجرد دكان صغير في الفجالة إلى مؤسسة كبرى للنشر تملك إمكانات طباعية كبيرة.

ندوة: نحو مشروع حضاري جديد

تحت عنوان **«نحو مشروع حضاري جديد»** أقيمت في القاهرة في أواخر شهر ذي الحجة الماضي **الندوة السنوية للجمعية الفلسفية المصرية**.

ناقشت الندوة على مدى ثلاثة أيام ثلاثة محاور رئيسة، أولها: تأصيل المشروع الحضاري القديم، والثاني: المشاريع الحضارية المعاصرة، والثالث: الرؤى المستقبلية المقترحة للمشروع الحضاري الجديد.

ويذكر أن الندوة عقدت جلساتها في كلية دار العلوم بمناسبة الذكرى المئوية لإنشاء الكلية.

٢٥ جائزة باسم «مبارك»

تقرر إنشاء **٢٥ جائزة علمية جديدة باسم الرئيس حسني مبارك** قيمة كل منها ثلاثة آلاف جنيه تمنح سنويا للعلماء في مختلف مجالات العلم.

وقال الدكتور **عادل عز** وزير الدولة للبحث العلمي إنه سيتم في وقت لاحق تحديد المجالات العلمية وشروط منح الجوائز.

صفحات مجهولة من حياة سيد قطب

يعكف الأديب الأستاذ **محمد سيد بركة** عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية حاليًا على وضع اللمسات الأخيرة لكتابه «**صفحات مجهولة من حياة الأديب المفكر الشهيد سيد قطب**».

الكتاب لا يكشف فقط الجوانب المجهولة من حياة الشهيد مثل إبداعاته الفنية والأدبية والشعرية قبل اتجاهه إلى الدعوة الإسلامية، ولكنه يعمل أيضا على إنصاف أحد رواد الأدب الإسلامي. وهو - أي الكتاب.. خطوة طيبة نحو إعادة استكشاف أدبائنا الإسلاميين بعد سنوات من حجب أعمالهم عن الأجيال لمواقفهم الصريحة إلى جانب الحق.

رحيل مجموعة من العلماء

فقدت مصر مؤخرًا مجموعة من أبرز علمائها في مجالات مختلفة للمعرفة هم: فضيلة الشيخ الداعية **محمد عبدالواحد**، ورائد طب العيون الدكتور **عبدالمحسن سليمان**، وباحثة الذرة الدكتورة **نادية سوكة**، ورائد علوم البحار الدكتور **حامد عبد الفتاح جوهر**، ورائد علم الأقمار الصناعية في مصر الدكتور **بليغ بشارة باغوص**.

ولد فضيلة الشيخ محمد عبدالواحد أحمد في محافظة بني سويف عام ١٩٢٥م، وتلقى تعليمه بالأزهر، حيث حصل عام ١٩٥١م على درجة العالمية من كلية الشريعة، اتبعها عام ١٩٥٢م بالعالمية مع إجازة التدريس، واندرج في سلك الوعاظ والدعاة حتى وصل إلى منصب **المفتش الأول للوعظ**، ثم عين مديرًا لأوقاف بور سعيد، **فمديرًا للمركز الإسلامي في دار السلام** بتنزانيا حتى عام ١٩٨٥م حيث بلغ سن التقاعد، إلا أن غزارة خبرته أهلته **ليكون وكيلا لوزارة الأوقاف ومستشارًا لوزيرها**.

إضافة إلى تلك المناصب كان الفقيد عضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والمجلس الأعلى للإذاعة والتليفزيون، والمجلس الأعلى للطرق الصوفية، والمجلس الأعلى للشباب الإسلامي.

وله العديد من المؤلفات منها: **«لبيك اللهم لبيك»، «المسلم في ظلام»، «التوبة وسيلة وغاية»، و «الإيمان ينزع القلق وينشر الأمل»**. وشاءت إرادة الله عز وجل أن ينتقل الفقيد إلى جوار ربه وهو على صعيد أقدس بقاع الأرض مؤديا فريضة الحج.

ويعد الدكتور **عبدالمحسن سليمان** الذي توفي عن عمر يناهز ٨٥ عامًا **رائد طب العيون في مصر والعالم العربي**، **وقد تولى مناصب علمية مرموقة منها** عمادة كلية الطب بجامعة عين شمس، ورئاسة مركز المكفوفين، كما كان نقيبًا للأطباء، ونائبًا لرئيس المؤتمر الطبي بشيكاغو لأمراض العيون، ونائبًا لرئيس المنظمة العالمية لمكافحة التراخوما، وعضوًا بالجمعية الأكاديمية الرمدية العالمية، وقد أسس الفقيد معهد الرمد بالجيزة وتبرع لهذا الغرض عام ١٩٦٢م بكل ممتلكاته.

ولجهوده وأبحاثه القيمة كرمته الدولة أكثر من مرة حيث **مُنح وسام الجمهورية، ووسام نوط الامتياز، ووسام الاستحقاق ووسام العلوم والفنون**.

أما الدكتورة **نادية سوكة**، فتعد من أبرز علماء هيئة الطاقة الذرية في مجال الكيمياء النووية، وقد أشرفت على نحو **٢٠ رسالة جامعية** ما بين ماجستير ودكتوراه، ولها أكثر من **مائة بحث منشور** في الكيمياء النووية والكيمياء الإشعاعية، فضلاً عن برامج عديدة في مجال الإشعاع بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بفيينا.

وعُرف الدكتور **حامد عبدالفتاح جوهر** بلقب **«ملك البحر الأحمر»** لما قام به من أبحاث رائدة في مجال علوم البحار، حيث كان أول مصري يشتغل بهذا العلم ويقوم بتدريسه بالجامعات والمعاهد المصرية، وأهلته قدراته لأن يصبح عام ١٩٥٨ **مستشارًا للأمين العام**

كتاب جديد يرصد: كيف رسم الرحالة والقناصل الفرنسيون صورة مصر في القرن الثامن عشر

مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر» و«مصر في كتابات الرحالة الفرنسية في القرن السادس عشر والسابع عشر»





كتابان جديدان صدرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في وقت واحد ولمؤلفة واحدة هي **الدكتورة إلهام ذهني**.

وربما تجيء أهمية هذين الكتابين إلى أننا كعرب نحتاج لمعرفة صورتنا في عيون أخرى هي في هذه الحالة عيون الرحالة الذين وفدوا إلى مصر.

وكما يقول الدكتور **عبدالعظيم رمضان**: صحيح أن ما كتبه هؤلاء الأوروبيون قد تعرضت له كتابات مؤرخين مصريين مثل المرحوم الدكتور **محمد فؤاد شكري** في موسوعته عن **تاريخ مصر في مطلع القرن التاسع عشر، ومصر والحملة الفرنسية، والدكتور مصطفى الحفناوي** في كتابه عن **قناة السويس**، لكن دراسات الدكتورة إلهام ذهني تلقي ضوءًا آخر على نشاط هؤلاء الرحالة والقناصل في مصر.

وبالطبع لم تكن زيارة رحالة القرن الثامن عشر قصيرة، بل كانت زيارات طويلة امتدت عدة سنوات، جابوا فيها مدن مصر وتوغلوا في صحاريها وصعيدها، واستطاعوا أن يصفوا الكثير من أحوالها السياسية والاجتماعية وصفا مسهبا.

وتكشف الباحثة في دراستها القيمة عن أن بعض هؤلاء الرحالة كانوا في الأصل جواسيس جاءوا يرصدون أحوال مصر السياسية والعسكرية لصالح بلادهم ومهدوا بذلك لغزو مصر.



للأمم المتحدة لشؤون البحار.

وهو حاصل على جائزة الدولة في العلوم عام ١٩٥٣م، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٥م.

ويعد الدكتور بليغ بشارة باغوص الذي توفي عن ٥٥ عاما رائد علم الأقمار الصناعية في مصر.

وهو أول من أسس محطة في مصر لرصد الأقمار الصناعية بأشعة الليزر، وتميز بنشاطه الكبير في مجال البحث، حيث قدم العديد من الأبحاث العلمية في مجالات: أبحاث الفضاء، وحرب الكواكب، نشرت في الدوريات العلمية العالمية، كما عمل في برامج وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية (ناسا).

الذكرى المئوية لأول مجلة نسائية

تمر في العشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) **الذكرى المئوية لصدور العدد الأول من مجلة «الفتاة»** أول مجلة عربية تهتم بشؤون المرأة والأسرة.

المجلة أصدرتها في مدينة الإسكندرية عام ١٨٩٢م مهاجرة لبنانية تدعى **هند نوفل**، تنحدر من أسرة صحافية، فوالدها **نسيم نوفل** كان مؤرخًا وقاصًا، أما والدتها فهي الكاتبة مرين بنت جبرائيل.

وقد تصدر أول عدد من المجلة عدة أبيات شعرية تقول:

يا ربة العلم بل يا ربة الكرم
غضي لحاظك عما خطه قلمي
تصفحيه بحسن الود متعمة
هذي فتاتك بيد العرب كالعلم

ورغم أن مجلة «الفتاة» لم يدم صدورها سوى عامين وتوقفت إلا أنها تركت بصماتها على الصحافة النسائية، وشجعت قيام مجلات أخرى، فصدرت مجلة «أنيس الجليس» عام ١٨٩٨م، و «**الأحياء**» ١٩٠٧م و «**العروس**» ١٩١٠م بعدها توالت الإصدارات.

خراط: محفوظ وإدريس متوسطا المستوى!!

ما كادت المعركة التي ثارت بين الناقد المعروف الدكتور محمد مصطفى هدارة ومجموعة من رؤساء تحرير المجلات الثقافية المصرية تهدأ حتى ثارت معركة أخرى، جذبت انتباه المثقف المصري والعربي.

ادوار خراط

بدأت المعركة الجديدة بفصل كتبه الروائي المصري **ادوار خراط** في كتاب صدر بالإنجليزية عن «أدب المشرق» حيث قلل خراط في الفصل الذي كتبه واستغرق ١٣ صفحة من دور بعض كبار الأدباء المصريين، وبالذات **نجيب محفوظ ويوسف إدريس اللذين وصفهما بأنهما كاتبان متوسطا المستوى!**

تلقف كتابات خراط ناقد مصري يعمل في تدريس الأدب العربي بجامعة لندن هو **صبري حافظ** حيث كتب مهاجمًا خراط، ومدافعًا عن **محفوظ** وإدريس.


جمال الغيطاني

كان يمكن أن تنتهي الزوبعة عند هذا الحد لولا أن **خراطًا** أعاد ذكر آرائه في مجلة «صباح الخير» الأسبوعية، وأضاف إليها أن الروائي **جمال الغيطاني ليس له قيمة إبداعية وأن ما وصل إليه من شهرة سببه عمله في الصحافة.**

وقال خراط إنه وأدونيس أحق بجائزة نوبل من نجيب محفوظ.

وانبرى **جمال الغيطاني** مدافعًا عن نفسه ونجيب ويوسف إدريس مشيرًا إلى أنهم كانوا قممًا فيما كان ادوار خراط ما يزال يحمل حقيبة الأديب الراحل يوسف السباعي.

وما تزال المعركة بين الفريقين دائرة على صفحات الصحف المصرية والصحف العربية، في وقت انتقد بعض المثقفين المصريين الحكاية برمتها مؤكدين أنها خرجت عن إطار النقد الموضوعي إلى التهجم الشخصي والتجريح.

افتتاح معبد رمسيس في اخميم

ينتظر أن يتم قريبا **افتتاح معبد رمسيس الثاني في اخميم** بمحافظة سوهاج أمام الزوار.

وقد تم الانتهاء من ترميم **تمثال الملكة مريت آمون**

محاضرات وندوات

● «**الكتاب والثقافة في لبنان**» عنوان محاضرة ألقاها في مدرسة الانترناشيونال كولدج في بيروت **الدكتور روحي الخطيب**.

● **كتاب القاضي الأديب غالب غانم «من الشائع إلى الأصيل»** كان موضوع ندوة أقيمت في مدرسة الحكمة ببيروت شارك فيها عدد من المختصين.

● **كتاب «الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية»** للدكتور **عصام بهي** كان موضوع ندوة نظمتها الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالقاهرة، شارك فيها **الدكتور عزالدين إسماعيل، والدكتور محمد بربري، وقدمها الدكتور وليد منير.**

● **حول أعمال الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر**، نظمت جامعة السربون بباريس - مؤخرًا - **ندوة شارك فيها عدد من الأدباء** والمفكرين والأكاديميين.

● **«الجانب الأخلاقي في شعر الصعاليك»** عنوان محاضرة يلقيها في الملتقى الثقافي بأبها الدكتور **ظافر الشهري**.

● **«توظيف تكنولوجيا التعليم»** موضوع ندوة نظمتها كلية الحقوق بجامعة المنصورة، وشارك فيها عدد من أساتذة الكلية والمختصين.

● **«شعر البارودي»** موضوع محاضرة ألقاها في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها الدكتور **طه عبدالبر**.

● **«الأدب اليوناني المعاصر»** موضوع ندوة أقيمت في مدينة داف الفرنسية بإشراف وزير الثقافة اليوناني والمركز الثقافي الأوروبي في داف، وشارك فيها عدد من المتخصصين في الآداب اليونانية.

● **«مستقبل الاستثمار في إطار تحرير الاقتصاد»** عنوان ندوة أقيمت

الذي يعتبر أجمل وأطول تمثال لملكة مصرية في التاريخ القديم .

ترشيحات لجائزة بوليفار

رشح مجلس جامعة عين شمس في جلسته الأخيرة عددًا من الكتّاب والمفكرين المصريين لجائزة سيمون بوليفار الدولية .

د. محمد حلمي مراد

ضمت قائمة المرشحين الدكاترة : محمد حلمي مراد ، ميلاد حنا ، يونان لبيب رزق ، علي لطفي ، حامد عبدالسلام زهران ، عمر الفاروق السيد ، أمين سامي واصف ، ومحسن عبدالحميد توفيق .



مركز للتعريب والترجمة والنشر

قررت جامعة الأزهر إنشاء مركز للتعريب والترجمة والنشر يهدف إلى تعريف غير المسلمين بالإسلام ، والدعوة إلى الدين الإسلامي وخدمة المسلمين غير المتحدثين باللغة العربية .

يهدف المركز أيضا إلى اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم والبحث العلمي ، ووضع الضوابط الزمنية والبرامج لتعريب التعليم في جامعة الأزهر بالشكل الذي لا يخل بمستوى الأداء في الجامعة ، وتوفير المراجع للطلاب في المرحلة الجامعية الأولى باللغة العربية ، مع تشجيع هيئة التدريس على تأليف الكتب والمراجع باللغة العربية .

ويعتزم المركز إصدار نشرات ومجلات لعرض إنجازاته على مراكز البحث المماثلة .

الدكتور ثروت عكاشة وموسوعة التصوير الإسلامي



د. ثروت عكاشة

أحدث مؤلفات الدكتور ثروت عكاشة موسوعة الفن والتصوير الإسلامي تصدر عن مكتبة لبنان ، وقد صدرت له عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة من ترجمته لكتاب جورج برنارد شو «مولع بفاجنر» الذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٦٥م عن دار المعارف بمصر .

رواية جديدة للقعيد بالعامية !

يبدو أن كتابة الرواية باللهجة العامية المصرية أصبحت صرعة جديدة في مصر بعد أن بدأها الدكتور مصطفى مشرفة بروايته «قنطرة دي كفر»



يوسف القعيد

إذ انتهى القاص والروائي يوسف القعيد من كتابة روايته الخامسة عشرة وعنوانها «لبن العصفور» وهي أول رواية يكتبها القعيد باللغة العامية .

معارضو أمثال هذه المحاولات يحذرون من أن تصير الكتابة العامية صرعة ، خاصة مع وجود بعض اليساريين الذين يدعون إلى فرعونية مصر . وهو التيار الذي مثله من قبل كثيرون يأتي في مقدمتهم سلامة موسى ولويس عوض اللذان عرفا بكراهيتهما للعربية الفصحى .

مهرجان للشعر العربي



عبدالله الخشرمي

تنظم الهيئة العامة لقصور الثقافة في الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل مهرجان الشعر العربي الأول .

يقام المهرجان بين القاهرة وأمهات مدن الأقاليم لمدة خمسة أيام .

سميح القاسم

ويتوقع أن يشارك فيه فضلاً عن الشعراء والنقاد المصريين كوكبة من مبدعي الوطن العربي منهم : عبدالله الخشرمي السعودية ، أدونيس ، نوري الجراح ، لينا الطيبي ، وبدر عروركي (سورية) ، قاسم حداد ، وعلي الشرقاوي (البحرين) ، سعدي يوسف ، هاشم شفيق ، وكاظم جهاد (العراق) ، سميح القاسم (فلسطين) ، إدريس المساري

عبداللطيف اللعبي

في الهيئة العامة لبحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمراني في القاهرة ، تحدث فيها الدكتور محيي الدين الغريب ، وأدارها الدكتور مصطفى الحفناوي .

● أقيمت في أمستردام أمسية ثقافية للروائي المصري جمال الغيطاني ، ألقيت خلالها مجموعة من قصصه .

● «المسرح اللبناني : واقع وآفاق» عنوان ندوة أقيمت في معهد غوته الألماني ببيروت ، شارك فيها كل من روجيه عساف ، نقولا دانيال ، ريمون جبارة ، تيريز عواد ، ومروان نجار ، أدار الندوة علي يونس وقدمها بطرس روحانا .

● «الإنعاش القلبي الرئوي» عنوان ندوة نظمتها المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الحدود الشمالية بالسعودية شارك فيها عدد من الأطباء المتخصصين .

● أحيا الشاعر السعودي حسن عبدالله قرشي أمسية شعرية في



جاك بيرك



حسن عبدالله القرشي



عمر بهاء الدين الأميري

الملحقية الثقافية السعودية بلندن ، بمناسبة صدور مجموعة «أطياف المنفى» التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية .

● حول ترجمته الأخيرة للقرآن الكريم ألقى المستشرق الفرنسي جاك بيرك محاضرة في المركز الثقافي الجزائري في باريس .

● نظمت جمعية العمل الاجتماعي بالمغرب ندوة في الرباط عن الشاعر الإسلامي الراحل عمر بهاء الدين الأميري ، شارك فيها مفكرون وأدباء وشعراء ودارسون جامعيون .



(ليبيا)، زكية مال الله (قطر)، عبداللطيف اللعبي (المغرب) وسيف الرحبي (عمان) وآخرون لم تحدد أسماؤهم بعد.

جويدة يقدم موهبة شعرية جديدة

قليلة هي المرات التي تحمس فيها الشاعر المعروف **فاروق جويدة** وقدم للقارئ العربي شاعرًا جديدًا. وها هو يقدم لنا اليوم ديوانا جديدة وشاعرة جديدة نعرفها لأول مرة هي فاتن النواوي التي صدر لها عن مكتبة مصر ديوان **(أحلام الطمي والفخار)** ويضم ٢٧ قصيدة قصيرة تعكس هم صاحبتها التي تعمل مهندسة الكترونيات.


فاروق جويدة



غياب خليجي عن مهرجان جرش

أقيم في الشهر الماضي مهرجان جرش الحادي عشر للثقافة والفنون.

غابت عن المهرجان هذا العام المشاركة الخليجية التي كانت من أبرز المشاركات في المهرجانات السابقة، كما شهد المهرجان أيضا غياب الفرق العالمية، والسبب - كما أوضح مديره - وجود صعوبات مالية.

ملتقى ثقافي

تنظم وزارة الثقافة الأردنية خلال الفترة من ٢٢ - ٢٨ آب (أغسطس) ١٩٩٢م **«ملتقى عمان الثقافي الأول»**.

ينتظر أن يناقش الملتقى عددًا من القضايا الثقافية والفكرية والأدبية، من بينها واقع الرواية الأردنية في الثمانينيات.

وقد وجهت الوزارة دعوات لعدد من النقاد والمفكرين العرب للمشاركة في الملتقى.

مقبرة أثرية في عمان

عثر بالقرب من جسر مدينة الملك حسين للشباب بعمان على مقبرة أثرية ترجع إلى الفترة ما بين القرنين الأول والثالث الميلادين أي في العصر الروماني.

وُجدَ داخل المقبرة مجموعة من الهياكل العظمية البشرية دفنت بجوار بعضها، وبجوارها بعض القوارير التي كانت توضع في ذلك الوقت لتمثل دموع النساء حزنًا على الميت وتسكب في القوارير دلالة على الوفاء والحزن.

كتب جديدة

● **جراح وآمال**، ديوان جديد للشاعر إبراهيم عباد، صدر عن دار الكرمل في عمان.

● **حطب أخضر**، ديوان جديد للشاعر إبراهيم نصرالله، صدر عن دار الشروق في عمان.

● **الطريق إلى بيت لحم**، مجموعة قصصية للقاص رسمي أبو علي، صدرت عن الدائرة الثقافية الفلسطينية.



رحيل جورج غانم

توفي في شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٢هـ الشاعر اللبناني **جورج غانم** عن عمر يناهز ٥٨ عاما.

ولد جورج غانم في بسكنتا بلبنان عام ١٩٢٤م ووالده هو الشاعر عبدالله غانم، وعن أبيه ورث حب الشعر، ونمت شاعريته وتدفقت المعاني لديه في رومانتيكية متجددة.

وهو أحد الذين شاركوا في تأسيس حلقة «الثريا» كما كان عضوًا في اتحاد الكُتّاب اللبنانيين، ومجمع الحكمة العلمي، ومجلس المتن الشمالي للثقافة وقد نال عام ١٩٤٧م **جائزة الدولة في الشعر**

وهو شاعر وناثر من مؤلفاته: **«قصائد حب»، «سفر الكلمات»، «على حدود النسيان»، «أزهار في الخريف»، «النداء البعيد»، «مرايا غبار»، «حجر الحب»، و«جحا مرا»** ومؤلفات أخرى.

كتب جديدة

● **السياسات المالية والنقدية والمصرفية في لبنان**

رسائل جامعية

● **«تأثير أقراص منع الحمل على وظيفة الكُلَى»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة الأزهر، تقدم بها الطبيب **حسن محمد حسن سالم**.

● **«دور معايير المحاسبة الدولية في تدعيم أنظمة المعلومات المحاسبية في الشركات الدولية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية تجارة المنصورة تقدم بها **عصام عبدالمنعم أحمد**.

● **«مجالات استخدام الحاسب الآلي في أعمال الإدارة المدرسية من وجهة نظر الإداريين والمعلمين: دراسة ميدانية بمدينة الرياض»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **عبدالرحمن بن حمد بن محمد الداود**.

● **«تحليل النظائر المشعة للتمور السعودية بطريقة قياس أطياف أشعة جاما وتحليل العناصر الكيميائية بطريقة تبديد طاقة الأشعة السينية الفلورية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها المهندس **عمرو حسن حسن أصيل**.

● **«الهجاء النقدي في شعر لورد بايرون»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الدمام، تقدمت بها **حصة بنت محمد الكهلان**.

● **«نهج الإمام الشوكاني في العقيدة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **عبدالله نوسوك**.

● **«أثر تدريس التلاميذ محتوى عن خطوات (بوليا) في حل المشكلات على أدائهم في حل المسائل اللفظية في الرياضيات»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها **فؤاد صالح عبدالحي**.

أزمات وحلول، تأليف الدكتور عبدالأمير سلوم، صدر عن دار أصدقاء الحرف في بيروت.

● سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين (١٩٤٨ - ١٩٨٨) تأليف مايكل دمبر، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت.

● معايشة النمرة، تأليف جبرا إبراهيم جبرا، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

جبرا إبراهيم جبرا

● الأدب الإسلامي: المفهوم والقضية، تأليف الدكاترة: علي علي صبح، عبدالعزيز شرف، ومحمد عبدالمنعم خفاجي، صدر عن دار الجيل في بيروت.

د. علي علي صبح

● دم حار لحروب باردة، قصائد لخضر أبي راشد، صدرت عن دار مكتبة التراث الأدبي.

● إشراقات النرجس، ديوان لسامي نيال، صدر عن دار الحداثة.

د. عبدالعزيز شرف

● عرس في الجنة، الرواية الثالثة لجمال سليم نويهض، صدرت عن مؤسسة الأبحاث العربية.

● أدب لحياتك، تأليف بديع وبشارة أبو جودة، صدر عن دار الجودة.

● مسار التحولات: قراءة في شعر أدونيس، تأليف أسيمة درويش صدر عن دار الآداب في بيروت.

● بناء الجمهورية الثانية ومشكلات السلام في لبنان، تجميع لوقائع ندوة، صدر عن النادي الثقافي العربي في بيروت.

● الحالة النفسية تأليف فرنسوا لكونيه، صدرت ترجمته العربية عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت.

● الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، تأليف تركي علي الربيعو، صدر عن المركز الثقافي العربي في بيروت.

● التنمية العصبية من التبعية إلى الاعتماد على النفس في الوطن العربي، تأليف يوسف صايغ، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.



سورية: مؤسسة ثقافية للدراسات الحضارية

أنشئت - مؤخرًا - في دمشق مؤسسة ثقافية تعنى بالدراسات الحضارية حفظًا وتأصيلاً، تكمل فكرة مجلة «سومر» التي تعنى بالغرض ذاته.

تنطلق المؤسسة الوليدة في عملها عبر محورين: البحوث النظرية، والبحوث التطبيقية، بهدف الوصول إلى تأصيل التراث وعلمنة المعرفة الإنسانية وتحضير المجتمع وإنماء الإبداع.

مرفأ أثري عمره ٢٧٠٠ سنة

اكتشف بالقرب من موقع مدينة «عمريت» الأثرية عدد من الأحجار الضخمة المرصوفة باتجاه البحر بشكل يعتقد معه أنها تشكل جزءًا من مرفأ أثري مهم يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد.

وقال رئيس دائرة آثار طرطوس إن العوامل الطبيعية قد أدت إلى تغطية مرفأ «عمريت» الأثري بالرمال والنباتات البحرية. ملمحًا إلى أن المدينة كانت تشكل الجزء القاري لمملكة «ارواد».

وقد عثر أيضا خلال التنقيبات بالمنطقة على سبعة تيجان رخامية لأعمدة متكسرة، وكسر رخامية تعود إلى حقب مختلفة.

متحف جديد

يستكمل حاليا العمل في مبنى المتحف الجديد المقرر إقامته في مدينة «دير الزور» السورية ليضم الآثار العربية والإسلامية المكتشفة في منطقة الجزيرة بسورية.

وتتولى الحكومة الألمانية في إطار التعاون الثقافي مع سورية تجهيز المتحف بأحدث الأجهزة في هذا المجال.

معرض كتاب

يقام في دمشق خلال الفترة من ٢٣ أيلول (سبتمبر)

● «انتشار الإسلام جنوب الصحراء الكبرى، من دخول الإسلام إلى انتهاء دولة المرابطين»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها محمد صنب درامي.

● «خدمات المعلومات بمكتبات أم القرى وأساليب تطويرها» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، تقدم بها خالد سليمان معتوق.

● «القضايا الاجتماعية عند شعراء فلسطين بعد مأساة ١٩٤٨م» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها ثابت محمد.

● «الاستقرار الهيدرومغناطيسي، السطح الأسطواني» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم للبنات بالدمام تقدمت بها ريم توفيق ابن علي الخيري.

● «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، من قوله: فصل وقد وصف الله نفسه بالاستواء إلى قوله: فصل قال الرازي البرهان الخامس: تحقيقًا وتعليقًا ودراسة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض، تقدم بها أحمد معاذ بن علوان حقي.

● «الفروق الفقهية بين المسائل الفرعية في الطهارة والصلاة: دراسة مقارنة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بالمدينة المنورة تقدم بها حمود عوض محمد السهيلي.

● «معيار مقترح لتقويم أهداف تدريس التاريخ بالمرحلة الثانوية للبنات بالمملكة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بالرياض، تقدمت بها شيخة الختلان.

● «مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته: دراسة ونقدًا» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بالرياض، تقدم بها صالح بن حسين بن سليمان الرقب.



إلى ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م **المعرض الثامن للكتاب العربي**.

ينتظر أن يشارك في المعرض عدد كبير من دور النشر السورية والعربية والعالمية.

كتب جديدة

● التفكيكية: النظرية والتطبيق، تأليف كريستوفر نورس، ترجمه إلى العربية **رعد عبدالجليل**، وصدر عن دار الحوار.

● من أسفار الذات، ديوان جديد للشاعرة القطرية الدكتورة **زكية مال الله**، صدر في دمشق.



تونس: مستقبل العمل الثقافي العربي

نظم اتحاد المهرجانات العربية على هامش **مهرجان قرطاج الدولي** ندوة حول «**أشكال العمل الثقافي العربي المشترك ومستقبله**».

بحث الندوة التي شارك في نشاطاتها عدد من كبار المفكرين العرب واقع الحركة الثقافية العربية ومستقبلها، وفاعلية الثقافة العربية المعاصرة، ومدى علاقتها بالتغيير الاجتماعي، وموضوعات أخرى.

الجزائر: ملتقى «الثقافة والسياسة»

تحتضن مدينة وهران خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل **ملتقى يناقش إشكالية الثقافة والسياسة في المغرب العربي**.

يشارك في الملتقى خبراء ومختصون من مختلف دول المغرب، حيث تقرر أن يناقشوا العلاقة بين الدولة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية، والبحث عن أساليب تطوير هذه العلاقة وتنميتها.



المغرب: قسم لترميم المخطوطات وصيانتها

قررت وزارة الثقافة المغربية إنشاء قسم خاص يعنى **بترميم المخطوطات وصيانتها**.

أعلن ذلك **محمد بن عيسى** وزير الثقافة عقب اجتماعه مع أعضاء لجنة جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات.

وفاة د. البهيتي

توفي الأديب والناقد المغربي الدكتور **نجيب محمد البهيتي** عن عمر يناهز ٧٠ عامًا.

والبهيتي أحد الذين عرفوا بإسهاماتهم ودراساتهم الثقافية والأدبية على مستوى العالم العربي، وقد عمل أستاذًا في **جامعات القاهرة وبغداد ومحمد الخامس وفاس ومراكش**.

من مؤلفاته: «**المعلقات السبع**»، «**تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث**»، و«**المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربي**».

باكستان: فرعان للجامعة الإسلامية في طاجيكستان وقرطبة

امتدادًا لدورها الإسلامي، **قررت الجامعة الإسلامية العالمية في الباكستان افتتاح فرعين جديدين لها**، أولهما في دوشانبيه عاصمة جمهورية طاجيكستان، والآخر في قرطبة بأسبانيا.

وينتظر أن يقوم رئيس الجامعة الدكتور حسين حامد حسان بزيارة طاجيكستان لبحث الخطوات التنفيذية.

أحدث الكتب

● **دور الشباب المسلم في بناء أفغانستان المستقبل**، تأليف كمال الهلباوي.

● **السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط**، تأليف كمال الهلباوي.

● اقتصاد أفغانستان و١٢ عامًا من الحرب، إعداد **توفيق غانم**.

● **الانهيار السوفيتي والعالم**، تأليف **توفيق غانم**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن معهد الدراسات السياسية (القسم العربي) بإسلام آباد.

ألمانيا: أيام للثقافة العربية

استضافت مدينة برلين - مؤخرًا - **مهرجانًا عربيًا تحت شعار** «أيام الثقافة العربية».

ضم المهرجان نشاطات متنوعة في الأدب والموسيقى والفن التشكيلي والمسرح والسينما، وأقيمت على هامشه ندوة عنوانها «**من هم العرب؟**».

شارك في المهرجان عدد من الأدباء والشعراء والنقاد والفنانين العرب إلى جانب نخبة من المستشرقين الألمان.

بون.. مدينة ثقافية

افتتح مؤخرًا في مدينة بون أحدث متحفين في ألمانيا بعد إعادة توحيدها هما **قاعة الفن والمعارض ومتحف بون للفن**.

تكلف إنشاء متحف بون نحو ٦٠ مليون دولار، فيما تكلفت قاعة الفن والمعارض ٩٠ مليونًا، وتضم القاعة قاعات عرض، ودارًا للسينما، وقاعة موسيقى إطلاع. ويجري حاليًا إنشاء متحف تاريخ جمهورية ألمانيا الاتحادية والمتحف الطبيعي.

وترى الأوساط الثقافية أن إقامة تلك المتاحف في **بون ترمي إلى تحويلها لعاصمة ثقافية لألمانيا بعد ما انتقلت العاصمة السياسية إلى برلين**.



إسبانيا: لقاء مغاربي أوروبي

استضافت مدينة مدريد خلال شهر ذي الحجة الماضي ١٤١٢هـ لقاء ثقافيا فكريا عقد تحت عنوان «حوار المغرب العربي وأوروبا».

نظمت اللقاء الناشرة **نيقول موشنيك** برعاية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، ومعهد التعاون مع العالم العربي، ووزارة الثقافة، ومؤسسة بابلو اغليسياس الثقافية.

شارك في الملتقى كوكبة من أبرز المثقفين والمبدعين المغاربة، حيث ناقشوا على مدى يومين العلاقات بين اللغة الأم واللغة المكتوبة، والعلاقات بين الثقافة والديمقراطية.

معهد سيرفانتس الثقافي

تكريما لذكرى الأديب الأسباني العالمي **سيرفانتس**، قامت الحكومة الإسبانية بإنشاء **معهد يحمل اسمه**، مهمته نشر الثقافة الإسبانية في العالم، على غرار معهد جوته الألماني.




سيرفانتس

اختير الدكتور **نيكولاس سان شيز البورنوث** لرئاسة المعهد الذي بدأ نشاطاته فور افتتاحه.

جائزة أميرا ستوريا لنبيفا

منحت جائزة أميرا ستوريا للأدب والسلام لعام ١٩٩٢م التي تحمل لقب عاهل أسبانيا وتمنح لمن يكتبون باللغة الإسبانية إلى الكاتب المسرحي **فرانشيسكو نيفا**.

ويعد نيفا (٦٤ عاماً) من أبرز كُتّاب المسرح الأسباني ومن أهم أعماله: «أوبالوس»، «تاسيا» و «ظل ووهم في لادرا».

وفاة روديتي

توفي - مؤخراً - الكاتب والشاعر المعروف **ادوارد روديتي** عن عمر يناهز ٨٢ عاماً.

واشتهر روديتي بكتاباته باللغتين الفرنسية والإنجليزية رغم أنه كان يكتب بسبع لغات، وقد مارس الكتابة الصحافية كما كتب في مجالات الأدب المختلفة من شعر وقصة ونقد، وهوى الرسم، كما قدم العديد من الترجمات لبعض الشعراء الفرنسيين.

ومن أبرز مؤلفاته كتابه «**تاريخ الأدب الإنجليزي**».



استضافت العاصمة البريطانية - مؤخراً - أعمال المؤتمر التأسيسي لجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين في بريطانيا.

نوقش خلال الاجتماع النظام الداخلي للجمعية وجرى انتخاب **دلال مفتي** رئيساً للهيئة التنفيذية إلى جانب اللجنة المالية، **وسعد مشتت** أميناً عامّاً، **وميسون الدملوجي** للعلاقات الخارجية، **وعزيز الناشب** للجنة الإعلام، والدكتور **محمد صادق** للجنة النشاطات الثقافية.

ويذكر أن الجمعية تأسست بمبادرة من مجموعة من الفنانين بالتعاون مع المهندس المعماري المعروف الدكتور **محمد مكية**.

أحدث الكتب

● **مصر الماضي الحي**، كتاب إعلامي عن الحياة القديمة والمعاصرة في مصر، صدر عن المكتب الإعلامي المصري في لندن.

● **أدب الردة**، تأليف **جمال سلطان**، صدر عن مركز الدراسات الإسلامية في بريطانيا.

● **التابع**، مجموعة قصصية للقاص **عماد العبدالله**، صدرت عن دار رياض الريس للكتب والنشر في لندن وقبرص وبيروت.



قامت الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا خلال زيارتها لفرنسا - مؤخراً - بافتتاح معرض الفنان التشكيلي **هنري مور** في حديقة باغاتيل الفرنسية.


هنري مور

ضم المعرض سبعاً وعشرين منحوتة من البرونز قام مور (١٨٩٨ - ١٩٨٦م) بنحتها.

مهرجان للفن الباروكي

أعلنت وزارة التربية الوطنية والثقافة وهيئة رعاية الفنون والآداب عن تخفيض نحو ١٥٦ مليون فرنك فرنسي لإقامة **مهرجان الفن الباروكي** بمختلف فروعه خلال الفترة من ١٥ أيلول (سبتمبر) إلى ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م.

ويذكر أن الفن الباروكي كان قد انتشر في القرن السابع عشر الميلادي، ويتميز بالزخرفة في مجال الرسم والحركة والحرية في الشكل.

قاعات عرض جديدة في اللوفر

تفتتح مع نهاية العام الميلادي الحالي ١٩٩٢م ثلاثون قاعة عرض جديدة في متحف اللوفر.

ينتظر أن تخصص القاعات الجديدة لعرض ٧٠٠ **لوحة فنية** لفنانين ينتمون إلى المدرسة الفرنسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، من أبرزهم **بوشين، دولاكروا، شاروان، وانجرا، وآخرون**.

موسوعة ومعرض عن فن التصوير

صدرت - مؤخراً - **أحدث موسوعة فنية تتناول تاريخ التصوير**، وتتضمن التيارات الفنية التي كان لها أثر على تاريخ فن التصوير في العالم.

أعد الموسوعة **ناومي - روزبلوم**، وتضم ٨٠٠ صورة مختارة لأشهر مصوري العالم، وقائمة بأسماء أشهر المصورين، إضافة إلى فصل عن فن التصوير الأمريكي في الخمسينيات.

من ناحية ثانية أقيم في مدينة نيس تحت عنوان «**كنوز متحف نيس**» معرض للتصوير الفوتوغرافي في الفرنسي.

ضم المعرض مجموعة أعمال لكبار المصورين الفوتوغرافيين الفرنسيين، ومنهم **نيسيفور نيبس** مبتكر التصوير الفوتوغرافي عام ١٨١٦م، وأعمال مصورين فرنسيين آخرين خلال الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٦٠م، وأعمال المصور الروسي **رود شنكو** (١٨٩١ - ١٩٥٦م).

جائزة أبولينير لكورنيير وأفضل كتاب لأجونا

فاز الناثر والشاعر **فرانسوا دو كورنيير** بجائزة «**أبو لينير**» الشعرية عن ديوانه «كل هذا».

جــوائــز هـنــديــة

دلهي الجديدة: د. ظفر الإسلام خان:

منح **المجمع الأدبي الهندي** (ساهيتيا أكاديمي) جائزته السنوية التقديرية في مجال الأدب الأوردي للروائي **صلاح الدين برويز** عن روايته «**بطاقة الهوية**».

وأثار منح **برويز** الذي عُرف بكتاباته ذات الميل للإسلام حفيظة العلمانيين، خاصة أنه كان أحد الذين سخروا من الكاتب المرتد **سلمان رشدي**.

كما منحت ولاية مدهيا براديش «**جائزة إقبال**» السنوية للشاعر **أناند ناراين مُلّا** (٩٠ عامّا)، الذي يعد أحد أكبر شعراء الأوردية.

وتحصل المؤرخ **البروفسور ب. ن. باندي** حاكم ولاية أوريسا، السابق على **جائزة «خدابخش»** لتشجيع الوئام بين المسلمين والهندوس.

ويذكر أن البروفسور **باندي** له العديد من الكتب التاريخية، وقد كشف في كتب عنه قيام الإنجليز وأتباعهم بتزييف تاريخ الإسلام في الهند وتشويهه.



ويذكر أن لكوربير نحو اثنى عشر كتابًا شعريًا ونثريًا، كما أنشأ عام ١٩٥٠م في كاين سلسلة «اللقاءات من أجل القراءة».

كما فازت الكاتبة المجرية المولد السويسرية الجنسية اجوتا كريستوف بجائزة إذاعة فرانس أنتير لأحسن كتاب خلال عام ١٩٩٢م عن روايتها «الكذبة الثانية».

وقد اختيرت الرواية الفائزة من بين عشرة كتب رشحها نقاد الصحف الفرنسية.

جوائز الأكاديمية الفرنسية

أعلنت مؤخرًا أسماء الفائزين بجوائز الأكاديمية الفرنسية للعام الحالي في مجالات الأدب واللغة المختلفة.

فاز بجائزة بول موران للشعر الشاعر فيليب جاكوتيه، ومنحت جائزة الفلسفة لجان بول ماريون، وجائزة التاريخ لروجيه شارتيه.

أما جوائز الفنون فتوزعت كالتالي: جائزة السينما للمخرج السينمائي هنري فرنوي، وجائزة المسرح للممثل والمخرج المسرحي جيروم ديشان.

وحصل الكاتب فيليب سدللو على جائزة بول مدران التي تمنح كل عامين.

معرض بيان ومحصلة

نظم مركز جورج بومبيدو الثقافي في باريس بمناسبة ذكرى مرور ١٥ عامًا على إنشائه معرضًا تحت شعار «بيان ومحصلة» يستمر حتى ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م.

يقدم المعرض ألوانًا من الابتكارات الفنية التي أعدت خلال ثلاثين عامًا، ومنها الأعمال السينمائية والموسيقية والأدبية وإنجازات الهندسية المعمارية، والفنون التشكيلية التي حظت بالنصيب الأكبر في مجال العروض.

وفاة مؤلف الساعة الخامسة والعشرون

توفي في باريس - مؤخرًا - الكاتب الروماني الأصل كونستانتان فرجيل جورجيو عن عمر يناهز ٧٥ عامًا.

ولد جورجيو عام ١٩١٧م، في أرسبوين بمنتز برومانيا وتلقى علومه في مدرسة عسكرية ثم بكلية آداب بوخارست، وتابع الدراسة في كلية بهيد لبرغ في ألمانيا، وغادر بلاده عام ١٩٤٤م مع وصول القوات السوفيتية إليها، حتى استقر به المقام في فرنسا عام ١٩٤٨م وحتى وفاته.

ولكونستانتان فرجيل جورجيو أكثر من عشر روايات وكتب أخرى، ولعل أشهرها روايته «الساعة الخامسة والعشرون» التي نشرت عام ١٩٤٩م وحققت له شهرة واسعة وتحولت إلى فيلم سينمائي.



اتصالات لإقامة معرض للآثار الإسلامية

اتصالات مكثفة أجراها في الأسابيع الأخيرة الدكتور مغاوري دياب المستشار الثقافي في السفارة المصرية ببولندا من أجل تنظيم معرض للآثار الإسلامية في وارسو.

يرمي المعرض إلى تحقيق غرضين: الأول تعريف الشعب البولندي بالحضارة الإسلامية، خاصة أن هناك عددًا غير قليل من المسلمين هناك، والثاني العمل على جذب السياح لزيارة الآثار الإسلامية والفرعونية التي تزخر بها مصر.



معرض دولي لأدب المرأة

ينتظر أن تشارك ٢٠٠ كاتبة من مختلف أنحاء العالم في معرض دولي تستضيفه أمستردام في موعد لم يتحدد بعد لتبادل الأفكار والالتقاء بالناشرين والرعاية لأعمالهن.

معرض للحضارة الصينية بالقاهرة

أقامت جمعية الصداقة المصرية الصينية بالقاهرة أسبوعًا للحضارة الصينية بهدف تعريف الجمهور ببعض جوانب حضارة الصين القديمة وتاريخها العريق وكذلك أحوالها الحاضرة في التنمية والبناء.

واشتمل المعرض على كمية كبيرة من العينات الواقعية والصور الفوتغرافية والبيانات الدقيقة تتمثل في سور الصين العظيم وهو يعد إحدى العجائب السبع في الدنيا ويصل طوله حاليا إلى ٦,٣٠٠ كيلومتر في القرن الرابع عشر وامتد من ساحل البحر في الشرق إلى الجانب الشرقي الغربي للصين عبر الجبال والنهر الأصفر والصحراء، والابتكارات الأربعة العظمى المتمثلة وهي مساهمات الصينيين القدماء بحضارة العالم حيث اشتهر الصينيون القدماء باجتهادهم وذكائهم في مجال العلوم وبهذه الابتكارات الأربعة المتمثلة في صناعة الورق والطباعة بالمقاطع المتحركة والبارود والبوصلة قدم الصينيون القدماء مساهمة عظيمة في تنمية اقتصاد العالم وازدهاره.

والمعروف أن الصين أول من أنتج الورق من المواد النباتية مما أرسى أساسا لصناعة الورق الحديثة كما أن الصين أول من استخدم مقاطع متحركة من الطين المحترق في الطباعة وتعتبر هذه الطريقة بداية الطباعة الحديثة أيضا كما أن الصين أول دولة في العالم تستخدم البارود في الحرب وعلى أساسه ظهرت فيها بعد البنادق والمدافع والصواريخ.

كما تضمن المعرض أيضًا مجموعة من الآثار النادرة المكتشفة حديثا مثل الأدوات البرونزية والتي تمثل مدى تقدم حضارة الصين القديمة.



يحمل المعرض اسم «معرض الأدب النسائي» ولن يتطرق - حسبما قيل - إلى مناقشة أيدلوجيات معينة، ويتوقع منظموه أن يصل عدد رواده خلال الأيام الثلاثة التي سيفتح فيها أبوابه للجمهور إلى نحو ١٢ ألف شخص.

وقد أعد برنامج حاشد من القراءات النقدية والأدبية، ومناقشات لمجموعة من الموضوعات المتعلقة بالمرأة والأدب النسائي بصفة عامة.



النرويج — مئوية المركب «فرام»

تحتفل مدينة أوسلو خلال العام الميلادي الحالي **بمرور مائة عام على بناء المركب النرويجي الشهير «فرام»** الذي كثيرًا ما استقلته البعثات الاستكشافية إلى القطب الشمالي.

وكانت النرويج قد أنشأت مسرحًا خاصًا لهذا المركب التاريخي يزوره كل عام نحو ٢٠٠ ألف زائر من مختلف أنحاء العالم.

الولايات المتحدة — مائة عام على صدور أول جريدة عربية

في هدوء، ودون أن يشعر أحد، مرت - مؤخرًا - ذكرى مرور مائة عام على صدور **أول صحيفة عربية في الولايات المتحدة الأمريكية**.

أصدر الجريدة واسمها **«كوكب أمريكا»** عام ١٨٩٢م في نيويورك أخوان ينحدران من أسرة سورية هاجرت عام ١٨٧٨م إلى أمريكا هما **نجيب وإبراهيم يوسف عوض حنا العربيلي**، وكانت تصدر كل يوم جمعة، وتحمل إلى جانب التاريخ الميلادي ما يوافقه من التاريخ الهجري.

وقد وصف الباحثان الدكتور **جورج عطية وهنري ملكي** تلك الجريدة بأنها أسهمت في التقريب بين المهاجرين العرب في أمريكا.

جائزة دولية لجراح أعصاب مصري

منحت الجمعية الدولية لجراحة الأعصاب ومقرها نيويورك **جائزة روبرت هـ. بوذنر لعام ١٩٩١م** للطبيب المصري الدكتور إسماعيل الشافعي أستاذ جراحة المخ والأعصاب بجامعة القاهرة تقديرًا لما أسهمت به أبحاثه في تقدم العلوم الطبية والمساعدة على تفهم العوامل المنظمة للضغط داخل الجمجمة، وللعملية الجراحية التي ابتكرها لعلاج استسقاء المخ، وزيادة الضغط داخل الجمجمة.

ويعد د. الشافعي ثالث طبيب على مستوى العالم يحصل على هذه الجائزة.

المكسيك — سنيل باث يفوز بجائزة رولفو

منحت **جائزة خوان رولفو** الدولية للقصة للقاص والكاتب الكوبي سنيل باث عن قصته **«الذئب والغابة والإنسان الجديد»**.

والقصة الفائزة تنتقد النظام القائم في كوبا، وتمثل احتجاجًا صارخًا على فشل التجربة الاشتراكية التي تعيشها كوبا.

بيرو — اكتشاف حفريات لسفن قديمة

عثر الرحالة والمستكشف النرويجي **«ثورها ريدال»** على بقايا منحوتات أو حفريات لمراكب كبيرة داخل معبد قديم في بيرو.

وقال هاريدال إن هذا الكشف يؤكد نظريته القائلة بأن السكان الأصليين لأمريكا اللاتينية قد أبحروا عبر المحيطات، وكان لديهم مراكب كبيرة لهذا الغرض، على عكس النظرية السائدة التي تقول بأنهم لم يكونوا يملكون مراكب كبيرة.

○ ○

وهذه الأدوات هي ما كان يستخدمه الصينيون القدماء في حياتهم اليومية أو في حروبهم **كما عرض المعرض بعض التحف الثمينة (المقلدة) التي تتميز بدقة الصنع وجمال الشكل وأناقة المظهر** التي تعكس الحياة الواقعية للمجتمع الصيني القديم وكذلك المستوى العالي الذي وصل إليه صانعو هذه التحف.

ولم ينس القائمون على المعرض أن يقدموا بعض الجوانب الحضارية التي تمثل تقدمًا جديدًا في المجتمع الصيني تحت عنوان (بكين اليوم) مثل مجموعة من الأعمال الفنية المتنوعة التي توضح التطورات المطردة الملحوظة في الثقافة والتعليم والصحة والرياضة وغيرها من المجالات كما تم عرض الملابس والزينات التقليدية الخاصة لأبناء القوميات الأقلية وموديلات الملابس الحديثة **وآخر ما اشتمله المعرض مجموعة من الكتب التي تعبر عن حضارة الصين الحديثة.**







صورة من الصحراء

ذكر أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) في كتابه الأمالي (كتاب الفريدة في الحروب ج ١ ص : ٢١٩):

«وحدّث العُتْبيّ (محمد بن عبيد الله ت ٢٢٨هـ) عن بعض أشياخه قال: كنت عند المهاجر بن عبد (ت بعد ١٢٥هـ) والي اليمامة. فأُتي بأعرابيّ كان معروفًا بالشرق. فقال: أخبرني عن بعض عجائبك، قال: عجائبي كثيرة، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبق، وكانت لي خيلٌ لا تُلحق. فكنتُ أخرج فلا أرجعُ خائبًا. فخرجتُ يومًا فاحترشتُ ضبًّا، فعلّقتُه على قتبي، ثم مررتُ بخباء ليس فيه إلا عجوزٌ ليس معها غيرُها، فقلتُ: يجب أن يكون لهذه رائحةٌ من غنم وإبل.

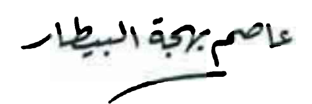
فلما أمسيت إذا بإبل، وإذا شيخٌ عظيم البطن، شثْن[1] الكفّين ومعه عبد أسود، فلمّا رآني رحّب بي، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها وناولني العُلبة[2]، فشربتُ ما يشربُ الرجل. فتناول الباقي فضرب بها جبهته، ثم احتلب تسع أينُق فشرب ألبانهن، ثم نحر حُوارًا[3] فطبخه، فأكلتُ شيئًا وأكل الباقي حتى ألقى عظامه بيضًا، وجثا على كومة من البطحاء وتوسّدها، ثم غطّ غطيط البَكْر. فقلت: هذه والله الغنيمة. ثم قمتُ إلى فحل إبله فخطمته، ثم قرنتُه ببعيري وصحتُ به، فاتبعني الفحلُ واتّبعتْه الإبل إربابًا[4] به في قطار، فصارت خلفي كأنّها حبل ممدود. فمضيتُ أبادر ثنيّةً بيني وبينها مسيرةُ ليلة للمسرع، ولم أزل أضربُ بعيري مرة بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر، فأبصرتُ الثنيّة فإذا عليها سواد، فلما دنوتُ منه إذا الشيخ قاعد وقوسه في حجْره. فقال: أضيفُنا؟ قلت: نعم، قال: أتسخو نفسك عن هذه الإبل؟ قلت: لا. فأخرج سهمًا كأنه لسان كلب ثم قال: انظرْه بين أُذُنَي الضبّ المعلّق في القتب؛ ثم رماه فصدع عظمَهُ عن دماغه، فقال لي: ما تقول؟ قلت: أنا على رأيي الأول؛ قال: انظر هذا السهم الثاني في فقْرة ظهره الوسطى، ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بإصبعه؛ ثم قال: ما رأيك؟ فقلت: إني أريدُ أن أستثبت، قال: انظر هذا السهم الثالث في عُكْوة ذنبه[5]، والرابع والله في بطنك، ثم رماه فلم يخطئ العكوة.

ثم قلت: أتُرى آمنًا؟ قال: نعم؛ وأنا أنتظر من يرميني بسهم يُقصد به قلبي. فلما تباعدت قال: أقْبِلْ. فأقبلت والله فرقًا من شرّه لا طمعًا في خيره. فقال: ما أحسبك تجشّمت الليلة ما تجشّمت إلا من حاجة. قلت: نعم. قال: فاقْرِن من هذه الإبل بعيرين وامض لطِيّتك[6].

قال: قلتُ والله لا أمضي حتى أخبرك عن نفسي. فلا والله ما رأيتُ أعرابيًا قطُّ أشدَّ ضرسًا، ولا أعدى رجلًا، ولا أرمى يدًا، ولا أكرم عفوًا، ولا أسخى نفسًا منك.

فصرف وجهه عني حياءً وقال: خُذ الإبل بِزِمّتها مُباركًا لك فيها».

صورة للصحراء العربية تكشف عن شجاعة في القلب، وكرم في النفس، وأريحية في الطبع، ونبل في الشيم. فقسوة الحياة أنبتت شجاعة لا تحدّ، وشظف العيش أثمر جودًا منقطع النظير. فهذا الأعرابي، ابن الصحراء العربية يطرق بابه ضيف فينزله أكرم منزل، ويطعمه ويسقيه من خير ما عنده، حتى إذا آنس منه الإساءة إلى الجوار، والغدر بعد الإحسان، وقف موقف الأبيّ الذي لا يغمز جانبه ولا يضام حماه. حتى إذا استعاد ماله من السارق الذي أنكر المعروف أوى لحاله وأشفق عليه فأعطاه بعيرين يتدبر بهما أمره. ومدحه الرجل ببعض ما فيه. وهزّ الأريحية في نفسه، فتنازل عن المال كله، ومضى على رجليه وقد أشاح بوجهه حياءً. وصدق من قال: إنّ الكريم ليُعطي وهو يعتذر.



الهوامش

(١) حشن الكفين.

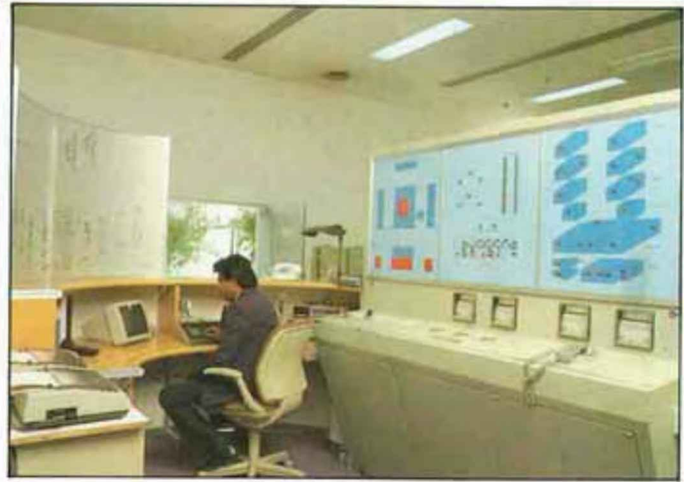
(٢) العلبة: القدح الضخم.

(٣) ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه.

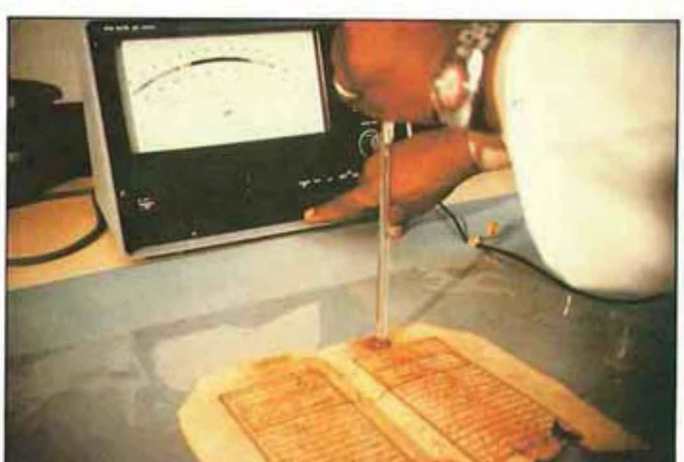
(٤) إربابًا به: ملازمة له.

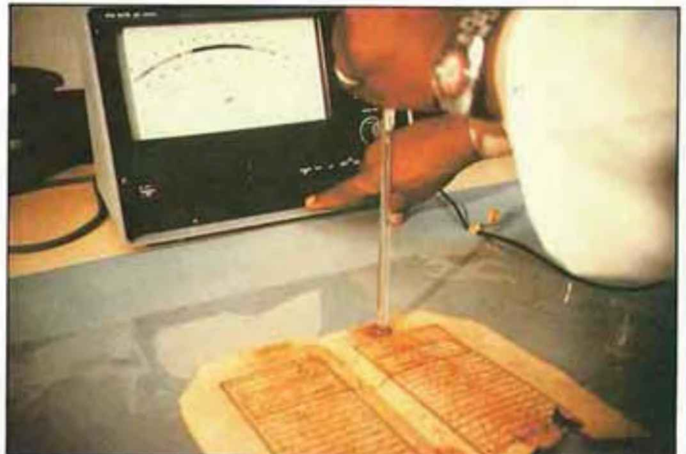
(٥) عكوة الذنب (بضم العين وفتحها): أصله.

(٦) الطيّة: النية والقصد.









خـدمـات فنيـة متكـاملـة

إن مركز بحث علمي كمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في تعدد نشاطاته وتنوع أعماله من خلال إدارتين علمية وثقافية ومركز معلومات قوامه أربع مكتبات وقسم للحاسب الآلي، يتطلب بطبيعة الحال، وحسب نوعية الأعمال التي تقوم بها كل إدارة وقسم، وجود خدمات فنية متخصصة هي في واقعها مكملة لأعمال المركز ونشاطاته.

فمكتبة المخطوطات التي تزخر بأعداد كبيرة من المخطوطات الأصلية، ستكون نشاطاتها محدودة ما لم تكن هناك خدمات فنية تتمثل في تعقيم تلك المخطوطات وترميمها وتجليدها وتصويرها على ميكروفيلم، بحيث تحافظ على تلك الثروة الفكرية الهائلة ويسهل الاستفادة منها.

والكتب والدوريات الموجودة في المكتبات لا يضمن بقاؤها سليمة، مع كثرة الاستعمال والتداول، إلا بتجليدها وتصوير المهم منها على ميكروفيلم، حيث إن شراء النادر منها يكلف أموالاً طائلة ناهيك عن صعوبة اقتنائها.

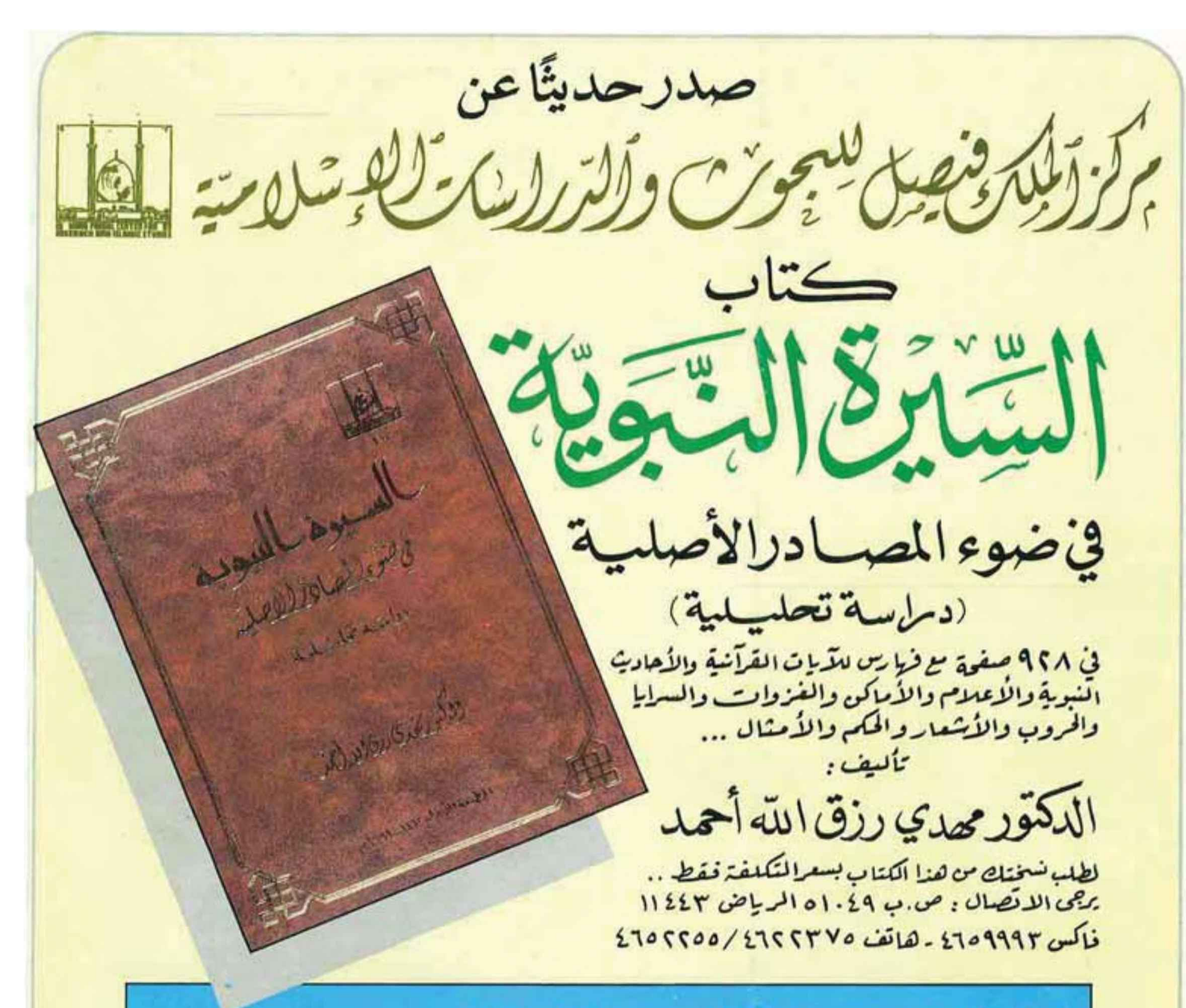
والنشاط الثقافي للمركز، من محاضرات وندوات ومؤتمرات، يتم تعميم الفائدة منها بالاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية لتسجيلها وحفظها للاستخدام المتكرر، وبطبعها في كتب، إلى جانب طباعة إصدارات المركز المختلفة.

إن إدارة الخدمات الفنية في المركز أنشئت لهذه الأغراض. وحين خطط لإنشائها وضع في الاعتبار تحقق الجدوى الاقتصادية والفنية من وجودها، وبالتالي اكتفاء المركز ذاتيا - بقدر الإمكان - باحتياجاته، التي تلبيها الأقسام التالية:

قسم ترميم المخطوطات
قسم المصغرات الفلمية (الميكروفيلم)
قسم الوسائل السمعية والبصرية
قسم التجليد
قسم الطباعة
إلى جانب قسم للأمن والسلامة.



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣
هاتف: ٤٦٦٢٣٧٥ / ٤٦٥٢٢٥٥


صدر حديثاً عن
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
كتاب
السيرة النبوية
في ضوء المصادر الأصلية
(دراسة تحليلية)
في ٩٢٨ صفحة مع فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والأماكن والغزوات والسرايا والحروب والأشعار والحكم والأمثال ...
تأليف:
الدكتور مهدي رزق الله أحمد
لطلب نسختك من هذا الكتاب بسعر التكلفة فقط ..
يرجى الاتصال: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٤٤٣
فاكس ٤٦٥٩٩٩٣ - هاتف ٤٦٢٢٣٧٥/٤٦٥٢٢٥٥